كَشفُ الغُمَّة

الجَامِعُ لأخبارِ الأُمَّة

تصنيف
الشيخ سرحان بن سعيد الإزكوي
(القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي)

تحقيق وتقديم
أ. د. محمد حبيب صالح
د. محمود بن مبارك السليمي

الجزء الأول

الطبعة الثانية
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م


كَشفُ الغُمَّة
الجامِعُ لأخبارِ الأئمّة
الجُزءُ الأوَّلُ

الطَّبعَة الثَّانيَة
١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

سلطنة عُمان ـ ص.ب.: ٦٦٨ مسقط، الرمز البريدي: ١٠٠
هاتف: ٢٤٦٤١٣٠٠ / ٢٤٦٤١٣٢٥، فاكس: ٢٤٦٤١٣٣١
البريد الإلكتروني: info@mhc.gov.om
موقع الوزارة على الإنترنت: www.mhc.gov.om

سلطنة عمان
وزارة التراث والثقافة



تصنيف
الشيخ سرحان بن سعيد الأزكوي

تحقيق وتقديم
أ. د. محمد حبيب صالح
د. محمود بن مبارك السليمي

الجزء الأول



مقدمة الطبعة الثانية

تُعَدُّ مسألة إعادة طباعة الكتب والمخطوطات المحققة ظاهرة صحية في الأوساط العلمية والأكاديمية، تعكس حقيقة اهتمام الجهة المسؤولة عن الإصدار والمؤلفين والمحققين بإصداراتهم ومؤلفاتهم، وبآراء جماهير القرّاء المتلقين من جهةٍ، ومدى حرصهم على تغيير واقع الحال، وسد الثغرات وتجنب بعض الأخطاء التي تنشأ من اشتراك أكثر من طرف في عملية الإخراج والطباعه من جهةٍ أخرى.

وبناءً عليه، ونظراً للقيمة العلمية الكبيرة لكتاب: «**كشف الغُمَّة الجامع لأخبار الأُمة**» لما يحتوي عليه من ثروة علمية ومادة تاريخية عن عُمان والأُمة الإسلامية كلها، وحرصاً منا على إبرازه بالصورة المثالية وفق ضوابط التحقيق العلمي وقواعده وشروطه الأكاديمية، فقد قمنا بمراجعة شاملة لعملية التحقيق، وأدخلنا بعض التعديلات، منها:

١ ـ إضافة عناوين فرعية إلى النص في بعض أبواب الكتاب، ووضعناها بين قوسين [..........] لتسهيل مهمة الباحثين الذين يعتمدون على هذا المصدر التاريخي المهم، ومساعدة القارئ الكريم في الاستفادة أكثر وبطريقة أسهل من المادة العملية التي يتضمنها هذا العمل الموسوعي القيّم.

٢ ـ تعديل بعض الحواشـي التي وردت في الطبعة الأولى، وبخاصة ما يتصل منهـا بترجمة بعض الأعـلام، والمصادر التي تمَّ الاعتمـاد عليها، وتقديم نبذة عن المدن والبلدات العُمانية، بعد صدور كتب ومؤلفات رأينا ضرورة الاعتماد عليها، لأنها تساهم في إثراء عملية التحقيق بحد ذاتها.

٣ ـ مراجعـة النـص المحقق كاملاً والحواشـي في الطبعـة الأولى، وتصحيح الأخطاء الطباعية، بالإضافة إلى اسـتدراك بعض الحواشـي التي سـقطت في الطبعة الأولى، وإن كانت قليلة.

٤ ـ إعادة طباعة الكتاب بإخراج جديد في ثلاثة أجزاء بما في ذلك الفهارس، بدلاً من سـبعة أجزاء (الطبعة الأولى) وتقديمـه للقارئ الكريم والباحثين المتخصصين بمظهر لائق يتناسب والقيمة العلمية الكبيرة للكتاب.

٥ ـ نظـرًا للإقبال الواسـع مـن قبل جماهير القـرَّاء الأعزاء على شـراء الطبعة الأولى في عُمان وخارجها، حرص المسؤولون في وزارة التراث والثقافة العُمانيـة على إصدار الطبعـة الثانية، ووضعها بيد القارئ العربي للتعريف بتـراث عُمـان الفكـري والعملـي، وانجـازات علمائهـا في مجـال الثقافة والحضارة الإسلامية كلها.

وأخيـراً، لا نسـتطيع أن ندَّعـي الكمـال، فالكمال لله وحـده، لكننا نتوخى دائماً تقديم كل ما هو أفضل، مع ضرورة التأكيد على أنه من دواعي سـرورنا وسعادتنا أن نتلقى ملاحظات القارئ الكريم حول الطبعة الجديدة.

والله ولي التوفيق،

المحققون

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

نظراً لأهمية المخطوطات التاريخية العُمانية والمكانة الكبيرة والمميزة التي تشغلها وسط المصادر التاريخية الأخرى، وللدور الذي تمثله عملية إخراج المخطوطات والكتب التراثية إلى النور في إحياء التراث الفكري والعلمي والحضاري العُماني، وإدراكاً منها لحقيقة امتلاك عُمان عدد كبير من المخطوطات التاريخية التي ترقى إلى مستوى الأعمال الموسوعية الضخمة، تحرص وزارة التراث والثقافة العُمانية والقائمون عليها على الكشف عن كنوز هذه الثروة القومية ووضعها في أجلى صورها وأحسن أحوالها بين أيدي المؤرخين والباحثين والقرّاء، في وقت تشهد فيه سلطنة عُمان ثورة حقيقية في مجال التعليم والثقافة، وارتأى القائمون عليها عدم نشر أي مخطوط كما هو من دون تحقيق وتقديم وفق مناهج البحث التاريخي والعلمي والأدبي، ومن دون دراسة تؤدي إلى إخراجه بطريقة علمية صحيحة، للاستفادة منه كما يجب وبالشكل الأمثل.

ولمّا كان مخطوط «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» يمثّل درّة المخطوطات العُمانية والمصدر الأول في كتابة تاريخ عُمان عبر العصور، ونظراً لقيمته العلمية الكبيرة، وحاجة المكتبة العُمانية والعربية والإسلامية إليه، وحاجتنا نحن المحققين محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي إلى أن ننهل المزيد من معين التاريخ والأدب والثقافة العُمانية، قررنا أن نخوض عباب بحر مؤلفه العالم المؤرخ المفكر سرحان بن سعيد الإزكوي الذي ترك

بعمله العلمي هذا بصمات واضحة في تاريخ الفكر والثقافة العُمانية، وأن نخرج موسوعته التاريخية الرائعة محققة وفق ضوابط البحث العلمي وشروطه الأكاديمية.

سرحان بن سعيد الإزكوي: عصره وحياته:

هو العالم المؤرخ الفقيه سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد بلحسن بن سرحان أمبو علي الإزكوي[١] شيخ المؤرخين العُمانيين، ومؤلف أول موسوعة تاريخية عُمانية، تحدث فيها عن تاريخ عُمان منذ الجاهلية وحتى أواسط العصر الحديث.

يعدّ سرحان بن سعيد الإزكوي من علماء عُمان في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، ولا يعرف تاريخ مولده، ولا تاريخ وفاته. إلّا أنه من الثابت تاريخياً أنه عاصر فترة من عهد اليعاربة ونهاية دولتهم، وشهد الأحداث التي عاشتها عُمان في أواخر أيام اليعاربة ومطلع عهد الدولة ألبو سعيدية.

فقد «أدرك أيام الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي، وحضر البيعة الثانية له بنزوى سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٥م، بعد البيعة له بالرستاق سنة (١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م)»[٢]. وهذا ما يستنتج صراحة من قوله: «أنا أول من بايع الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي الأزدي الأدمي، وحضر البيعة حبيب بن

(١) هكذا ورد اسمه في الصفحة الأخيرة من النسخة الأصلية من مخطوطته الشهيرة «كشف الغمة الجامع لأخبار الأئمة» ص٥٥٨. وهي النسخة التي كتبها بخط يده، وانتهى من كتابتها كما يشير في الصفحة نفسها في ٢٣محرم سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٧م.

(٢) انظر: البطاشي: سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، مسقط، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ج٣، ص ٢٤٠.

سالم آلبوسعيدي العقري النزوي... والشيخ محمد بن عامر المعولي، والشيخ جاعد بن سالم السلامي، وأنا الفقير سرحان بن سعيد أمبو علي الإزكوي». وهاهنا ألف هذا الكتاب، وهذا الإمام يزداد قوّة بعُمان، وكانت بيعته بنزوى بعد موت الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان، طَرَشَ لنا وبايعناه، وانتقل الملك من السادة آل يعرب إلى الإمام أحمد بن سعيد، وذلك سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٥م»[١].

وقد ترجم له العلّامة سيف بن حمود البطاشي في كتابه «إتحاف الأعيان» باسم «سرحان بن سعيد بن سرحان بن سعيد بن عمر السرحني الإزكوي، وقال: وفي بعض الأوراق إنه أمبو علي»[٢]. وقال: «وقد اختلفت الروايات في نسبه، فقيل: إنه سرحني، وفي أكثر من رواية: إنه أمبو علي، وهو ما يدل عليه كلام اطلعت عليه من أوراق قديمة»[٣]. وأضاف: «كلامه صريح في انتسابه إلى أمبو علي»[٤]. وهذا الكلام الصريح يتطابق مع اسمه أيضاً في الصفحة الأخيرة من مخطوطته الشهيرة التي كتبها بخط يده، مما لا يدع مجالاً للشك في صحة نسبة أمبو علي.

والإزكوي هو مؤلف كتاب «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» الذي يعدّ أهم مصادر التاريخ العُماني، وأقدم موسوعة تاريخية عُمانية، وقد وصفه البطاشي بقوله: «وعلى ندرة المؤلفات في التاريخ العُماني، فهو يعدّ مرجعاً في تاريخ عُمان»[٥]. غير أنه أشار إلى وجود اختلاف في عنوان الكتاب، فقال:

(١) البطاشي، المصدر السابق، ص ٢٤٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٠.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٤٠.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٣٩.

«ومن مؤلفاته كتاب كشف الغمة في افتراق الأمة»[١]. لكن هذا الاختلاف لا يغيّر من واقع الأمر شيئاً، فقد ذكر المؤلف سرحان بن سعيد الإزكوي عنوان كتابه في مقدمة الكتاب، حيث قال: «وقد سميته كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة»[٢]. وهذا القول موجود في مقدمة جميع النسخ المتوافرة من المخطوطة، وفي النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده.

تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الكتّاب والمؤرخين المعاصرين من غير العُمانيين من عرب وأجانب أحالوا نسبة كتاب «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» إلى مؤلف مجهول، ويعود السبب في ذلك إلى أن نسّاخ المخطوطة لم يذكروا اسم المؤلف، وذكروا أسماءهم، ولمن نسخوها، في غالب الأحيان، ناهيك عن أن جميع هؤلاء الكتّاب والمؤرخين لم يتمكنوا من الحصول على النسخة الأصلية من المخطوطة. وقد أشار البطاشي إلى هذه المسألة بقوله: «وقد حاول بعض الكتّاب المعاصرين من غير العُمانيين نسبة الكتاب إلى غير الإزكوي، وذلك غير صواب، فإن كتاب كشف الغمة هو للمؤلف المذكور، وقد أطبق المؤلفون الذين جاؤوا من بعده إلى نسبة الكتاب إليه... والكتاب الذي نحن بصدد التعريف عنه، هو عندنا أشهر من نار على علم، إنه لمؤلفه الشيخ سرحان بن سعيد الإزكوي»[٣]. لكن وبما أن النسخة الأصلية من المخطوطة بخط المؤلف نفسه، مذيلة باسمه كاملاً «سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد بن بلحسن بن سرحان أمبو علي» وبتاريخ انتهائه من تأليفها، فإننا نجد أنفسنا نحن المحققين في حلّ من الدخول في نقاش حول مسألة حسمت نتيجتها، وبان اسم المؤلف واضحٌ وضوح الشمس في رابعة النهار. ونذكِّر

(١) البطاشي، المصدر السابق، ص٢٣٩.
(٢) انظر النسخة الأصلية من مخطوطة: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ص٢.
(٣) انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٢٣٩ - ٢٤٠.

أخيراً كل من وقع في هذا الخطأ ودونه في أعماله العلمية أن يعيد قراءة ما كتبه وتصحيح هذا الخطأ، فالتاريخ لا يرحم، وربما يجد من يدينه بالاعتداء على حقوق المؤلف وخيانة الأمانة العلمية، والتقصير والجهل بقواعد البحث العلمي والمنهجية العلمية الصحيحة وشروط التحقيق، وواجبات المحقق والابتعاد عن الموضوعية في التعامل مع المخطوطات التاريخية.

أهمية تحقيق مخطوطة كشف الغمة في إبراز معالم التاريخ العُماني:

التاريخ علم من حيث منهجيته وأدواته وأساليبه، ولذا قيل: إن الكتابة التاريخية متغيرة ومتحولة وغير ثابتة نظراً لاستمرار الكشوفات الوثائقية والأثرية، وبخاصة المخطوطات. وتحقيق المخطوطات التاريخية يغير من واقع الحال في مجال البحوث والدراسات التاريخية، ويساعد إلى حدّ بعيد في «تجديد التاريخ»، ولا يُقصد بالتجديد هنا إلغاء ما سبق من الوقائع والأحداث التاريخية، أو تزويرها، أو طمسها، وإنما يقصد بذلك التجديد الذي يؤدي إلى سدّ الثغرات، وتقديم مادة علمية تاريخية جديدة ومهمة، فكيف الحال والحديث يجري هنا عن مخطوطة تعدّ المصدر الأول والأكثر أهمية وقيمة ووزناً علمياً بين المصادر التاريخية العُمانية، واعتمد عليه كل شيوخ المؤرخين العُمانيين الذين تصدوا من بعده لمهمة كتابة التاريخ العُماني، نظراً لما تقدمه من معلومات قيّمة عن تاريخ عُمان.

وتكمن أهمية إخراج هذه المخطوطة إلى النور في كونها تعدّ عملاً موسوعياً بامتياز، يقدم مادة دسمة، تساعد في دراسة الوقائع والأحداث التاريخية التي جرت في التاريخين العربي والإسلامي عامة، والعُماني خاصة، كتبها شيخ المؤرخين العُمانيين سرحان بن سعيد الإزكوي في جوّ من الحرية، وبعيداً عن المؤثرات السياسية الضاغطة، التي تلعب دوراً بارزاً وخطيراً في

تعطيل العمل الفكري والتاريخي. فقد كان الإزكوي مؤرخاً حرّاً، وبالتالي كان من الطبيعي أن يقدم عملاً فكرياً حقيقياً، وأثبت في مخطوطته هذه أن النشاط الـذي بذلـه مبتغياً مـن ورائه بناء صرح عالمه التاريخي نشـاط صادر عن إرادة حرّة، إذ لا تاريخ من دون حقيقة، ولا حقيقة من دون حرية.

وأخيـراً، اسـتطاع الإزكـوي أن يقـدم للباحثيـن والمؤرخيـن مـادة علميـة تاريخية قيمة ونادرة عن تاريخ عُمان، واحتفظ لنا وللتاريخ في مخطوطته هذه بمجموعة من الخطب والرسائل (خطبة أبي حمزة الشاري في المسجد النبوي الشريف، رسـائل عبدالله بن إباض إلى عبدالملك بن مروان). كما تعدّ المادة العلميـة والتاريخيـة التي قدّمها لنا في هذه المخطوطة عن تاريخ عصر النباهنة وعصر اليعاربة درّة عمله الموسوعي هذا. فهو الشاهد الحي، والمصدر الناطق، والمؤلف المبدع لتاريخه عهد دولة اليعاربة من دون منازع.

منهجية الإزكوي وأسلوبه في الكتابة:

المعرفة التاريخية هي بطبيعتها معرفة غير مباشـرة، لأن المؤرخ يتناول في كثيـر مـن الأحيان وقائع أمور وقعت في الأزمنة السـالفة، ولهذا يختلف منهج علم التاريخ اختلافاً أساسياً عن منهج العلوم المباشرة. فالعمل في التأريخ عمل نقدي من الطراز الأول، والتاريخ شأنه شأن أية دراسة أخرى ينطوي على أخطاء واقعية تنشـأ أحيانـاً عن نقص في الانتباه، لكنه أكثـر تعرضاً من غيره للأخطاء الناشـئة عـن اختلاط الذهن الذي قد يؤدي إلى القيـام بتحليلات ناقصة وعقد اسـتدلالات باطلة، وربما تطال هذه القاعدة شريحة واسعة من المؤرخين، إلّا أننا هنا أمام حالة اسـتثنائية عن هذه القاعدة. فقد تمكن الإزكوي بحكم ثقافته الواسـعة ومعرفتـه التاريخية الموسـوعية أن يقـدم لنا مخطوطته هذه بأسـلوب المؤرخ الذي تهمه المادة التاريخية أكثر مما تهمه البلاغة والأسـاليب البيانية،

وقدّم سرداً منطقياً ومتوازناً للحقائق بعبارات موجزة وواضحة ومفهومة. ولدى وصفه للمناسبات والأحداث الخطيرة استشهد بأشعار شعراء معاصرين لها. واتبع أسلوب التأريخ الحولي لأحداث عصر الرسول ﷺ، أي على أساس السنين، وعلى أسلوب التأريخ للخلفاء في عصر الدولة الراشدية، في حين اتبع أسلوب التأريخ على أساس الموضوعات في بقية الأبواب الأخرى من المخطوطة.

وقد أحسن انتقاء المصادر التاريخية التي اعتمد عليها في كتابة المخطوطة، فجاءت في غالبيتها من أمهات مصادر التاريخ الإسلامي، غير أنه لم يشرْ إليها، وتطلبت عملية التعرف عليها جهداً إضافياً منّا نحن المحققبن لدى مقارنة نص المادة العلمية لديه مع تلك المصادر.

مخطوطة كشف الغمة من خلال نسخها ومصادر الإزكوي في تأليفها:

أدرك العُمانيون بشكل عام، والمؤرخون والعلماء والأدباء منهم بشكل خاص منذ ما يقرب من قرنين من الزمن الأهمية العلمية الخاصة لكتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، وحرصوا على امتلاك نسخ منه واستخدامه مصدراً رئيسياً أساسياً في كتاباتهم التاريخية والأدبية، وهذا يفسر لنا ظاهرة توفر عدد من النسخ منه، كُتبت في فترات زمنية مختلفة لمؤرخين وعلماء وشعراء وأدباء ومسؤولين حكوميين، وسبب وصوله إلى أقطار وبلدان بعيدة عن عُمان. لذلك كانت خطوتنا الأولى على طريق تحقيق هذا العمل العلمي الضخم هي الحصول على أكبر عدد ممكن من تلك النسخ، وقد وفقنا الله في ذلك بفضل نعمته ورضوانه، وحصلنا على ما يزيد على سبع نسخ، أجرينا مقارنة بين نصوصها، وقررنا تصنيفها بحسب قيمتها، ووضعها في مجموعتين اثنتين، استخدمنا الأولى منها في التحقيق، واستبعدنا الثانية تجنباً لوضع

ملاحظات كثيرة في الحواشـي ولأسباب أخرى سنشير إليها أثناء الحديث عن كل نسخة منها:

أولاً ـ النسخ المستخدمة في التحقيق

١ ـ نسـخة جمعية الشـيخ أبي إسـحاق أطفيش لخدمة التـراث ـ غرداية ـ الجزائر (النسخة الأصلية ب):

وهي النســخة الأصلية من المخطوطة، كتبها مؤلفها سرحان بن سعيد بن سـرحان بن محمد بن بلحسن بن سـرحان أمبو علي الإزكوي بخط يده، سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٧م، ومحفوظـة في مكتبة جمعية الشـيخ أبي إسـحاق أطفيش لخدمـة التراث ـ غردايـة ـ الجزائر، قدمت لنا وزارة التـراث والثقافة العُمانية نسـخة منها علـى قرص مدمـج (CD). والنسـخة الأصلية بحالـة جيدة، غير أن الصفحـة الأولـى مـن المقدمـة مفقـودة، ويوجـد فيها رطوبة فـي عدد من الصفحات.

ولهذه النسـخة أهمية كبيرة جداً في عملنـا هذا، وبفضل توفرها بين أيدينا اسـتطعنا نحن المحققان أن نحسم وننهي الجدل والنقاش والخلاف الذي دار بين المؤرخين والباحثين الذين اهتموا بدراسـتها، سـواء بتقديم دراسات عنها، أو تحقيق أبواب منها، وحول اسم مؤلفها، وعنوانها، وتاريخ تأليفها.

تقـع هـذه النسـخة فـي ٥٥٨ صفحة، تبـدأ بمقدمـة المؤلف، وقـد فقدت الصفحـة الأولـى منها، وتنتهـي الصفحة الأخيرة بــ «تم هذا الكتـاب على يد مالكه ومؤلفه الفقير إلى الله تعالى، الغني به، العبد الأقل سرحان بن سعيد بن سـرحان بن محمد بن بلحسـن بن سـرحان أمبـو علي الإزكوي، نسـخه وألّفه لنفســه ابتغـاء مرضاة ربّه، وكان تمامه آخر وقت صـلاة الظهر من يوم الجمعة

لست ليالٍ بقين من آخر الشهر المحرّم سنة ست وأربعين سنة ومائة سنة وألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والتسليم».

ولدى مقارنة هذه النسخة مع نسخة دار الكتب الظاهرية، تبيّن أنها متطابقة معها إلّا في فصل مسيلمة الكذاب، فقد اكتفى الناسخ الأول نصر الله بن محمد بن أحمد الكندي بكتابة العنوان فقط، وتلاه بعبارة: «تركه الناسخ، وزعم خوف الإطالة، وطلباً للاختصار»[1]. في حين كتب المؤلف الفصل كاملاً في النسخة الأصلية (انظر: ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤).

وسميناها النسخة الأصلية، ورمزنا إليها بالحرف (ب) أي النسخة الأصلية (ب) وقارنا بينها وبين جميع النسخ الأخرى التي بين أيدينا، وقررنا اعتماد نسخة دار الكتب الظاهرية، ورمزنا إليها بالرمز (أ)، أي النسخة (أ)، وأضفنا إليها فصل مسيلمة الكذاب، وأشرنا إلى ذلك في الحاشية.

٢ ـ نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق (النسخة ـ أ ـ):

تعدّ نسخة دار الكتب الظاهرية[2] بدمشق من أفضل النسخ التي عثرنا عليها، قدمت لنا وزارة التراث والثقافة العُمانية نسخة مصورة عنها، وهي بحالة جيدة جداً، وخالية تماماً من الرطوبة، كُتبت بخط واضح، ويبدو أن الناسخ دققها مع الأصل بعد الانتهاء من نسخها، بدليل أنه أضاف بعض الكلمات والجمل التي سقطت أثناء النسخ من النص في الهوامش.

لدى مقارنة هذه النسخة مع النسخة الأصلية (ب) تبيّن أنها تحتوي على

---

(١) انظر: الإزكوي: سرحان بن سعيد: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق، ص ٢٠٤.

(٢) نسخة دار الكتب الظاهرية محفوظة الآن في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، بعد نقل مخطوطات ووثائق دار الكتب الظاهرية إليها.

جميع الأبواب والفصول والفقرات كاملة، إلّا فصل مسيلمة الكذاب كما أشرنا سابقاً، وربما تركه الناسخ نظراً لوجود رطوبة في بدايته في النسخة الأصلية (ب). وقد لاحظنا وجود صفحات مكررة أثناء المقارنة تم استبعادها أثناء عملية الترقيم التي قمنا بها، كما لاحظنا وجود تقديم وتأخير لبعض الصفحات وضعناها في أمكنتها الصحيحة.

تتكون هذه النسخة من ٥٣٦ صفحة، نُسخت عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٦م، على يد ناسخين، هما: نصر الله بن محمد بن أحمد الكندي، من ص ١ إلى ص ٤٢٢. وعبد الرحمٰن بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي، من ص ٤٢٣ حتى الصفحة الأخيرة ٥٣٦، نسخها لأخيه اللوذعي الأديب الأريب سالم بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي(١)، وقد اعتمدنا هذه النسخة في التحقيق، ورمزنا إليها بالرمز (أ) أي النسخة (أ) لأنها أفضل النسخ وأحسنها حالاً، ونظراً لوجود رطوبة في صفحات النسخة الأصلية (ب) كما أسلفنا.

٣ ـ نسخة مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد ألبو سعيدي (النسخة ج):

توجد هذه النسخة في مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد ألبو سعيدي الخاصة في السيب تحت رقم (٥٧١) وتتألف من ٧٦٢ صفحة من القطع المتوسط (٢٤×٢٠) سم وتعدّ من النسخ المهمة جداً، لأنها أقدم نسخة عثرنا عليها بعد النسخة الأصلية (ب)، ولدى مقارنتها معها تبيّن أنها مطابقة لها، وبالتالي تأكدنا من صحة ما أشار إليه الناسخ عامر بن مسعود بن

(١) سالم بن محمد بن سالم بن سيف الرواحي: أديب من أدباء عُمان، وقاضٍ من القضاة المشهورين، وردت ترجمته في سياق الحديث عن أعيان بني رواحة «وفي بني رواحة قضاة أهل علم ومعرفة، وأدباء، وأعيان، وأفاضل، وأعوان بواسل، وزعماء، فمن القضاة الشيخ محمد بن سالم بن محمد، الذي كان قاضياً في زنجبار، ومن أفاضل بن رواحة أولاً سالم بن محمد، وهو والد الشيخ محمد بن سالم». انظر: الخصيبي: محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عُمان، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦م، ج٢، ص ١٧١ - ١٧٢.

خلف بـن عمر بـن عبيد الإزكوي أنه قد انتهى من نسـخها في جمادى الأولى سـنة ١٢٠٨هـ[١] نقـلاً عن النسـخة الأصليـة (ب) التي يعود تاريخها إلى سـنة ١١٤٦هـ. حيـث وهبها لمسـجد «الحبيب المعروف بحجرة حارة بني حسـين مـن قريـة إزكي وقفاً مؤبداً إلى يوم القيامة، يُقتفى به آثار الكتب الموقوفة لهذا المسجد على السيرة المقدمة فيه...»[٢].

وقد بدأ الناسـخ الصفحة الأولى منها، بعد التعويذ والبسـملة بذكر الاسـم الكامل للمخطوطة واسم مؤلفها: «هذا كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تأليف الشـيخ العالم الفقيه الورع النبيه الوالد سرحان بن سعيد بن سرحان بن محمد أمبو علي الإزكوي»[٣].

ثـم عـاد وذكر اسـم الكتـاب واسـم المؤلف ثانية فـي الصفحـة الأخيرة من المخطوطـة[٤]. وبالتالـي فقد قدّم لنا دليلاً آخر على العنوان الصحيح للمخطوطة واسم مؤلفها، خاصة وأنه من أبناء قرية المؤلف، ويعرف مكانته وحق قدره، وقدم لنـا برهانـاً آخر علـى أن الخلط الذي حصـل لدى بعض المؤرخيـن المعاصرين حول هذا الأمر غير صحيح وغير مبرر، ولا حاجة للخوض فيه ثانية. لذلك رأينا نحن المحققان استخدامها كنسخة رئيسية ومهمة في عملية التحقيق هذه، لما في ذلك من أهمية علمية، وبخاصة ضبط النص وإخراجه بالصورة الأفضل والأمثل.

٤ ـ نسخة وزارة التراث والثقافة العُمانية (النسخة ـ د ـ):

توجـد هـذه النسـخة فـي قسـم المخطوطـات فـي وزارة التـراث والثقافة العُمانيـة تحـت رقـم (٣٨٢٠) وتتألف من ٥٤٤ صفحة قياس (٣٢×٢١سـم)،

(١) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة، (ص ٧٦٢).
(٢) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة، (ص ٧٦٢).
(٣) انظر الصفحة الأولى من المخطوطة، (ص ١).
(٤) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة، (ص ٧٦٢).

كتبت بخط نسخي جيد وواضح، وبمداد أسود، في حين كتبت الأبواب والفصول والفقرات باللون الأحمر. والمخطوطة بحالة جيدة، لكن فقدت من أولها اثنتا عشرة صفحة، ومن آخرها ثماني صفحات، عوضها القائمون على قسم المخطوطات بصفحات مطبوعة، لذلك لم يظهر فيها اسم المؤلف، ولا الناسخ، ولا تاريخ نسخها.

لدى مقارنة هذه النسخة مع النسخة الأصلية (ب) ومع نسخة دار الكتب الظاهرية (أ) تبيّن أن الناسخ أضاف على بعض الجمل في النص كلمات يقتضيها السياق، وصحح جميع الأخطاء النحوية وقررنا استخدامها في التحقيق، ورمزنا إليها بالحرف (د).

ثانياً ـ النسخ غير المستخدمة في التحقيق:

١ ـ نسخة دار الكتب التونسية (النسخة ـ هـ ـ):

توجد هذه النسخة في دار الكتب التونسية تحت رقم (٣١٨٢). وتتألف من ٢٤٨ ورقة من القطع الكبير، كتبت بخط نسخي جيد وواضح، غير أنه توجد فيها رطوبة في مواضع كثيرة. نسخها عثمان بن عامر بن سليمان بن محمد بن خلف الريامي الإزكوي للمؤرخ والأديب العُماني الشهير حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي العُماني[1]، حيث اعتمد عليها كأحد المصادر

(١) حميد بن محمد بن رزيق (١١٩٨ ـ ١٢٩١هـ/ ١٧٨٣ ـ ١٨٧٤م): العلاّمة المؤرخ، الشاعر، الأديب، صاحب المؤلفات الموسوعية، وثالث شيوخ المؤرخين العُمانيين، له أكثر من خمسة عشر عملاً علمياً ضخماً، منها: الصحيفة القحطانية (محققة ومطبوعة في خمسة أجزاء)؛ الصحيفة العدنانية (مخطوط في ٩٠٠ صفحة)؛ سبائك اللجين (ديوان شعر في ٨٠٠ صفحة) سلك الفريد (ديوان شعر مطبوع في ثلاثة أجزاء) الفتح المبين في سيرة السادة ألب، سعيديين (مطبوع). انظر ترجمته الكاملة في: تقديم النسخة المحققة من الصحيفة القحطانية، ج١، ص٢ ـ ٧.

الرئيسـية في كتابة التاريخ العُماني في الصحيفة القحطانية وفي الشـعاع الشائع باللمعان، وقد أشار إلى ذلك في الصفحة الأخيرة من المخطوطة «تم الكتاب بعـون الملـك الوهـاب ضحـى السـبت والنصف من صفر سـنة أربع وسـتين ومايتين وألف، على يدي الأقل لله عثمان بن عامر بن محمد بن خلف الريامي الإزكـوي لوالده ومحبه الشـاعر الفصيح حميد بـن محمد بن رزيق ابن بخيت النخلي، رزقه الله إياه، إنه رحيم وهاب، وصلى الله على سـيدنا محمد (صلى الله عليـه وآله وصحبه وسـلم تسـليماً كثيراً)، ولا حول ولا قـوّة إلّا بالله العلي العظيم».

ولـدى مقارنة هذه النسـخة مع النسـخة الأصلية (ب) ونسـخة دار الكتب الظاهرية (أ) ونظراً لوجود رطوبة في الكثير من صفحاتها، قررنا عدم الاعتماد عليها في التحقيق.

٢ ـ نسخة مكتبة د. محمود بن مبارك السليمي (النسخة ـ و ـ):

يحتفظ الدكتور محمود بن مبارك السـليمي في مكتبة بيته الخاصة بصورة عـن هذه النسـخة، حصل عليها من أحد الأصدقاء، كمـا اطلع الدكتور محمد حبيب صالح على صورة أخرى من هذه النسخة في مكتبة يحيى بن إبراهيم بن سعيد السرحني في منزله في السيب عام ٢٠٠٣م.

تتألف هذه النسخة من ٤٥٤ صفحة من قياس (٣٠×٢٢) سم، على الصفحة الأولى منها رسم دائري، وفي وسطه رسمة أوراق نباتية سداسية الشكل، وعلى جانبه كتابة لحقت بها رطوبة، فبقي من عنوان المخطوطة كلمة «الأمة» واسـم المؤلف: «تصنيف الشيخ العالم الفقيه الورع النبيه المصقع الوجيه سرحان بن عمـر ابن سـعيد السـرحني الإزكوي[١]»، وفيهـا رطوبة في الصفحـة الأولى من

(١) سـرحان بن عمر بـن سـعيد الإزكوي: بعد العودة إلى كتـب التراجم العُمانية تبيّن أن هذا الاسـم غير =

المقدمة. كتبت بخط نسخي جيد وواضح، وفي الصفحة الأخيرة منها إشارة من الناسخ على تاريخ نسخها: «تم الكتاب بعون الملك الوهاب في يوم الثلاثاء، سبعة وعشرين يوماً خلت من شهر رمضان المعظم، من شهور سنة سبع عشرة وثلاثماية سنة وألف سنة من الهجرة النبوية الإسلامية، على يد الفقير الحقير لله تعالى راجي رحمته القدير، المعترف بالذنب والتقصير، خويدم المسلمين سعيد بن خميس بن حمد بن سالم المدّسري البهلوي، مولى بني علي بيده، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، ورسولنا وحبيبنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وسلم، آمين، آمين».

وبعد مقارنة هذه النسخة مع النسخة الأصلية (ب) ونسخة دار الكتب الظاهرية (أ) تبيّن أن الناسخ أضاف فصولاً وفقرات كاملة (تسع صفحات) على النص الأصلي، منه (فصل في انشقاق القمر من أربع صفحات (٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤)، أضافه إلى نهاية الباب السابع. كما أضاف إلى الباب الثالث والعشرين الصفحات (١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢) من الحديث الذي جرى حول مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة، وادعى الناسخ ضرورة التصحيح بالعودة إلى نهج البلاغة. في حين أن النص واضح ولا لبس فيه في النسخة الأصلية (ب) ولا حاجة لهذه الإضافة، كما يوجد تشطيب على بعض الصفحات (٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨) لذلك استبعدنا النسخة من التحقيق، ناهيك عن وجود خلاف في نسب المؤلف بالمقارنة مع الاسم الكامل الذي ورد في نهاية النسخة الأصلية (ب).

= موجود فيها، وقد ذكر البطاشي اسم «الشيخ سرحان بن سعيد بن عمر الإزكوي الفقيه العالم، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، وهو جدّ الشيخ الفقيه المؤرخ سرحان بن سعيد بن سرحان مؤلف كتاب كشف الغمة، وقد نسب هذا الشيخ أو حفيده إلى أمبو علي، وقد تكرر ذلك في مواضع». وهذا تأكيد آخر على أن الاسم المذكور ليس مؤلف المخطوطة. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٣، ص٢٤١.

ثالثاً ـ مصادر الإزكوي في تأليف المخطوطة:

١ ـ **الحميري، نشوان بن سعيد:** ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق: إسماعيل بن أحمد الخرافي، وعلي بن إسماعيل المؤيد، مطبعة دار العودة، بيروت، ودار الكلمة، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

٢ ـ **الهمذاني، أبو محمد الحسن:** الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير، حرّره وعلق حواشيه: نبيه أمين فارس، مطبعة دار العودة، بيروت، دار الكلمة صنعاء، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٣ ـ **الصنعاني، وهب بن منبه الأبناوي:** كتاب التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الجمهورية العربية اليمنية، صنعاء.

٤ ـ **العوتبي، سلمة بن مسلم:** الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م.

٥ ـ **ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

٦ ـ **السعدي، أحمد بن عامر بن حصين:** شرح الصدر في تسمية أهل بدر، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم (١٩١٤).

٧ ـ **الصحاري، عبد الله بن خلفان بن قيصر بن سليمان:** سيرة الإمام ناصر بن مرشد، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم (١٨٥٦).

٨ ـ **العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي:** تاريخ العصامي، ج٣، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم (١٨٥٧).

٩ ـ **القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي**: أخبار الدول وآثار الأول، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم (١٨٥٥).

١٠ ـ **القلهاتي، محمد بن سعيد الأزدي الحميري**: الكشف والبيان، ج١+ج٢، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم: (١٤٢٨، ٢٦٨٨، ١٤٢٩، ١٨٧٧).

١١ ـ **النيسابوري، محمد بن إبراهيم التغلبي**: قصص الأنبياء وأخبار الأولياء وعجائبهم، مخطوطة في مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية تحت رقم (٣٥٤٦).

١٢ ـ **الكدمي، أبو سعيد، محمد بن سعيد**: الاستقامة. وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط.

١٣ ـ **الطبري، محمد بن جرير**: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري. دار القلم، بيروت، لبنان.

١٤ ـ **ابن كثير، أبو الفداء الحافظ**: البداية والنهاية.

١٥ ـ **ابن كثير، أبو الفداء الحافظ**: قصص الأنبياء، دار مكتبة الحياة ٢٠٠٢م.

١٦ ـ **الشهرستاني، أبو الفتح**: الملل والنحل، دار دانية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٧ ـ **ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد**: قصص الأنبياء.

١٨ ـ **ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد**: الكامل في التاريخ. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

١٩ ـ **ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري:** السيرة النبوية، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٦م.

التلمساني، أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٤٩م.

البغدادي، عبد القاهر بن ظاهر بن محمد: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، من دون تاريخ طباعة.

رابعاً ـ موضوع المخطوطة وأبوابها:

يتألف كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة من مقدمة بدأها المؤلف الشيخ سرحان بن سعيد الإزكوي بحمد الله تعالى والثناء عليه، الصلاة والتسليم على النبي الأمين محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين. وأظهر فيها الأسباب التي دعته إلى تأليفه، وفي ذلك يقول: «فقد دعتني الهمة إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه، وتلخيص معانيه وتصنيفه، فلبيتها أهلاً وسهلاً، وإن لم أكن للتأليف أهلاً، وذلك لمّا رأيت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف، وأقبلوا على أئمة مذهبهم بالتعنيف والتعسيف، ومالوا إلى حب السادات ذوي التشريف، وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي أصّلها السلف، ليعرفوا المُحقّ ممن هو على شفا جرف هارٍ، فانهار به إلى التلف، وقد سمعت أحداً ممن يتحلى بالعلم، وينتسب إلى ذوي المعرفة والفهم، يقول: عجل أهل النهر بخروجهم عن طاعة ذي الفخر. وقد عرفت من كثير ممن يتسمّى بهذا المذهب، ويعزى إليه، ويرفع به، ويُنسب، خلافاً لأئمته الذين أسسوه، وركنوا إلى الذين نفوا عنه».

ثـم بيّن بشـكل لا يقبل الشـك أو التأويل أن هدفـه الأول والأخير وغايته المرجـوّة مـن تأليفه هو الحفاظ علـى الصلات العميقة والمتينـة بين المذهب الإباضـي والعقيـدة الوهبية واتباع المذهب، وتعريفهـم بأصول مذهبهم تاريخاً وأعلاماً وعقيدةً. فيقول: «فصنفت هذا الكتاب، وبيّنت فيه عذر أولي الألباب، وجعلـت ظاهـره في القصـص والأخبـار، وباطنه فـي المذهـب المختار، لأن الناس لقراءة الأثر لا يسـتمعون، ولاسـتماع القصص عن اللغو يثبتون، فملت إلى رغبتهم لكي يكونوا مستمعين، ولقراءته بصميم القلب مطيعين، عسى أنهم لأصول المذهب يعرفون، ولأهل الحق بالحق يعترفون».

وقسَّـم الكتـاب إلـى أربعين باباً، تنـاول فيهـا موضوعات تاريخيـة عديدة ومتنوعة، وقضايا عقائدية تتصل مباشرة بالمذهب الإباضي وفق ما يأتي:

البـاب الأول: فـي ذكر بُـدوّ عبادة الأصنام واعتقاد أهل الشـرك والضلال. (خلـق آدم وحـواء وقصتهما مع إبليس، عبادة الأصنام، عقائد أهل الهند، فرق اليهود، فرق النصارى، فرق المجوس، مذاهب الفلاسفة).

الباب الثاني: في آراء العرب في الجاهلية، وما كانوا عليه. (عبادة الأصنام، إنكار الرسـل، الاعتقاد بالتناسـخ، تمسـك بعض العرب فـي الجاهلية بالديانة الحنيفيـة مثل زيد بن عمرو بـن نفيل، عمرو بن الظـرب العدواني، عبد الله بن طابخة القضاعي، قيس بن صرمة بن أنس، زهير بن أبي سلمى...).

البـاب الثالـث: في ذكر ملـوك العجم والعرب، وذكر شـيء من أخبارهم. (ويسـتعرض في هـذا الباب ملوك العجـم من كيوميرث إلـى يزدجرد، وملوك العرب الحميريين من قحطان بن هود إلى سيف بن ذي يزن).

البـاب الرابـع: في انتقال الأزد من اليمن إلى أرض عُمان، وإجلاء الفرس عـن عُمـان. (انتقـال الأزد إلـى عُمان بقيـادة مالك بـن فهم الأزدي الدوسـي

وإجلاء الفرس عنها، أخبار مالك بن فهم في عُمان ووفاته، أخبار ولده سليمة وإخوته بعد موته).

الباب الخامس: في معرفة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين (آدم، شيث، إدريس، نوح، سام، هود، صالح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، موسى، هارون، شعيب، يونس، يوشع بن نون، داود، سليمان، زكريا، يحيى، إلياس، العزيز، عيسى بن مريم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

الباب السادس: في ظهور النبي محمد ﷺ. (بدء الرسالة وأول من آمن به، إسلام حمزة، إسلام عمر بن الخطاب، الهجرة الأولى إلى الحبشة، محاصرة بني هاشم في شعب أبي طالب، زواج النبي ﷺ من عائشة وسودة، بدء إسلام الأنصار).

الباب السابع: في ذكر المعراج، وذكر طرف في صفة الجنة والنار.

الباب الثامن: في ذكر بيعة العقبة. (يذكر فيه الحديث الذي جرى بين النبي ﷺ، وابن التيهان، ويذكر العقبيين رجالاً ونساءً).

الباب التاسع: في ذكر هجرة النبي محمد ﷺ من مكة إلى المدينة. (تآمر قريش عليه لقتله، نوم علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في فراشه ليلة الهجرة، مرافقة الصديق له في هجرته).

الباب العاشر: في ذكر قدوم النبي محمد ﷺ إلى المدينة. (استقبال الأنصار للنبي ﷺ في المدينة، بناء مسجد قباء، قصة إسلام سلمان الفارسي، أهم الأحداث التي وقعت في السنة الأولى من الهجرة).

الباب الحادي عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثانية من الهجرة. (زواج علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء، تحويل القبلة إلى الكعبة، رؤية

عبدالله بن زيد الأذان في المنام، نزول فريضة رمضان، غزوة بدر الكبرى، نقض يهود بني قينقاع العهد مع النبي ﷺ، غزوة السويق...).

الباب الثاني عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثالثة من الهجرة. (غزوة أنمار، غزوة القَرَدَة، زواج النبي ﷺ من حفصة بنت عمر وزينب بنت خزيمة، غزوة أُحُد ومن استشهد فيها من المسلمين، غزوة حمراء الأسد...).

الباب الثالث عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الرابعة من الهجرة. (غزوة بئر معونة، سريّة الرجيع، غزوة بني النضير، زواج النبي ﷺ من أم سلمة، غزوة بدر الصغرى...).

الباب الرابع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الخامسة من الهجرة. (غزوة ذات الرقاع، غزوة المريسيع، حديث الإفك، زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش بن رياب، غزوة الخندق، غزوة بني قريظة....).

الباب الخامس عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة السادسة من الهجرة. (غزوة بني لحيان، غزوة الغابة، مقتل أبي رافع اليهودي، غزوة الحديبية، إرسال الرسل إلى قيصر ملك الروم، وكسرى الفرس، ونجاشي الحبشة، والحارث بن سمرة الغساني صاحب دمشق، وهوذة الحنفي صاحب اليمامة، والمقوقس صاحب مصر...).

الباب السادس عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة السابعة من الهجرة. (غزوة خيبر، زواج النبي ﷺ من أم حبيبة، ومن ميمونة بنت الحارث، عمرة القضاء...).

الباب السابع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثامنة من الهجرة. (سرية مؤتة، سرية الخبط، فتح مكة، إسلام أهل عُمان، غزوة حنين، زواج النبي ﷺ من مليكة الكندية، مولد إبراهيم ابن النبي ﷺ ....).

الباب الثامن عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة التاسعة من الهجرة.

(قدوم الوفود إلى المدينة، هجرة النبي لنسائه، وفاة النجاشي، غزوة تبوك، قصة البكائين، هدم مسجد ضرار...).

الباب التاسع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة العاشرة من الهجرة. (تتابع قدوم الوفود إلى المدينة، وفاة إبراهيم ابن النبي محمد ﷺ، حجة الوداع، فصل في شجاعة النبي ﷺ، فصل في قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري...).

الباب العشرون: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الحادية عشرة من الهجرة. (سريّة أسامة بن زيد، قصة مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، مرض النبي ﷺ ووفاته، قصة بلال الحبشي رضي الله عنه...).

الباب الحادي والعشرون: في آداب النبي ﷺ.

الباب الثاني والعشرون: في شيء من الأحاديث النبوية. (في هذا الباب أربعمائة وسبعة وتسعون حديثاً عن النبي ﷺ من دون إسناد).

الباب الثالث والعشرون: في ذكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه. (بيعة الصديق، موقفه من المرتدين، القضاء على مسيلمة الكذاب، وفاته...).

الباب الرابع والعشرون: في ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (وصية الصديق للفاروق بالخلافة، قصة عمر مع جبلة بن الأيهم الغساني، الفتوح الإسلامية في العراق ـ القادسية ـ جلولاء ـ نهاوند، الفتوح الإسلامية في بلاد الشام، اليرموك، أجنادين، فتح مصر، وفاته...).

الباب الخامس والعشرون: في ذكر خلافة عثمان بن عفان وذكر إحداثه وقتله. (الستّة الشورى واختيار عثمان خليفة للمسلمين، تعيين عثمان أقاربه من الأمويين على الأمصار، ضرب عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، نفي لفيف من الصحابة، قصة الدار ومقتل عثمان، ذكر من قتله من قريش...).

الباب السادس والعشرون: في ذكر خلافة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وما جرى فيها. (مبايعة علي بالخلافة، خروج طلحة والزبير وعائشة على علي ومعركة الجمل، خروج معاوية بن أبي سفيان على علي ومعركة صفين، قصة التحكيم وما جرى بين ابن عباس والمحكمة، معركة النهروان، مقتل الإمام علي كرّم الله وجهه...).

الباب السابع والعشرون: في جواب عبدالله بن إباض لعبد الملك بن مروان، وفي أمر عثمان ومعاوية وعلي بن أبي طالب وولده الحسن. (ويتضمن الرسائل المتبادلة بين عبدالله بن إباض وعبد الملك بن مروان وذيّله بفصل من كتاب الكفاية عن البراءة من عثمان، وعلي، ومعاوية، والحسن، والحسين، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، وملوك بني أمية، وملوك بني العباس...).

الباب الثامن والعشرون: في ذكر الفرق الإسلامية، وهي ثلاث وسبعون فرقة، وذكر اعتقاد كل فرقة منها، وفيه أربعة فصول. (المعتزلة، وهم خمس عشرة فرقة. العثمانية، وهم الحشوية والصفاتية، وهم خمس عشرة فرقة. الخوارج، وهم ست عشرة فرقة. الشيعة، وهم ست وعشرون فرقة).

الباب التاسع والعشرون: في اعتقاد الفرقة الوهبية الإباضية، وهي الفرقة المحقّة. (يستعرض في هذا الباب عقائد الوهبية، وعمّن أخذوها من الصحابة والتابعين...).

الباب الثلاثون: في ذكر الدولة الأموية والدولة العباسية. (يتحدث فيه الإزكوي باختصار عن ملوك بني أمية في الشام والأندلس، وعن ملوك بني العباس، وخلفاء الدولة الفاطمية في المغرب ومصر...).

الباب الحادي والثلاثون: في ذكر الأئمة الذين باعوا أنفسهم لله في إنكار

المنكر. (عبد الله بن وهب الراسبي، أبو بلال مرداس بن حدير التميمي، جابر بن زيد الأزدي العُماني، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، عبد الله بن يحيى الكندي، أبو حمزة الشاري وخطبته المشهورة في المدينة...).

الباب الثاني والثلاثون: في ذكر انتشـار المذهب الإباضي بأرض المغرب، وذكر أئمتهم وعلمائهم. (أبو الخطاب المعافري، أبو حاتم، الأئمة الرسـتميون من الإمام عبد الرحمٰن بن رسـتم حتى أفلح بن العباس، وفصل في ذكر بعض علماء الإباضية في المغرب الإسلامي...).

البـاب الثالـث والثلاثـون: فـي ذكـر أخبـار أهل عُمـان من أول إسـلامهم إلـى اختلاف كلمتهم. (يسـتعرض فيه تاريخ عُمان في عصر الرسـول والدولة الراشـدية، وفي العصر الأموي، والعصر العباسـي حتى عزل الإمام الصلت بن مالك سنة ٢٧٣هـ).

الباب الرابع والثلاثون: في ذكر اختلاف أهل الدعوة في ولاية أهل الحرب الواقع بعُمان في الصلت بن مالك. (اختلاف الرأي في عزل الإمام الصلت بن مالك، الرأي في إمامة عزان بن تميم الخروصي، الرأي في ولاية الحواري بن عبد الله، فصل في ذكر أمر بعض العلماء من الأحداث).

البـاب الخامـس والثلاثون: في ذكر الإمامين سـعيد بن عبد الله وراشـد بن الوليد، ومن بعدهما من الأئمة إلى عمر بن قاسـم الفضيلي. (الإمام سـعيد بن عبـد الله، الإمـام راشـد بن الوليد، الإمـام الخليل بن شـاذان، الإمام راشـد بن سعيد، الإمام حفص بن راشد بن سعيد، الإمام راشد بن علي، الإمام موسى بن أبي جابر المعالي، الإمام خنبش بن محمد بن هشام، الإمام محمد بن خنبش. وعهـد ملـوك النباهنة الأولين والأئمة المنصوبين فـي عهدهم: الإمام مالك بن الحـواري، الإمـام أبو الحسـن خميس بن عامـر، الإمام عمر بـن الخطاب بن

محمد الخروصي، الإمام محمد بن سليمان بن مفرج القاضي، الإمام عمر الشريف، الإمام أحمد بن عمر الربخي، الإمام أبو الحسن بن عبد السلام، الإمام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي، الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل الإسماعيلي، الإمام عبدالله بن محمد القرن. خروج ابن الداية على عُمان، خروج أولاد الريّس على النباهنة....).

الباب السادس والثلاثون: في ذكر الملوك المتأخرين من النباهنة وغيرهم، إلى ظهور الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله).

الباب السابع والثلاثون: في ذكر ظهور الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (رحمه الله) وذكر الأئمة من بعده إلى وقوع الفتنة بين اليعاربة. (الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وتوحيد عُمان، الإمام سلطان بن سيف الأول، الإمام بلعرب بن سلطان، الإمام سيف بن سلطان (الأول) المعروف بـ «قيد الأرض»، الإمام سلطان بن سيف (الثاني)، الأمام المهنا بن سلطان).

الباب الثامن والثلاثون: في ذكر وقوع الفتنة بعُمان بين اليعاربة وما آلت إليه تلك الأمور. (يتحدث فيه الإزكوي عن الحرب الأهلية العُمانية بين عامي (١٧٢٢ - ١٧٤١م).

الباب التاسع والثلاثون: في ذكر تواريخ موت بعض الصحابة، وذكر علماء الإباضية من عُمان وغيرها. (فصل في موت بعض الصحابة، فصل في معرفة العلماء من أهل الدعوة من عُمان وغيرها، فصل في موت العلماء من أهل عُمان).

الباب الأربعون: وهو خاتمة الكتاب في ذكر عذاب القبر، وفي الردّ على من قال بالرؤية في الآخرة، وفي ذكر الشفاعة والميزان والصراط، وفي الردّ على من قال بالعفو والخروج من النار لأهل الكبائر ذوي الإقرار.

خامساً ـ مخطوطة كشف الغمة بين مغالطات المؤرخين وأخطاء المحققين:

تعدّ مخطوطة كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة من أهم المصادر التاريخية العُمانية، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، لذلك فقد اهتم بها الباحثون والمؤرخون العرب والأجانب أكثر من غيرها من المخطوطات العُمانية الأخرى. وكان الباحثون الأجانب أول من تصدى لدراستها، وكتبوا بحوثاً ومقالات عنها، ومنهم:

أ ـ إدوارد روس: المعتمد السياسي البريطاني في مسقط في عامي (١٨٧١ ـ ١٨٧٢) الذي ترجم قسماً من المخطوطة إلى اللغة الإنكليزية، وجعله ضمن دراسة نشرها في مجلة الجمعية الآسيوية في كاليكوتا عام ١٨٧٤م تحت عنوان: «تأريخ عُمان المتتابع من أقدم الأزمنة حتى عام ١٧٢٨م»[١] (Annals of Oman from Early Times to the year 1728).

وقد أشار فيها إلى أن «نسخ كشف الغمة نادرة جداً في عُمان، وأشك أن يكون مشهوراً لدى العُمانيين»[٢].

غير أن هذا الطرح يتنافى مع الواقع تماماً، بدليل وجود أكثر من ثماني نسخ من المخطوطة، كتبت في فترات زمنية مختلفة أولها عام ١٢٠٨هـ، وآخرها ١٣٥٩هـ، ناهيك عن أن النسخة التي كتبها عامر بن مسعود بن محمد بن خلف بن عمر بن عبيد الإزكوي كانت موقوفة لمسجد الحبيب في إزكي كما أشرنا سابقاً، مما يعني أنها كانت بين أيدي عامة الناس معروفة لدى شريحة واسعة من رواد المسجد. وبالتالي يفتقر ادعاء روس إلى الدليل والحجة والبرهان.

(١) Rse. E: Annals of Oman from Early to the year 1728 AD, the Aleanader UK, 1884.
(٢) Rse. E: Annals of Oman from Early to the year 1728 AD, the Aleanader UK, 1884 p1.

ب ـ س. ب. مايلـز: المعتمـد السياسـي البريطانـي في مسـقط بين عامي ١٨٧٢ ـ ١٨٨٦م، الـذي تعـرف على تاريخ عُمان من مصادره المختلفة خلال تلـك الفتـرة، وقـد أشـار باختصار شـديد إلـى كتاب كشـف الغمة وإلى اسـم مؤلفـه، وبيّـن أن المـؤرخ العُمانـي الشـهير حميد بن محمد بن رزيـق النخلي العُماني اعتمد عليه كمصدر رئيسـي في كتابه «الفتح المبين في سـيرة السـادة ألبو سعيديين» من دون أن يشير إليه، وحذف الفصل الأول من «هجرات الأزد إلى عُمان»(١).

جـ ـ جون ويلكينسـون: ذكر كتاب كشـف الغمة الجامع لأخبار الأمة في بحث كتبه عن تاريخ عُمان، شكك فيه بأن يكون سرحان بن سعيد بن سرحان الإزكوي هو مؤلف الكتاب، وعدّه ناسخاً لا أكثر، وقال: «من الملاحظ أنه حين يشـير مؤرخو عُمان إلى المخطوطة ويذكرونها باسـمها الكامل يذكرون كشف الغمـة فـي اختلاف الأمـة، وليس المخطوط المنسـوب إلى الإزكـوي، وحين يتكلّمون عن المؤلف يشيرون إلى المؤلف المجهول، وليس إلى الإزكوي»(٢).

غير أن ويلكينسون وقع في خطأ هنا كما نرى نحن المحققون، فقد عودنا المؤرخـون العُمانيـون ومنهم شـيخ المؤرخين ابن رزيق على اسـتخدام عبارة «قال صاحب كشف الغمة» للإشارة إلى هذا المصدر المهم أثناء الاعتماد عليه في كتابة التاريخ العُماني نظراً لشـهرة سرحان بن سعيد الواسعة، وقد استخدم ابـن رزيـق هـذه العبارة مـرات كثيرة أثنـاء الاعتمـاد عليه في كتابـة مخطوطته الشـهيرة الصحيفـة القحطانيـة التـي حققناها، وخرجـت إلى النور فـي طبعتها الأولى عام ٢٠٠٩م، وهنا نذكّر القارئ الكريم أن ابن رزيق اعتمد على كتاب

(١) Miles. S.B.: The Countries and Tribes of the Gulf, London, 1966, P16.

(٢) ويلكينسون، جون: عُمان تاريخاً وعلماء، ترجمة، محمد أمين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، ص٣٩.

وفيات الأعيان لأحمد بن خلكان في الترجمة لعدد كبير من الأدباء والشعراء من العرب القحطانية، من دون أن يشير إليه إلّا في موضع واحد من الصحيفة عندما أراد أن يخالفه بما جاء به[١]. كما اعتمد على كتاب الأنساب للعوتبي من دون أن يشير إليه، وكانت غالبية المؤرخين حتى ذلك العصر لا تشير إلى المصادر ومؤلفيها. وبالتالي لا يمكن أن نفهم من هذه العبارة أن الكتاب يُنسب إلى مؤلف مجهول.

وإذا كان الباحثون والمؤرخون الأجانب قد تناولوا المخطوطة في بعض دراساتهم، فإن بعض المؤرخين العرب حاولوا تحقيق بعض أبوابها وفصولها، ومنهم:

أ ـ عبد المجيد حسيب القيسي: حيث اقتطع من المخطوطة الأبواب التي تتحدث عن تاريخ عُمان، وجعلها في كتاب تحت عنوان «تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة»[٢]. وعلى الرغم من أهمية هذا العمل في حينه، إلّا أنه يبدو متواضعاً جداً إذا نظرنا إليه بمنظار اليوم، وإذا أخذنا بالاعتبار استبعاد القيسي لبقية أبواب الكتاب وفصوله الأخرى، والتي برأينا لا تقلّ أهمية عن الأبواب التي تناولها بالدراسة، ناهيك عن أنه كان عليه أن يعود إلى المصادر التي اعتمد عليها سرحان بن سعيد في كتابة مخطوطته هذه لضبط المادة العلمية التي وردت فيها، وهذا شرط مهم جداً في عملية التحقيق.

ب ـ أحمد عبيدلي: حاول تحقيق بعض أبواب المخطوطة بطريقة انتقائية، حيث حقق بعض الأبواب، واستبعد البعض الآخر، مما جعل عمله ناقصاً

---

(١) ويلكينسون، المرجع نفسه، ص٣٩.

(٢) انظر: تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، ١٩٨٠م.

أيضاً كعمل من سبقه، ثم إنه ينسب المخطوطة إلى مؤلف مجهول، وعدّ الإزكوي ناسخ الكتاب لا مؤلفه[١]. وبرر ذلك باختلاف الأسلوب في كتابة بعض الأبواب وكأنه يريد أن يقول أنه لأكثر من مؤلف.

غير أننا نرى أن هذا العمل لا يرقى إلى مستوى العمل الأكاديمي القائم على أسس وقواعد منهجية التحقيق العلمي الصحيح، خاصة وأن المحقق أحمد عبيدلي لم يطلع على النسخ التي أشرنا إليها سابقاً، والتي تحمل اسم المؤلف نفسه، بما في ذلك نسخة المؤلف (النسخة الأصلية ب) التي كتبها بخط يده، ولا يوجد فرق في الخط من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة، ناهيك عن أننا لم نلاحظ وجود ما يدعيه من اختلاف في أسلوب كتابة بعض فصول الكتاب.

أما المحاولة الثالثة فكانت من جانب الدكتور حسن النابودة، حيث خرجت المخطوطة إلى النور عن طريق دار البارودي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م. وفي ما يأتي دراسة موجزة عنها.

سادساً ـ ملاحظات على النسخة التي حققها حسن النابودة:

عندما كنا نحن المحققون نضع اللمسات الأخيرة على إخراج النسخة المحققة من قبلنا لمخطوطة كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة علمنا من بعض الأصدقاء أن المخطوطة خرجت إلى النور محققة من قبل الدكتور حسن محمد عبد الله النابودة، فقررنا الاطلاع عليها، ومقارنتها بالنسخة التي حققناها، وكان المفاجأةُ بوجود عدد كبير من الملاحظات العلمية والمنهجية التي رأينا أن من واجبنا إطلاع الباحثين والقراء عليها من خلال الإشارة في مقدمة النسخة التي حققناها، وفي ما يأتي أهمها:

(١) انظر: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق أحمد عبيدلي، دار دلمون للنشر، قبرص، ١٩٨٥م.

أولاً: ملاحظات على ما جاء في مقدمة المحقق د. حسن النابودة:

قبل تدوين الملاحظات لا بدّ من التذكير بأن هناك شروطاً وقواعد وأسساً تجب مراعاتها وتطبيقها من قبل المحقق بحسب الأصول العلمية والمنهج الأكاديمي الصحيح أثناء تحقيق المخطوطات التاريخية، منها:

أ ـ أن يخرج النص كما هو، لأن الغاية من التحقيق هي إخراج نص المخطوطة ومادته العلمية كما هي في الحقيقة، لا كما نحب أن تكون، أو كما نريدها أن تكون. وبالتالي لا يحق له أن يحكم على مضمون المخطوط وفقاً لمعتقداته الدينية، أو السياسية، أو الحزبية، وفي سياق عقيدته وميوله واتجاهاته وتياراته.

ب ـ على المحقق أن يتحلى بالفطنة، وقوّة الانتباه، والإرادة، وعليه أن يدرك أن الإفراط في النقد شكل من أشكال الجهل الفاحش، وأن لكل مؤلف طريقته الخاصة في الكتابة، وبالتالي تجب مراعاة هذه الخصوصية، وأن الوقائع التاريخية مُحَدَدَةُ المكان والزمان، وتحدث في مكان وزمان معلومين، وأن البرهان هو أصعب عمليات المعرفة التاريخية ممارسة على الوجه الصحيح.

ج ـ لا يحق للمحقق أن ينصب نفسه حَكَماً على الكاتب وهو ابن الزمان والمكان، وأن يحكم عليه باللاموضوعية، في وقت يقرّ فيه جميع المؤرخين الموضوعيين بأن للحقائق التاريخية حقاً متساوياً في أن تأخذ مكانها في التاريخ، وأن الاحتفاظ ببعضها على أنه هو الصحيح، واستبعاد الآخر على اعتبار أنه غير صحيح، ما هو إلّا اختيار ذاتي يخضع للهوى الفردي. بالتالي لا يجوز أن نضحي بأية معلومة تاريخية، لأن في كل واحدة منها شيء من الحقيقة، ولا تكتمل الحقيقة إلّا بها جميعها، أي بكل عناصرها ومقوماتها.

د ـ يجب على المحقق أن يدرك جيداً أن المؤرخين يمكن أن يختلفوا، وقد اختلفوا في الكثير من الأحيان حول مسائل جوهرية، وبالتالي هم

لا يدركـون الهـدف من العمـل التاريخي (التأريـخ) بالطريقة نفسـها، غير أن هذا لا يبرر للمحقق مهما عَلَتْ درجته العلمية والأكاديمية أن يصدر أحكاماً جائـرة بحـق المـؤرخ، ولا أن يفصـل التاريخ عـن المؤرخ، ولا يحـق له أن يتناسـى أن التاريـخ يتضمن كثيراً من الأهـواء، وأنه كما يحكم على الآخرين بالهـوى والميـل، يمكن أن يحكـم عليه بالخطأ والتزييـف. وفي ما يأتي أهم الملاحظات:

الملاحظـة الأولـى: تحدث المحقـق في الصفحة ١٧ مـن المقدمة عن أن «الرّوح المذهبيّة والمحليّة واضحة جليّة في كتاب كشف الغمة، وأن هذا النهج محور اهتمامه في كتابة التاريخ بشكل عام، والإباضي بشكل خاص، وأن هذا المقيـاس الديني الإباضي ليس بجديد، فقد سـار عليه مؤلفو الإباضية، ونجده عنـد المؤرخين الذين سـبقوا الإزكوي، وبخاصة كتّاب السـير، كما نجده عند المؤرخين العُمانيين الذين جاؤوا بعد الإزكوي، وبخاصة ابن رزيق، والسالمي، والمؤرخ العُماني المعاصر السيابي».

ثم وقع في شرك التناقض مع نفسه في الصفحة ١٨ من المقدمة، وفيما يأتي بعض ما كتبه فيها: «ينتقل الإزكوي بعد ذلك إلى عهد الرسول ﷺ، ويخصص الأبـواب من السـادس إلـى الثاني والعشـرين للتأريخ عن هـذه الفترة، ويعطي تفاصيـل مطولـة لبعض الحوادث مـع التركيز على بعض القضايـا ذات الصلة التاريخية بالإباضية، ومثال ذلك قصة إسلام سلمان الفارسي في السنة الأولى للهجرة لقوله: إن الأئمة الرسـتميين من نسـله». وأضاف: «والإزكوي لا يخرج عن الإطار التقليدي في رواياته الخاصة بعهد الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين الذيـن خصّـص لهم الأبواب من الثالث والعشـرين إلى السـادس والعشـرين، ورغـم عـدم ذكره للمصادر، فإنه ينقـل حرفياً فقرات كاملة مـن الطبري، وابن كثير، وابن الأثير، والملل والنحل».

أين المقياس الديني الإباضي الذي يدعيه المحقق ويتحدث عنه، وفي المخطوطة واحد وعشرون باباً من أصل أربعين تتحدث عن تاريخ الدولة الإسلامية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين؟ والمحقق يقول عن الإزكوي: إنه لم يخرج عن الإطار التقليدي في روايته الخاصة بعهد الرسول والخلفاء الراشدين، وأنه ينقل حرفياً فقرات كاملة عن الطبري، وابن كثير، وابن الأثير، فهل سار هؤلاء المؤرخون على المقياس الديني الإباضي؟!

ويتجاوز المحقق في حكمه على هذا المؤرخ الإزكوي ليطال شيوخ المؤرخين العُمانيين الآخرين (ابن رزيق، ونور الدين السالمي، وسالم بن حمود السيابي) ونحن نقول له: إن لم يتصف هؤلاء بالنزاهة والموضوعية والأمانة في كتابة التاريخ العُماني، فمن هم الذين كتبوا التاريخ العُماني واتّسموا بالموضوعية، أليسوا هم أدرى بتاريخهم وأنسابهم ووقائعهم من غيرهم؟!

أما بالنسبة لقصة إسلام سلمان الفارسي التي يقول المحقق عنها: «إن الإزكوي ذكرها لأن الأئمة الرستميين من نسله» فقد ذكر قبل ذلك وتحت عنوان مستقل قصة إسلام حمزة بن عبد المطلب، وقصة إسلام عمر بن الخطاب، فما ردّ المحقق على ذلك؟! هل لأن الأئمة الرستميين، أو غيرهم من أئمة الإباضية من نسلهما؟!

الملاحظة الثانية: ذكر المحقق في الصفحة ١٩ من المقدمة ما يأتي: «وأسهب الإزكوي في الحديث عن آراء الفرق الإسلامية... ويؤخذ على الإزكوي نتيجة لإسهابه هذا التعسّف في إصدار الأحكام على الكثير من الشخصيات التاريخية إلى حدّ التكفير والتجريح، وسرد الكثير من الأحاديث النبوية، والأخبار والقصص بغير سند، وبما يتوافق مع غاياته المذهبية، ونتيجة لذلك فقد أوقع نفسه في الكثير من الأخطاء والتكرار لكثير من الأحكام الفقهية والمعتقدات الدينية بسبب تعصبه المذهبي».

إن هـذا القـول بحاجـة إلـى أدلـة وبراهين، وهـذا مـا يفتقر إليـه المحقق الكريـم، كنّـا نتمنّى أنه لو أورد دليلاً واحداً. ثم نجده يعود بنفسـه إلى أمهات كتب الحديث النبوي الشريف، ويثبت وجود الأحاديث النبوية التي استخدمها الإزكوي، إنه التناقض بعينه.

الملاحظـة الثالثة: يـرى المحقق أن تاريخ الأمويين والعباسـيين هو تاريخ سـني، وقـد أشـار إلـى ذلك فـي الصفحة ٢٠ مـن المقدمـة بقولـه: «ويختصر الإزكـوي تاريـخ الأمويـن والعباسـيين فـي باب واحـد، هو الثلاثـون، ورغم اختصـاره هـذا، إلّا أنه يمثل أهمية خاصة بالنسـبة لنا، فهو يكتب تاريخاً سـنيّاً مـن وجهة نظر إباضيـة». ونحن نقول بدورنا للمحقق: متـى كان تاريخ الدولة الإسـلامية حصـراً على فرقـة من الفـرق أو مذهب من المذاهـب؟! وكأنه هنا اختصـر التاريـخ الإسـلامي، وجعله سـنيّاً، ولا نعتقـد أن أحداً مـن المؤرخين الموضوعيين يوافقه على ذلك.

الملاحظة الرابعة: أصدر المحقق حكماً قاسـياً بحق مؤلف المخطوطة في الصفحـة ٢٢ مـن المقدمـة عندما قال: «والمؤلـف كما هو واضح يشـطّ كثيراً فـي كلامه عن أصحـاب المذهب و(نقلـة العلم) كما يسـميّهم، وعن المناطق التي انتشـر فيها المذهب الإباضي». ونحن نقول للمحقق د. حسـن: إن المادة العلميـة القيّمة والمعلومات التاريخية المهمـة التي قدمها لنا الإزكوي في هذا المجـال فريـدة مـن نوعها، وهـي حق يُحْسَـبُ له لا عليـه، فقد قـدم لنا مادة تاريخيـة حجبهـا عنّا المؤرخون الآخرون لأسـباب وأهـداف يعرفها الكثير من المسلمين، غير خافية على أهل البصيرة.

الملاحظـة الخامسـة: ابتعـد المحقـق عن الموضوعيـة كثيـراً عندما أصدر أحكامـاً تفـوح منهـا رائحة التعصب لـدى إشـارته إلى قصة إسـلام الصحابي مازن بن غضوبة السمائلي، ووضعها في خانة القصص الخيالية في الصفحة ٢٣

من المقدمة، حيث قال: «ويهدف الإزكوي من ذلك إلى جعل عُمان وأهلها في مقدمة المناطق التي سارعت إلى الإسلام، وآمنت برسالة النبي ﷺ، وحملت لواءه». ثم يشكك بصحة الأحاديث التي دارت بين عمرو بن العاص وبين حكّام عُمان، ويرى أن «الإزكوي لا يمكن أن يكون حجّة في هذا الموضوع، لتغلّب العاطفة على رواياته التي يشوبها الخيال».

والناظر إلى قصة إسلام مازن بن غضوبة يجد أنّه قد ذكرها ابن حجر العسقلاني، وأشار إلى أن مصدرها الكلبي بحسب ما ذكر المحقق، فما هو قائل في ذلك؟! إذاً الإزكوي ليس الوحيد الذي يذكر القصة، وله مصادره. ثم إن الإزكوي يذكرها كحالة فردية، ولم يقل: إن أهل عُمان أسلموا على يد مازن بن غضوبة، وكان منسجماً مع نفسه ومع الحقيقة التاريخية عندما أرجع إسلام أهل عُمان إلى رسالة النبي ﷺ إلى حاكمَي عُمان عبد وجيفر الجلندانيين. وهنا ينسب إلى الإزكوي ما لم يقله عن جعل عُمان وأهلها في مقدمة المناطق التي سارعت إلى الإسلام. وإن لم يكن الإزكوي حجة في مثل هذا الموضوع، وهو صاحب المصدر الأول في تاريخ عُمان كما أشار المحقق في بداية المقدمة التي وضعتها، فمن الحجة؟!

الملاحظة السادسة: أشار المحقق د. حسن في الصفحة ٢٨ من المقدمة إلى أن نسخة تونس رقم (٣١٨٢) التي رمز إليها بالحرف (س) تعدّ أقدم النسخ وأهمها، وأنها كتبت عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م، وبرر أهميتها بقوله: «ذلك لأنها كانت خاصة بالمؤرخ والأديب العُماني الشهير ابن رزيق».

ونحن نقول له: إنه كان عليه أن يشير إلى أنها لا تختلف في شيء عن النسخ الأخرى وبخاصة نسخة دار الكتب الظاهرية، وأن النسخة (س) لا يمكن أن تعوّض عن النسخة الأصلية التي كتبت بخط يد المؤلف نفسه سرحان بن سعيد الإزكوي، ووضعتها بين أيدينا وزارة التراث والثقافة العُمانية مشكورة

علـى ميكروفيلـم بعـد أن حصلـت عليها من مكتبـة غرداية بـوادي ميزاب في الجزائر، وقد سـميناها النسـخة الأصلية (ب)، حيث تمكنا بالاعتماد عليها من اسـتدراك جميع النواقص، وتصحيح الأخطاء التي وقع بها النسّـاخ، واستبعاد الفقرات والفصول التي أضافوها إلى النص. وتاريخ المخطوطة يعود إلى عام ١١٤٦هـ / ١٧٣٧م، وبالتالي هي الأصل، وهي الأقدم.

الملاحظـة السـابعة: ذكر المحقـق في الصفحة ٣١ من المقدمة في سـياق حديثه عن النسخة الجديدة التي رمز إليها بالحرف (ج) ما يأتي: «تمّ استدراك النقـص الحاصل في نسـخة دار الكتب الظاهرية في بعـض الصفحات بحدود ٣٠ صفحة، وقد أشير إليها، وهذه ميزة إضافية لهذه النسخة».

ونحـن نقـول للمحقق الكريم: هذه ليسـت ميزة في العمـل، بل هي عيب علمـي واضـح، وخـرق فاضـح لقواعـد وشـروط وأصـول التحقيـق العلمـي الصحيح، وكان عليك الإشـارة فقط إلى الزيادة التي أقحمها الناسـخ في نص المخطوطة الأصلي، وأن تنبّه القارئ الكريم إليها في الحواشـي، خاصة وأنها من النسخ المتأخرة، ونُسخت عام ١٣١٧هـ.

ثانياً: ملاحظات على النص الذي حققه د. حسن النابودة:

مـن الأهمية بمكان التأكيـد هنا على أن الغاية من تدوين هذه الملاحظات هـي التقويـم العلمي وتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المحقق الدكتور حسـن النابودة، مع التأكيد على حقيقة أن ما من عمل علمي مهما علت مرتبة صاحبه يخلو من أخطاء، علماً أن ما سنشير إليه هو أخطاء علمية خالصة، وفي ما يأتي أهمها:

الملاحظـة الأولى: أسـقطت عبارة (وملـك من بعده أخوه أزدشـير، وكان ملكـه عشـر سـنين) مـن الصفحـة ٩٤، الجـزء الثاني، لأنهـا فـي الحقيقة غير

موجودة في جميع النسخ التي اعتمدها المحقق، ولو أنه ضبط النص بالاعتماد على المصادر التي اعتمد عليها الإزكوي لتمكّن من اكتشاف النقص الحاصل. وقد وردت العبارة في النسخة الأصلية (ب) التي اعتمدناها حصراً ص١٧. وجاءت وفق ما يأتي:

وملك من بعده سابور ذو الأكتاف، وكان له ملك عظيم، وكان ملكه سبعين سنة.

(وملك من بعده أخوه أزدشير، وكان ملكه عشر سنين).

وملك من بعده سابور، وكان ملكه خمس سنين.

الملاحظة الثانية: وقع مؤلف المخطوطة سرحان بن سعيد الإزكوي في خطأ عندما أشار إلى أن سيف ابن قيفان الذي يقال له: «الصمصامة» صار لمعد يكرب الزبيدي، ولم يصحح المحقق هذا الخطأ في السطر الرابع من الصفحة ١٠٦، ج١. ولدى عودتنا إلى المصدر الذي اعتمد عليه الإزكوي في التأريخ لملوك حمير، وهو: ملوك حمير وأقيال اليمن لمؤلفه نشوان بن سعيد الحميري، تبيّن أن سيف ابن قيفان المسمى «الصمصامة» صار لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وليس لوالده. وهنا تبدو أهمية ضبط المادة العلمية الواردة في نص المخطوطة بالعودة إلى المصادر التي اعتمد عليها الإزكوي.

الملاحظة الثالثة: لم يلاحظ المحقق ركاكة وعدم ترابط الفقرة التي وردت في الصفحة ١٠٦ من الجزء الأول، وهي: «ودخل مدينة الصعيد، فهلك بها، فسميت «شمركند» بلغة العجم أي شمر خرّبها، فعربتها العرب، فقيل سمرقند». واكتفى بتصحيح اسم المدينة من الصعيد إلى الصغد، وأشار إلى ذلك في الحاشية رقم (٦). في حين أن الفقرة الصحيحة جاءت في النسخة الأصلية (ب) كما يأتي: «ودخل مدينة الصغد، فهدمها، فسميت سمركند بلغة العجم،

أي شـمر خرّبها، فعربتها العرب، فقيل: سمرقند». وهنا تبدو ومن جديد أهمية النسخة الأصلية (ب) واستخدامها في عملية التحقيق.

الملاحظـة الرابعـة: أضـاف المحقـق في نهايـة الباب الرابـع الصفحات ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨ مـن الجـزء الأول تحـت عنـوان: (فصـل: اختلف العلماء في نسب الفرس) وأشار إلى ذلك في الحاشية رقم بقوله: ما بين حاصرتين زيادة من نسـخة (ج) من ص ١٣٣ - ١٣٨؛ وأضاف في نهاية الباب السـابع الصفحـات ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤ من الجزء الأول تحت عنوان: فصل (انشقاق القمر). وأشار إلى ذلك في الحاشية رقم بقوله: ما بين حاصرتين زيادة من النسـخة (ج). علماً أن هذين الفصلين المضافين غير موجودين في بقية النسخ الأخرى التي اعتمد عليها المحقق، كما أنهما غير موجودين في النسـخة الأصلية (ب) التي بين أيدينا، وبالتالي هما زيادة أقحمها الناسـخ في النـص، وتقتضي عملية التحقيـق العلمي الصحيح عدم إضافتهما إلى النص، وعلى المحقق أن يكتفي بالإشارة إليهما في الحواشي فقط.

الملاحظة الخامسـة: سـقطت من الصفحـة ٢٣٠ من الجزء الأول السـطر الثانـي عبارة (سـبعة رجـال، ومن بني عوف بـن الخزرج) وهي غيـر موجودة في النسـخ الأربع التي اعتمد عليها المحقق، وترتيبها في السـياق كما جاءت في النسـخة الأصلية (ب) وفق ما يأتي: «ومن بني الحارث بن الخزرج (سـبعة رجال، ومن بني عوف بن الخزرج) ستة رجال.

الملاحظة السادسـة: أشار المحقق في الصفحة ٢٥٢ من الجزء الأول إلى نقص في الفقرة التالية: «... فأتوا حسـان بن ثابت، فقالوا: إن رسـول الله ﷺ، أمرك أن تناصح، وفي نسـخة تنافح عنه، وعن أحسـاب قومك، فقال: لا والله حتى آتي رسـول الله ﷺ، فأسـأله عن معايـب القوم، فإنه أعلـم قومه بقريش،

لينسب القوم بما فيهم (....) وإنك لا تزال تُعان بروح القدس ما نافحت عن نبيك وقومك»

غير أن الفقرة وردت كاملة وصحيحة في النسخة الأصلية (ب) ص١٠٧ كما يأتي: «... فأتوا حسان بن ثابت، فقالوا: إن رسول الله ﷺ أمرك أن تناصح، وفي نسخة تنافح عنه، وعن أحساب قومك، فقال: لا والله حتى أتى رسول الله ﷺ، فأسأله، فأتى النبي، فأمره النبي، وقال له: امضِ إلى أبي بكر، فاسأله عن معايب القوم، فإنه أعلم قومه بقريش، لينسب القوم بما فيهم، وإنك لن تزال تُعان بروح القدس، ما نافحت عن نبيّك وقومك». وهذا تأكيد آخر على أهمية النسخة الأصلية (ب) التي لم يطلع عليها المحقق، ولم يسمع بها.

الملاحظة السابعة: من مهمة المحقق أن يتأكد من صحة المادة العلمية الواردة في النص، بما في ذلك التواريخ طبعاً، وقد ورد خطأ في الصفحة ٢٦٢، ٢٦٣ من الجزء الأول، وهو: «فخرج النبي ﷺ يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، وقيل لثلاث خلون منه على رأس تسع عشرة من الهجرة» وقد ورد التاريخ صحيحاً في النسخة الأصلية (ب) ص١١٥ كما يأتي: «فخرج النبي ﷺ يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وقيل لثلاث خلون من رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة».

وهنا نسأل كيف يمكن للنبي ﷺ أن يخرج سنة تسع عشرة من الهجرة، وقد توفي سنة إحدى عشرة للهجرة؟! ناهيك عن أن هذا الباب يتحدث عن الأحداث التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة. وهذا تأكيد آخر على أهمية النسخة الأصلية (ب).

الملاحظة الثامنة: أسقط المحقق (فصل قصة النباش) من آخر الباب التاسع عشر، علماً أنه ورد في نسخة دار الكتب الظاهرية ص٢٠٢، ٢٠٣،

٢٠٤ والتي اعتمدها المحقق نسخة أصلية في التحقيق، ورمز إليها بحرف (ظ) في حين أضاف إلى النص فصل (اختلف العلماء في نسب الفرس) وفصل (انشقاق القمر) كما أشرنا سابقاً، معتمداً على النسخة (ج) مما يؤكد عدم الدقّة في التعامل مع النص، علماً أن فصل قصة النباش موجود في النسخة الأصلية (ب) ص ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، وهذا تأكيد جديد على أهمية هذه النسخة في التحقيق، وأن النسخة التونسية ليست نسخة المؤلف.

الملاحظة التاسعة: أورد المحقق في الصفحة ٤٠٧ من الجزء الأول نقلاً عن الأصول الأربعة كما يسميها: «فصل في ذكر مسيلمة الكذاب لعنه الله» ووضع نقاطاً بين قوسين (....) وكتب في الحاشية رقم: تركه الناسخ، وزعم خوف الإطالة، وطلباً للاختصار.

غير أن فصل مسيلمة الكذاب موجود بالكامل في النسخة الأصلية (ب) ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣ وفيه رطوبة في بدايته، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل النسّاخ في ما بعد يتجاهلونه. وهذا تأكيد جديد على أنه ليس بين النسخ التي اعتمد عليها المحقق نسخة المؤلف الأصلية، وتأكيد آخر على أهمية النسخة الأصلية (ب).

الملاحظة العاشرة: أضاف ناسخ النسخة (ج) بداعي الخلل الصفحات (١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢) على النص من حديث أبي النتاج مولى أبي عبيدة بالعودة إلى نهج البلاغة، علماً أن هذه الصفحات المضافة غير موجودة في بقية النسخ الأخرى التي اعتمد عليها المحقق، ومع ذلك أقحمها في النص المُحقَق في الصفحات (٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠) من الجزء الأول مخالفاً بذلك مرّة أخرى شروط وقواعد التحقيق العلمي الصحيح.

ونضيف نحن المحققون، ونقول: إن هذه الإضافة غير موجودة في النسخة

الأصلية (ب) ولا يلاحظ في هذه النسـخة (على عكس بقية النسـخ الأخرى) انقطاع في السياق، أو خلل في الفكرة والمعنى يقتضي إضافتها. وبالتالي كان على المحقق الإشارة إلى وجود هذه الإضافة في الحواشي، وكفى.

الملاحظة الحادية عشرة: وقع نسّاخ النسخ الأربع التي اعتمد عليها المحقق في خطأ علمي عندما نسـبوا أفعال سـليمان بن عبد الملك إلـى أخيه الوليد بن عبد الملك الذي تولى الحكم قبله، وأسـقطوا خلافة سـليمان ولم يذكروها في النص، وانتقلوا إلى الحديث عن خلافة عمر بن عبد العزيز مباشـرة بعد الوليد. ولـم يكتشـف المحقـق هذا الخطأ العلمـي، وهذا دليل على أنـه لم يتحقق من صحـة المـادة العلمية الـواردة في النص من المصـادر التاريخية. ناهيك عن أن المعلومـات جاءت صحيحة ودقيقة في النسـخة الأصلية (ب) ص ٣٨٢. وهذا تأكيد آخر على أهمية هذه النسخة في تحقيق العمل العلمي الموسوعي العظيم.

الملاحظة الثانية عشـرة: من شـروط التحقيق العلمي التعريف بالأشخاص والأماكـن والأحـداث، والنصوص الشـعرية، نظـراً لأهمية ذلك في اسـتكمال المادة التاريخية عن الفترة التي تناولتها المخطوطة بالدراسة، ويجب الاستعانة بكتـب التراجـم والمعاجـم الجغرافية. وهـذا ما لم يتقيد به المحقق د. حسـن النابودة على الإطلاق.

وأخيـراً فإننـا لا ندعي السـلامة مـن الأخطاء العلميـة والمطبعيـة في هذا العمـل الموسـوعي الكبيـر، فما مـن عمل علمي يخلـو تماماً منهـا، ونأمل أن نكون قد أنجزنا الواجب المطلوب وفق قواعد وأسس منهجية التحقيق العلمي الصحيـح، ونتمنـى أن نكـون عند حسـن ظن من حمّلنا المسـؤولية الشـريفة، ونحن بها معتزّون، ولها مخلصون، والحمد لله ربّ العالمين.

المحققان

لأن الناس لقراءة الأثر لا يستمعون ولاستماع القصص عن اللغو ينبنون
فملت إلى رغبتهم لكي يكونوا مستمعين ولقرانه يصمم القلب مطيعين
عسى أنهم لأصول المذهب يعرفون ولأهل الحق بالحق يعترفون وسميته
كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة فمن وقف عليه فليمهد لي العذر
فقد فاتني ركيك الفهم قليل الحفظ والعلم وإن بان له خطاء في معانيه
فليصلح بفضل منه ومنه وعلى الله أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل
وأنا أستغفر الله من مخالفة أهل الحق والتفضيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم

ترتيب الأبواب لهذا الكتاب

الباب الأول في ذكر بدء عبادة الأصنام واعتقادات أهل الشرك والضلال
الباب الثاني في آراء العرب في الجاهلية وما كانوا عليه
الباب الثالث في ذكر ملوك العجم والعرب وذكر شيء من أخبارهم
الباب الرابع في ذكر انتقال الأزد من اليمن إلى أرض عمان وإجلاء الفرس عنها
الباب الخامس في معرفة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين
الباب السادس في ظهور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
الباب السابع في ذكر المعراج وذكر طرف من وصف الجنة والنار
الباب الثامن في ذكر بيعة العقبة
الباب التاسع في ذكر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة
الباب العاشر في ذكر قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
الباب الحادي عشر في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثانية من الهجرة
الباب الثاني عشر في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثالثة من الهجرة
الباب الثالث عشر في ذكر الأمور الحادثة في السنة الرابعة من الهجرة
الباب الرابع عشر في ذكر الأمور الحادثة في السنة الخامسة من الهجرة
الباب الخامس عشر في ذكر الأمور الحادثة في السنة السادسة من الهجرة

-١-

الصفحة الأولى من نسخة جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث ـ غرداية ـ الجزائر (النسخة الأصلية ب)

الصفحة الأخيرة من نسخة جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث
ـ غرداية ـ الجزائر (النسخة الأصلية ب)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي رفع السموات بغير عمد وبناها، وسطح الأرض على وجه الماء
ودحاها، وجعل لها الجبال أوتادًا فأرساها، وخلق آدم عليه السلام
من طين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، وأخرج ذريته أطوارًا متتابعين
فأمرهم ليمتثلوا أوامره طائعين، ونهاهم ليزدجروا عن نهيه خائفين، فكان أكثرهم
لأمره تاركين، ولم يكونوا لنهيه مجانبين، فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين،
فبينوا لهم الحق المبين، وأوضحوا لهم السبل المستبين، وأتوهم بالحجج القاهرة والبراهين
فمنهم من أطاع واهتدى، ومنهم من ضل وغوى، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا
ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، محمد خاتم
الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فقد دعتني الهمة
إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه، وتلخيص معانيه وتصنيفه، فلبيتها أهلًا وسهلًا
وإن لم أكن للتأليف أهلًا، وذلك لما رأيت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل
مذهبهم الشريف، وأقبلوا على أئمة مذهبهم بالتعنيف والتعسيف، ومالوا
إلى الحِب السادات ذوي التشريف، وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي أصّلها
السلف ليعرفوا الحق ممن هو على شفا جرف هار فانهار به إلى التلف، وقد
سمعت أحدًا ممن يتحلى بالعلم وينتسب إلى ذوي المعرفة والفهم، يقول بجهل أهل
النهر بخروجهم عن طاعة ذي الغرة، وقد عرفت من كثير ممن ينسب بجهله المذهب
ويعزى إليه ويرفع به وينسب خلافًا لأئمته الذين أسسوه وركنوا إلى الذي
نفوا عنه، فصنفت هذا الكتاب ليقتفي بعده أولو الألباب، وجعلت
ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة
الأثر لا يستمعون، ولاستماع القصص عن اللغو ينصتون، فملت إلى رغبتهم
لكي يكونوا مستمعين، ولقراءته بتصميم القلب مطمئنين، علمًا أنهم لأصول
المذهب يعرفون، ولأهل الحق بالحق يعترفون، وسميته

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق

(النسخة ـ أ ـ)

لتأليفه

ووفقنا للتخليص وتصنيفه وإن يكون فيه خطأ أو في شيء منه غلط فأنا أستغفر الله تعالى
منه ومن جميع ما خالفته فيه الحق وفارقت فيه مناهج الهداية والصدق وبالله توفيقنا وعليه
اعتمادنا وبه عصمتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل الأقوى معين وأهدى دليل ونسأله سترا
لعيوبنا وغفرا لذنوبنا وتوفيقا للطاعات وتبليغا للمرضاة وأن يختم بالخير أعمالنا ويلي
في جميع الأمور أحوالنا وأن يجعل هذا التأليف حجة لنا لا علينا وأن يتقبله منا ويثيبنا
عليه غفرانا ومنا إنه هو الجواد الرحيم الغفور الكريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
فليمهد العذر الواقف عليه والناظر فيه وما كان فيه من خطأ فليصلح ابتغاء مرضات
ربه فإني لست من أهل التصنيف ولا ممن يعد للتأثير والتأليف والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وسلم
تسليما كثيرا. تم الكتاب بعون الملك الوهاب ضحى الخميس ٢ من شهر
ربيع الآخر سنة ١٣١٥ بيد أحقر الأنام وأضعفهم
علما وعملا عبد الرحمن بن محمد
بن سالم بن سيف الرواحي نسخه لأخيه
اللوذعي الأديب الأريب سالم
بن محمد بن سالم
بن سيف الرواحي
ورزقه المولى العلم
بما فيه إنه
كريم رحيم

فيا قارئا خطي سل الله رحمة ... لكاتبه المدفون في حفرة الأرض
وقل يا عظيم العفو عبدك مذنب ... فما زال يرجو الصفح في مشهد العرض

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق

(النسخة ـ أ ـ)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب كشف الغمة . الجامع لأخبار الأمة .
مما ألفه الشيخ العالم الفقيه . الورع النبيه الوالد سرحان
بن سعيد بن سرحان بن محمد بن عمر بن علي الأزكوي رحمه
الله وغفر له آمين . وصلى الله على رسوله سيدنا محمد
النبي الأمي عليه وعلى آله وصحبه وسلم .
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي رفع السماء بغير عمد وبناها . وسطح
الأرض على وجه الماء ودحاها . وجعل لها الجبال
أوتادا وأرساها . وخلق آدم عليه السلام من الطين
وجعل نسله سلالة من ماء مهين . وأخرج ذريته
أطوارا متباينين . فأمرهم ليمتثلوا أوامره طائعين
ونهاهم ليزدجروا عن نهيه خائفين . فكان أكثرهم
لأوامره تاركين ولم يكونوا لنهيه مجانبين . فأرسل
إليهم الأنبياء والمرسلين . فبينوا لهم الحق فمنهم
من أطاع واهتدى . ومنهم من ضل وغوى . ليجزي
الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى
والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمد خاتم
الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين
وبعد فقد دعتني الهمة إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه
وتخليص معانيه وتصنيفه . فلبيتها أهلا وسهلا

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد آلبوسعيدي

(النسخة ـ ج ـ)

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة معالي السيد محمد بن أحمد آلبوسعيدي

(النسخة ـ ج ـ)

ويقال إن ذكر الرجال بعد موتهم حياة ثانية ۞ وإن نشر ذكر ميتًا يجب له الحديث والذم
كأنه في الحياة حين يذكر ميتا كحين يذكر حيًّا ۞ وليجتهد العاقل في إصلاح دينه
وليحفظ لعاره حيًّا وميتا ۞ فصل في ملوك حمير قيل لما مات هود عليه السلام
صار الأمر بعده إلى ابنه قحطان فلزم طريقة أبيه واقتدى بها فلما مات قحطان قام
مقامه من ولده يعرب وخلفه بأحسن الخلافة وسار بسيرة أبيه وعمل على وصيته
وهو أول من تكلم بالعربية وأول من حيّا بأبيت اللعن وأنعم صباحًا ۞ وكان
ملكا لم يغزُ ولم تصل بنو سام الأعز رائده ۞ وحفظ وصيته لأولاده قبل
موته يا بني احفظوا مني خصالا عشرا تكن لكم شرفًا وذكرًا ۞ تعلموا العلم
واعملوا به ۞ واتركوا الحسد ولا تلتفتوا البذ فإنه داعية للقطيعة واجتنبوا
الشر وأهله فإن الشر لا يجلب عليكم إلا الشر ۞ وانصفوا الناس من أنفسكم وإياكم
والكبر فإنه يبعد قلوب الرجال عنكم ۞ عليكم بالتواضع فإنه يقربكم إلى الناس
ويحببكم إليهم ۞ واخفضوا للجار وإن جار ۞ واصفحوا عن المسيء فإن الصفح
عن المسيء يحسم العداوة ويزيد مع السودد سوددًا ومع الفضل فضلا ۞
وآثروا الجار والدخيل على أنفسكم فإن جماله جمال لكم ۞ وانصروا المولى في السلم
والحرب فإنه منكم ولكم وابن المولى من أنفسكم وحقه عليكم مثل حق أحدكم سائركم
وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه مثل ما تشيرون به على أنفسكم فإنها
أمانة ألقاها الله في أعناقكم والأمانة ما قد علمتم ۞ وتمسكوا بما اصطنع الرجال
تسودوا به غيركم فإن ذلك يزيدكم شرفًا إلى آخر الدهر فلما مات يعرب خلفه يشجب
وثبت على وصية أبيه ۞ فساد بني سام وملكاهم ونهيهم وملك اليمن والحجاز
۞ فلما مات يشجب خلفه ولده من بعده سبأ اسمه عامر وكان ملكا عظيما وكان
يعبد الشمس فسمي عبد شمس وغزا بابل ففتحها وبنى قنطرة ۞ وهي خراب
الدنيا وغزا الشام وكان كلما قاتل أمة سبا ذراريها ۞ وبنى مدينة مصر
وسماها بابليون ۞ ثم رجع إلى اليمن وبنى السد الذي ذكره الله في كتابه واسمه
العرم وهو سد يقبل إليه سبعون واديا وقيل إنه مات قبل تمامه ۞ وقيل
كان عمره خمس مائة سنة ۞ ثم ملك من بعده ولده حمير ولم يزل ملكا حتى مات

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية

(النسخة ـ د ـ)

يعني الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من كان في قلبه حبة من
الإيمان ه وقال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من الكبر فهذه أدلة ظاهرة
ه فمن قال غير هذا فعلينا إقامة الدليل ه وإيضاح السبيل ه وإن احتج
محتج بقوله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقال إذا غفر الله
للناس على الظلم فكيف لا يخرجهم من النار نار جهنم قلنا له هلك من هلك
من أهل الإقرار والقبلة الآيات وتأويلهم ه فأما هذه الآية خاصة لأهل التوبة
لا لأهل التضليل المصرين على الذنوب المرتكبين للإثم والحوب ه
الدليل على ذلك قوله تعالى في آخر الآية وإن ربك لشديد العقاب ه فإذا كان
بزعمك قد غفر للناس على ظلمهم وسيئاتهم ورضي عنهم على إصرارهم وغشمهم
فعلى من اشتد عقابه ويحق في الآخرة عذابه ه وإنما المعنى في الآية وتأويلها
وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم إذا تابوا وأقلعوا وإن ربك لشديد
العقاب لمن لم يتب وأقام على معاصيه وأصر عليها ه والنظر يوجب
عندي أن هذا مثل قوله تعالى فألقي السحرة ساجدين فجرى عليهم بعد
توبتهم وإسلامهم وسجودهم اسم السحر الذي كانوا عليه في شركهم ه فإن
قال قائل إن المنافق لا يلحقه اسم المؤمن فكذلك الفاسق لا يلحقه اسم
المنافق ولا اسم الكافر لأن المنافق عندهم مكذب والفاسق مصدق
فحكم الفاسق عندهم غير حكم المنافق ه قلنا له إن العاصي من أهل الإقرار
والتوحيد تلحقه الأسماء الخبيثة كلها ما خلا اسم الجحود ه الدليل على ذلك
قوله تعالى في المنافقين اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله وقال
ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ه ثم قال في آخر قصتهم إن الله لا يهدي القوم
الفاسقين ه وقال لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ه وقال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ه وقال ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم
فاسقون ه ويوجد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أخبركم بأولى
الناس بالنار قيل من هو يا رسول الله فقال فاسق قرأ كتاب الله لم
يرعوِ منه شيئًا وعنه أيضًا أنه جلس ذات يوم بعدما صلى الظهر

٢٩٩

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة وزارة التراث والثقافة العُمانية

(النسخة ـ د ـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع السموات بغير عمد وبناها وسطح الأرض على وجه الماء و
دحاها وجعل لها الجبال أوتادا فأرساها وخلق آدم عليه السلام من طين
وجعل نسله من سلالة من ماء مهين وأخرج ذريته أطوارا متتابعين فأمرهم
ليمتثلوا أمره وامرا طايعين ونهاهم ليزدجروا عن نهيه خايفين فكان أكثرهم
لأمره تاركين ولم يكونوا لنهيه مجانبين فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين
فبينوا لهم الحق المبين وأوضحوا لهم السبيل المستبين وأتوهم بالحجج القاهرة
والبراهين فمنهم من أطاع واهتدى ومنهم من ضل وغوى ليجزي الذين أساءوا بما
عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمد
خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد فقد دعتني الهمة
إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه وتلخيص معانيه وتصنيفه فلبيتها أهلا وسهلا
وإن لم أكن لذا التأليف أهلا وذلك لما رأيت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل مذهبهم
الشريف وأقبلوا على أئمة مذهبهم بالتعنيف والتعسيف ومالوا إلى حب السادات ذوي
التشريف وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي أصلها السلف ليعرفوا المحق ممن
هو على شفا جرف هار فانهار به إلى التلف وقد سمعت أحدا ممن يتحلى بالعلم و
ينتسب إلى ذوي المعرفة والفهم يقول بعذر أهل النهر في خروجهم عن طاعة ذي الفخر
وقد عرفت كثيرا ممن يتسمى بهذا المذهب ويعتزي إليه ويرفع به وينتسب خلافا للأئمة
الذين أسسوه وركنوا إلى الذين انفردوا عنه ودنسوه هذا الكتاب
وبينت فيه عذرا لأولي الألباب وجعلت ظاهره في القصص والأخبار وباطنه
في المذهب المختار لأن الناس لقراءة الأثر لا يستمعون ولاستماع القصص عن
اللغو يتنزهون فمالي رغبتهم لكي يكونوا مستمعين ولقراءته بصميم القلب
مهطعين ثم إنهم لأصول المذهب يعرفون ولأهل الحق بالحق يعترفون وسميته
كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة فمن وقف عليه ودخل في فليمهد
لي العذر فيه لأني ركيك الفهم قليل الحفظ والعلم وإن بان له خطأ في معانيه
فليصلح بفضل منه ما يبينه وعلى الله أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل وأنا أستغفر الله

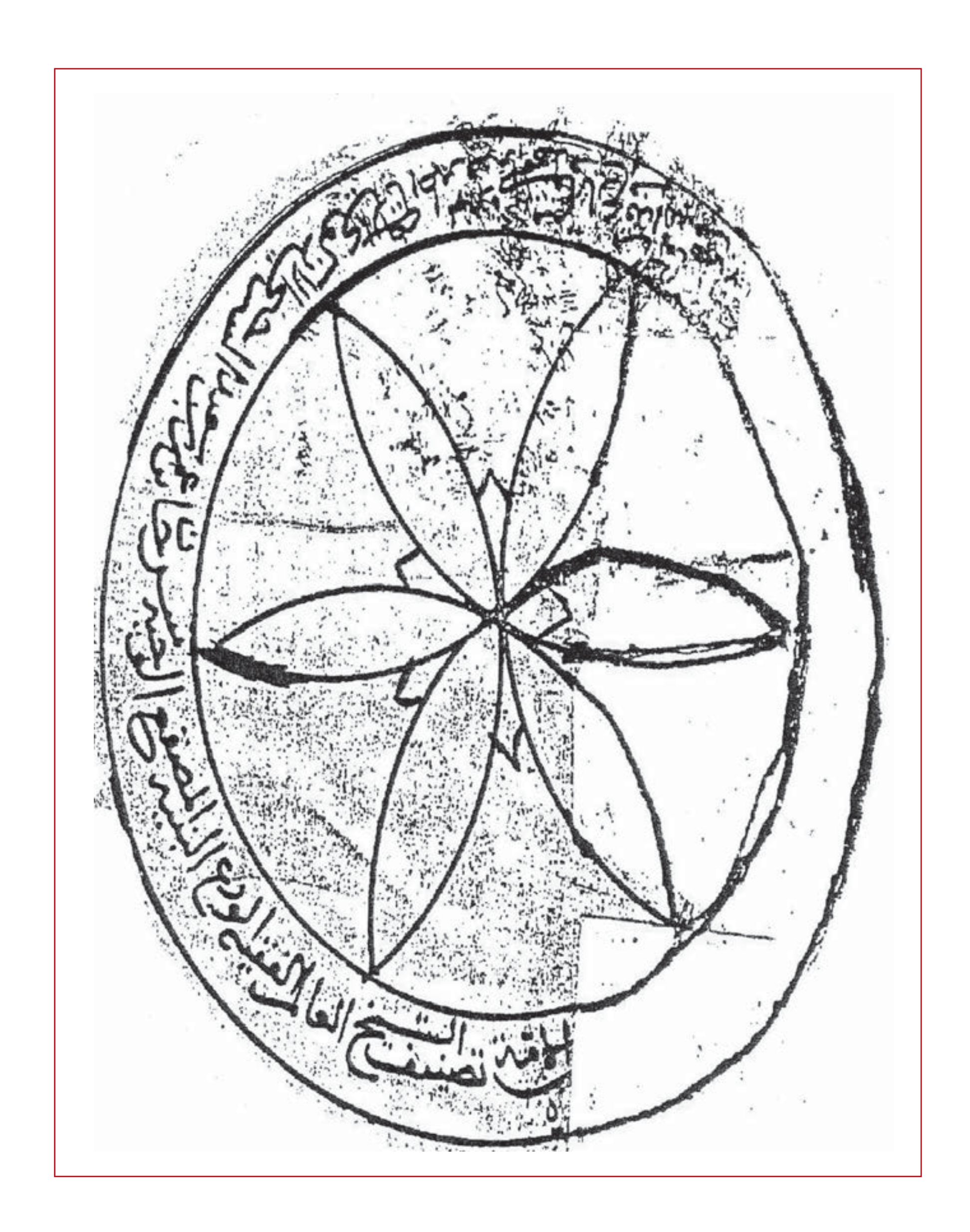
الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب التونسية (٣١٨٢)

(النسخة ـ هـ ـ)

خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم. وقد عرفنا عن بعض أصحابنا في بعض السير أنه قال: بلغنا
أن الله يقول للفاجر يوم القيامة: ما حملك على أن لقيتني على الفجور؟ قال فيقول: كنت أرجو رحمتك
فيكذب هناك كما كان يكذب في الدنيا، قال فيقول له الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لو علمت
أنك تلقاني والقاك لما لقيتني على ما لقيتني عليه. وبلغنا أن الرب تبارك وتعالى يقول للعبد يوم
القيامة: ما كان ظنك بي؟ فيقول: ظني بك أنك ستغفر لي وترحمني، فيقول الرب: ويلك أفأكذب نفسي
ورسلي وكتبي؟ فيقول: يا رب ردني إلى الدنيا، فيقول الله: ابن الدنيا وقد أفنيت أرضها وسماها
وشمسها وقمرها ونجومها وليلها ونهارها وجبالها وبحارها؟ فيقول: يا رب اقبل مني الإيمان
قال فيقول: إني قضيت لا أقبل الإيمان إلا عن ظهر غيب، فيقول: فأموت، فيقول له: ليس إلى ذلك سبيل
فعند ذلك ينقطع كلام العبد وتحق عليه القول. فقد أوضحنا في كتابنا هذا شرحا مختصرا
وبينا فيه دليلا باهرا مفسرا قاطعا لحجة الخصم المعارض ودحضا لاعتلال المشاجر المناقض
وبرهنا ما فيه الهداية والبيان لأولي الزيغ والشنآن. فإن كان هذا الذي برهناه في
هذا الكتاب حقا وصح منهجه عدلا وصدقا فذلك فضل الله هدانا للتأليف ووفقنا للتلخيص والتصنيف
وإن يكن فيه خطأ أو في شيء منه غلط فأنا أستغفر الله تعالى منه ومن جميع ما خالفت فيه الحق
وفارقت فيه منهاج ذوي الهداية والصدق، وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا وبه عصمتنا وهو
حسبنا ونعم الوكيل، أقوى معين وأهدى دليل، ونسأله سترا للعيوب وغفرا للذنوب وتوفيقا
لطاعته وتبليغا لمرضاته وأن يختم بالخير أعمالنا ويسدد في جميع الأمور أحوالنا وأن يجعل هذا
التأليف حجة لنا لا علينا وأن يتقبله منا ويثيبنا عليه غفرانا ومنا إنه هو الجواد الرحيم الغفور
الكريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فليمهد العذر الواقف عليه والناظر فيه وما كان
فيه من خطأ فليصلحه ابتغاء مرضات ربه فإني لست بأهل للتصنيف ولا ممن يعد للتأثير والتأليف
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا.
تم الكتاب بعون الملك الوهاب ضحى [illegible] السبت [illegible] النصف [illegible] صفر سنة أربع و[illegible] ومائتين وألف على يدي [illegible]
[illegible] سليمان محمد بن خلف [illegible] الأزكوي لوالده [illegible]
[illegible] على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب التونسية (٣١٨٢)

(النسخة ـ هـ ـ)



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الدكتور محمود بن مبارك السليمي

(النسخة ـ و ـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع السموات بغير عمد وبناها ه وسطح الأرض على وجه الماء ودحاها ه وجعل
لها الجبال اوتادا فارساها ه وخلق آدم عليه السلام من طين ه وجعل نسله من سلالة
ماء مهين ه واخرج ذريته اطوارا متتابعين ه فامرهم ليمتثلوا اوامره طايعين
ليزدجروا عن نهيه خائفين ه فكان اكثرهم لأمره تاركين ه و
فارسل اليهم الانبياء والمرسلين ه فبينوا لهم الحق المبين [illegible]
واتوهم بالحجج القاطعة والبراهين ه فمنهم من اطاع واهتدى
الذين اساؤا بما عملوا ه ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
الامين ه محمد خاتم الانبياء والمرسلين ه وعلى اله الطيـ
[illegible] قد دعتني الهمة الى جمع هذا الكتاب وتاليفه ه و [illegible]
[illegible] سهلا ه وان لم اكن انا للتاليف اهلا ه و
عن اصل مذهبهم الشريف ه واقبلوا على ايه
[illegible] السادات ذوي التشريف ه
اصلها السلف ليعرفوا الحق من هو عـ
سمعت احدا ممن يتحلى بالعلم وينتسب
انهم يخرجهم عن طاعة ذي العزة
ويعزى اليه ويرفع به وينسب ه
عنه ودنسوه فصنفت هذا ه
[illegible] في الفقه [illegible] ثمار ه

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الدكتور محمود بن مبارك السليمي

(النسخة ـ و ـ)

تم [illegible] بعون الملك الوهاب في يوم الثلثاء تسعة
وعشرين يومًا خلت من شهر رمضان المعظم من شهور
سنة [illegible] سبع عشر سنة وثلاث مائة سنة
والف سنة من الهجرة النبوية الإسلامية
على يد الفقير الحقير لله تعالى الراجي رحمة القدير
المعترف بالذنب والتقصير خويدم المسلمين
[illegible] خميس بن محمد بن سالم المدسري
[illegible] بيده ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا
[illegible] ورسولنا وحبيبنا
محمد النبي الأمي
وعلى آله
[illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الدكتور محمود بن مبارك السليمي

(النسخة ـ و ـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع السماوات بغير عمد، وبناها، وسطح الأرض على وجه الماء، ودحاها، وجعل لها الجبال أوتاداً، فأرساها، وخلق آدم عليه السلام، من طين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، وأخرج ذريته أطواراً متتابعين، فأمرهم ليمتثلوا أوامره طائعين، ونهاهم ليزدجروا عن نهيه خائفين، فكان أكثرهم لأمره تاركين، ولم يكونوا لنهيه مجانبين، فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين، فبيّنوا لهم الحق المبين، وأوضحوا لهم السبيل المستبين، وأتوهم بالحجج القاهرة والبراهين، فمنهم من أطاع واهتدى، ومنهم من ضلَّ وغوى، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد...

فقد دعتني الهمّة، إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه، وتلخيص معانيه وتصنيفه، فلبيتها أهلاً وسهلاً، وإن لم أكن للتأليف أهلاً، وذلك لمّا رأيت أكثر أهل زماننا، قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف، وأقبلوا على أئمة مذهبهم بالتعنيف والتعسيف، ومالوا إلى حب السادات ذوي التشريف، وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب، التي أصلها السلف، ليعرفوا المُحق ممن هو على شفا جرف هارٍ، فانهار به إلى التلف، وقد سمعت أحداً ممن يتحلى بالعلم، وينتسب إلى ذوي المعرفة والفهم، يقول: عجّل أهل النهر بخروجهم عن طاعة ذي الفخر. وقد عرفت من كثير مما يتسمّى بهذا المذهب، ويُعزى إليه، ويرفع به ويُنسب، خلافاً لأئمته الذين أسسوه، وركنوا إلى الذين أنفوا عنه.

فصنّفت هذا الكتاب، وبيّنت فيه عذر أولي الألباب، وجعلت ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة الأثر لا يستمعون، ولاستماع القصص عن اللغو يثبتون، فملت إلى رغبتهم، لكي يكونوا مستمعين، ولقراءته بصميم القلب مهطعين، عسى إنهم لأصول المذهب يعرفون، ولأهل الحق بالحف يعترفون، وسميته «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» فمن وقف عليه، ودخل فيه، فليمهد لي العذر فيه، لأني ركيك الفهم، قليل الحظ والعلم، وإن بان له خطأ في معانيه، فليصلح بفضل منه مبانيه، وعلى الله أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل، وأنا أستغفر الله من مخالفة أهل الحق والتفضيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ترتيب الأبواب لهذا الكتاب

الباب الأول: في ذكر بُدوّ عبادة الأصنام، واعتقادات أهل الشرك والضلال.

الباب الثاني: في ذكر آراء العرب في الجاهلية، وما كانوا عليه.

الباب الثالث: في ذكر ملوك العجم والعرب، وذكر شيء من أخبارهم.

الباب الرابع: في انتقال الأزد من اليمن إلى أرض عُمان، وإجلاء الفرس من عُمان.

الباب الخامس: في معرفة الرسل، صلوات الله عليهم أجمعين.

الباب السادس: في ظهور النبي محمد ﷺ.

الباب السابع: في ذكر المعراج، وذكر طرف من صفة الجنة والنار.

الباب الثامن: في ذكر بيعة العقبة.

الباب التاسع: في ذكر هجرة النبي ﷺ، من مكة إلى المدينة.

الباب العاشر: في ذكر قدوم النبي ﷺ، إلى المدينة.

الباب الحادي عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثانية من الهجرة.

الباب الثاني عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثالثة من الهجرة.

الباب الثالث عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الرابعة من الهجرة.

الباب الرابع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الخامسة من الهجرة.

الباب الخامس عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة السادسة من الهجرة.

الباب السادس عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة السابعة من الهجرة.

الباب السابع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الثامنة من الهجرة.

الباب الثامن عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة التاسعة من الهجرة.

الباب التاسع عشر: في ذكر الأمور الحادثة في السنة العاشرة من الهجرة.

الباب العشرون: في ذكر الأمور الحادثة في السنة الحادية عشرة من الهجرة

الباب الحادي والعشرون: في آداب النبي محمد ﷺ.

الباب الثاني والعشرون: في شيء من الأحاديث النبوية.

الباب الثالث والعشرون: في ذكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

الباب الرابع والعشرون: في ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الباب الخامس والعشرون: في ذكر خلافة عثمان بن عفان، وذكر إحداثه وقتله.

الباب السادس والعشرون: في ذكر خلافة علي بن أبي طالب، وما جرى فيها.

الباب السابع والعشرون: في جواب عبدالله بن إباض لعبد الملك بن مروان، وفي أمر عثمان، ومعاوية، وعلي بن أبي طالب وولده الحسن.

الباب الثامن والعشرون: في ذكر الفرق الإسلامية، وهي ثلاث وسبعون فرقة، وذكر اعتقاد كل فرقة منها، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في أسماء فرق المعتزلة، واعتقاد كل فرقة منهم، وهم خمس عشرة فرقة.

الفصل الثاني: في الفرق العثمانية، وهم خمس عشرة فرقة.

الفصل الثالث: في فرق الخوارج، وهم ست وعشرون فرقة.

الفصل الرابع: في فرق الشيعة، وهم ست وعشرون فرقة.

الباب التاسع والعشرون: في اعتقاد الفرقة الوهبية الإباضية، وهي الفرقة المحقة.

الباب الثلاثون: في ذكر الدولة الأموية، والدولة العباسية.

الباب الحادي والثلاثون: في ذكر الأئمة الذين باعوا أنفسهم لله في إنكار المنكر.

الباب الثاني والثلاثون: في ذكر انتشار المذهب الإباضي بأرض المغرب، وذكر أئمتهم وعلمائهم.

الباب الثالث والثلاثون: في ذكر أخبار أهل عُمان من أول إسلامهم، إلى اختلاف كلمتهم.

الباب الرابع والثلاثون: في ذكر اختلاف أهل الدعوة في ولاية أهل الحرب الواقع بعُمان في عهد الإمام الصلت بن مالك.

الباب الخامس والثلاثون: في ذكر الإمامين سعيد بن عبد الله، وراشد بن (٤) الوليد، ومن بعدهما من الأئمة، إلى عمر بن قاسم الفضيلي.

الباب السادس والثلاثون: في ذكر الملوك المتأخرين من النباهنة، وغيرهم، إلى ظهور الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله.

الباب السابع والثلاثون: في ظهور الإمام ناصر بن مرشد، رحمه الله، وذكر الأئمة من بعده، إلى وقوع الفتنة بين العيارية.

الباب الثامن والثلاثون: في ذكر وقوع الفتنة بعُمان بين اليعاربة، وما آلت إليه تلك الأمور.

الباب التاسع والثلاثون: في تواريخ بعض الصحابة، وذكر علماء الإباضية، من عُمان وغيرها.

الباب الأربعون: وهو خاتم] الكتاب، في ذكر عذاب القبر، وفي الرد على من قال بالرؤية في الآخرة، وفي ذكر الشفاعة، والميزان، والصراط، وفي الرد على من قال بالعفو، والخروج من النار لأهل الكبائر، من ذوي الإقرار.

تمت الأبواب، بعون الملك الوهاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم، عليه وعليهم أجمعين.

الباب الأول

في ذكر بدء عبادة الأصنام
واعتقادات أهل الشرك والضلال



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لم يزل، لا ببقاء مبقٍ أبقاه، فبقي ببقاء المبقي له باقياً، الدائم الذي لم يزل، لا بإدامة مدوم أدامه، فدام بديمومة المدوم له دائماً، خلق الأشياء لا من مؤات عنده، كما زعم المفترون سبحانه وتعالى علوّاً عما يقولون، بل خلق الأشياء لا من شيء، اخترعها من عدم، أنشأها وبدعها، ثم خلق بعضها من بعض، سبحانه الخالق لكل شيء، وهو العليم القدير، فنفسه ذاته، وذاته إثباته، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، خلق الخلائق دلالة على ربوبيته، ولكن مكلّفهم حظاً بعبادته، فأمر الله عزّ وجلّ، بعبادته العقلاء البالغين، ليوصلهم أسنى المنازل، إن امتثلوا أوامره طائعين، فمنهم من اهتدى، ومنهم من ضلَّ وغوى، فتفرقوا عند أوامره أطواراً مختلفين، فهدى الله الذين آمنوا لحسن اختيارهم، فأصبحوا بنعمته مؤتلفين، وأضلّ الله الذين اختلفوا بسوء اختيارهم، فأصبحوا لسوء اختيارهم كافرين، ولا يزالوا مختلفين، إلّا من رحم ربك وهو أعلم بالمهتدين.

فأول من خالف وطغى، وتمرّد وعصى، إبليس اللعين، حين قال الله للملائكة: اسجدوا لآدم، فسجدوا خاضعين، إلّا إبليس، كان من الجن، ففسق عن أمر ربه، فصار من الكافرين، فقال الله: يا إبليس، ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديَّ، استكبرت، أم كنت من العالين؟ فقال إبليس: لم أكن لأسجد له، خلقتني من نار وخلقته من طين، فظن إبليس، لعنه الله، أنه خير من آدم،

إذ خُلق من نار، وخلق آدم من طين، وجعل النار عنده أفضل من الطين، فقال الله: اخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين، فأحبط الله عباده ثمانين ألف سنة بمعصية واحدة.

وقيل: كان إبليس يعبد الله كل يوم في سماء، حتى إذا كان يوم الجمعة، عبد الله في السماء السابعة، وكان امتناعه عن السجود لآدم حسداً له وتكبراً، فصار من الهالكين.

فاحذروا الحسد والكبر أيها السامعون، واتقوهما، فإنهما رأس الخطايا الموبقات، وأساس الذنوب المهلكات، فكم من حاسد أرداه حسده في نار جهنم، ومتكبر ألقاه كبره في العذاب المهين، نعوذ بالله من الكبر والحسد، ومن جميع الذنوب والخطايا، إنه هو السميع العليم.

ثم لمّا أسكن الله آدم وزوجته عليهما السلام الجنة، وسوس لهما الشيطان، حتى أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن أكلها، فأخرجهما الله من الجنة، إذ عصيا، ثم تاب آدم وحواء، لمّا أُهبطا إلى الأرض، فتقبل الله منهما، وتاب عليهما، لأنَّ الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم، فلا يمنعنَّ أحدكم عن التوبة كثرة ذنوبه، وإسرافه على نفسه، ويقول: ذنوبي (٦) عظيمة، فلا تقبل توبتي، وليس لي توبة، فيزداد بعداً من الرحمة، فما من ذنب إلا وله توبة، وإن الله يحب التوابين، وإن الله يقبل التوبة من عبده، حتى يغرغر بالموت، فحينئذ لا تقبل توبة ولا فدية، ولا ينفع مال ولا بنون، فصار آدم إمام التائبين، وإبليس إمام المصرّين.

فاحذروا إخواني الإصرار، واتقوه، وبادروا المتاب، وعجلوه، والعنوا إبليس، واتخذوه عدواً، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

وقيـل: إن لعن إبليس فريضـة، كما أن الصلاة على النبي ﷺ فريضة، وفيه الثواب.

ولـم يـزل دين الله على الاسـتقامة، حتى قتـل قابيلُ هابيـلَ[١]، وكان ذلك من سبب الحسد أيضاً، فمات قابيل كافراً، ولم يكن له عقب، ليقع في الناس اختلاف.

ولم يزل الدين مستقيماً، حتى عُبدت الأصنام، فوقع بين الخلق الاختلاف، وسـبب عبادة الأصنام، قيل: لمّا مات نسـر بن آدم[٢] وكان آدم قد أوصى إليه، فقام شيث[٣] بوصية أبيه، وإخوته الأربعة له تابعون، يجلّونه، ويقدّمونه، إلى أن

(١) قابيـل وهابيـل: بعـد هبـوط آدم وحواء إلـى الأرض، ولدت له حـواء أربعين من ذكـر وأنثى في عشـرين بطنـاً، وكانت تلد في كل بطن ذكراً وتوأمـه «أنثى». وكان أول أولاده وتوأمته «قليما» ثم هابيـل وتوأمتـه «ليوذا». فكان آدم يزوج غلام البطن مع توأمه الآخر. وكانت أخت قابيل أحسـن مـن أخـت هابيل، فطلب هابيل أن ينكحها، فأبى عليـه قابيل وقال: هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوجها. فأمره أبوه آدم أن يزوجها لهابيل، فأبى. وعندما أمر الله تعالـى آدم أن يأتـي بيـت الله في مكة، قتل قابيل أخاه هابيل كي لا ينكح أخته، فلما قتله، سـقط فـي يديـه، ولـم يدرِ كيف يواريه، فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يـواري، فـواراه الثرى.
انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار القلم، بيروت، لبنان، ج١، ص ٧١ - ٧٢.

(٢) نسـر بن آدم: لم يرد ذكره بين أولاد آدم في المصادر العربية الرئيسـية التي تعنى بدراسـة قصّة الخلق. وذكره ياقوت الحموي بين الأصنام التي كانت تعبد في عهد نوح ﷷ. وترجمته: نسر: أحد الأصنام الخمسة التي كان يعبدها قوم نوح ﷷ، وصارت إلى عمرو بن لحي، ودعا القوم إلى عبادتها، فكان فيمن أجابه حمير، فأعطاهم نسراً، ودفعه إلى رجل من ذي رعين يقال له معدي كرب، فكان بموضع مـن أرض سـبأ يقال له بلخع، فعبدته حمير ومن والاها، حتـى هوّدهم ذو نواس. وقد ذكره الأخطل فقال:

أمـا ودمـاء مـائـرات تخالها ... علـى قُنّة العـزّى وبالنسـر عندما
ومـا سـبح الرحمٰـن فـي كل بيعـة ... أبيـل الأبيليـن المسـيح بن مريمـا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٨٤.

(٣) شـيث بن آدم: ولد شـيث بن آدم بعدما قتل قابيل أخاه هابيل بخمس سـنين، وكان عمر آدم حين ولد شيث ١٣٠ سنة. فسمي شيث «هبة الله» لأن جبريل ﷷ قال لآدم حين وضعته حواء: «هذا هبة الله بدل هابيل». وإليه أوصى آدم، وصارت الرئاسة إليه بعد وفاة أبيه، فأنزل الله عليه خمسين صحيفة، وهناك =

مات، فأوصى إلى أخيه يغوث[١] فقدّموه، كما قدّموا أخاه، فسار بسيرة أخيه، فجاءه إبليس، فقال له: إني رفيق لك، فقال يغوث: كيف ذلك؟ فقال: أصوّر لكم صورة أخيكم في جميع الآفاق، لكي تنظروه، وتمروا عليه، فقال له: أنت وذلك، فصوّره لهم في جميع الأقطار. فلما مات يغوث، استخلفوا عليهم يعوق[٢]، فسار فيهم سيرة أخويه، فجاءه إبليس، وقال له كما قال ليغوث، فقال يعوق: أنت وذلك، فصور لهم صورة يغوث في جميع الأقطار.

ولم يزل إبليس كلما مات واحد من هؤلاء الأربعة، صوره لهم، وتناسل أولاد هؤلاء الأربعة، فكان كل منهم يطوف على جدّه، ولمّا تطاولت المّدة، جاءهم إبليس، فقال: إن آباءكم كانوا يعمن دون هذه الأصنام، فافترق الناس يومئذ فرقتين، فكذبه قوم وهم المخلصون، لما سبق في علم الله، أنه ليس له عليهم سلطان، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَـاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢]. واتبعه الغاوون وأطاعوه، فعبدوا تلك الأصنام

= من يقول: إن كل بني البشر من صلب شيث، لأن كل أولاد آدم انقرض عقبهم. ولم يزل شيث مقيماً بمكة يحج ويعتمر، وبنى الكعبة من الحجارة والطين حتى مات، فدفن مع أبويه آدم وحواء في غار أبي قبيس. انظر: الطبري محمد بن جرير: المصدر السابق، ج١، ص٧٣ - ٨١.

(١) يغوث: لم يرد ذكره بين أولاد آدم في المصادر التاريخية العربية التي تعنى بدراسة قصة الخلق، وذكره ياقوت الحموي بين الأصنام التي كانت تُعبد في عهد نوح عليه السلام. وترجمته: يغوث: من أصنام قوم نوح الخمسة المذكورة في القرآن الكريم، أخذها عمرو بن لحي من ساحل جدة وفرقها فيمن أجابه من العرب إلى عبادتها. فدفع يغوث إلى أنعم بن عمرو المرادي، وكان بأكمة باليمن يقال لها مذحج تعبده مذحج ومن والاها، ثم أخذه بنو الحارث. قال الشاعر:

وسار بنا يغوث إلى مراد فناجزناهم قبل الصباح

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص٤٣٩.

(٢) يعوق: لم يرد ذكره بين أولاد آدم في المصادر التاريخية العربية التي تتحدث عن قصة الخلق. وذكره ياقوت الحموي بين الأصنام الخمسة التي كانت تعبد في عهد نوح عليه السلام. وترجمته: يعوق: اسم صنم كان لهمذان وخولان، وكان في أرحب، ويعوق من الأصنام الخمسة التي كانت لقوم نوح عليه السلام، وأخذها عمرو بن لحي من ساحل جدّة، وأعطاها لمن أجابه إلى عبادتها، فأجابته همذان فدفع إلى مالك بن مرثد الهمذاني يعوق، فكان بقرية يقال لها خيوان تعبده همذان ومن والاها بأرض اليمن إلى أن تهوّدوا أيام ذي نواس. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص٤٣٨.

المصوّرة، وصدقوا ما قال لهم، وقالوا: صحيح، لأننا وجدنا آباءنا يطوفون بها. فمن ذلك اليوم والناس في عبادة الأصنام.

وقيل: إن الأصنام (٧) عُبدت من عهد نوح عليه السلام، وذلك أن نوحاً كان يحرس قبر آدم عليه السلام، على جبل بالهند، فجاء إبليس إلى من خالف نوحاً، وقال: أنا أصنع لكم صورة آدم وأولاده، لئلا يفتخر عليكم نوح ومن تابعه، ويقولون: نحن ذرية آدم دونكم، فنحت لهم هذه الأصنام الخمسة، فعبدوها، وهي: ود[١]، وسواع[٢]، ويغوث، ويعوق، ونسر، وهم أسماء آلهتهم.

فلما كان زمان الغرق، اندفنت هذه الأصنام، فلم تزل مدفونة، حتى أخرجها إبليس، لعنه الله، للعرب في أول جاهليتهم، ودلَّهم عليها، وسماها لهم. فأخذت قضاعة وداً [٣]، فعبدوه في دومة

(١) ود: اسم صنم كان لقوم نوح عليه السلام، وكان لقريش صنم يدعونه ودّاً، وكان لبني وبرة، وكان بدومة الجندل، وكانت سدانته لبني الفرافصة أبناء الأحوص الكلبيين، وبقي يُعبد حتى هدمه وكسره خالد بن الوليد بعد غزوة تبوك. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٥٧م، ج٥، ص٣٦٦ - ٣٦٨.

(٢) سواع: اسم صنم كان لقوم نوح عليه السلام، ثم اتخذه هذيل بن مدركة، فكان لهم برهاط من أرض ينبع، وكان سدنته بنو لحيان. قال الشاعر:

تراهم حول قيلهم عكوفاً ... كما عكفت هذيل على سواعِ
يظل جنابه صرعى لديه ... عشائر من ذخائر كل راعِ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٦.

(٣) قضاعة: جدّ جاهلي قديم، بنوه قبائل وبطون كثيرة، اختلف الرواة في نسبه، فقيل: إنه ابن مالك بن عمرو بن مرّة، من حمير، من قحطان، وقيل: هو عمرو ابن معد بن عدنان. وثمة روايات أخرى في أسماء آبائه. والأكثر على أنه قحطاني. ويقال: كان ملكاً على بلاد «الشحر» بين عُمان واليمن، نزل بنوه أو بعضهم شاطئ البحر الأحمر، وقاتلهم العدنانيون، كانت مساكنهم بين جدّة وذات عرق (قرب مكة) ثم تفرقوا في البلاد، فمنهم من نزل بوادي القرى والحجر، ومنهم من استقر في أطراف الشام، ومنهم من طلع إلى نجد. وقال ابن خلدون: كان لقضاعة ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق، واستعملهم الروم على بادية العرب. ونقل الهمذاني عن ابن منبه أن قبر قضاعة اكتشف في اليمن، أيام عمرو ذي الأذعار الحميري، وفيه عمود أخضر كتب عليه بالمسند: «هذا قبر قضاعة بن مالك بن حمير. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، ج٥، ص١٩٩.

الجندل[١]، ثم توارثته الأكابر، حتى صار إلى كلب[٢]، فجاء الإسلام وهم يعمن دونه. وأما سواع، فصار إلى هذيل[٣]، فجاء الإسلام، وهم يعمن دونه.

وأما يعوق، فكان عند طيء[٤]، فصار إلى مراد[٥]، فعبدوه، هم وبنو

(١) دومة الجندل: بلدة في غائط من الأرض فيها عين تسقى منها بساتين النخيل والزرع، سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني من الجندل. فتحها خالد بن الوليد سنة ٩هـ. وقعت فيها قصة التحكيم بين أصحاب علي وأصحاب معاوية بعد معركة صفين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص٤٨٧ - ٤٨٩.

(٢) كلب: كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة، جد جاهلي، حيثما أطلق لفظ «كلبي» فالنسبة إليه، من نسله بنو كلدة وبنو أوس وبنو ثور وبنو رفيدة، كانوا ينزلون دومة الجندل، وتبوكاً وأطراف الشام. وصنمهم في الجاهلية «ود» نصبوه بدومة الجندل، وكانت لهم في أوائل القرن الثالث للهجرة خفارة الطريق على البر بالسماوة، في ما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٥، ص٢٣٠.

(٣) هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر من عدنان: جدّ جاهلي، بنوه قبيلة كبيرة. كان أكثر سكان وادي نخلة المجاور لمكة منهم. ولهم منازل بين مكة والمدينة، ومنهم في جبال السراة، وكانوا أهل عدد ومنعة، واشتهر منهم كثيرون في الجاهلية والإسلام، وكان صنمهم «مناة» وهو صخرة في ديارهم بقديد على ساحل البحر الأحمر، وبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فحطمه سنة ٨هـ. وشاركوا كنانة في عبادة «سواع» بوادي نعمان قريباً من مكة. وهم الذين دفعوا أبا الطاهر سليمان بن الحسن الجنابي القرمطي على اقتلاع «ميزاب الكعبة» يوم نهب مكة وفتك بأهلها سنة ٣١٦هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٨٠.

(٤) طيء: طيء بن أدد، من بني يشجب، من كهلان، جدّ جاهلي، النسبة إليه طائي. وقيل: اسمه جلهمة، وطيء لقبه، كانت منازل بنيه في اليمن، وانتقلوا إلى جبلي «أجأ وسلمى» من بلاد نجد، فكانت منازلهم من دون قديد، إلى أن أقصى أجأ إلى القريات، وكان اسم صنمهم في الجاهلية، «الفلس» أقاموه بنجد، قريباً من قديد، وسدنته بنو بولان. أرجع الأشرف الرسولي قبائل طيء إلى أصلين: جديلة، والغوث، ومنهم الآن بطون كثيرة متفرقة في شمالي الحجاز وباديتي الشام والعراق، ينضوي معظمها تحت اسم «قبائل شمر». انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٣٤.

(٥) مراد: مراد «واسمه يحابر" بن مالك (وهو مذحج) بن أدد بن زيد، من كهلان من القحطانية: جد جاهلي يماني، بنوه قبيلة كبيرة وبطون: قيل لعمرو بن معد يكرب: ما قولك في مراد؟ فقال: «أولئك الأتقياء البررة، والمساعير الفخرة، أكرمنا قراراً، وأبعدنا آثاراً» من نسله «فروة بن مسيك الصحابي» و«شريك بن عمرو بن عبد يغوث» من فرسان القادسية، ضرب ابن رستم بالسيف. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص١٩٩.

الحارث بن كعب[١]. وأما يغوث، فلعله كان لهمدان[٢]. وأما نسر، فلحمير[٣]، ومن دخل في ملكهم.

فهذا سبب عبادة الأصنام، فأرسل الله رسله مبشرين ومنذرين، فكلما جاء أمةً رسُولُها، كّذبوه، وحاربوه، وآذوه، ولقي الأنبياء من الكفار ما لقوه، فصبروا على طاعة ربهم.

ثم استحوذ الشيطان على الزنادقة الدهرية، فجحدوا الباري ﷻ، ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، يعنون: ما يهلكهم إلاّ طول مرور الأيام والليالي والشهور والأعوام، وليس لهذا الخلق خالق خلقه، فكذبهم الله بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

---

(١) الحارث بن كعب: الحارث بن كعب بن عمرو بن علة، من مذحج، من كهلان: جدّ جاهلي، من نسله بنو الديان (رؤساء نجران) وشريح بن هانئ (من أصحاب علي) ومطرف بن طريف، وآخرون، كلهم حارثيون كهلانيون، من قحطان. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٥٧.

(٢) همذان: همذان بن مالك بن زيد بن أوسلة، من بني كهلان، من قحطان: جدّ جاهلي قديم. كانت منازل بنيه في شرقي اليمن، ونزل كثير منهم بعد الإسلام في بلاد الحجاز وغيرها. وكانوا أيام اتقاد الفتن بين بعض الصحابة من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، واستمر التشيع فيهم. كان صنمهم في الجاهلية «يعوق» منصوباً في «أرحب» ومشاركتهم فيه خولان. كانت تلبية من نسك ليعوق: «لبيك اللهم لبيك. لبيك، بغّض إلينا الشر، وحبّب إلينا الخير، ولا تبطرنا فنأشر، ولا تفدحنا بعثار». انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٩٤.

(٣) حمير: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كان ملك اليمن، وإليه نسبة الحميريين ملوك اليمن وأقياله، كان شجاعاً مظفراً، حكم بعد أبيه سبأ، وعاصمة ملكه صنعاء، وإنه غزا وافتتح حتى بلغ بعض غزاته الصين، واتخذ تاجاً من الذهب، وكان أول من توّج به، ويرى بعضهم أن اسمه العرنجج، وأنه لقب بحمير لكثرة لبسه الثياب الحمر، وإليه ينسب الخط الحميري، ولما توفي جُعل في مغارة، ووضعت معه أدراعه كي لا يلبسها أحد بعده. وكان لبني حمير في الجاهلية صنم اسمه «نسر» منصوب بنجران، وآخر اسمه «رئام» بصنعاء. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٨٤.

فصل في مذهب (أهل)[١] الهند

وهم أولاد حام بن نوح[٢] عليه السلام، وهم أمة كثيرة، وملّة عظيمة، ولهم آراء مختلفة. فمنهم البراهمة[٣] المنكرون للنبوّة.

ومنهم من يميل إلى الدهرية، ومنهم من يميل إلى الثنوية[٤]، وأكثرهم على مذهب الصابئة[٥]، ومنهم من يقول بالروحانيات[٦]

(١) إضافة من نسخة دار الكتب الظاهرية، ص٧.

(٢) حام بن نوح: كان أحد أولاده الثلاثة (سام وحام ويافث) الذين صعدوا إلى سفينة نوح حين أخبرته زوجته بفوران الماء من التنور. وتخلف عنه ابنه يام لأنه كان كافراً لم يؤمن. وأرسل الله المطر أربعين يوماً. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م، ج١، ص ٧٢ - ٧٣.

(٣) البراهمة: نسبوا إلى رجل يقال برهم، وهم ينفون النبوات، ويقرون في مذهبهم على العقل وما حسن فيه، ثم افترقت البراهمة أصنافاً كثيرة، فمنهم من مال إلى الهيكل والأنداد، ومنهم أصحاب الفكرة المحتالة، ومنهم أصحاب التناسخ، ولهم أقاويل كثيرة وآراء مختلفة. انظر: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٩٣.

(٤) الثنوية: هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وبتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر، والطبع والفعل، والحيّز والمكان، والأجناس والأبدان والأرواح، انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملك والنحل. ج٢، ص ٨٠ - ٨١.

(٥) الصابئة: قيل لهم الصابئة لأنهم مالوا عن سنن الحق، ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين والابتعاد عن نهج الأنبياء ومذهبهم يدعو إلى الاكتساب لا إلى الفطرة. انظر: المصدر السابق، ص ٩٥.

(٦) الروحانيات: والصحيح أصحاب الروحانيات: ومذهبهم أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم: الروحانيون، المطهرون، المقدسون، جوهراً وفعلاً وحالة، أما الجوهر فهم المقدسون عن المواد الجسمانية، المبرّأون عن القوى الجسدانية، المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية، قد جُبلوا على الطهارة، وفطروا على التقديس والتسبيح، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومعلمهم الأول في هذا عاذيمون وهرمس. فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا من دنس الشهوات الطبيعية، وتهذيب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية، حتى يحصل مناسبة بيننا وبين الروحانيات. انظر: المصدر السابق، ص٩٦.

وأصحـــاب الهياكـــل والحكمـــاء[١]، وعبـــدة الأصنـــام. فهـــذه خمس فـــرق.

ثم انشـعبوا إلـى فرق كثيرة، فمنهم من يعبد الشـمس والقمـر، ومنهم من يعبد الكواكب، وضياء العالم، وتكون الموجودات السـفليّة، وأنه ملك يستحق التعظيم والسـجود والتبجيل، فهؤلاء عبدة الشـمس، وقد اتخذوا على صورتها صنماً، وبيده جوهرة على لون النار.

وكذلـك عبـدة القمـر، يقولـون: إنه ملـك مـن الملائكة، يسـتحق التعظيم والعبادة، وينسـبون إليه تدبير العالم السفلي، وبزيادته ونقصانه يعرفون الأزمان والسـاعات، وهو تلو الشـمس وقرينها، واتخذوا على لونـه صنماً يعمن دونه، ويسـجدون لـه، (٨) ويصومون في كل نصف شـهر، ولا يفطـرون حتى يطلع القمـر، ويسـألونه حوائجهـم، والأكثر منهم يعمن دون كل مـا يمرون عليه من حجـر، ومدر، وشـجر، وبشـر، من غيـر حجّة ولا برهـان، إنما يقولـون: نعبد هؤلاء ليقربونا إلى الله زلفى، وكلهم على الضلالة والجهالة.

(١) أصحاب الهياكل والحكماء: من فرق الصابئة ويرون أنه لا بد للإنسان من متوسط، ولا بدّ للمتوسط مـن أن يُـرى، فيتوجـه إليه، ويُتقرب به، ويُسـتفاد منه، فزعوا إلى الهياكل التي هي السـيارات السـبع، فتعرفوا أولاً بيوتها ومنازلها، وثانياً مطالعها ومغاربها، وثالثاً اتصالاتها على أشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها، ورابعاً، تقسيم الأيام والليالي والساعات عليها، وخامساً تقدير الصور والأشخاص والأقاليـم والأمصـار عليها، فعلموا الخواتيم وتعلموا العزائم والدعـوات، وعيّنوا ليوم زحل مثلاً يوم السـبت، ورعـوا فيه سـاعته الأولى، وتختموا بخاتمـة المعمول على صورته وهيئته وصنعته، ولبسـوا اللباس الخاص به، وبخروا ببخوره الخاص، ودعوا بدعواته الخاصة، وسـألوا حاجاتهم منه. وكذلك رفـع الحاجـات الخاصـة بكل كوكب مـن الكواكب السـبعة، وكانوا يسـمونها أرباباً آلهـة لهم. انظر: المصدر السابق، ص١٤٦ – ١٤٧.

فصل في فرق اليهود

سمّوا اليهود يهوداً، لانتسابهم إلى يهودا بن يعقوب[١] عليه السلام، وكتابهم التوراة، ويقال: هاد الرجل: إذا رجع وتاب، وقيل: لزمهم هذا الأمر خاصة لقول موسى[٢] عليه السلام، إنا هدنا إليك، أي رجعنا إليك وتضرعنا.

افترقت اليهود أربع فرق، ثم تشعبت إلى إحدى وسبعين فرقة، كلها هالكة، منها: اليعوسويّة[٣]، والمقارنة، والبوذعانية[٤]، والموسكاتية[٥]، ومن

(١) يهودا بن يعقوب: يهودا بن يعقوب من زوجته ليا بنت لبان بت بتويل، وهي ابنة خاله. وأخوته من أمه وأبيه هم: روبيل، وشمعون، ولاوي، وزبالون، ويسحر، عندما توفيت والدته ليا تزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين. وولد ليعقوب من سُريّتين أربعة أولادهم: دان، ونفتالي، وجاد، وأشر. وكان ليعقوب اثنا عشر رجلاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص١٢٦.

(٢) موسى: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة. وأم موسى يوخانذ، واسم زوجته صفورا بنت شعيب النبي. وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريّان بن الوليد فرعون يوسف الأول. سار موسى إلى فرعون رسولاً مع هارون، ثم سار إلى التيه مع قومه بعد أن مضى عبر البحر، وكان مقامهم هنالك، إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة، فكان بين مولد موسى إلى وفاته ١٢٠ سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص١٦٩.

(٣) اليعوسويّة: والصحيح العيسوية: نسبوا إلى عيسى بن إسحاق بن يعقوب الأصفهاني وقيل: اسمه عوفيد الوهيم أي عابد الله. كان في زمان المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد الحمار، فاتبعه كثير من اليهود، وادعوا له آيات ومعجزات. وقيل: إنه لما حارب أصحاب المنصور بالري قتل، وقتل معه أصحابه. وزعم عيسى أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر. وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكبيرة المذكورة في التوراة. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص٥٥ - ٥٦.

(٤) المقارنة والبوذعانية: والصحيح اليوذعانية: نسبوا إلى يوذعان رجل من همذان، وقيل: كان اسمه يهودا، يحث على الزهد وتكثير الصلاة. كان يزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً، خالف بتأويلاته عامة اليهود، وخالفهم في التشبيه، ومال إلى القدر، وأثبت الفعل حقيقة للعبد، وقدر الثواب والعقاب عليه، وشدّد في ذلك. انظر: المصدر السابق، ص٥٦.

(٥) الموسكانية: والصحيح الموشكاتية: أصحاب موشكا على مذهب يوذعان، غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه ونصب القتال معهم، فخرج في تسعة عشر رجلًا، فقتل بناحية قم. وذُكر عن =

قولهم: إثبات نبوة محمد ﷺ، إلا أنهم يقولون: أُرسل إلى العرب خاصة، وسائر الناس، سوى اليهود، ويقولون: إن الله كتب التوراة بيده، واستوى على العرش قراراً، وإنه على صورة آدم، وغلوا في دينهم.

ومنهم السامرية[(١)]، أثبتوا نبوّة موسى وهارون[(٢)] ويوشع بن نون[(٣)]، وأنكروا نبوّة من بعدهم.

وفرقة يقال لها (الغاتية، والكوشاتية، والروشاتية)[(٤)]، يزعمون أن الثواب والعقاب في الدنيا فقط.

وفرقهم كثيرة، تركتها اختصاراً.

= جماعة من الموشكاتية أنهم أثبتوا نبوة المصطفى عليه السلام إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود لأنهم أهل ملّة وكتاب. انظر: المصدر السابق، ص٥٦.

(١) السامرية: قوم يسكنون بين المقدس وقرايا من أعمال مصر يتقشّفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود، أثبتوا نبوّة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وأنكروا نبوّة من بعدهم رأساً إلّا نبيّاً واحداً. وقالوا: التوراة ما بشرت إلّا بنبي واحد يأتي بعد موسى، يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا يخالفها البتّة، وظهر في السامرة رجل يقال له الألفان، ادعى النبوة، وزعم أنه هو الذي بشّر به موسى، وأنه هو الكوكب الذي ورد في التوراة أنه يضيء ضوء القمر. وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة. انظر: المصدر السابق، ص٥٨.

(٢) هارون: هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. النبي المرسل مع موسى عليه السلام، وأخوه.

(٣) يوشع بن نون: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. أرسله الله نبياً إلى بني إسرائيل، وأمره بالمسير إلى أريحا مدينة الجبارين بعد انقضاء أربعين سنة من التيه توفي خلالها موسى وهارون، فلما ظفر يوشع بن نون بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت، فدعا الله، فرّد الشمس عليه، وزاد في النهار ساعة، فهزم الجبارين، ودخل مدينتهم. ويقال: حاصرها ستة أشهر، فلما كان السابع تقدموا إلى المدينة، وصاحوا صيحة واحدة، فسقط السور، فدخلوها وهزموا الجبارين، وقتلوا فيهم فأكثروا. ثم توفاه الله، فاستخلف على قومه كالب بن يوفنّا، وكان عمر يوشع ١٢٦ سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعاً وعشرين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٠٠-٢٠٣.

(٤) الغاتية والكوشاتية والروشاتية: (والصحيح دوستانية) وهم الألفانية والكوشانية. حيث انقسمت الفرقة السامرية إلى دوستانية وهم الألفانية ومعناها الفرقة المتفرقة الكاذبة. والكوشانية ومعناها الجماعة الصادقة، وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها. والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا. وبين الأحكام والشرائع. انظر: الفصل في المِلل والنحل، ص٥٨.

فصل في فرق النصارى

وهم قوم نبي الله وروحه عيسى[١] عَلَيْهِ السَّلَامُ، كانت اليهود يسمونه ايسوع، وهو بالعربية عيسى، سموا بذلك لأن المسيح كان بقرية يقال لها ناصرة[٢] من أرض الخليل[٣]، وقيل: سموا بذلك لقول الحواريين: نحن أنصار الله.

وهم إثنتان وسبعون فرقة، كلها هالكة، وافتراقهم بعدما رفع الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلماؤهم الذين فرقوهم أربعة: يعقوب، ونسطور، وإسرائيل، وملك، وهو ملك من ملوكهم، ترك الملك، ودخل في القسيسين، فاجتمعت إليهم قومهم، فقالوا: قولوا نسمع لقولكم، فتكلم يعقوب، وقال: هل سمعتم برجل، مذ خلق الله السماوات والأرض، يحيي الموتى، وينفخ في الطين، فيكون طيراً، ويبرئ الأكمه (٩) والأبرص والأعمى، غير عيسى؟ قالوا: لا، قال: فإنَّ صاحبكم الذي كان يفعل هذا هو ربكم، فادعوه الله، فأبى الثلاثة عن قوله، وكذّبوه، فخرج عنهم، وأخبر الناس بمقالته، فاتبعته طائفة، وهم اليعقوبية[٤]، الذين أنزل

---

(١) عيسى: نبي الله عيسى بن مريم، وهو المبعوث حقاً بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. كانت له آيات ظاهرة وبيّنات زاهرة مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطفة من غير تعليم سالف، وجميع الأنبياء وحيهم أربعون سنة، وقد أوحى إليه إنطاقاً في المهد، وأوحي إليه بلاغاً عند الثلاثين. انظر: المصدر السابق، ص٥٩ - ٦٠.

(٢) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلًا، فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنها اشتق اسم النصارى، وكان أهلها عيّروا مريم. وأهل القدس يأبون ذلك، ويزعمون أن المسيح إنما ولد في بيت لحم، وانتقلت به أمه إلى هذه القرية، وذُكر في الإنجيل يسوع الناصري. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٢٥١.

(٣) الخليل: بلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب بيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيها قبر الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوّار وقوّام في الموضع وضيافة للزوار، وبالخليل سُمي الموضع، واسمه الأصلي حبرون، وقيل: حبري. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٧.

(٤) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلّا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار =

الله فيهــم: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧].

ثـم تكلم نسـطور، فقـال: لا أقول كما قال يعقوب، لو كان المسـيح هو الله، مـا كان يـأكل، ويشـرب، ويصلـي، ويصوم، من خشـية غيـره، وما كان ليصلـب، وأنتـم تشـهدون، ولكن أقول هـو كلمة الله وابنه فادعـوه، إنه ابنه. فقـال الآخـران: لا نقول هذا، فخرج نسـطور إلى النـاس، فأخبرهم بمقالته، فاتبعته طائفة، وهم النسـطورية[١]، الذيـن أنزل الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبـة: ٣٠] ثـم تكلّـم إسـرائيل، فقـال: لا أقـول كما قال يعقوب ونسـطور، ولكن أقول: إنه ثالـث ثلاثـة: الله، والمسـيح، ومريم آلهـة. فاتبعته علـى ذلك فرقـة، فهم الإسرائيليـة[٢]، الذين أنــزل الله فيهــم:

= الإله هو المسـيح، وهو الظاهر بجسـده، بل هو هو. فمنهم من قال المسـيح هو الله، ومنهم من قال: ظهر اللاهوت بالناسوت، فصار الناسوت المسيح مظهر الحق الأعلى طريق حلول جرؤ فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة، بل صار هو هو. وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحـد، اقنـوم واحد، إلّا أنه من جوهرين وربما قالوا: طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث، تركبا كما تركبت النفس والبدن، فصارا جوهراً واحداً، اقنوماً واحداً، وهو الإنسـان كلـه، فيقال الإنسـان صار إلهـاً. انظر: الشهرسـتاني، عبدالكريم، والظاهـري، علي بن حزم: الفصل في الملك والنحل وبهامشه كتاب الملل والنحل، ص٦٦ – ٦٧.

(١) النسـطورية: أصحـاب نسـطور الحكيم الذي ظهر فـي زمان المأمون العباسـي، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى الشريعة الإسلامية. قال نسطور: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسـد عيسـى عليه السلام لا علـى طريق الامتـزاج، ولا على طريـق الظهورية كما قالـت اليعقوبية، ولكن كإشـراق الشـمس فـي كوّة وعلى بللـور، وقالوا: إن القتل وقع على عيسـى المسـيح من جهة ناسـوتيّه لا مـن جهة لاهوتيّه، لأن الإله لا تحلّـه الآلام. انظر: الشهرسـتاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والنحل، ج٢، ص٦٤ – ٦٥.

(٢) الإسـرائيلية: الفرقة الثالثة بعد اليعقوبية والنسـطورية، وهي الفرقة الملكائية أصحاب ملكا الذي ظهر بالـروم واسـتولى عليها، ومعظـم الروم ملكائية. قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسـد المسـيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة اقنوم العلم، ويعنون بروح القدس اقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه به ابناً، بل المسـيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسـد المسـيح كما يمازج =

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] .. وعليها أكثر الروم.

ثم تكلم الرابع من العلماء، وهو الملك، قال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واحد أحد، فرد صمد، لا ضدَّ له، ولا ندَّ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]. ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، فأيده الله بالحجة، بقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

فهذه فرق النصارى، وسبب افتراقهم.

ومن فرقهم (الألباتية، والياسرية، والمقدانوسية، والسيالية، والبرطنوشية)[1]، وفرق كثيرة، ولهم خبط كثير، ومقالات ضالّة، تركتها.

= الخمر اللبن. وصرحت الملكائية أن الجوهر غير الأقانيم كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث. انظر: المصدر السابق، ص٦٢.

(١) (الألباتية، والياسرية، والمقدانوسية، والسيالية، والبرطنوشية) والصحيح (الأليانية، والبليارسية والمقدانونية والسبالية والبوطينوسية) وهي الفرق الملكائية أو الفرق التي خرجت من صفوف الملكائية. انظر الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم، الفصل بين الملل والنحل، ج٢، ص٦٢.

فصل في فرق المجوس

المجـوس: كلمـة فارسـية معرّبـة أصلها موكـوس، وذلك أنهم نسـبوا إلى رئيس لهم، كان كثير شعر الأذنين، يقال له موكوس، ثم عربت، فقيل موجوس، ثـم أسـقطوا الـواو الأولى، لكثـرة اسـتعمالهم، فقالـوا: مجوس، وفي النسـبة: مجوسـي. وهـم فرق كثيرة، ومسـائلهم تدور حـول قاعدتيـن: أحدهما امتزاج النـور بالظلمـة، والثانية: سـبب خلاص النور مـن الظلمة. وقالـت فرقة منهم: إن الأصليـن لا يجوز أن يكونا قديمين أزلييـن، فالنور أزلي، والظلمة محدثة. ثـم لهم اختلاف كثير في سـبب حدوثها، ولهم اختـلاف كثير، إذ لا فائدة فيه، ولا عبادة به، ويسعنا جهله.

(١٠) فصل في مذهب الفلاسفة

وتفسيره محب الحكمة، فيلا: محب، وسوف: الحكمة.

فمنهم حكماء الهند، وهم البراهمة، لا يقولون بالنبوة أصلاً. ومنهم حكماء العرب، أكثر حكمهم بالطبع وخطرات القلب، وربما قالوا بالنبوات. ومنهم حكماء الروم، وهم منقسمون، منهم من يميل إلى القدماء، مثل أرستاطاليس[(١)] وإلى الحكماء السبعة، وهم: الملطي[(٢)]، وسقراط[(٣)]، وأفلاطون[(٤)]، والفلاسفة كثير، ولهم مذاهب كثيرة، تركتها اختصاراً.

(١) ارستاطاليس: والصحيح أرسطوطاليس الحكيم (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) علّم المنطق وسماه تعليمات، وإنما هو جرده عن كلام القدماء، وإلّا فلما تخلُ الحكمة عن قوانين المنطق فقط، وربما عدّها آلة العلوم، فقال: الموضوع في العلم الإلهي هو الوجود المطلق، ومسألة البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود، والموضوع في العلم الطبيعي هو الجسم. ومسألة البحث عن أحوال الجسم من حيث هو جسم، والموضوع في العلم الرياضي هو الأبعاد والمقادير، وبالجملة الكمية من حيث إنها مجرّدة. انظر: المصدر السابق، ص١٥٦.

(٢) الملطي: وهو أحد الحكماء السبعة، وهم قتاليس الملطي، وأنكساغورس، وأنكسيمانس، وأنبذكالس، وفيثاغورث، وسقراط، وأفلاطون. وتبعهم جماعة من الحكماء، مثل: فلوطرخيس، وأبقراط، وديمقراطيس، والشعراء النساك، وإنما يدور كلامهم على ذكر وحدانية الباري تعالى، وإحاطته علماً بالكائنات، وفي الإبداع وتكوين العالم، انظر: المصدر السابق، ص١٥٦.

(٣) سقراط: الحكيم الفاضل الزاهد من أثينا، وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورث وأرسالاوس، واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات، وانشغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الأخلاق، وأعرض عن ملاذ الدنيا، واعتزل إلى الجبل، وأقام في غارٍ به، ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان، فثوّروا عليه، وألجأوا الملك إلى قتله، فحبسه الملك، ثم سقاه السم. انظر: المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٤) أفلاطون: هو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين، من أثينا، معروف بالتوحيد والحكمة، تتلمذ على يد سقراط، ولما اغتيل سقراط بالسم قام مقامه، وجلس على كرسيّه، فقد أخذ العلم عن سقراط وطماوس والغريبين: غريب أثينا، وغريب الناطس، وضمّ إليه العلوم الطبيعية والرياضية، ويروى عنه أنه قال: إن للعالم محدثاً مبدعاً أزلياً واجباً بذاته عالماً بجميع معلوماته على نعت الأسباب الكلية، كان الأول، ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل. إلّا مثال عند الباري. انظر: المصدر السابق، ص١٩٦.

وفلاسفة الإسلام مثل: يعقوب بن إسحاق الكندي[١]، وحنين[٢]، ويحيى النحوي[٣]، وأبي الفرج[٤]، وأبي سليمان النحوي[٥]، وأبي زكريا ثابت بن قّرة[٦]،

---

(١) يعقوب بن إسحاق الكندي: يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف، فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كندة، نشأ في البصرة، وانتقل إلى بغداد، فتعلم، واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك، وألّف، وترجم، وشرح كتباً كثيرة، يزيد عددها على ثلاثمائة، ولقي في حياته ما يلقاه أمثاله من فلاسفة الأمم. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٨، ص١٩٥. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ج١٢، ص٣٣٧.

(٢) حنين: حنين بن إسحاق العبادي، أبو زيد: طبيب، مؤرخ، مترجم، كان أبوه صيدلانياً، من أهل الحيرة، سافر حنين إلى البصرة، فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وانتقل إلى بغداد، فأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية. فانتهت إليه رياسة العلم بها بين المترجمين، اتصل بالمأمون، فجعله رئيساً لديوان الترجمة، له مؤلفات كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٢، ص٢٨٧ - ٢٨٨. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٤٩٢.

(٣) يحيى النحوي: يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي، «الفرّاء» إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفرّاء أمير المؤمنين في النحو، وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. له مؤلفات كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٨، ص١٤٥ - ١٤٦. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١١٨.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصفهاني: من أئمة الأدب الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ولد في أصفهان سنة ٢٨٤هـ ونشأ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦هـ. قال الذهبي: «والعجب أنه أموي شيعي» من كتبه «الأغاني» جمعه في خمسين سنة، و«مقاتل الطالبيين». و«أيام العرب» و«جمهرة النسب». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٧٨. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٠١.

(٥) أبو سليمان النحوي: هو محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، أبو سليمان المنطقي، عالم بالحكمة والفلسفة والمنطق، من أهل سجستان (والنسبة إليها سجستاني وسجزي) سكن بغداد، ولزم منزله، لعور فيه وبرص كانا يمنعانه من غشيان منازل الأمراء والوزراء، وأقبل العلماء والحكماء عليه، وكان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه يكرمه ويفخمه. له تصانيف، منها: «رسالة في مراتب قوى الإنسان» ورسالة في «اقتصاص طرق الفضائل» وكتاب «صوان الحكمة» و«شرح كتاب أرسطو». توفي سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص١٧١.

(٦) أبو زكريا ثابت بن قرّة (٢٢١ - ٢٨٨هـ): ثابت بن قّرة بن زهرون الحراني الصابئي، أبو الحسن: =

وعيسى بن عيسى الوزير[١]، وأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا[٢]، وكثير منهم، تركتهم. ولهم مقالات كثيرة في الخلقة، والفطرة، والرجعة، والحلول، وتقسيم الأفلاك، والدوائر، والألفاظ، والحسّ، والعرض، والوجود، والوهم، وغير ذلك، لم أشرحه، لأن الحاجة غير داعية إليه، والعبادة منوطة بغيره.

= طبيب، حاسب، فيلسوف. ولد ونشأ بحران (بين دجلة والفرات) وحدثت له مع أهل مذهبه (الصابئة) أشياء أنكروها عليه في المذهب، فحرّم عليه رئيسهم دخول الهيكل، فخرج من حران، وقصد بغداد، فاشتغل بالفلسفة والطب، فبرع. صنف نحو ١٥٠ كتاباً. توفي في بغداد سنة ٢٨٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٩٨. وانظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٨٥.

(١) عيسى بن عيسى الوزير: هو عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح (٣٠٢-٣٩١هـ/ ٩١٤-١٠٠١م) أبو القاسم، كاتب عارف بعلوم الأوائل، من أهل بغداد، كان أبوه من كبار الوزراء، وعمل هو في ديوان الرسائل للخليفة الطائع لله ببغداد، ومات بها. قال أبو حيان: عيسى بن علي له الذرع الواسع والصدر الرحيب في العبارة، حجة في النقل والترجمة والتصرف في فنون اللغات وضروب المعاني والعبارات، أعين بالعمر الطويل، لكنه بخيل بكلمة واحدة لسودائه الغالبة عليه ومزاجه المتشيط بها. قال ابن كثير: كان صحيح السماع للحديث، كثير العلوم، اتهم بشيء من مذهب الفلاسفة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٠٦.

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ): الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى، نشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها. صنف نحو مئة كتاب بين مطوّل ومختصر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢. وانظر شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٣١.



الباب الثاني

في آراء العرب في الجاهلية وما كانوا عليه

وأما معطلة العرب في الجاهلية أصناف شتى:

صنف أنكروا الخالق والمخلوق، والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع، فالطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر الله عنهم، وقالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. إشارةً منهم إلى الطبع، فأكذبهم الله بآيات كثيرة في القرآن.

وصنف منهم أقرَّ بالخالق وابتداء الخلق، ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنها شفعاؤهم في الآخرة عند الله، وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقرّبوا القرابين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وأحلوا وحرّموا.

ومنهم من كان يعبد الملائكة، ويقولون: هم بنات الله.

ومنهم من كان يقول: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وشبهات العرب مقصورة على هاتين الشبهتين، أحدهما: إنكار البعث بعد فناء الأجساد، والثانية: جحود البعث، فعلى الأولى قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ١٦، ١٧]، وعبروا عن ذلك في أشعارهم (١١).

قال شاعرهم:

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو[1]

(١) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ج٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

ولبعضهم في أهل بدر:

فماذا بالقليب قليب بدر من الشترى يكلل بالسنام
وخبرنا الرسول بأن سيحيى فكيف حياة أصداءٍ وهامِ[١]

ومن العرب من يعتقد بالتناسخ، ويقول: إذا مات الإنسان، أو قتل، اجتمع دم الدماغ، وخرج منه طير يسمى الهامة، فيرجع إلى القبر في دور كل مائة سنة، وعلى هذا أنكر عليهم الرسول ﷺ، فقال: (لا هامة، ولا طيرة، ولا عدوى، ولا صفر). ومنهم من أنكر الرسول والرسل كافة. ومنهم من يريد أن يأتي من السماء ملكٌ رسولاً. وكانت ثقيف[٢] تعبد اللات[٣]، وقريش[٤]

---

(١) انظر البيتين في المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٢) ثقيف: ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن عدنان: جدّ جاهلي، النسبة إليه ثقفي، قيل: اسمه قسيّ، وثقيف لقبه، كانت منازل بنيه في الطائف، وهم عدّة بطون، بقي منهم إلى عصرنا هذا كثيرون، وكان صنمهم في الجاهلية «اللات» مبنياً على صخرة في الطائف، هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة، وكانت تلبيتهم قبل الإسلام إذا حجّوا: «لبيك اللهم، إن ثقيفاً قد أتوك، وأخلفوا المال وقد رجوك». وفي النسابين من يعدّ ثقيفاً من بقايا ثمود، غير أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان يكذّب ذلك. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٠٠.

(٣) اللات: اسم صنم كانت تعبده ثقيف وتعطف عليه العزى، قالوا: وهو صخرة كان يجلس عليها رجل كان يبيع السمن واللبن للحجاج في الزمن الأول. وقيل: كان اللات رجلاً من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو بن لحي: لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بنياناً يسمى اللات، واتخذته ثقيف طاغوتاً. وبعد فتح الطائف أمرهم النبي ﷺ بهدمه، والصخرة اليوم تحت مسجد الطائف. قال الشاعر:

لا تنصروا اللات إن الله يهلكها وكيف نصرُكُمُ من ليس ينتصر

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص ٤ - ٥.

(٤) قريش: قريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة من عدنان، جاهلي، من أهل مكة. كان دليل بني كنانة في تجارتهم، فإذا أقبل في القافلة يقال: قدمت عير قريش، فغلب لفظ «قريش» على من كان في عهده من بني النضر بن كنانة، وقال قائل: إنه لقب لفهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقائل: إن بني النضر بن كنانة سموا قريشاً لتقرشهم أي تجمعهم في أيام قصي بن كلاب النضري الكناني، وقال قائل غير هذا. والقرشيون قسمان: «قريش البطاح» وهم من ولد قصي بن كلاب وبنو كعب بن لؤي، و«قريش الظواهر» وهم من سواهم. وقد تفرع من هذين القسمين بطون كثيرة. وللزبير بن بكار كتاب «أنساب قريش وأخبارها». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ١٩٥.

تعبـد العـزى[١]، وهبـل[٢] ومنـــاة[٣]، لـلأوس[٤]، والخـــزرج[٥]، وغســـان[٦]،

---

(١) العزى: صنم كان لثقيف، والعزى سَمُرَةٌ كانت لغطفان يعمن دونها، وكانوا بنوا عليها بيتاً، وأقاموا لها، سـدنة، فبعث النبـي ﷺ خالد بن الوليد إليها، فهدم البيت، وأحرق السّـمرة. وقال ابن حبيب: العزى شجرة كانت بنخلة عندها وثن تعبده غطفان، وسدنتها من بني صرمة بن مرّة. وكانت العرب وقريش تسمي بها عبد العزى، وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبائـح. وكانـت قريش تطوف بالكعبة وتقول: الـلات والعزة ومناة الثالثة الأخـرى، فإنهن الغرانيق العلـى، وإن شـفاعتهن لترتجـى، وكانوا يقولون: بنات الله ﷻ، وهنّ يشـفعن إليـه. وبقيت حتى بعث رسـول الله ﷺ خالد بن الوليد، فقطع الشـجر، وهدم البيت، وكسر الوثن. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ١١٦ - ١١٨.

(٢) هُبـل: صنـم لبنـي كنانة بكر ومالك وملكان، وكانت قريش تعبده، وقيـل: كان هبل من أصنام الكعبة، صنع من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش، فصنعت له يداً من ذهب. وكان أول مـن نصبه خزيمة بـن مدركة بن الياس بن مضر، وكان يقال له هبل خزيمة. ويوم فتح مكة دخل النبي ﷺ المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعن بسنيّة قوسه في عيونها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وأمر بإخراجها من المسجد وإحراقها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٣) منـاة: اسـم صنم فـي جهة البحر مما يلي قديداً على سـبعة أميـال من المدينة، وكانت الأزد وغسـان يهللون له ويحجون إليه، وكان أول من نصبه عمرو بن لحي الخزاعي، وكانت الأوس والخزرج ومن يأخـذ مأخذهـم من عرب أهـل يثرب يأتون مناة أثناء الحج، ولا يرون لحجهـم تماماً إلّا بذلك. وقد هدمه علي بن أبي طالب عام فتح مكة سـنة ٨هـ. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٠٤.

(٤) الأوس: أوس بـن حارثة بـن ثعلبـة، من بني مزيقياء، من الأزد، من كهـلان: جدّ قبيلة الأوس (إحدى قبيلتـي الأنصـار: الأوس والخزرج) تحوّل بنوه من اليمن إلى يثرب (المدينة المنورة) وجاء الإسـلام وهـم فيهـا، وتفرعت عنهم بطـون متعددة، وكان صنمهم فـي الجاهلية «مناة» منصوبـاً بفدك مما يلي ساحل البحر، يشاركهم فيه الخزرج. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٣١.

(٥) الخزرج: الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمـــرو مزيقياء، من الأزد، من قحطان: جدّ جاهلي، بنـــوه من أصل يماني، نزلوا بيثرب، هم وأبناء عمهم الأوس، وتعرف القبيلتان بالأنصار. وبطون الخزرج كثيـرة، منهم: «بنو النجار» واسـمه تيـم الله، و«بنو عـــوف» و«بنو غنم» و«بنو جشـم» وآخـــرون. وللزبير بـن بـكار كتـــاب «الأوس والخـزرج». انظـر: الزركلـي، خيـر الـديـن: الأعــلام، ج٢، ص ٣٠٤.

(٦) غسان: اسم من ماء نزل عليه بنو مازن بن الأزد بن الغوث، وهم الأنصار وبنو حنيفة وخزاعة فسمّوا به.

وفي كتاب عبد الملك بن هشام: غسان ماء بمأرب باليمن، كان شراباً لبني مازن بن الأزد بن الغوث، ويقال: غسـان ماء بالمشـلَّل قريب من الجحفة، وقال نصر: غسـان ماء باليمن بين رمع وزبيد، وإليه =

وإسـاف، ونائلــة[١]، وكانا على الصفا[٢]، والمروة[٣]، وضعهما عمرو بن لحي الخزاعي[٤]، يذبح لهما تجاه الكعبة، وقيل: إنهما رجل وامرأة، يسميان إسياف

= تنسب القبائل المشهورة، قيل: هو اسم دابة وقعت في هذا الماء فسمي بها. قال الشاعر:

يـا بنـت آل معـاذ إنني رجـل ... مـن معشـر لهـم فـي المجـد بنيـان

شـم الأنـوف لهـم عـزّ ومكرمـة ... كانـت لهـم من جبـال الطـود أركان

أمـا سـألـت فـإنـا معشر نجب ... الأزد نسبتنا والـمـاء غسان

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٣ - ٢٠٤.

(١) إِسـاف ونائلة: صنمان كانا بمكة. قال ابن إسـحاق: هما مسـخان، وهما إسـاف بن بغاء، ونائلة بنت ذئـب، وقيل: إسـاف بن عمـرو، ونائلة بنت سـهيل، وإنهما زنيا فـي الكعبة فمُسـخا حجرين، فنصبا عنـد الكعبـة، وقيـل: نُصب أحدهما علـى الصفا والآخر على المـروة ليُعْتبر بهما، فقـدم الأمر، فأمر عمرو بـن لحـي الخزاعي بعبادتهما. وعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب. فكانا على ذلك إلى أن كسـرهما رسـول الله ﷺ يوم الفتح في ما كسـر من الأصنام. وجاء بعض أحاديث مسلم بن الحجاج: كان إساف ونائلة بشط البحر، وكانت الأنصار في الجاهلية تهلّ لهما، والصحيح أن التـي كانت بشـط البحـر مناة الطاغيـة. انظر: الحمـوي، ياقوت بن عبد الله: معجـم البلدان، ج١، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٢) الصفـا: الصفـا العريـض من الحجـارة الملس، والصفـا مكان مرتفع مـن جبل أبي قبيـس، بينه وبين المسـجد الحـرام عـرض الوادي الذي هو طريق وسـوق، ومـن وقف على الصفـا كان بحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة. قال نُصيب:

وبيـن الصفـا والمروتيـن ذكرتكـم ... بمختلـف مـن بيـن سـاع وموجـف

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٤١١.

(٣) المـروة: جبـل بمكـة يعطف على الصفـا، قال عرّام: ومن جبـال مكة المروة جبل مائـل إلى الحمرة، أخبرني أبو الربيع سليمان بن عبد الله المكي المحدّث أن منزله في رأس المروة، وأنها أكمة لطيفة في وسـط مكة تحيط بها، وعليها دور أهل مكة ومنازلهم، قال: وهي من جانب مكة الذي يلي قعيقعان، وقد ثنّاه جرير وهو في قوله:

فـلا يقربـنّ المروتيـن ولا الصفـا ... ولا مسـجد الله الحـرام المطهّـرا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص١١٦.

(٤) عمرو بـن لحـي الخزاعي: عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بـن عامر الأزدي، من قحطان: أول من غير دين إسـماعيل، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. كنيته أبو ثمامة. وفي نسـبه خلاف شـديد. وفي العلماء من يجزم بأنه مُضري من عدنان، لحديث انفرد به أبو هريرة. وهو جد «خزاعة» عند كثير من النسابين، ورئيسها عند بعضهم. ومنهم يسميه «عمرو بن ربيعة» ويجعل لحياً لقباً لربيعة، وخلاصة ما قيل في خبره أنه كان قد تولى حجابة «البيت الحرام» بمكة، وزار بلاد الشام ودخل أرض «مآب» في وادي الأردن، فوجـد أهلهـا يعمن دون الأصنام، فأعجب بذلك، وأخذ عـدداً منها، ونصبها في مكة، =

ونائلة، فجرا في الكعبة، فمسخا حجرين. وكان لبني ملكان[١] من كنانة صنم، يقال له سعد[٢]، وهو الذي يقول فيه الشاعر هذين البيتين شعراً:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فما نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة يلفظونها من الأرض لا تدعو لغيّ ولا رشد[٣]

وكانت العرب إذا لبّت[٤]، تقول في تلبيتها: اللهم لبيك لا شريك لك، لبيك، لا شريكاً هو لك، تملكه ولا ملك. ومن العرب من كان يميل إلى اليهودية. ومنهم من مال إلى النصرانية. وآخر صبا إلى الصابئة، وكانوا يعتقدون في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيّارات، حتى لا تتحرك ولا تسكن إلّا بها. وكان لهم من العلم، علم الأنساب، وعلم التواريخ.

وممن كان يجل ويرفع قدره ومجلسه، ويحكم بين الخصوم عبد المطلب بن هاشم[٥]، وكان يأمر قريشاً بترك الظلم والبغي، ويحثهم على

= ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها، فكان أول من فعل ذلك من العرب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٨٤.

(١) بنو ملكان: ملكان (أخو مَلْك) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، من مضر: جدّ جاهلي. بنوه بطون جمة. وكان لهم صنم في الجاهلية يقال له «سعد» وهو صخرة طويلة بفلاة في أرضهم. وكان لبعضهم في الإسلام، عدد وثروة ووجاهة بمرسية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٨٨.

(٢) سعد: صنم بساحل جدّة، وهو صخرة طويلة، وكان لمالك وملكان ابني كنانة، فأقبل رجل منهم بإبل ليقفها عليه تبرّكاً به، فلما دناها نفرت منه، فذهبت في كل وجه، وتفرقت عنه، فتناول حجراً ورماه وقال: لا بارك الله فيك إلهاً، أنفرت علي إبلي. وقال البيتين المذكورين من الشعر. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٢١.

(٣) انظر: البيتين في: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٢١.

(٤) في الأصل: أهلبت، والصحيح ما أثبتناه في النص «لبّت».

(٥) عبد المطلب بن هاشم: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث: زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه في مكة. كان عاقلاً ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه، ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة، مارس الحكومة العظمى بمكة من سنة ٥٢٠ إلى سنة ٥٧٩م، وخلص وطنه من غارة الحبشة. وهو =

مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيّات الأمور (١٢)، وكان يتولى حكومات العرب، وتوضع له وسادة عند الملتزم، فيستند عليها. وكان هاشم بن عبد مناف[١] خطيب العرب، وله الخطبة المشهورة التي سمتها العرب الحكيمة، قيل: إنه وقع بين بني عذرة[٢] وبني خزاعة[٣] حرب في سبب غلام لخزاعة، قتله غلام لعمرة بنت قبيصة العذرية، فلم ترض خزاعة إلّا بقتله، فلما تقاوموا للحرب، خشي هاشم أن تنتهك حرمة الحرم، نصب منبره إلى جانب الكعبة.

= جدّ رسول الله ﷺ. قيل: اسمه شيبة و«عبد المطلب» لقب غلب عليه. وهو ممن وفد على الملك «سيف بن ذي يزن» في وجوه قريش يهنئونه بالنصر على الحبشة، وهو أول من خضب بالسواد من العرب. وكان أبيض مديد القامة. مات بمكة عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٥٤.

(١) هاشم بن عبد مناف: هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة، من قريش: أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية، ومن بنيه النبي ﷺ. اسمه عمرو، وغلب عليه لقبه «هاشم» لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات. وهو أول من سن الرحلتين لقريش للتجارة: رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى غزة وبلاد الشام. وكان أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم. ولد بمكة، وساد صغيراً، فتولى بعد موت أبيه سقاية الحاج ورفادته (وهي إطعام الفقراء من الحجاج). توفي في غزّة، ويقال لغزّة: «غزّة هاشم». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٦٦.

(٢) عذرة: عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث، من قضاعة، من قحطان: جدّ جاهلي. من بنيه بطون عامر، وكاهل، وإياس، وعوف، ورفاعة، وبنو عذرة هؤلاء هم المعروفون بشدة العشق والعفة فيه. وأخبار بني عذرة كثيرة ومتفرقة في كتب الأدب. وكان لبعضهم صنم في الجاهلية يقال له: «شمس». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٢٢.

(٣) خزاعة: خزاعة، من بني عمرو بن لحي، من مزيقياء، من الأزد، من قحطان: جدّ جاهلي، أو لقب جدّ، من بني عمرو بن لحي، اختلف النسابون في اسمه. وقيل: خزاعة اسم قبائل من نسل عمرو بن لحي. وفي النسابين من يجعلهم عدنانيين من معد، والأكثر على أنهم قحطانيون. كانت منازلهم بقرب الأبواء (بين مكة والمدينة) وفي وادي غزال ووادي دوران وعسفان في تهامة الحجاز، ورحل بعضهم إلى الشام وعُمان، وهم بطون كثيرة، صنمها في الجاهلية «ذو الكفين» تشاركها فيه قبائل «دوس»، كانت ولاية البيت الحرام في خزاعة ثلاثمائة عام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٣٠٤.

وقـال[١]: يـا أيها النـاس، نحن آل إبراهيم[٢]، وذرية إسـماعيـل[٣]، وولد النضر بـن كنانة[٤]، وبنو قصي بن كلاب[٥]، أرباب مكّة، وسـكان الحرم، لنا ذروة الشـرف، ولبـاب الحسـب، ومعدن المجـد، وغاية العـزّ، ونحن جبال الأرض، ودعائم الحق، وسادات الأمم، ولكلٍّ من كلٍّ خلف، تجب نصرته، وتلبى عشـيرته، إلّا ما دعى إلى عقوق عشـيرة، أو قطع رحم، وقد جمعتكم

(١) هكذا وردت في النسـخة الأصلية ب، ص ١١، بينما جاء في النسـخة الظاهرية عنوان «خطبة هاشـم» انظر ص ١٢.

(٢) إبراهيم: ويسـميه المسـلمون خليل الله، ويعدّونه جدّ العرب عن طريق ابنه إسماعيل، وهو أحد الأنبياء والجـدّ الأعلـى للنبي محمـد ﷺ. ذُكرت قصته في القـرآن غير مرّة، عبد قومه الأوثـان، فحاجّهم في أمرها، ولما لم يمتثلوا كَسَـرَها، فأوقدوا النار لإحراقه، ونجاه الله منها، عاش بعد نوح وعارض ثمود، رحل إلى فلسطين، ثم تركها على أثر جدب حلّ بها إلى مصر، وهنا أهدي هاجر، فأنجبت له إسماعيل مما أثار غيرة زوجته سارة، فرحل مع الابن والأم إلى مكة، حيث بنى الكعبة، وكان النبي ﷺ يتحنّف على ملته قبيل الإسلام. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٢.

(٣) إسـماعيل: إسـماعيل بن إبراهيم الخليل بن أزر، من نسـل سام بن نوح، رأس السـلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة، نزل بمكة مع أمه هاجر نحو سنة ٢٧٩٣ قبل الهجرة وهو طفل، وساعد أباه في بناء الكعبة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ الآية. واستمر البيت على ما بناه إبراهيم وإسـماعيل إلى أن هدمته قريش ٣٥ سـنة من مولد الرسـول ﷺ. تزوج إسماعيل بعد وفاة أمه بامرأة من جرهم (الثانية من قحطان) فولدت له اثني عشـر ذكراً. وتوفي بمكة، ودفن بالحجر عند قبر أمه. ورد اسمه مرّات في القرآن الكريم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٤) النضر بن كنانة: النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، من بني نزار من عدنان: جدّ جاهلي. من سلسلة النسـب النبـوي، كنيته أبو يخلد، وقيل: اسـمه قيس، ولقب بالنضر لجماله. بنـوه قبائل وبطون كثيرة. كانت مسـاكنهم حول مكة وما والاها. وفي النسـابين من يرى أنه هو «قريش» أمه برة بنت مر بن أد. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٣٣.

(٥) قصي بن كلاب: قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي: سيد قريش في عصره، ورئيسهم قيل: هو أول مـن كان لـه ملك من بني كنانة. وهو الأب الخامس في سلسـلة النسـب النبـوي. مات أبوه وهو طفـل، فتزوجـت أمه برجـل من بني عذرة، فانتقل بها إلى أطراف الشـام، فشـبّ في حجره، وسـمي «قصياً» لبعده عن دار قومه. ويشـير أكثر المؤرخين على أن اسـمه «زيد» أو «يزيد» ولما كبر عاد إلى الحجـاز، وكان موصوفـاً بالدهاء. وولي البيت الحرام، فهـدم الكعبة، وجدد بنيانها. كانت له الحجابة والسـقاية والرفـادة والنـدوة واللواء، وكانت قريش تتيمن برأيه، فلا تبـرم أمراً إلّا في داره، وهو الذي أحدث وقود النار في «المزدلفة» ليراها من دفع من عرفة. مات بمكة ودفن بالحجون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ١٩٨ - ١٩٩.

خـوف أن تقتادكم العجلة، وسـوء الرأي، وجهـل المعرفة، إلى حصر القمة، وجز الساعد، فيتحمل كل امرئٍ صبابة على أخيه، مستأصلاً على قطع الرأس بحيث قطع، يسـتأصل به باسـقات فروعه، قطعاً يردع الجهل قد يف الكبد، وتنغلق اللسـان المقددة البعيدة أفواقها، ويكف ويقرع المهادن جمة الدجن، ويظهر قصبه من السهم، والريح الحواصن، وهو مضمر مستودع أنفاسها، فإذا كان كذلك، طاش حلم الأريب، وضل رأي المصيب، واتسع فرى التسوية، ووشـل ترح العرب، واتصـل لحام الفتن، وقيل: قد ضـاق الطريق، وهنالك يغلب الأمر آمره، ويملك السـهم قصده، ويقتر الحجر شـديخه، ويسـتر كل امرئٍ ما دفن.

يـا بنـي خزاعة، إن بنـي أبيكم حملوا إليكـم قيمة عبدٍ رمتـه المنيّة عن يد الخطـأ، فوافق أجَله، فلو كان عن إرصاد طالب، كان عهداً، وقد أبيتم قبول ما هو سـنّة العرب، لتعظم نيران الهنبثة، فتكون هامة تهتف العرب بشـؤمها، وقد حكمـتُ عليكـم بقبول قيمته، وعلى بني عذرة بدفـع ذلك إليكم، فمن أمحكه اللجـاج، وتـرك ما حكمـتُ به عليه، فأنا حلـف عليه، ومادّة عـدوه إليه، حتى يحتقبها السفر، وترفل بها خوص الركاب إلى حكّام العرب، فتصير مثالاً.

أيهـا الناس، الحلم شـرف، والصبر ظفر، والجود سـؤدد، والمعروف كنز، والحـرب خدعـة، والأيـام دول، والدهر عبر، (١٣) والمرء منسـوبٌ إلى فعله، مأخـوذ بعملـه، فاستشـعروا الصبر، يجزكـم الفوز، ودعـوا الفضـول، تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس، يعمر ناديكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكـم والأخـلاق الدنيئـة، فإنها تضع الشـرف، وتهدم المجـد، ألا وقد أنبأت مخافة المستعجم، فلربّ بعير مستعد التسعين، سليم الشوى، بعيد الخطو، وقمّة قرع الرياضة، وتخلص هادية، جيد الجرير، فاثقب مدمجه، رضيض إلّا ما عزّ، لبعد المدلجة، فأرجل راكبه، ومتعشـى ركب أعطش أهله أملاص مرس السـير

به، لترك أحكام عقد الكرب، فلم ينخ إلّا بلمضة المرتضع، فشدقاه، وإن نهنهة الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيرة يحمل ثقلها، ومقام الحكم عظة لمن انتفع، ألا وإني لأحب رأب الشعب، وجمع الفرقة. ثم نزل ورمى بأسلحتهم.

قال ابن العباس: وللعرب أقوال كثيرة، ومذاهب شتى، فأهل مكة يقولون: الله ربنا وحده لا شريك له، والملائكة بناته، فلم يؤمنوا. وقال عبدة الأصنام: الله ربنا وحده لا شريك له، والأصنام شفعاؤنا عنده، فلم يؤمنوا. وقالت اليهود: ربنا الله وحده لا شريك له، وعزير ابنه، فلم يؤمنوا. وقالت عبدة الشمس: الله ربنا والشمس تشفع لنا، فلم يؤمنوا. وقال المسلمون: الله ربنا وحده لا شريك له، والنبيّون عبيده ورسله، فآمنوا وصدقوا.

وكان للعرب علم الرؤيا في الجاهلية، وكان أعلمهم به أبو بكر الصديق[١] ﵁، فكان يعبر الرؤيا في الجاهلية، فيصيب، وكانوا يرجعون إليه، ويستخبرون منه. وكانت في العرب بقيّة يؤمنون بالله واليوم الآخر، وينتظرون ظهور النبي ﷺ، منهم: قس بن ساعدة الإيادي[٢]، وكان يقول في مواعظه: كلّا

(١) أبو بكر الصديق: عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعظم العرب، ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقّبه بعالم قريش. وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة ١١هـ، فحارب المرتدين، مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف الشهر، توفي في المدينة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٣١٠ ـ ٣١٧، وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام ج٤، ص١٠٢.

(٢) قس بن ساعدة الإيادي: قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه «أما بعد» وكان يفد على قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظّمه. وهو معدود من المعمرين، طالت حياته، وأدركه النبي ﷺ قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يُحشر أمة وحده. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام ج٥، ص١٩٦.

ورب الكعبة، ليعودنَّ ما باد، ولئن ذهب، وليعودنَّ ما ذهب، وقال: كلّا، بل هو الله إله، ليس بمولود، ولا والد، أعاد وأبدى، وإليه المآب غدا.

وفي ذلك يقول شعراً:

يا باكي الموت والأموات في جدث[١] — عليهمُ من بقايا برِّهم خِرَقُ

دعهم فإنَّ لهم يوماً يُصاح بهم — كما يُنبّه من نوماته الصَّعِقُ (١٤)

حتى يجيئوا[٢] بحال غير حالهم — خلقٌ مضوا ثم هذا بعد أن خلقوا

منهم عراة وموتى في ثيابهم — منها الجديد ومنها الدارس[٣] الخلقُ[٤]

وله أخبار كثيرة تركتها.

ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل[٥]، الذي يقول: كل دين يوم القيامة عند الله لعله باطل، إلا دين الحنفية نور. وله أشعار كثيرة تركتها.

ومنهم عمرو بن الضرب العدواني[٦]، كان من حكماء العرب، وله وصية

---

(١) «يا باعث الخلق والأموات في جدثٍ»: انظر: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٨٦.

(٢) «حتى يجيبوا بحال غير حالهم». انظر: المصدر السابق، ص٢٨٦.

(٣) «منها الجديد ومنها الأزرق الخلق»: انظر: المصدر السابق، ص٢٨٦.

(٤) انظر الأبيات في المصدر السابق، ص٢٨٦.

(٥) زيد بن عمرو بن نفيل: زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء، وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، كان يكره عبادة الأوثان، ولا يأكل مما ذبح عليها، ورحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبدالله على دين إبراهيم. وجاهر بعداء الأوثان، فتألب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة، فانصرف إلى «حراء» فسلط عليه عمه الخطاب شباناً لا يدعونه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سراً. وكان عدواً لوأد البنات، لا يعلم ببنت يراد وأدها إلّا قصد أباها وكفاه مؤونتها، فيربيها حتى إذا ترعرعت عرضها على أبيها، فإن لم يأخذها، بحث لها عن كفؤ، فزوجها به، ورآه النبي قبل النبوة، وسُئل عنه بعدها، فقال: يبعث يوم القيامة أمة واحدة. توفي قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٦٠.

(٦) عمرو بن الضرب العدواني: والصحيح عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني، ذو الحلم، حكيم، خطيب، رئيس من الجاهليين. كان إمام مضر وحكمها وفارسها، وممن حرّم الخمر في الجاهلية، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً، ولا بحكمه حكماً، وهو أحد المعمرين في الجاهلية، وأول من =

طويلة وموعظةٌ حسنة، يقول في آخرها: ما رأيت ساقطاً خلق نفسه، ولا رأيت موضوعـاً إلا مصنوعـاً، ولا جائيـاً إلّا ذاهباً، ولا حياً إلا ميتـاً، ولو كان يميت النـاس الـداء، لأحياهـم الدواء، ثم إنـي لأعلم أموراً شـتى، وحتـى، فقيل له: وما حتى؟ قال: حتى يرجع الميت حياً، ويعود لا شـيء شـيئاً، ولذلك خلقت السماوات والأرض. وكان عمرو قد حرم الخمر على نفسه، وله فيها أشعار.

وممـن حرم الخمر على نفسـه، قيس بـن عاصم التميمـي(١)، وصفوان بن أميّة بـن الحـارث الكنـدي(٢)، وعفيف بـن معـد يكرب الكنـدي، وقالـوا فيها الأشـعار. ومنهم عبدالله بن طابخة بن ثعلب بن وبرة القضاعي(٣)، وكان مؤمناً بالله، وقال في ذلك شعراً:

= قرعت له العصا، وكان يقال له «ذو الحلم». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٥٢.

(١) قيس بـن عاصم التميمي: قيس بن عاصم بن سـنان المنقري السـعدي التميمـي، أبو علي، أحد أمراء العـرب وعقلائهـم الموصوفيـن بالحلـم والشـجاعة فيهم. كان شـاعراً، اشـتهر وسـاد فـي الجاهلية. وهـو ممـن حـرّم على نفسـه الخمر فيهـا، ووفد على النبي ﷺ في وفد تميم سـنة ٩هـ فأسـلم، فقال النبي ﷺ لما رآه: هذا سيد أهل الوبر، واستخدمه على صدقات قومه. ثم نزل البصرة في أواخر أيامه، وروى أحاديـث. وتوفـي بها. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابـة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤١١ ـ ٤١٣، وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام ج٥، ص٢٠٦.

(٢) صفوان بن أمية بن الحارث الكندي: جاء في الملل والنحل: «وممن كان قد حرّم الخمر في الجاهلية: قيس بـن عاصـم التميمـي، وصفوان بن أمية بـن الحارث الكنانـي، وعفيف بن معد يكـرب الكندي، وقالوا فيها أشعاراً، وقال الأسلوم اليالي، وقد حرّم الخمر والزنا على نفسه:

سـالمت قومي بعـد طـول مضاضة ... والسـلم أبقـى فـي الأمـور وأعـرفُ
وتركـت شـرب الـراح وهـي أثيـرة ... والمومسـات وتـرك ذلـك أشـرفُ
وعففـت عنـه يـا أميـم تكرمـاً ... وكـذاك يفعـل دو الحجـى المتعففُ

انظـر: الشهرسـتاني، أبـي الفتـح: الملل والنحـل، دار دانية للطباعة والنشـر، بيـروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص٢٣٩.

(٣) عبدالله بن طابخة: جاء في الملل والنحل، ممن كان يؤمن بالخالق تعالى، وبخلق آدم عليه السلام عبدالله بن طابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة، وقال فيه:

أدعـوك يـا ربـي بمـا أنـت أهلـه ... دعـاء غريـق قـد تشـبّث بالعُصَـمْ
لأنـك أهـل الحمـد والخيـر كلـه ... وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلمْ

انظر: الشهرستاني، أبي الفتح: الملل والنحل، ص٢٣٩.

وأنت القديم الماجد الواحد الذي بدأت بخلق الناس في الزمن القدمْ
وأنت الذي أحللتني غيب ظلمة إلى ظلمة من صلب آدم في ظلمْ[١]

ومنهم زهير بن أبي سلمى[٢]، كان إذا مرّ بالشجر وقد أورق، بعدما يبس، فيقول: لولا أن تسبني العرب لآمنت بمحييك، إن الذي أحياك بعد يبس، سيحيي العظام وهي رميم. وهو صاحب القصيدة التي يقول فيها هذين البيتين، شعراً:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدّخر ليوم الحساب أو يعجّل فينقمِ
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلمِ[٣]

ومنهم غلاف بن شهاب التميمي[٤]، وهو القائل هذين البيتين، شعراً:

---

(١) انظر: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٨٧. وفي الشهرستاني، أبي الفتح: الملل والنحل، ص ٢٣٩.

(٢) زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، ولد في بلاد المزينة بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى «الحوليات». وله ديوان مطبوع. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٥٢.

ومما قاله عامر بن الضرب العدواني بعد أن حرّم الخمر على نفسه شعراً:

إن أشرب الخمر أشربها للذتها وإن أدعها فإني ما قلت قالي
لولا اللذاذة والقينات لم أرها ولم تراني إلّا من مدا العالي
سلّابة للفتى ما كان في يدهِ ذهّابة لعقول القومِ والمالِ
قد تورث القوم أضغاناً بلا آخر وترتدي بالفتى ذي النجدة العالي
أقسمت بالله أني لست أشربها حتى يفرق رب الأرض أوصالي

انظر الأبيات في: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٨٦.

(٣) انظر البيتين في: المصدر السابق، ص ٢٨٧.

(٤) غلاف بن شهاب التميمي: وفي الكشف والبيان «غلاف بن شهيد التميمي». انظر: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٨٧.

ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة فأخذت منه خطة المغتالِ (١٥)
وعلمتُ أن الله يجزي عبده يوم الحساب بأحسن الأعمال[١]

وكان من العرب من يقول إذا حضرته الوفاة لولده: ادفنوا معي راحلتي، أُحشر عليها، فإن لم تفعلوا، حُشرت، وسعيت على رجلي، وفي ذلك يقول خرشة بن الأشيم الأسدي[٢]، في الجاهلية، لمّا حضرته الوفاة، هذه الأبيات:

يا سعد أما أهلكنَّ فإنني أوصيك إنّ أخ الوصية أقربُ
لا تتركنَّ أباك يعثر راجلاً في الحشر يُصرعُ لليدين وينكبُ
واحمل أباك على بعير صالح وثق الحناية إنه هو أصوبُ
ولعلّني مما تركتُ مطيّة في الحشر أركبها إذا قيل اركبوا[٣]

ومنهم قيس بن صرمة بن أنس[٤]، وقيل: هو أبو قيس، وهو أحد بني

(١) انظر البيتين في: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٧.
(٢) خرشة بن الأشتم الأسدي: وفي الكشف والبيان للقلهاتي «حرش بن الأشتم الأسدي» والصحيح: جريبة بن أشتم الفقعسي: شاعر جاهلي، كان من القائلين بالبعث، وممن يزعمون أن «من عُقرت مطيته في قبره يُحشر عليها». نسبته إلى فقعس بن الحارث من بني أسد بن خزيمة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١١٨ - ١١٩.
(٣) انظر الأبيات في: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.
(٤) قيس بن صرمة بن أنس: والصحيح صرمة بن قيس بن مالك النجاري الأوسي، أبو قيس، شاعر جاهلي عمّر طويلاً، وترهّب، وفارق الأوثان في الجاهلية. كان معظّماً في قومه. أدرك الإسلام في شيخوخته، وأسلم عام الهجرة. توفي نحو سنة ٥هـ/ ٦٢٧م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٢٠٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤٠٧ ـ ٤٠٨. وقد استندنا في التصحيح على القلهاتي الذي أورد القصيدة (التي ذكر منها الإزكوي بيتين فقط) كاملة حيث يقول: فمن قول أبي قيس صرمة في الجاهلية شعراً:

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلالِ
عالم السرّ والبيان لدينا ليس ما قاله ربنا بضلال
وله الطير تستدير وتأوي في وكور من آمنات الجبالِ
وله الوحش بالفلاة تراها في خفاف وفي ظلال الرمالِ
وله هوّدت يهود ودانت كل دين إذا ذكرت عضالِ
وله شمس النصارى وقاموا كل عيد لديهم واحتفالِ =

عدي بن النجار، ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهر من الحائض، ودخل بيتاً له، اتخذه مسجداً، لاتدخل عليه طامث، وقال: أعبد ربّ إبراهيم، ثم هداه الله للإسلام، عند قدوم النبي ﷺ.

فمن قوله في الجاهلية شعراً:

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلالِ
عالم السر والبيان لدينا ليس ما قال ربنا بضلالِ[1]

وقال ابن زيد[2] عند موته لولده:

أبني زودني إذا فارقتني في القبر راحلةً برحل عابرِ
للبعث أركبها إذا قيل اظعنوا متوسقين معاً لحشر الحاشرِ
من لم يوافيه على عيرانه والخلق بين مدافع أو عاثرِ[3]

ومنهم من كان يربط البلية الناقة معكوسة الرأس على مؤخرها، مما يلي ظهرها، أو مما يلي كاهلها أو بطنها، ويأخذون ولية يشدّون وسطها، ويقلدونها عنق الناقة، ويتركونها كذلك، حتى تموت عند القبر، ويسمونها البليّة. وقال بعضهم يشبه رحالاً: «كالبلايا في أعناقها الولايا».

وكانت العرب في جاهليتها، تحرم أشياء، نزل القرآن بتحريمها: كانوا

= انظر القصيدة كاملة، وهي من خمسة عشر بيتاً في القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٨٨.

(١) انظر البيتين في: المصدر السابق، ص٢٨٨.

(٢) ابن زيد: هو عمر بن زيد التميمي، ذكره القلهاتي في «الكشف والبيان» قال: وقال عمرو بن زيد التميمي يوصي ابنه عند موته:

أبنيّ زوّدني إذا فارقتني في القبر راحلة برجل عابرِ
للبعث أركبها إذ قيل اظعنوا متوسعين معاً لحشرِ الحاشرِ
من لم يوافيه على عبراته والخلق بين مدافع أو عاثر

انظر: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٨٨.

لا ينكحون الأُمهات، ولا البنات، ولا الخالات، (١٦) ولا العمات، وكان أقبح ما يصنعون، الجمع بين الأختين، أو يتخلف على امرأة أبيه، وكانوا يسمون من يفعل ذلك الضيزن سلف، وأول من جمع بين الأختين من قريش، أبو أحيحة سعيد بن العاص[١]، جمع بين هند وصفية، ابنتي المغيرة بن عبد الله بن مخزوم[٢]، وكان إذا مات الرجل عن المرأة، أو طلقها، قام أكبر بنيه، فإن كان له فيها حاجة، طرح ثوبه عليها، وإن لم تكن له إليها حاجة، تزوجها بعض إخوته. وقيل: كانوا يطلقون المرأة ثلاثاً، وأول من طلّق ثلاثاً، إسماعيل بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهما. وكانوا يحجّون البيت، ويعتمرون، ويطوفون بالبيت أسبوعاً، كما قال زهير بن أبي سلمى:

جعلنا القنان عن يمين وحرنه وكم بالقنان من محلّ ومحرمِ[٣]

وكانوا يمسحون الحجر الأسود، ويسعون بين الصفا والمروة، كما قال أبو طالب[٤]:

---

(١) سعيد بن العاص: سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أحيحة: من سادات أمية في الجاهلية، يقال له: «ذو العصابة» و«ذو العمامة» كناية عن السيادة. والعرب تقول: فلان معمم، يريدون أنه مسؤول عن كل جناية يجنيها جانٍ من عشيرته. وقيل: كان سعيد إذا أعتم لم يعتم أحد من قريش حتى ينزع عمامته. من أخباره أنه ذهب إلى الشام في تجارة، فحبسه عمرو بن جفنة، فقال في ذلك شعراً وصل إلى بني عبد شمس، فجمعوا مالاً كثيراً وافتدوه، عاش إلى ما بعد ظهور الإسلام، ومات على دين الجاهلية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٩٦.

(٢) المغيرة بن عبد الله بن مخزوم: المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو هاشم، من سادات قريش في الجاهلية. قال الزبيري في كلامه على «بني مخزوم»: والعدد والشرف والبيت في ولد المغيرة. كان من سكان مكة، معاصراً لعبد المطلب بن هاشم. وعارض عبد المطلب في ذبح ابنه عبد الله، وقال: والله لا تذبحه حتى تعذر فيه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٧٧.

(٣) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٨٩.

(٤) أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي كرّم الله وجهه، وعم النبي ﷺ، وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. نشأ النبي في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. قال فيه الرسول ﷺ: «ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب». مولده ووفاته في مكة. وللسيد محمد علي شرف الدين العاملي =

وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة ومخايلِ[(١)]

وكانوا يقفون المواقف كلها، قال العبدي[(٢)]:

وبالبيت الذي حجت قريش وموقف ذي الحجيج على الآلي[(٣)]

الآل: جبل بعرفة.

وكانوا يهدون الهدي، ويرمون الجمار، ويحرمون الأشهر الحرم، ولا يغزون، ولا يقاتلون فيها سوى طي وخثعم ١٢، وبعض بني الحارث بن كعب، كانوا لا يحجون، ولا يعتمرون، ولا يحرمون الأشهر الحرم، ولا الشهر الحرام، وإنما سمت قريش الحرب التي كانت بينها وبين قيس[(٤)] عام الفجّار، كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيهن، قالوا: قد فجرنا، فسميت تلك السنة بعام الفجّار، وكانوا يكرهون الظلم في الحرم، وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمي[(٥)]:

= رسالة «شيخ الأبطح» في سيرته وأخباره، قال فيها: «إن الشيعة الإمامية وأكثر الزيدية يقولون بإسلام أبي طالب، وبأنه ستر ذلك عن قريش لمصلحة الإسلام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٦٦.

(١) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٨٩.

(٢) العبدي: كذلك ذكره القلهاتي، العبدي، من دون إضافة.

(٣) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٨٩.

(٤) قيس: قيس عيلان بن مضر بن نزار، من عدنان: جدّ جاهلي. بنوه قبائل كثيرة، منها «هوازن» و«سُليم» و«غطفان» و«فهم» و«عدوان» وإذا قيل: قيس ويمن، دخلت العدنانية كلها في قيس، نسباً أو عصبية. ذُكرت القيسية عند النبي ﷺ، فقال: رحم الله قيساً! فقيل: يا رسول الله تترحم على قيس؟ قال: نعم، إنه كان علي دين نبيّنا إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، يا قيس حيّ يمناً، يا يمن حيّ قيساً، إن قيساً فرسان الله في الأرض». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٠٧ - ٢٠٨.

(٥) مضاض بن عمرو الجرهمي: مضاض بن عمرو بن نفيلة الجرهمي: من ملوك العرب في الجاهلية. كان محباً للغزو، كثير المعارك، مقيماً في الحجاز، تابعاً لليمن. وكان قبل الميلاد بزمن بعيد، ويقال: إن إسماعيل النبي تزوج ابنته، وجميع ولد إسماعيل منها. ويؤخذ من رواية نقلها الزبيدي أنه كان معاصراً عمرو بن مزيقياء. كان مضاض يحكم أعلى مكة، ويأخذ العشور ممن يدخلها في تلك الجهة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٤٩.

أبنـيَّ لا تظلم بمكة | لا الصغير ولا الكبيرْ
أبنـيَّ من يظلم بمكة | يلق أطراف الشرورْ[١]

وكانوا ينسئون في كل عام شهراً، وفيهم نزلت ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة: ٣٧]. [١٧] وكان الحمس لا يخرجون مع الناس إلى عرفة، ويقيمون بمنى، وكانوا إذا ذبحوا للأصنام، لطخوها بدم الهدي، يلتمسون الزيادة في أموالهم. ومنهم قصي بن كلاب، كان يأمر بعبادة الله، وينهى عن عبادة الأصنام، وفي ذلك يقول شعراً:

تركت الّلات والعزى جميعاً | كذلك يفعل الرجل الّلبيبُ[٢]

وكانوا يغتسلون من الجنابة، ويغسلون الموتى. وفي ذلك يقول الأفوه الأودي[٣] شعراً:

ألا عللاني وأعلما أن لي عذر | فما قلت تنجيني الشقائق والحذرُ
وما قلت تنجيني إذا ما بدت لكم | مفاصل أوصالي وقد شخص البصرُ
وجاؤوا بماءٍ باردٍ يغسلونني | فيا لك من غسل سيتبعه غبرُ[٤]

وكانوا يكفّنون أمواتهم، ويصلّون عليهم، وكانت صلاتهم، إذا مات الميت، حُمل على سرير، ثم يقوم وليه، ويذكر محاسنه كلها، ويثني عليه، ثم يصلى

---

(١) انظر البيتين في: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٩٠.

(٢) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٩٠.

(٣) الأفوه الأودي: هو صلاءة بن عمرو بن مالك، من بني أود، من مذحج، شاعر يماني جاهلي، يكنى أبا ربيعة. قالوا: لقب بالأفوه لأنه غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم. وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره، أشهر شعره قصيدة منها:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم | ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٠٦ - ٢٠٧.

(٤) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٩٠.

عليه، ثم يدفن، ثم يقول: السلام عليكم ورحمة الله. وقال رجل من كلب لابن عمه في الجاهلية شعراً:

أعمرو إن هلكت وكنت حياً فإني مكثر لك من وصاتي
فاجعل نصف مالي لابن سام حياتي إن حييتُ وفي مماتي[1]

وكانوا يداومون على الطهارات العشر[2]، التي ابتلى الله إبراهيم بها، وسيأتي ذكرها في الباب الخامس. وكانوا يقطعون اليد اليمين من السارق، إذا سرق. وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون من قطع الطريق. وكانوا يوفون بالعقود، ويكرمون الضيف، ويحمون الجار، وكانت لهم الذمة، وفيهم الفصاحة، ويحفظون الأصول من التهجين. وكانوا يتعايرون ويتمادحون، ويحبون مكارم الأخلاق، وفيهم الحمية، والأنفة، والذمة، والهمة، والعصبية، والكرم، والخطب، والأشعار. وهم أفضل ولد سام بن نوح، ويكفيهم من الفضل ما قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ العرب لثلاث: «لأني عربي، وكتاب الله عربي، ولغة أهل الجنة عربية، فمن (١٨) أحبهم فليحبني، ومن أبغضهم فليبغضني**». وقال بعض الشعراء:

قريش خيار بني آدم وخير قريش بنو هاشمِ
وخير بني هاشم كلها رسول الإله أبو القاسمِ

وقيل: خير بني نوح سام، وخير بني سام العرب، وخير العرب قريش، وخير قريش بنو هاشم، وخير بني هاشم بنو عبد المطلب، وخير بني عبد المطلب

(١) انظر البيتين في: المصدر السابق، ص ٢٩٠.
(٢) الطهارات العشر: وهي السنن العشر التي ابتلى الله إبراهيم بها، خمس في الرأس وخمس في البدن، فاللواتي في الرأس: «فرق الشعر، والمضمضة وقصّ الشارب، والسواك، والاستنشاق». واللواتي في البدن: «قلم الأظفار، ونتف شعر الإبطين، وحلق العانة، والاستنجاء من البول والغائط، والختان».
انظر: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

عبد الله أبو النبي، والنبي خير الخلق كلهم أجمعين ﷺ وعلى آله التابعين، وتابعي تابعيهم، إلى يوم الدين.

وقيل: كانت العرب تجعل بحيرة من الإبل، تُمنع درّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم، لا يُحمل عليها شيء، والوصيلة: الناقة البكر التي تبكر بأنثى. ثم تأتي بأنثى، والحام: فحل الإبل، يضرب الضربُ المعدود، فإذا انتهى ضربه، قالوا: حمى ظهره، فلا يُركب، ولا يُحمل عليه، وسيّبوه لآلهتهم، وفي ذلك يقول الله، جلَّ ذكره: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

الباب الثالث

في ذكر ملوك العجم والعرب، وذكر شيء من أخبارهم



[كيومرث]

يروى في الأخبار أن آدم لمّا كثر أولاده، اختار منهم اثنين: شيث، والآخر كيومرث[١]، وأعطاهم أربعين صحيفة، ليعملا بما فيها، ثم ولّى شيثاً حفظ أمور الدين والآخرة، وولى كيومرث أمور الدنيا والمملكة، فكان أول ملوك الأرض، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة.

[هوشنك]

فملك من بعده هوشنك[٢]، وكانت مدّة ملكة أربعين سنة.

---

(١) كيومرث: أو جيومرت، زعم بعض علماء الفرس أن جيومرت هو آدم، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء. وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم، ووافق علماء الفرس على اسمه، وخالفه في عينه وصفته، فزعم أن جيومرت الذي زعمت الفرس أنه آدم عليه السلام إنما هو جامر بن يافث بن نوح، وأنه كان معمراً سيداً، نزل جبل دنباوند من جبال طبرستان من أرض المشرق، وتملك بها وبفارس، ثم عظم أمره، وأمر ولده، حتى ملكوا بابل، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلها. وأن جيومرت منع من البلاد ما صار إليه منها، وابتنى المدن والحصون وعمّرها، وأعدّ السلاح، واتخذ الخيل، وأنه تجبّر في آخر عمره، وتسمى آدم، وقال: من سماني بغير هذا الاسم ضربت عنقه. وأنه تزوج ثلاثين امرأة، فكثر منهن نسله، وأن مارى ابنه وماريانة أخته ممن وُلد له في آخر عمره، فأعجب بهما وقدمهما، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما، وأن ملكه اتسع وعظم. ولا تدافع بين العلماء أن جيومرت هو أبو الفرس. انظر: الطبري، محمد بن جيري: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٧٣.

(٢) هوشنك: هوشنك (فيشذاذ) الملك، وهو الذي خلف جدّه جيومرت في الملك، وأول من جمع له ملك الأقاليم السبعة. ويسميه الفرس أوشهنج، وقالوا: وُلد أوشهنج ملكاً، وكان فاضلاً محموداً في سيرته وسياسة رعيته. وذكر أنه أول من وضع الأحكام والحدود، وكان ملقباً بذلك يُدعى «فيشذاذ» ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل، وذلك أن فاش معناه: أول، وأن داد: عدل وقضاء. وذكروا أنه نزل الهند، وتنقل في البلاد، فلما استقام أمره، واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجاً وخطب خطبة، فقال فيها: إنه ورث الملك عن جدّه جيومرت، وأنه عذاب ونقمة على مردة الإنس والشياطين. وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده، ومنعهم من الاختلاط بالناس، وكتب عليهم كتاباً أبيض، وأخذ عليهم =

[طمهورث]

فملك من بعده طمهورث[١]، وكان يحارب الجن، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة. وملك من بعده جمشيد[٢]، وهو الذي أظهر السروج والسلاح وعدد الحرب، وكانت له الأعمال العظيمة، ومدة ملكه سبعمائة سنة.

= المواثيق أن لا يعرضوا لأحد من الإنس، وتوعدهم على ذلك، وقتل مردتهم وجماعة من الغيلان، فهربوا إلى المغاور والجبال والأودية، وأنه ملك الأقاليم كلها، وأنه كان بين موت جيومرت إلى مولد أوشهنج وملكه مائتان وثلاث وعشرون سنة، وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوشهنج، ودخلوا مساكن بني آدم، حيث نزلوا إليهم من الجبال والأودية. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ٨٤ - ٨٥.

(١) طهمورث: اختلف في نسبه فقيل: طهمورث بن يونجهان بن خانانداذ بن حناذر بن أوشهنج (فيشذاذ). وقال بعض نسّابه الفرس: هو طهمورث بن أيونكهان بن انكهد بن أسكهد بن أوشهنج. وقال هشام بن محمد الكلبي: إن طهمورث هو أول ملوك بابل، وقال: بلغنا، والله أعلم، أن الله أعطاه من القوّة ما خضع له إبليس وشياطينه، وأنه كان مطيعاً له، وعقد على رأسه تاجاً، وقال يوم ملك: نحن دافعون بعون الله عن خليقته المردة الفسدة. وكان محموداً في ملكه حدباً على رعيته، وأنه أول من بنى سابور من فارس ونزلها، وتنقل في البلدان، وأنه وثب بإبليس حتى ركبه، فطاف عليه أداني الأرض وأقاصيها، وأفزعه مردّة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر واللباس والفرش، وأول من اتخذ من زينة الملوك الخيل والبغال والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وحراستها من السباع والجوارح. وكتب بالفارسية. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ٨٦.

(٢) جمشيد: جم الشيد ملك بعد طهمورث، والشيد عندهم معناه الشعاع، لقبوه بذلك في ما زعموا لجماله، وهو جم بن يونجهان، وهو أخو طهمورث. وقيل: إنه ملك الأقاليم السبعة كلها، وسُخر له ما فيها من الجن والإنس، وعقد على رأسه التاج، وقال حين عقد على ملكه: إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا، وأحسن تأييدنا، وسنوسع رعيتنا خيراً. وإنه أبدع صنوف السلاح، ودلّ على صنعة الابريسم والقزّ وغيره مما يغزل، فأمر بنسج الثياب وصبغها، ونحت السروج والأكف، وتذليل الدواب بها. وصنف الناس أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة فقهاء، وطبقة كتّاب وصنّاع وحرّاثين، وطبقة خدّام. وأمر كل طبقة بلزوم العمل الذي ألزمها إياه. وعمل الرخام والجصّ والكلس والبناء والذهب والفضة والطيب. ثم بطر وجمع الإنس والجنّ وأخبرهم أنه عليهم ومالكهم والمدافع بقومه عنهم، فتخلفت عنه الملائكة، فأحسَّ بذلك بيوراسب، فامتلخ أمعاءه واشترطها. ونشره بمنشار. وقال بعض علماء الفرس: إن جمّاً لم يزل محمود السيرة إلى أن بقي مائة سنة من ملكه، فادعى الربوبية، فاضطرب عليه الأمر، فوثب عليه أخوه اسفتوز، لكنه توارى، ثم خرج عليه بيوراسب ونشره بالمنشار. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ٨٨ - ٨٩.

[بوزاسب]

فملك من بعده بوزاسب[١]، الذي يعرف بالضحاك، وهو ذو الحيّتين، وكان صاحب المكر والدواهي والسحر، وكان ظالماً جباراً متعدياً، وكانت (١٩) مدة ملكه ألف سنة.

[أفريذون]

وملك من بعده أفريذون[٢]، فكان حسن السيرة والرسم، وله حسن الصيت، وإفاضة العدل، وكانت مدة ملكه خمسمائة سنة.ـ

---

(١) بوزاسب: والصحيح بيوراسب (الذي يسميه العرب: الضحاك). وهو بيوراسب بن أرونداسب بن زينكاو بن ويروشك بن تاز بن فرواك بن سامك بن جيومرت. ومن الفرس أيضاً من ينسبه هذه النسبة، غير أنه يخالف النطق بأسماء آبائه فيقول: هو الضحاك بن أندرماسب بن رنحدار بن وندريسخ بن تاج بن فرياك بن ساهمك بن ماذى بن جيومرت. المجوس تزعم أن تاج هذا هو أبو العرب. ظهر بيوراسب في أول سنة من ملكه ودعا إلى ملّة الصابئين. ويقال: إنه كان يعمل بالسحر، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته، أو أعجبته دابّة أو امرأة نفخ بقصبة كانت له من ذهب، وكان يجيء إليه كل شيء يريده، فمن ثمّ تنفخ اليهود. وقال آخرون: كان نوح في عهد بيوراسب، وكان قومه يعمن دون الأصنام، فدعاهم إلى الله ﷻ تسعمائة سنة وخمسين سنة، كلما مضى قرن يتبعهم قرن على ملّة واحدة من الكفر والعذاب، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٨٦ – ٨٧ – ٩٨.

(٢) أفريذون: هو من نسل جمشيذ الملك، ويزعمون أنه التاسع من ولده، وكان مولده بدنباوند، خرج حتى ورد منزل بيوراسب (الضحاك) وهو عنه غائب بالهند فحوى على منزله وما فيه، ولما بلغ الضحاك ذلك أقبل وقد سلبه الله قوته وذهبت دولته، فوثب به أفريذون، فأوثقه وصيّره إلى جبال دنباوند. فالعجم تزعم اليوم أنه إلى اليوم موثق في الحديد يُعذّب هناك. وذُكر أن الضحاك لم يكن غائباً عن مسكنه، ولكن أفريذون بن أثفيان جاء إلى مسكن له في حصن يدعى زرنج ماه مهرروزمهر، فنكح امرأتين له تسمى إحداهما أروناز والأخرى سنوار، فوهل بيوراسب الضحاك لمّا عاين ذلك، وخرّ مُدلّهاً لا يعقل، فضرب أفريدون هامته بجزرٍ له ملتوي الرأس، فزاده على ذلك وهلاً وعزوب عقل، ثم توجه به أفريذون إلى جبل دنباوند، وشدّه هناك وثاقاً وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهروز، وهو المهرجان اليوم الذي أُوثق فيه بيوراسب عيداً. وبعض الفرس يزعم أن أفريذون قتله يوم النيروز، فقال العجم عند قتله: إمروز نوروز أي استقبلنا الدهر بيوم جديد، فاتخذوه عيداً. وجلس أفريذون على كرسي الملك. فكان أول من ذلّل الفيلة وامتطاها، واتخذ الإوز والحمام، وعمل الترياق، وردّ المظالم، وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، وهو أول من نظر في علم الطب، وأول =

[منوجهر]

وملك من بعده منوجهر(١)، وكان صاحب العلم والأعمال الكبيرة والأمور العظيمة، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة.

[نوذر]

وملك من بعده نوذر(٢)، فكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

[أفراسياب]

وملك من بعده أفراسياب(٣)، الذي ملك إيران، وكانت الأتراك تسميه

= من سمي الصوفي. وهو الذي تتبع من بقي بالسواد من آل نمرود والنبط وغيرهم، حتى أتى على وجوههم ومحا أعلامهم. وكان ملكه خمسمائة سنة. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٩٩ - ١٠٠. وانظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٧٦، ٨٣، ٨٤.

(١) منوجهر: والصحيح منوشهر: وهو الملك منوشهر من ولد ايرج بن أفريذون، وقد تزعم بعضهم أن فارس سميت بمنوشهر هذا. ويقول نسابة الفرس: هو منوشهر كيازيه بن منشخورنر بن منشخورابغ بن ويرك بن سروشنك بن إيرك ابن بتنك بن بتك بن فرزشك بن زشك بن فركوزك بن إيرج بن أفريذون. كان مولده بدنباوند، ويقول بعض: كان مولده بالري. وزعم أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخرنر بن افريقيس بن إسحاق بن إبراهيم، وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريذون، وبعد أن مضى ألف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وعشرون سنة من عهد جيومرت. وأما الفرس فإنها تنكر النسب، ولا تعرف لها ملكاً إلّا في أولاد أفريذون، ولا تقرّ بالملك لغيرهم. كان منوشهر يوصف بالعدل والإحسان، وهو أول من خندق الخنادق، وجمع آلة الحرب، وأول من وضع الدهقنة، فجعل لكل قرية دهقاناً وأمر أهلها بطاعته. ويقال: إن موسى عليه السلام ظهر في سنة ستين من ملكه. وذُكر أن منوشهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهاراً عظاماً، وأمر بعمارة الأرض. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص١٩٤ - ١٩٥. وانظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص١٦٤ - ١٦٨.

(٢) نوذر: لا يشير المؤرخون العرب وبخاصة الطبري وابن الأثير إلى حكم ملك فارسي اسمه نوذر، ومن المرجح أن يكون قد حكم البلاد بعد وفاة والده منوشهر مباشرة وظل الحكم حتى تمكن الملك التركي أفراسياب بن فشنج بن رستم من السيطرة على بابل وبلاد فارس. علماً أن الطبري وابن الأثير يذكران في سياق الحديث عن الملك كيقباذ أن نسبته تنتهي إلى نوذر بن منوشهر. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٢٦٢ - ٢٦٣. وانظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٠٩

(٣) أفراسياب: هو ملك الترك أفراسياب بن فشنج بن رستم. سار إلى مملكة فارس لمّا هلك الملك =

كيكيا ألب، وله الشجاعة، وتسيير العساكر بالليل، وتشويش بالرَّجل والخيل، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

[روبين طهماسب]

وملك من بعده روبين طهماسب(١)، وكان له الشجاعة، وطيب الخلق، ومدة ملكه خمس سنين.

[كيقباذ]

وملك من بعده كيقباذ(٢)، وكان صاحب تعبئة العساكر وتدبير الجنود، والشفقة على الرعيّة، وكان ملكه مائة وعشرين سنة.

= الفارسي منوشهر، واستولى على مملكته، وسار إلى أرض بابل، وأكثر المقام بها وبمهرجانقذق، وأكثر الفساد في مملكة فارس، وعظم ظلمه، وخرّب ما كان عامراً، ودفن الأنهار والقنوات. وقحط الناس في سنة خمسٍ من ملكه، إلى أن خرج عن مملكة فارس، ولم يزل الناس منه في أعظم البليّة إلى أن ملك زوّ بن طهماسب. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٢٣٥. وانظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٠٧.

(١) روبين طهماسب: والصحيح زوّ بن طهماسب بن منوشهر. ولد في بلاد الترك. حيث كان الملك الفارسي منوشهر قد سخط على ولده طهماسب ونفاه عن بلاده، فأقام في بلاد الترك عند ملك لهم يقال له: «وامن» وتزوج ابنته، فولدت له زوّاً بن طهماسب، وكان المنجمون قد قالوا لأبيها: إن ابنتك تلد ولداً يقتلك. فسجنها، فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها، ثم إن منوشهر رضي على طهماسب وأحضره إليه، فاحتال في إخراج زوجته وولده زوّ من محبسهما، فوصلت إليه. ثم إن زوّاً قتل جدّه، وأمّن الترك في بعض الحروب، وطرد أفراسياب التركي عن مملكته، فكانت غلبة أفراسياب على أقاليم بابل ومملكة فارس اثنتي عشرة سنة. كان زوّ محموداً في ملكه محسناً إلى رعيته، فأمر بإصلاح ما كان أفراسياب قد أفسده من مملكتهم، وبعمارة الحصون، وإخراج المياه التي غوَّر طرقها. ووضع عن الناس خراج سبع سنين. واستخرج بالسواد نهراً سماه الزاب، وبنى عليه مدينة العتيقة. وكان أول من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة. وكان جميع ملكه إلى أن انقضت مدّته ثلاث سنين. وكان كرشاسب بن أنوط وزيره في ملكه ومعينه فيه، وقيل: كان شريكه في الملك، والأول أصح، وكان عظيم الشأن في فارس، إلّا أنه لم يملك. انظر: ابن الأثير، علي محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) كيقباذ: كيقباذ بن راع بن نوذر بن منوشهر. ملك بعد زوّ، وقدّر مياه الأنهار والعيون لشرب =

[كيخسرو]

وملك من بعده[١] كيخسرو[٢]، وكان حسن القيام والقعود، وتمشية الكبار في الأمور، والزهد في الأشياء، بعد نيل المراد منها، وكانت مدة ملكه ستين سنة.

= الأرض، وسمى البلاد بأسمائها، وحدّها بحدودها، وكوّر الكور، وبيّن ميّز كل كورة، وأخذ العشر من غلّاتها لأرزاق الجند. وكان حريصاً على عمارة البلاد، ومنعها من العدو، كثير الكنوز. وقيل: إن الملوك الكيانيّة وأبناءهم من نسله. وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة، فكان مقيماً بالقرب من نهر بلخ، وهو جيحون، لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده. وكان ملكه مائة سنة. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٠٩.

(١) والصحيح أنه حكم من بعده ابنه كيكاوس. وهو كيكاوس بن كينية بن كيقباذ، حمى بلاده، وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له، وكان يسكن بنواحي بلخ، وولد له ولد سماه سياوخش، وضمّه على رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذنك بن كرشاسب، وكان أصبهبذ سجستان وما يليها، وجعله عنده ليربيه، فأحسن تربيته، وعلمه الفروسية والآداب. غير أن خالته (امرأة أبيه) أفسدت العلاقة بينه وبين أبيه، فلجأ إلى أفراسياب ملك الترك فأكرمه وزوجه بنته وسفافريد، فولدت له «كيخسرو» لكنه ارتاب منه لاحقاً، وأمر بقتله، فقتلوه، ومثلوا به. وحين علم كيكاوس بمقتل ابنه سياوخش سيّر الجيوش إلى بلاد الترك، وقتل ابنا أفراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش. ثم توفي كيكاوس، وكان ملكه مائة وخمسين سنة. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

(٢) كيخسرو: كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس، وأمه وسفافريد ابنة أفراسياب ملك الترك، ملك بلاد فارس بعد وفاة أبيه كيكاوس. لمّا مَلَكَ كتب إلى الأصبهبذين جميعهم أن يأتوا بعساكرهم جميعاً، فلما اجتمعوا، جهّز ثلاثين ألفاً مع طوس وأمره بدخول بلاد الترك، وأن لا يمرّ بقرية ولا مدينة لهم إلّا قتل كل من فيها، إلّا مدينة من مدنهم كان بها أخ له اسمه فيروزد بن سياوخش، كان أبوه قد تزوج أمه في بعض مدائن الترك، لكن أفراسياب تمكن من هزيمتهم، فجمع كيخسرو جيشاً عظيماً غزا بلاد الترك من أربع جهات، وقتل جماعة كثيرة من أهل أفراسياب، في إحدى المعارك، ثم سار أفراسياب بنفسه لمقاتلته، لكنه هُزم، وفرّ إلى أذربيجان فاستتر، لكن كيخسرو ظفر به، فلما حضر عنده سأله عن غدره بأبيه، فلم يكن له حجّة ولا عذر، فأمر بقتله، فذُبح كما ذُبح سياوخش، ثم انصرف من أذربيجان، مظفراً منصوراً فرحاً. ثم ترك الملك وتنسّك، وعهد بالملك إلى لهراسب، وغاب عن الناس فلا يُدرى ما كان منه ولا أين مات. وهناك رواية أخرى وهي الأصح تقول: إنه حكم ستين عاماً، ولما حضرته الوفاة عهد إلى ابن عمه لهراسب. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٢٨ - ٢٥٠.

[لهراسب]

وملك من بعده لهراسب(١)، وكان صاحب التاج، والكبر، والتيه، والفخر، وكان ملكه أربعين سنة.

[كشتاسب]

وملك من بعده كشتاسب(٢)، وكان يعتقد مذهب زرادشت(٣)، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة.

---

(١) لهراسب: لهراسب بن كيوخي بن كيكاوس. ابن عم الملك كيخسرو، فهو ابن ابن كيكاووس، عهد إليه بالملك كيخسرو لما حضرته الوفاة. ولما ملك اتخذ سريراً من ذهب، وكلّله بأنواع الجواهر، وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ وسماها الحسناء، ودوّن الدواوين، وقوى ملكه بانتخابه الجنود، وعمّر الأرض، وجبى الخراج لأرزاق الجند. كان محموداً عند أهل مملكته، شديداً على أعدائه. شقّ عدّة أنهار، وحمل إليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج. ثم إنه تنسّك وفارق الملك، واشتغل بالعبادة، واستخلف ابنه بشتاسب في الملك. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٥٨.

(٢) كشتاسب: والصحيح بشتاسب بن لهراسب بن كيوخي بن كيكاوس. حكم بلاد فارس بعد تنسّك والده لهراسب ومفارقته الملك. وفي أيامه ظهر زرادشت ابن سقيمان الذي ادعى النبوّة وتبعه المجوس، فحبسه بشتاسب مدّة، ثم أطلقه. ثم إن بشتاسب أحضر زرادشت وهو ببلخ واتبعه، وقهر الناس على اتباعه، وقتل منهم خلقاً كثيراً حتى قبلوه ودانو به. وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة. وضبط بشتاسب الملك، وقرر قوانينه، وبنى بفارس مدينة «بسا» ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب الملك، وملّك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته، وصالح ملك الترك خرزاسف (أخو أفراسياب) لكن زرادشت نصحه بنقض الصلح، وقال له: أنا أعيّن لك طالعاً تسير فيه إلى الحرب فتظفر، وهذا أول وقت وضعت فيه الاختيارات للملوك بالنجوم. ووقعت الحرب بين الطرفين، وكانت الهزيمة للترك، وعاد بشتاسب مظفراً إلى بلخ. ثم رحل إلى ناحية كرمان وسجستان، وسار إلى جبل طميدر لدراسة دينه والتنسّك هناك، فهاجم الترك بلاده، وقتلوا والده لهراسب، وكان شيخاً عجوزاً. وأحرقوا الدواوين، وهدموا بيوت النيران. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٥٨ - ٢٦٠ - ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٣) زرادشت: زرادشت بن سقيمان، ادعى النبوة وتبعه المجوس، وكان زرادشت في ما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة إرميا النبي خاصاً به، فخانه وكذب عليه، فدعا الله عليه، فبرص ولحق ببلاد أذربيجان، وشرّع بها دين المجوس. وقيل: إنه من العجم، وصنف كتاباً وطاف به الأرض وسماه «أشتا» حبسه ملك الفرس بشتاسب مدّة ثم أطلقه. وشرح زرادشت كتابه =

[أسفنديار]

وملك من بعده أسـفنديار[١]، وكان صاحب الحقـد والجهد في الحروب، وكان ملكه مائة واثنتي عشرة سنة.

[بهمن بن أسفنديار]

وملك من بعده بهمن بن أسفنديار[٢]، وكان ملكه مائة واثنتي عشرة سنة.

= وسماه «زند» أي التفسير، ثم شرح الزند بكتاب سماه «بازند» أي تفسير التفسير، وفيه علوم مختلفة كالرياضيات وأحكام النجوم والطب وأخبار القرون الماضية وكتب الأنبياء. ثم إن بشتاسب أحضره إليـه وهـو ببلخ، فلما قدم عليه شـرع له دينـه، فأعجبه، واتبعه، وقهر النـاس باتباعه. وأما المجوس فيزعمـون أن أصلـه مـن أذربيجان، وأنه نزل على الملك من سـقف إيوانه وبيـده كبّة من نار يلعب بها ولا تحرقه، وكل من أخذها منه لم تحرقه، وأنه اتبعه الملك ودان بدينه، وبنى بيوت النيران في البلاد، وأشـعل تلك النار في بيوت النيران. وكان ظهور زرادشـت بعد مضي ثلاثين سـنة من ملك بشتاسب، وأتاه بكتاب زعم أنه وحي من الله تعالى، وكُتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفراً ونقشاً بالذهـب، فجعله بشتاسـب في موضعٍ باصطخر، ومنع من تعليمـه العامة. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٥٨ - ٢٦٠.

(١) أسـفنديار: فـي الواقـع لـم يحكم أسـفنديار بعـد أبيـه بشتاسـب. وكان والـده أودعه في السـجن بعد الانتصارات الكبرى التي حققها على الترك، فقد اغتنى أسفنديار كثيراً من تلك الحرب، وخاف والده أن يطمع بالملك. وظل في السـجن إلى أن غزا الترك بلاد فارس، فأخرجه والده من السـجن، ووعده بالملك إذا نجح في طرد الترك من البلاد. فنهض أسفنديار وجمع من عنده الجند وقاتل قتال الأبطال، واسـتعاد درفـش كابيان، فلما دخل على أبيه استبشـر به، وأمره بملاحقة التـرك وقتل ملكهم ومن قدر عليه من أهله، وأن يسـتنقذ السـبايا والغنائم التي أخذت من بلاد فارس. فسـار أسـفنديار، ودخل بلاد الترك، وقتل وسـبى وخرّب، وبلغ مدينتهم العظمى، وقتل ملك الترك وإخوته، وسـبى نساءه، واستنقذ أختيه، وأقطع بلاد الترك، وجعل لكل ناحية رجل من وجوه الترك بعد أن أمّنهم، ووظف عليهم خراجاً يحملونـه كل عـام إلـى أبيه بشتاسـب، ثم عاد إلى بلخ. فحسـده أبوه وخاف منه، وأمـر بتجهيز جيش لمقاتله رسـتم الشـديد بسجسـتان فقتله رسـتم. ومات بعده والده بشتاسـب، وكان ملكه مئة وخمسين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٧٣ - ٢٧٥.

(٢) بهمن بن أسـفنديار: هو الملك أردشـير بهمن بن أسـفنديا رملك من بعد وفاة جدّه بشتاسـب. وكان مظفراً في مغازيه، وملك أكثر من أبيه، وقيل: إنه بنى بالسـواد مدينة وسـماها «إياوان أردشـير» وهي القرية المعروفة بهيمينيا أو (بهمشـنا) بالزاب الأعلى، وابتنى بكور دجلة الأُبلة، وسـار إلى سجستان طالباً بثأر أبيه أسفنديار، فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز. وبهمن هو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان أبـي ملوك الفرس الأحرار أردشـير بن بابك وولده. وغزا بهمن روميـة الداخلية، وكان ملوك الأرض =

[هماي بنت بهمن]

وملكـت مـن بعده ابنته هماي[١]، وكانت صاحبة رأي وتدبير، وكان ملكها سبع عشرة سنة.

[دارا]

وملك من بعدها دارا[٢]، وكان صاحب الهيبة والجزع والجبن، وكان ملكه إحدى وأربعين سنة.

= يحملـون إليـه الأتـاوى، وكان أعظم ملوك الفرس شـأناً وأفضلهـم تدبيراً. وكانت أم بهمن من نسـل بنيامين بن يعقوب عليه السلام، وأم ابنه ساسـان من نسـل سـليمان بن داوود. وكان ملك بهمن مئة وعشرين عاماً. وكان متواضعاً مرضياً فيهم. وكانت كتبه تخرج: من عبدالله خادم الله السـائس لأموركم. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٧٨.

(١) هماي: والصحيح خمانى بنت بهمن بن أسـفنديار بن بشتاسـب، ملكت فارس بعد وفاة أبيهـا، ملّكوهـا حبّاً لأبيها ولعقلها وفروسـيتها، وكانت تلعب بشـهرزاد. وقيل إنمـا ملكت لأنها حين حملت منه دارا الأكبر سألته أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك، ففعل بهمن، وعقد التاج عليه حملاً في بطنها، وساسان بهمن رجل يتصنّع الملك، فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد، ولحق بـرؤوس الجبـال، واتخـذ غنماً، وكان لا يتولاها بنفسـه. وهلـك بهمن ودارا في بطن أمـه، فملّوكها، ووضعتـه بعد أشـهر مـن ملكه، فأنِفَـتْ من إظهار ذلـك، وجعلته فـي تابوت، وجعلت معـه جواهر، وأجرتـه فـي نهر الكـرّ من باصطخر، وقيـل: بنهر بلخ، وسـار التابوت إلى طحّان مـن أهل إصطخر، ففرح به لما فيه من الجواهر، فحضنته امرأته، ثم ظهر أمره حين شـبَّ، فأقرّت خمانى بإسـاءتها (بأنه ابنهـا) فلمـا تكامـل امتُحِنَ، فوجد على غاية مـا يكون أبناء الملوك، فحولت التاج إليه، وسـارت إلى فارس، وبنت مدينة اصطخر، وكانت أوتيت ظفراً، وأغزت الروم، وشغلت الأعداء عن تطرّق بلادها، وخففـت عـن رعيتها الخـراج، وكان ملكها ثلاثين سـنة. وقيل: إن خُمانـى أم دارا حضنته حتى كبر، فسلمت له الملك، وعزلت نفسها، فضبط الملك بشجاعة وحزم. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٧٨ – ٢٧٩.

(٢) دارا: دارا الأكبر، وهو دارا بن بهمن بن أسـفنديار بن أسـفنديار بن بشتاسـب، ملك بلاد فارس بعدما تخلـت أمـه خمانى عن الحكم لـه بعدما كبر، وكان يلقب جهرزاد، ويعني: كريـم الطبع، فنزل ببابل، وكان ضابطـاً لملكـه، قاهـراً لمـن حولـه من ملـوك، يؤدّون إليـه الخراج. بنـى بفارس مدينة سـماها «دارابجـرد» وزينهـا بـدواب البُرد ورتبها، وكان معجباً بابنه دارا، ومن حبّه له سـماه بنفسـه، وصيّر له الملك من بعده. وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٧٨ – ٢٧٩.

[دارا بن دارا]

وملك من بعده دارا بن دارا[(١)]، وكان له قود العساكر، وترتيب الحشم، وإقطاع الولايات، وكان ملكه خمسين سنة.

[الإسكندر الرومي]

وملك من بعده الإسكندر[(٢)]، الرومي، وهو ذو القرنين[(٣)]، وكان له الطواف في العالم، والأسفار البعيدة، ومشاهدة العجائب، وفتوح البلدان، وقهر الملوك، وكان ملكه ستاً وثلاثين سنة.

---

(١) دارا بن دارا: (دارا الأصغر) دارا بن دارا بن بهمن بن أسفنديار بن بشتاسب. ملك بعد أبيه دارا الأكبر، وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة «دارا» واستوزر إنساناً لا يصلح لها، فأفسد قلبه على أصحابه، فقتل رؤوساء عسكره، واستوحش منه الخاصة والعامة، وكان شاباً غرًّا وجميلاً، حقوداً جباراً، سيّئ السيرة في رعيته. كان ملكه أربع عشرة سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٨١.

(٢) الإسكندر الرومي: الاسكندر ذو القرنين، أو الاسكندر المقدوني اليوناني، ملك مقدونية الذي ورث الحكم عن أبيه فيليبوس، واستولى على بلاد الروم أجمع. كان والده فيليبوس قد صالح الملك دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة، فلما هلك فيليبوس قوي الإسكندر على دارا، ولم يحمل له الخراج (وكان والده يدفعه بيضاً من ذهب) فسخط عليه دارا، وكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه في ترك حمل الخراج، فكتب إليه الإسكندر جواباً. ثم خاف الإسكندر الحرب، فطلب الصلح، فاستشار دارا أصحابه، فأشاروا عليه بالحرب، لفساد قلوبهم عليه. فحاربه الإسكندر وانتصر عليه، ولحقه الإسكندر وهو بآخر رمق(وقيل: بل فتك به رجلان من حرسه بعد هزيمة عسكره) فأوصاه أن يتزوج ابنته روشنك ويعظم قدرها، وأن يأخذ بثأره ممن قتله. ففعل الاسكندر كل ذلك، وقتل حاجبي دارا. وقد حمل الإسكندر علوم فارس من علوم ونجوم وحكمة، ونقله إلى الرومية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٨٢ - ٢٨٦.

(٣) اختلف المؤرخون حول الملك ذي القرنين، فهناك من يقول: إنه الإسكندر المقدوني، وهناك من يقول: إنه تُبّع الأقرن، ويسمى الأقرن ذي القرنين لشيب كان على قرنيه، وهنالك من يقول: إنه الصعب ذو القرنين الذي بنى السدّ، والذي ذكره الله في الكتاب الكريم. انظر: ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، تحقيق محمود بن مبارك السليمي، ومحمد حبيب صالح، وعلال الصديق الغازي، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ج١، ص ٢٦١ - ٣٣١.

[أردشير بن بابك]

وملـك مـن بعده[١] أردشـير بن بابك[٢]، كـان ملكاً عـادلاً، ذا فطنة وذكاء، كريماً، حسن السيرة، حميد الأحدوثة، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة.

[سابور بن بابك]

وملك من بعده سابور بن أردشير[٣]، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثون سنة.

---

(١) وملـك مـن بعد الاسـكندر الرومي ملـوك الطوائف في بلاد فارس، ويعود السـبب فـي تمليكهم إلى الإسـكندر، ذلـك أن الإسـكندر لمّا ملك بـلاد فارس، ووصل إلى مـا أراد، كتب إلى أرسـطاطاليس الحكيـم: «إنـي وتـرت جميع من فـي بلاد المشـرق، وقد خشـيت أن يتّفقوا بعدي علـى قصد بلادنا وإيـذاء قومنـا، وقد هممت أن أقتل أولاد من قتلت من الملـوك وألحقهم بآبائهم، فما ترى؟». فكتب أرسـطاطاليس الحكيم إليه: «إنك إن قتلت أبناء الملوك أفضى الملك إلى السـفل والأنذال، والسـفل إذا ملكـوا قـذروا، وإذا قذروا طغوا وبغوا وظلموا، وما يخشـى من مضرّتهـم أكثر، والرأي أن تجمع أبنـاء الملـوك، فتملـك كل واحد منهم بلـداً واحداً وكورة واحدة، فإن كل واحـد منهم يقوم في وجه الآخـر يمنعـه عن بلوغ غرضه خوفـاً على ما بيده، فتتولد العداوة بينهم، فيشـتغل بعضهم ببعض، فلا يتفرغون إلى من بَعُدَ عنهم». فعندها قسـم الإسـكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف. ويسمون في بلاد فارس الأشغانية أو الأشكانية، وهم: الملك أشك، ملك اثنتين وخمسين سنة. وشابور بن أشك، مَلَكَ أربعاً وعشـرين سـنة، والملك جوذرز بن شابور بن أشـك، وهو الذي غزا بني إسرائيل بعد قتل يحيى بن زكريا. والملك يجن بن بلاش بن أشـك، مَلَكَ إحدى وعشـرين سـنة. والملك جوذرز بن يجن بن بلاش بن أشـك، مَلَكَ تسـع عشرة سـنة. والملك نرسـي بن يجن بن بلاش بن أشك، مَلَكَ ثلاثين سنة. ثم ملك عمه همزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة. ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتي عشرة سنة. ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة. ثم ملك أخوه بلاش بن فيروز أربعاً وعشرين سنة. ثم ملك ابنه أردوان بن بلاش خمساً وخمسين سنة. وقد ذكر بعضهم أنه ملك بعد هرمزان بن بلاش أردوان الأكبر اثنتي عشـرة سـنة. وبدأ بعدهم عهد الطبقة الساسـانية من الملوك، وأولهم أردشـير بن بابك. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٩٣ - ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢) أردشـير بن بابك: هو الملك الفارسي أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن بشتاسب. نهض يريد الأخذ بثأر الملك دارا بن دارا، وردّ الملك إلى أهله وإلى من لم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف، وجمعه لرئيس واحد. وكان قد مضى من لدن ملك الإسكندر أرض بابل ٥٢٣ سنة، وفي قول المجوس ٢٦٦ سنة. واستطاع توحيد بلاد فارس تحت سـلطته، وبنى الكثير من المدن، ولم يزل محمود السـيرة مظفراً منصوراً لا تردّ له راية، ورتب المراتب وعمّر البلاد. حكم بلاد فارس بعد توحيدها مدّة أربع عشرة سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٨٠ - ٣٨٤.

(٣) سـابور بن أردشـير: سابور بن أردشـير بن بابك بن ساسـان، كان والده أردشير قد أسـرف في قتل الأشكانية =

[أوزمرد]

وملك من بعده أوزمرد[١]، وكان ملكه ثلاثين (٢٠) سنة وثلاثة أشهر.

[بهرام بن بهرام]

وملك من بعده[٢] بهرام بن بهرام[٣]، وكان ملكه عشر سنين.

= (ملوك الطوائف) حتى أفناهم بسبب أليّة آلاها جدّه ساسان بن أردشير بن بهمن، فإنه أقسم أنه إن ملك يوماً مـن الدهر لم يستبقِ من نسـل أشـك بن جزه أحداً، وأوجـب ذلك على عقبه، فـكان أول من ملك من عقبه أردشـير بن بابك، فقتلهم جميعاً ونسـاءهم ورجلهم، غير أنه وجد جارية في دار المملكة أعجبته، فتزوجها، وكانت ابنة الملك المقتول، فسألها عن نسبها، فذكرت أنها خادمة لبعض نساء الملك. فسألها أبكر أم ثيّب؟ فأجابتـه أنهـا بكر، فاتخذها لنفسـه وواقعهـا، فعلقت منه، فلما أمنـت منه بحبلها أخبرته أنها من ولد أشـك، فنفر عنها، ودعا الشـيخ هرجد بن أسـام ليقتلها، فأخذها الشـيخ ليقتلها ووضعها في سـرداب تحت الأرض، ووضعهـا فـي حقّ وختم عليه، وحضر إلى الملك ودفع الحقّ إليه، فختمه بخاتمه وأودعه في بعض خزائنه. ثم وضعت الخادمة غلاماً، فسـماه الشـيخ شـابور ومعناه: ابن الملك، وهو أول من سـمي بهذا الاسم. وبقي أردشـير لا يولد له، فأخبره الشـيخ بقصة ولده شـابور، فشـهر أمره بين الناس، وعقد له التاج من بعده. وكان شـابور عاقلاً بليغاً فاضلاً، فلما ملك ووضع التاج على رأسـه فرّق الأموال على الناس وأحسـن إليهم، وبنى مدينة نيسابور، ومدينة سابور بفارس، وبنى فيروز سابور، وهي الأنبار، وبنى جنديسابور. وهو صاحب القصة المشهورة مع «النضيرة» بنت ملك الحضر. وفي أيامه ظهر ماني الزنديق وأدعى النبوّة. وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٨٥ - ٣٨٨.

(١) أوزمرد: والصحيح هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك. وأمه من بنات الملك مهرك الذي قتله أردشير وتتبـع نسـله فقتلهـم، وكان هرمز قبـل توليه الحكم والياً لأبيه على خراسـان، فقهر الأعداء واسـتقل بالأمر، فوشـى به الوشـاة إلى والده أنه عزم يأخذ الملك منه، وسـمع هرمز، فقطع يده، وأرسلها إلى والـده لإزالة التهمة (لأن رسـمهم أنهم كانـوا لا يملّكون ذا عاهة) فلما وصلت يـده إلى والده تقطّع أسفاً، وأرسل إلى هرمز يعلمه، وعقد له الملك وملّكه. فعدل هرمز في الرعية، وكان صادقاً، وسلك سـبيل آبائه، وكوّر كورة رامهرمز. وكان ملكه سـنة وعشـرة أيام. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢) والصحيـح أنـه ملـك من بعـد هرمز بن سـابور ابنـه بهرام بن هرمز بـن سـابور. وكان حليمـاً متأنياً، حسـن السـيرة، قتل ماني الزنديق، وسـلخه، وحشـا جلده تبناً، وعُلق على باب من أبواب جنديسابور يسـمى «باب ماني». وكان ملكه ثلاث سـنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. وكان عامل سابور بن أردشير، وابنـه هرمـز، وبهرام بـن هرمز، بعد مهلك عمرو بن عدي على ربيعة ومضر وسـائر من بادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن لعمرو بن عدي يقال له امرؤ القيس الكندي. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٩٠.

(٣) بهرام بـن بهرام: بهرام بن بهرام بن هرمز بن سـابور بن أردشـير. كان ملكه حسـناً، وكان عالماً بالأمور، =

[بهراميان]

وملك من بعده بهراميان[١]، وكان ملكه أربعة أشهر.

[نوسي]

وملك من بعده نوسي[٢]، وكان ملكه تسع سنين.

[هرمز نوسي]

وملك من بعده هرمز نوسي[٣]، وكان ملكه سبعين سنة وخمسة أشهر.

[سابور ذو الأكتاف]

ملك من بعده سابور ذو الأكتاف[٤]، وكان له ملك عظيم، وكان ملكه سبعين سنة.

= فلما عُقد له التاج وعد الرعيّة بحسن السيرة، واختلف في سني ملكه، فقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل سبع عشرة سنة. والله أعلم. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٩٠

(١) بهراميان: والصحيح بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير. عندما عُقد له التاج دعا له العظماء فأحسن الردّ. وكان قبل أن يفضي إليه الأمر مملّكاً على سجستان. وكان ملكه أربع سنين. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٩١.

(٢) نوسي: والصحيح نرسي وهو نرسي بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، وهو أخو بهرام الثالث. عندما عُقد التاج على رأسه دخل عليه الأشراف والعظماء، فدعوا له، فوعدهم خيراً، وسار فيهم بأعدل السيرة، وقال: لن نضيع شكر ما أنعم الله به علينا، وكان ملكه تسع سنين. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٩١.

(٣) هرمز بن نرسي: هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير. كان الناس قد وجلوا منه لفظاظته، فأعلمهم أنه قد علم بما كانوا يخافون من شدَّة ولايته، وأن الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظة رقّةً ورأفةً، فساسهم أرفق سياسة، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل، ثم هلك ولا ولد له، فشقّ ذلك على الناس، فسألوا عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهن حبلى، وقيل: إن هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل، وولدت المرأة سابور ذا الأكتاف. وكان ملك هرمز بن نرسي ست سنين وخمسة أشهر، وقيل: سبع سنين وخمسة أشهر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٩١ - ٣٩٢.

(٤) سابور ذو الأكتاف: وهو سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك. قيل: ملك بوصية أبيه له، فاستبشر الناس بولادته، وبثّوا خبره في الآفاق، وتقلّد الوزراء والكتاب =

[أزدشير]

(وملك مـن بعده أخوه أزدشير[١]، وكـان ملكه عشـر سنين)[٢].

[سابور بن سابور]

وملك من بعده سابور بن سابور[٣]، وكان ملكه خمس سنين.

[بهرام بن سابور]

وملك من بعده بهرام بن سابور[٤]، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

= ما كانوا يعلمونه في ملك أبيه. فطمعت بمملكتهم الترك والعرب والروم، فلما ترعرع سابور وكبر، وبلغ عمره ست عشرة سنة، وقوي على حمل السلاح، فهاجم الذين سيطروا على جزء من بلاد فارس، فقتل وأسر وأكثر، ثم هاجم البحرين، وسار إلى هجر وأباد عبد القيس، وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل، وقصد بكراً وتغلب بين الشام والعراق، فقتل وسبى وغوّر مياههم، وسار إلى قرب المدينة ففعل ذلك، وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتلهم إلى أن هلك، فسموه سابور ذا الأكتاف. وحارب الروم، فسيطروا على طبستور (المدائن الشرقية) وملكوا أموال سابور وخزائنه. لكن سابور استعادها، وأسر قيصر الروم، وغنم أمواله ونساءه، وثقّله بالحديد، وأمره بعمارة ما خرّب من جنديسابور. وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٩٢ - ٣٩٦.

(١) أردشير: أردشير بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك. وهو أخو سابور ذي الأكتاف. عندما استقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرئاسة، فقتل منهم خلقاً كثيراً، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٩٧.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٩.

(٣) سابور بن سابور: سابور بن سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك. وهو ابن سابور ذي الأكتاف. تولى الملك بعد خلع عمه أردشير، فاستبشر الناس بعودة ملك أبيه إليه، وكتب إلى العملا بالعدل والرفق بالرعية، وأمر بذلك وزراءه وحاشيته، وأطاعه عمّه المخلوع، وأحبته رعّيته. ثم إن العظماء وأهل الشرف قطعوا أطناب خيمة كان فيها، فسقطت عليه، فقتلته. وكان ملكه خمس سنين. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٤) بهرام بن سابور: بهرام بن سابور ذي الأكتاف، وكان يلقب كرمان شاه، لأن أباه ملّكه كرمان في حياته، فكتب إلى القواد كتاباً يحثهم على الطاعة، وكان محموداً في أمور، وبنى بكرمان مدينة، وثار به ناس من الفتّاك، فقتله أحدهم بنشّابه، وكان ملكه إحدى عشرة سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٩٨.

[يزدجرد بزة كار]

وملك من بعده يزدجرد بزة كار[١]، وكان صاحب الجور والظلم والفساد، وكان ملكه ثلاثين سنة.

[بهرام كور]

وملك من بعده بهرام كور[٢]، وكان له النظر التام في أحوال الرعية، والرمي بالقوس، والاشتغال بالفرجة واللعب، والعشرة والشرب، وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة.

(١) يزدجرد بزة كار: وهو يزدجرد الأثيم بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف. ومن أهل العلم من يقول: إن يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه ابن سابور لا ابنه. كان فظّاً غليظاً ذا عيوب كثيرة، يضع الشيء في غير مواضعه، كثير الرؤية في الصغائر، واستعمل كل ما عنده من المواربة والمخاتلة مع فطنة بجهات الشرّ، وكان غلقاً سيئ الخلق لا يغفر الصغيرة من الزلات، ولا يقبل شفاعة أحد من الناس وإن كان قريباً منه، كثير التهمة، ولا يأتمن أحداً على شيء. ولما استوى على الملك واشتدت شوكته هابته الأشراف والعظماء، وحمل على الضعفاء، فأكثر من سفك الدماء. رَمَحَهُ فَرَسٌ على فؤاده، فهلك في مكانه. وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوماً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٣٩٨ - ٤٠٠.

(٢) بهرام كور: أو بهرام جور، وهو بهرام بن يزدجرد الأثيم. عندما ولد بهرام اختار والده لحضانته العرب، فدعا المنذر بن النعمان واستحضنه بهرام وشرّفه وكرّمه وملكه العرب، وأحسن المنذر تربيته، ومات أبوه وهو عند المنذر، فتعاهد العظماء وأهل الشرف على أن لا يملكوا أحداً من ذرَية يزدجرد لسوء سيرته، واجتمعت الكلمة على صدق الملك من بهرام لنشوئه في العرب وتخلّقه بأخلاقهم، ولأنه ولد يزدجرد، وملّكوا رجلاً من عقب أردشير بن بابك يقال له كسرى. فجهز المنذر له جيشاً من ثلاثين ألفاً من فرسان العرب إلى مدينتي الملك، فجمع بهرام الناس، وصعد على منبر من ذهب مكلل بالجوهر، فتكلم عظماء الفرس، فذكروا فظاظة يزدجرد أبي بهرام وسوء سيرته، وكثرة قتله وإخراب البلاد، وأنهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده. فوعدهم أن يصلح ما أفسده والده، وملك وهو ابن عشرين سنة، وأمر أن يلزم رعيته راحة ودعة. ثم سار إلى أذربيجان ليتنسك في بيت نارها، واستخلف أخاه نرسي، فطمع خاقان الترك بملكه، فقاتله بهرام وقتله بيده، وظفر بتاجه وإكليله، وعاد بهرام إلى العراق، وولى أخاه نرسي على خراسان، وأمره أن ينزل مدينة بلخ. وخرج عليه الديلم، فظفر بهم، وبنى مدينة سماها فيروز بهرام. هلك في جب عندما كان في رحلة صيد. وكان ملكه ثماني عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً، وقيل: ثلاثاً وعشرين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٠١ - ٤٠٦.

[يزدجرد بن بهرام]

وملك من بعده يزدجرد بن بهرام(١)، وكان ملكه ثماني عشرة سنة.

[هرمز]

وملك من بعده هرمز(٢)، وكان ملكه إحدى عشرة سنة. وملك من بعده أشك(٣)، وكان ملكه خمس سنين وشهرين.

[كيفتا]

وملك من بعده كيفتا(٤)، وكان ملكه أربعين سنة. وملك من بعده جام

---

(١) يزدجرد بن بهرام: يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأثيم، لمّا لبس التاج جلس للناس ووعدهم، وذكر أباه ومناقبه، وأعلمهم أنهم إن فقدوا منه طول جلوسه لهم فإن خلوته في صالحهم وكيد أعدائهم، وأنه قد استوزر نرسي صاحب أبيه. وعدل في رعيته، وقمع أعداءه، وأحسن إلى جنده. وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد، فوجه إليهم وزيره نرسي في العدّة التي أنفذه بها أبوه فبلغ إرادته. وكان ملك يزدجرد ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر، وقيل: تسع عشرة سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٠٧.

(٢) هرمز: هرمز بن يزدجرد بن بهرام جور. كان في حياة والده والياً على سجستان، فغلب على الملك بعد هلاك أبيه يزدجرد، فهرب أخوه فيروز ولحق ببلاد الهياطلة، واستنجد بملكهم، فأمدّه بعد أن دفع إليه الطالقان، فأقبل بهم، فقتل أخاه هرمز بالريّ، وكانا من أم واحدة، وقيل: لم يقتله، وإنما أسره، وأخذ الملك منه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٠٧.

(٣) أشك: وقع مؤلف المخطوطة سرحان بن سعيد الإزكوي في خطأ وأعادنا إلى عهد ملوك الطوائف الذي ساد بلاد فارس بعد موت الإسكندر المقدوني، وكان أشك أول ملوكه، وإليه تنسب طبقة ملوك فارس الأشكانية كما رأينا سابقاً. وهذه الطبقة من ملوك فارس حكمت قبل عهد الملوك الساسانيين. والصحيح أن الملك فيروز هو الذي حكم بعد هرمز وليس أشك. وفيروز: هو فيروز بن يزدجرد بن بهرام. حكم بلاد فارس بعدما ظفر بأخيه هرمز، وملك وأظهر العدل، وأحسن السيرة، وكان يتديّن، إلا أنه كان مشؤوماً على رعيته، وقحطت البلاد في زمانه سبع سنين متواليه، وغارت الأنهار والقنوات، وقلّ ماء دجلة، وماتت الطيور والوحوش، وعم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد، فكتب إلى جميع رعيته أن لا خراج عليهم ولا جزية ولا مؤونة. وبعد انقضاء سنوات المجاعة قرر محاربة الهياطلة، وقتل في إحدى المعارك معهم. وكان ملكه ستاً وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرين سنة. انظر: المصدر السابق، ص٤٠٨.

(٤) كيفتا: والصحيح بلاش بن فيروز بن يزدجرد. ملك بعد مقتل أبيه فيروز، وكان حسن السيرة حريصاً =

أسب الحكيم[١]، وكان صاحب علم النجوم، وله فيه الأحكام الصحيحة، وكان ملكه سنة وستة أشهر.

[كسرى أنو شروان]

وملك من بعده كسرى أنو شروان[٢]، فخر ملوك إيوان، صاحب العدل والإنصاف والإحسان والإسعاف، وكان ملكه ثماني وأربعين سنة. وكتب كسرى إلى بعض عماله:

= على العمارة، وكان لا يبلغه أن بيتاً خرب وجلا أهله عنه إلّا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سدّ فاقتهم حتى لا يضطروا إلى مفارقة أوطانهم، وبنى مدينة ساباط قرب المدائن، وكان ملكه أربع سنين. انظر: المصدر السابق، ص ٤٠٨.

(١) جام أسب الحكيم: والصحيح قباذ بن فيروز بن يزدجرد. خرج على أخيه بلاش، وسار إلى خاقان الترك مستنصراً به عليه، فمر في طريقه بحدود نيسابور، وتزوج فتاة من الأساروي، فحملت بأنو شروان، وأمر لها بجائزة سنيّة وردّها. ومضى إلى خاقان الترك، فأقام عنده أربع سنين وهو يعده. ثم أرسل معه جيشاً، فلما صار بالقرب من الناحية التي بها زوجته سأل عنها، فأحضرت ومعها أنو شروان وأعلمته أنه ابنه، وورد الخبر إليه في ذلك المكان أن أخاه بلاش قد هلك، فتيمّن بالمولود، وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك. وفي عهده ظهر «مزدك» وابتدع، وتبعه الملك قباذ، ولما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع موبذان موبذ والعظماء وخلعوه، وملكوا أخاه جامسب، ووضعوه في السجن. غير أن أخته مكنته من الفرار، فجمع قواه، وغلب أخاه جامسب على الملك. وكان ملك جامسب ست سنين. فكان ملك قباذ مع ملك أخيه جامسب ثلاثاً وأربعين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤١٢ - ٤١٤.

(٢) كسرى أنو شروان: هو كسرى أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأثيم. لبس التاج بعد موت أبيه قباذ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما ابتُلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم، وأعلمهم أنه يصلح ذلك، ثم أمر برؤوس المزدكية، فقتلوا، وقُسمت أموالهم على أهل الحاجة. وقتل مزدك وصلبه، وقتل منهم ما بين جازر إلى النهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم، وسمي يومئذ «أنو شروان». وعمّر الجسور والقناطر، وأصلح الخراب، وتفقد الأساورة وأعطاهم، وبنى في الطرق القصور والحصون، وتخيّر الولاة والعمال والحكام، واقتدى بسيرة أردشير، وارتجع بلاداً كانت لمملكة فارس، منها: السند وسندوست والرُّخج وزابلستان وطخارستان. وحارب الروم، وسبى أهل نطاكية ونقلهم إلى أرض السواد وبنى لهم مدينة الرومية. وسار من الروم إلى الخزر، فقتل منهم وغنم، وأخذ منهم بثأر رعيته. وولد الرسول ﷺ في آخر ملكه. وكان ملكه ثماني وأربعين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٣٤ - ٤٤٠.

«سلام عليكم بقدر ما أنتم أهله، أما بعد... فإني متى ما وجدت في بيت المال درهماً واحداً، لا صحة له عندي، أمرت بصلب عامل تلك الناحية، فلا تتخذوا لنا من جلود الناس لباساً، ولامن لحومهم طعاماً، ولا من دمائهم شراباً، ولا تحرقوا في نيراننا شيئاً من حطامهم، فإن الله قد أغنانا بملكنا عمّا في أيدي رعايانا، ولا تقوموا ملكنا بالظلم والجور، فإنه غاية القبح، وغاية المسبّه. وانظروا في أرباب الغلّات في غلّاتهم، فإنه ليس من العدل أن نأخذ منهم إذا زكت ونمت، كما أنّا لا نرد عليهم إذا خسرت وعجزت».

[أنو شروان هرمز]

وملك من بعده أنو شروان هرمز[(١)] وكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

[خسرو برويز]

وملك من بعده (٢١) خسرو برويز[(٢)]، وما وصل أحد من الملوك درجته

---

(١) هرمز بن أنو شروان: هرمز بن أنو شروان. وأمه ابنة خاقان الأكبر، وكان هرمز بن كسرى أديباً ذا نيّة في الإحسان إلى الضعفاء والحمل على الأشراف، فعادوه وأبغضوه، وكان عادلاً. وكان مظفراً منصوراً. وهاجمه العرب والترك والروم فخلعته حاشيته وقواده وقالوا: إن ابنه أبرويز أصلح للملك منه بتحريض من قائده بهرام خُشنش، فلما علم أبرويز ذلك خاف أباه وهرب إلى أذربيجان. ووثب العظماء على المدائن وفيهم خالا أبرويز، فخلعوا هرمز وسملوا عينيه، وبلغ أبرويز ذلك فأقبل من أذربيجان إلى دار الملك. وكان ملك هرمز إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر، ولم يُسمل من ملوك الفرس غيره لا قبله ولا بعده. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٦٩ - ٤٧٢.

(٢) خسرو برويز: والصحيح كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان. كان من أشد ملوك الفرس بطشاً وأنفذهم رأياً، وبلغ من البأس والنجدة وجمع الأموال ومساعدة الأقدار ما لم يبلغه ملك قبله، ولذلك لُقب «أبرويز» ومعناه: المظفّر. وكان قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو، وشَرَه على أموال الناس ففسدت قلوبهم ونياتهم، ومضى ناس من العظماء إلى بابل، فأحضروا ولده شيرويه بن أبرويز، فوصل إلى بهرسير، فدخلها ليلاً، فأخرج من كان في سجونها، واجتمع إليه من كان كسرى أمر بقتلهم، فنادوا شاهنشاه، وساروا حين أصبحوا إلى رحبة كسرى، فهرب حرسه، وخرج كسرى إلى بستان قريب من قصره هارباً، فأخذ أسيراً، وملّكوا ابنه، فأرسل إلى أبيه =

في الملك، وجمع الخزائن والآلات، وكنز الكنوز، واستعمل (من)[١] اللذات، ما لو وصفناه، لطال بشرحه الكتاب، وكان ملكه ثماني وثلاثين سنة.

[شيروى بن خسرو]

وملك من بعده شيروى بن خسرو[٢]، وكان ملكه سبعة أشهر.

[أزدشير]

وملك من بعده أزدشير[٣]، وكان ملكه عشر سنين وستة أشهر.

= يقرّعه بما كان منه، ثم قتله الفرس وساعدهم ابنه، وكان ملكه ثماني وثلاثين سنة. أي بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بستة أعوام. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٩٢ - ٤٩٣.

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) شيروي بن خسرو: والصحيح شيرويه بن كسرى، وهو كسرى شيرويه بن كسرى بن أبرويز بن هرمز بن أنو شروان. ملك بعد خلع أبيه من الملك. وأم شيرويه هي مريم بنت موريق ملك الروم، واسمه قباذ، ودخل عليه العظماء والأشراف وقالوا: لا يستقيم أن يكون لنا ملكان، فإما أن تقتل كسرى ونحن عبيدك، وإما أن نخلعك ونطيعه. فانكسر شيرويه ونقل أباه من دار الملك إلى موضع آخر حبسه فيه، ثم جمع العظماء، وأمر بقتل أبيه على كره منه، وانتدب لقتله رجالاً ممن وترهم كسرى أبرويز، وكان الذي باشر بقتله شاب يقال له مهر هرمز بن مردانشاه من ماحية نيمروذ، فلما قتل شق شيرويه ثيابه، وبكى، ولطم وجهه، وحملت جنازته وتبعه العظماء وأشراف الناس، فلما دُفن أمر شيرويه بقتل مهر هرمز قاتل أبيه. ثم إن شيرويه قتل إخوته، فهلك منهم سبعة عشر أخاً ذوي شجاعة وأدب، بمشورة وزيره فيروز. وابتُلي شيرويه بالأمراض، وكان هلاكه بدسكرة الملك، وجزع بعد قتل إخوته جزعاً شديداً، ويقال: إنه لما كان اليوم الثاني من قتل إخوته دخلت عليه أختاه: بوران وأزرميدخت فأغلظتا عليه، وقالتا: حملك الحرص على الملك الذي لا يتمّ لك على قتل أبيك وإخوتك. فلما سمع ذلك بكى بكاءً شديداً، ورمى التاج عن رأسه، ولم يزل مهموماً مدنفاً، ويقال: إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته، وفشا الطاعون في أيامه، فهلك من الفرس أكثرهم، ثم هلك هو. وكان ملكه ثمانية أشهر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٩٤ - ٤٩٧.

(٣) أزدشير: أزدشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان. كان عمره سبع سنين عندما توفي والده شيرويه، فملّكه الفرس، وحضنه رجل يقال له بهادر جسنس، مرتبته رئاسة أصحاب المائدة، فأحسن سياسة الملك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يُحَسّ معه بحداثة سن الملك أردشير. وكان شهر براز بثغر الروم في جند ضمّهم إليه كسرى أبرويز، وكان قد صلح له بعده ما فعل بالروم. وكان ينفذ له الخلع والهدايا، وكان أبرويز وشيرويه يكاتبانه ويستشيرانه، فلما لم يشاوره عظماء الفرس في تمليك =

[كراز]

وملك من بعده كراز[١]، وكان ملكه خمساً وخمسين سنة.

[تورانر تحت]

وملك من بعده توران تخت[٢]، وكان ملكه ستة أشهر.

[أرزمي دخت]

وملك من بعده أرزمي دخت، وكان ملكه أربعة أشهر.

[فرخ زاد]

وملك من بعده فرخ زاد[٣]، وكان ملكه شهراً واحداً.

= أردشير اتخذ ذلك ذريعة إلى التعنّت وبسط يده في القتل، وجعله سبباً للطمع في الملك احتقاراً لأردشير لصغر سنه، فأقبل بجنده نحو المدائن، فتحول أردشير وبهادر جسنس ومن بقي من نسل الملك إلى مدينة طيسفون، فحاصرهم شهربراز، ونصب عليهم المجانيق، فلم يظفر بشيء، فأتاها من قبل المكيدة، فلم يزل يخدع رئيس الحرس وأصبهبذ نيمروذ حتى فتحا له باب المدينة، فدخلها وقتل جماعة من الرؤساء، وأخذ لهم أموالهم، وقتل بعض أصحابه أردشير في إيوان خسروشاه قباذ بأمر من شهر براز. وكان ملكه سنة وستة أشهر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩٨.

(١) كراز: والصحيح شهربراز واسمه فَرُّخان، ولم يكن من بيت الملك. تسلم الحكم بعدما قتل أردشير، وجلس على تخت المملكة، وحين جلس عليه ضرب عليه بطنه، فاشتدّ ذلك، ثم عوفي. وتعاهد ثلاثة أخوة من أهل اصطخر على قتله غضباً لقتل أردشير، وكانو في حرسه، فركب شهربراز يوماً، ولما حاذاهم طعنوه، فسقط ميتاً، فشدّوا في رجله حبلاً وجرّوه، وساعدهم بعض العظماء، وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا أردشير. وكان جميع ما ملكه شهربراز أربعين يوماً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩٩.

(٢) توران تخت: والصحيح بوران، وهي بوران ابنة أبرويز بن هرمز بن أنوشروان. لمّا قتل شهربراز ملّكت الفرس بوران لأنهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلاً يملكونه. فلما ملكت أحسنت السيرة في رعيتها، وعدلت فيهم، فأصلحت القناطر، ووضعت ما بقي من الخراج، وردّت خشبة الصليب على ملك الروم، وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩٩.

(٣) فرخ زاد: ربما قصد به مؤلف المخطوطة أنه فَرُّخان الاسم الحقيقي لشهربراز الذي سماه خطأً كراز =

[يزدجرد بن شهريار]

وملـك من بعـده[١] يزدجرد بن شـهريار[٢]، وهو آخر ملـوك العجم، وكان ملكه ستاً وثلاثين سنة.

وبعد ذلك استولى أهل الإسـلام، وغلبوا العجـم، وأزاحوهم عن البلاد، وقويت دولة الإسلام، وذلك في خلافة أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب ﷺ.

فاعلم أيها السامع وتيقّن، أن هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم، كانوا أصحاب الدنيـا، وملـوك الأرض، وأنهـم بلغـوا مـن الدنيـا مرادهـم، وصرفـوا باللذات أوقاتهـم، ومضـوا، وبقيـت أسـماؤهم وسـماتهم، كمـا عددناه مـن خصالهم،

= وقـد حكـم قبـل بوران. والذي ملك من بعدهـا ليس فرخ زاد إنما هو خشنشـبنده من بني عم أبرويز الأبعديـن، وكان ملكـه أقـل من شـهر، وقتله الجند لأنهـم أنكروا سـيرته. انظر: ابن الأثيـر، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩٩.

(١) والصحيح أنه ملك بلاد فارس بعد مقتل خشنشبنده الملكة آزرميدخت ابنه أبرويز، وكانت من أجمل النساء، وكان عظيم الفرس يومئذٍ فرخهرمز أصبهبذ خراسان، فأرسل إليها يخطبها، فقالت: إنّ التزوّج للملكـة غيـر جائز، وغرضـك قضاء حاجتك مني، فصر إليَّ وقت كذا. ففعل وسـار إليها تلك الليلة، فتقدمت إلى صاحب حرسـها أن يقتله، فقتله وطرحه في رحبة دار المملكة، فلما أصبحوا رأوه قتيلاً فغيّبوه. وكان ابنه رستم (وهو الذي قاتل المسلمين في ما بعد في القادسية) خليفة أبيه بخراسان، فسار في عسـكره حتى نزل بالمدائن، وسـمل عيني آزرميدخت وقتلها. وقيل: بل سُـمَّتْ. وكان ملكها ستة أشهر. وقيل: ثم أتى رجل يقال له كسرى بن مهر جسنس من عقب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز، فملّكـه العظمـاء، ولبس التاج، وقتل بعد أيام. وقيل: إن الذي ملك بعد آزرميدخت خرزازخسـرو من ولد أبرويز، وأمه كردية أخت بسـطام، قيل: وُجد بحصن الحجارة قرب نصيبين، فمكث أياماً يسيرة، ثم خلعوه، وقتلوه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٥٠٠.

(٢) يزدجرد بن شـهريار: هو يزدجرد بن شـهريار بن أبرويز. وكان سبب تنصيبه ملكاً على بلاد فارس هو أن الفرس أضطرب أمرهم، ودخل المسلمون بلادهم، فطلبوا أحداً من بيت المملكة ليملّكوه ويقاتلوا بين يديه، ويحفظوا بلادهم، فظفروا بيزدجرد بن شـهريار بن أبرويز باصطخر، فأخذوه وسـاروا به إلى المدائـن، فملكوه، واسـتقرّ فـي الملك، غير أن ملكه كان كالخيال عند ملـك أهل بيته. وكان الوزراء والعظمـاء يدبـرون ملكه لحداثة سـنّه، وضعـف أمر مملكة فـارس، واجترأ عليهم الأعـداء، وتطرّقوا بلادهم، وغزت العرب بلاده بعد أن مضى من ملكه سنتان، وكان عمره إلى أن قتل ثماني وعشرين سـنة. فـكان آخر ملوك فارس. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بـن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٥٠١.

وأوردناه من أفعالهم، لتعلم أن الناس إنما هم الحديث الذي يبقى بعدهم، فكل إنسان يذكر بما كان يفعله، (وينسبُ إلى ما كان يعمله)[١] إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فيجب على الإنسان أن يزرع بذر الخير، وأن ينفي عن نفسه العيوب الفاحشات، والخطايا الموبقات، ليبقي بعده حسن الاسم، وصالح الرسم، ولئلا يذكر بالقبيح، وقد غيّب في الضريح، كما قال الشاعر:

إهرب من الذنب وتب يا فتى … وإن بدا منك فدع واندمِ
وانف عن نفسك ما شانها … ومن قبيح الفعل كف تسلَمِ
بعدك يبقى الذكر لا غيره … وكن حديثاً حسناً تغنمِ[٢]

ويقال: إن ذكر الرجال بعد موتهم حياة ثانية، لأن نشر ذكره ميتاً، يجب له الحمد به، والذم، كأنه في الحياة، وحين يذكر ميتاً كحين يذكر (٢٢) حياً، وليجتهد العاقل في إصلاح دينه أولاً، وليخف العار (في دنياه)[٣] حياً وميتاً.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٠.
(٢) انظر الأبيات في: الغزالي، أبو حامد: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص١٦.
(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٠.

فصل في ملوك حمير

[قحطان]

قيـل: لمّا مـات هود[١] عَلَيْهِ السَّلَامُ، صار الأمر من بعده إلـى ابنه قحطان[٢]، فلزم طريقة أبيه، واقتدى بها.

[يعرب بن قحطان]

فلما مات قحطان، قام مقامه ولده يعرب[٣]، وخلفه بأحسن الخلافة وسار

---

(١) هـود: (هـود عَلَيْهِ السَّلَامُ) بن عبد الله بن رياح بـن الخلود بن عاد: نبي عربي من قـوم عاد الأولى (وهي قبل ثمود) من سكان الأحقاف (شمالي حضرموت). كان يتكلم بالعربية، وكان قومه وثنيين، فدعاهم إلى الله، فكذبوه واتهموه في عقله، فأنذرهم وحذرهم من غضب الله، فأمسـك عنهم المطر، ثم أرسـلت عليهم ريح اسـتمرت ثمانية أيام، هلك أكثرهم، ونجا هود ومن آمن به، فأقام في حضرموت إلى أن توفي، ودفن على مراحل من مدينة «تريم». وقيل: توفي ودفن في الأحقاف في مكان يدعى «الهنيق»، بقـرب نهـر الحفيف. وفي خبـر آخر أنه مدفون بمكة بين زمزم والحجر. انظـر: الزركلي، خير الدين: الأعـلام، ج٨، ص١٠١ - ١٠٢. وانظـر نسـبه وولده في العوتبي، سـلمة بن مسـلم: الأنسـاب، ج١، ص١٢٣.

(٢) قحطان: قحطان بن عامر بن شـالح بن أرفخشـذ بن سـام بن نوح: أصل العـرب القحطانية، وأبو بطـون حميـر، وكهـلان، والتبابعة (ملـوك اليمـن) واللخميين (ملـوك الحيرة) والغساسـنة (ملوك الشام) في الجاهلية. يعدّه أهل الأنساب أول رجال الجيل الثاني من أجيال العرب الثلاثة (العاربة والمسـتعربة والمتعربـة)، ويقولون: إنـه أول من لبس التاج من ملوك اليمـن وجزيرة العرب. كان من سكان حضرموت، وانتقل إلى أرض صنعاء، وفابتنى فيها، فعمّرت في أيامه. وهاجم العراق، وقاتـل بعلـوس ملـك الآشـوريين في عهـده، وتوفـي في حروبـه، وتفرقت سـلالته في المشـرق والمغـرب، واسـمه فـي التوراة «يقظان» وعنها أخذ النسـابون نسـبه. وفيهم من قـال: إنه ابن هود النبي. وجعله بعضهم من سـلالة «إسـماعيل» كعدنان. انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٩٠ - ١٩١. وانظر نسبه وولده في العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج١، ص١٢٣ ـ ١٢٥.

(٣) يعـرب: يعرب بـن قحطان بن عابر بن شـالخ بن أرفخشـذ بن سـام بن نـوح: أحد ملـوك العرب في جاهليتهم الأولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم، وهو أبو قبائل اليمن كلها. وبنوه العرب العاربة. ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه، وغزا الآشوريين في العراق وبابل، ففاز بغنائم، وعاد إلى اليمن، فصفا له ملكها، وحارب العمالقة، وكانوا أصحاب الحجاز، فغلبهم عليه. ويقال: إنه أول =

بسيرة أبيه، وعمل على وصيته، وهو أول من تكلم بالعربية، وأول من حيَّا يابيت[1] اللعن، وأنعم صباحاً، وكان ملكاً، لم تغزُ ولم تصدر بنو سام، إلاّ عن رأيه. ومن وصيته لأولاده قبل موته: يا بني، احفظوا منيّ خصالاً عشراً، تكن لكم شرفاً وذكراً: تعلموا العلم، واعملوا به، واتركوا الحسد، ولا تلتفتوا إليه، فإنه داعية القطيعة، واجتنبوا الشر وأهله، فإن الشر لا يجلب عليكم إلاّ الشر، وانصفوا الناس من أنفسكم، وإياكم والكبر، فإنه يبعد قلوب الرجال عنكم، وعليكم بالتواضع، فإنه يقرّبكم إلى الناس، ويحببكم إليهم، واحفظوا للجار، وإن جار، واصفحوا عن المسيء، فإن الصفح عن المسيء يحسم العداوة، ويزيد مع السؤدد سؤدداً، ومع الفضل فضلاً، وآثروا الجار والدخيل على أنفسكم، فإن جماله جمالكم، وانصروا المولى في السلم والحرب، فإنه منكم ولكم، وابن المولى من أنفسكم، وحقه عليكم، مثل حق أحدكم على سائركم، وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه مثل ما تشيرون به على أنفسكم، فإنها أمانة ألقاها الله في أعناقكم، والأمانة ما قد علمتم، وتمسكوا باصطباع الرجال، تسودوا به غيركم، فإن ذلك يزيدكم شرفاً إلى آخر الدهر.

[يشجب بن يعرب]

فلمّا مات يعرب، خلفه يشجب[2]، وثبت على وصيّة أبيه، فساد بني سام، وملك أمرهم ونهيهم، وملك اليمن والحجاز.

= من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعد أن دخلتها لغات الأمم الثانية. وقال وهب بن منبه: «يعرب أول من قال الشعر، ووزنه، ومدح، ووصف، وقص، وشبّب». مات بصنعاء بعد أبيه بنحو ثلاثين عاماً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص١٩٢. وانظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج١، ص١٢٣.

(١) وفي النسخة الأصلية ب، ص٢١، «بأبيت».

(٢) يشجب: يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام، ملك اليمن والحجاز، ولم يغير وصية أبيه، ثم إنه أوصى بنيه وأهل بيته، فقال لهم: يا بنيَّ، إني لم أسُدْ أخوتي وعشيرتي إلّا بحفظي وصية أبي يعرب، =

[سبأ بن يشجب]

فلما مات يشجب، خلفه من بعده ولده سبأ(١)، واسمه عامر(٢)، وكان ملكاً عظيماً، وكان يعبد الشمس، فسمي عبد شمس، وغزا بابل، فافتتحها، وبنى قنطرة، (صنجة)(٣) وهي من أوابد الدنيا، وغزا الشام، وكان كلما قاتل (٢٣) أمه، سبا زراريها، وبنى مدينة مصر وسماها بابليون(٤)، ثم رجع إلى اليمن، وبنى السدّ الذي ذكره الله في كتابه العزيز، واسمه العرم(٥)، وهو سدّ يقبل

= وبعملي بها، وثباتي عليها، فأقيموا على ما وجدتموني عليه، وهو الذي أنهيه إليكم مما وصاني به أبي، فاحفظوا ذلك، واثبتوا عليه، واعملوا به، والله خلفني عليكم والرشيد المهتدي منكم، وأنشأ يقول:

أوصى النبي ابنه قحطان جدّي بما ... أوصى بنيه أبي من بعد قحطانِ
علم حواه أبي من دون أخوته ... وحزته بعده من دون إخواني

انظر: الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩ - ١٠.

(١) سبأ: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام، كان ملكاً عظيماً، لمّا مات أبوه يشجب ادعى كل واحد من أولاد يعرب الملك، ففتر الأمر، وتغلب ملوك العجم بنو فارس على الفرس، وبنو يافث على أرمينيا وما وراءها، وبنو عوجان بن يافث على أنطاكية ودروب الروم، وبنو كنعان على بيت المقدس إلى الغرب، فقام سبأ وجمع بني قحطان وبني جود، وخطب فيهم خطبة، وزحف على بابل ففتحها، وقتل من وجد فيها، وسار طالباً أرض خراسان، وغزا أرض أرمينيا والخزر، وغزا الشام، ثم غزا مصر وبنى فيها مدينة بابليون على اسم ابنه بابليون الذي جعله والياً على مصر، وأنشأ يقول:

ألا قل لبابليون والقول حكمة ... ملكت زمام الشرق والغرب أجمل
فخذ لبني سام من الأمر قسطه ... ولا تك جباراً عليهم وأمهل

وهو الذي قسم الملك بين ولديه حمير وكهلان، ونصب حميراً ملكاً مكانه. انظر: الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩ - ١٠.

(٢) عامر: اسم سبأ بن يشجب: عامر، ويسمى أيضاً: عبد شمس وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ورثنا الملك من جدّ فجدّ ... وراثة حمير من عبد شمس

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١١.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢١.

(٤) بابليون: مدينة بناها الملك سبأ بن يشجب في مصر بعدما غزاها، وهي تحمل اسم ابنه بابليون الذي كلفه بحكمها. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١١.

(٥) سدّ العرم: يقول بعض العلماء: إن بانيه هو لقيان بن عاد بن الكبر، ويقول آخرون: إن بانيه هو الأزد بن الغوث من عقب كهلان. انظر: الهمذاني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج٨، ص ٤٥.

عليه سبعون وادياً، وقيل: إنه مات قبل إتمامه، وقيل: كان عمره خمسمائة سنة.

[حمير بن سبأ]

ثم ملك من بعده ولده حمير[١]، ولم يزل ملكاً، حتى مات، وكان ملكه زيادة على مائة سنة.

[الهميسع بن حمير]

ثم ملك من بعده ولده الهميسع[٢]، واشتدّت وطأته، ووازره عمه كهلان[٣]، وهو شيخ كبير.

---

(١) حمير: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان: جدّ جاهلي قديم، كان ملك اليمن، وإليه نسبة الحميريين (ملوك اليمن وأقياله) وكان شجاعاً مظفراً. حكم بعد أبيه سبأ، وعاصمة ملكه صنعاء، وإنه غزا وافتتح حتى بلغ بعض غزواته الصين. واتخذ تاجاً من الذهب، فكان أول من تتوج به، قاتل قبائل ثمود، كان مقامها في اليمن، ففرقها، فارتحلت إلى الحجاز، وأنه عاش خمسين سنة بعد أبيه، وولد خمسة أولاد: مالك، وعامر، وعمرو، وسعد، ووائل. ومن بطون حمير: السكاسك، والشعبيون، وبنو الريان، وقضاعة، وعبد شمس. ومن ملوك الحميريين التبابعة والأذواء والأقيال، ويرى بعضهم أن اسمه «العرنجج» وأنه لقب بحمير لكثرة لبسه الثياب الحمر. وعندما توفي جُعل في مغارة، وقد وضعت معه في تلك المغارة أدرعه. انظر: الزركي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٨٤. وانظر أنساب حمير في: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج١. ص١٧٣.

(٢) الهميسع: الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ملك بعد وفاة أبيه حمير، وابن الهميسع أيمن، فابنه زهير، فابنه غريب، فابنه حيدان، فأخوه قطن بن غريب، فالغوث بن حيدان، فابنه وائل، فابنه عبد شمس، فابنه الصوار، فابنه ذو يقدم، فذو أبين، فالمظاظ، فابنه وتار، وانتقل الملك إلى تبع بن يزيد من همذان، ثم عاد الملك إلى حمير، فحكم الملك الحارث الرايش. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٨٤. (وردت الترجمة في سياق ترجمة حمير). وانظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج١. ص١٧٦.

(٣) كهلان: كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. جدّ جاهلي قديم، بنوه قبائل ضخمة جداً منها: «همذان» و«الأزد» و«طيء» و«مذحج» كانت لهم إمارة أطراف اليمن وثغورها. ولما تقلص ملك حمير بقيت رئاسة البادية لبني كهلان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٣٥. وانظر نسب كهلان وولده في: العوتبي، سلمة بن مسلم، الأنساب، ج١، ص٢٤٦.

[أيمن بن الهميسع]

فلما توفي الهميسع، قام من بعده ولده أيمن[١].

[زهير بن أيمن]

ولما توفي أيمن، قام من بعده ولده زهير[٢].

[غريب بن زهير]

ولمّا توفي زهير، قام من بعده ولده غريب[٣]، أحسن قيام، حُمد فيه، فلم يذم، وعدل، ولم يجر.

[قطن بن غريب]

ولما توفي غريب، ملك من بعده ولده قطن[٤]، فسار في الناس سيرة

---

(١) أيمن: أيمن بن الهميسع بن حمير، تسلم الملك بعد وفاة والده الهميسع، فأجال الشرف والسؤدد، فقال مالك بن حمير في ذلك هذه الأبيات:

نطيع ولا نعصي أخانا الهميسعا ... وأيمن ما غنى الحمام وأسجعا
لقد ساد أملاك البلاد هميسعْ ... وما بلغت تسعاً سنوه وأربعا
وأيمن شمنا فيه ما في هميسعٍ ... رأته بنو هود فطيماً ومرضعا

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٢٤.

(٢) زهير: زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، ملك بعد وفاة والده أيمن، ووازره على ملكه نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، وعاضده على ملكه صدراً من ولايته، ثم نصب معه ابنه الغوث بن نبت. ولمّا أسنَّ زهير أوصى لابنه غريب. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) غريب: والصحيح عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام. قام بالحكم بعد وفاة أبيه زهير أحسن قيام، وولى معه الغوث بن نبت صدراً من ولايته، ثم أسند العمل إلى ابنه الأزد، فتولى جميع ما كان أبوه الغوث يتولاه لزهير وعريب. له أربعة أولاد: صناجة، وجيادة، وأبرهة، وقطن. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٣٦ - ٣٧.

(٤) قطن: قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ، ولي الملك بعد أبيه عريب، وسار في الناس سيرة أسلافه ووازره الأزد صدراً من ولايته، ثم نصب معه ابنه مازن بن الأزد، فندب أخاه =

أسلافه، وأظهر العدل، وقمع السفهاء، وأحسن إلى العرب، وأوصل ملوك العجم، واعتقل كل واحد منهم معقلاً وراء ظهره.

[جيدان بن قطن]

ولمّا مات قطن، ملك من بعده ولده جيدان[١]، فحسنت سيرته، وحمدت أفعاله.

[الغوث بن جيدان]

ثم إنه خلع الملك على ولده الغوث[٢]، وذكر أن الغوث ولّي الملك في حياة أبيه، وبعد وفاته دهراً طويلاً، وكان أحسن الملوك سيرة، وتزوج أم البنين بنت ذي القرنين، ومات وهي حامل بوائل[٣].

= نصر بن الأزد وجرّده على الشحر وعُمان في الخيل والرجال والعدد، وأمره أن يتوطن بتلك البلاد، فسار نصر ابن الأزد حتى وصل إلى الشحر، فسمع له من بمشارق اليمن إلى عُمان. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٣٨ - ٣٩.

(١) جيدان: جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ، ملك يمني، ولي الملك بعد أبيه قطن بن عريب، وحمدت أفعاله واستحسنت، وفي حياته قلّد الملك لابنه الغوث، وأنشأ يقول:

وصيت غوثاً بما أوصى أوائله … وللوصية إنماء وإنكاث
قلدته الملك لما أن رأيت له … فضائلاً كلها للملك إحثاث

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٤٠ - ٤١.

(٢) الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، ملك اليمن في حياة أبيه جيدان، فكان من أحسن الملوك سيرة، وأعلم بسيرة آبائه وأجداده، ثم إنه خطب إلى ذي القرنين ابنته أم البنين، فزوجه إياها، فلم يلبث إلّا يسيراً حتى توفي وهي حامل بوائل، وخلف في الملك ذا القرنين، وكان مع الغوث من بني كهلان: مازن بن الغوث بن الأزد عاملاً على الثغور. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٤٢.

(٣) وائل: وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ. والدته أم البنين ابنة ذي القرنين، توفي والده الغوث وأمه حامل به، فنشأ في كنف جدّه، ولما نشأ وائل أقام بالمملكة، وسار بالناس سيرة حميدة، واستكمل جزيرة العرب من اليمن والحجاز والعروض والبحرين والعراق والشام. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٤٢.

[وائل بن الغوث]

فخلف في الملك من بعده ذو القرنين[١]، فلما نشأ وائل وكبر، قام مقام أبيه في المملكة، وسار في الناس سيرة حسنة، وساسهم سياسة جميلة، واستكمل جزيرة العرب من اليمن إلى الحجاز[٢]، والعروض[٣]، والبحرين[٤]، وأداني الشام طاعه وإجابة.

[عبد شمس بن وائل]

ولما توفي، ملك من بعده ولده عبد شمس بن وائل[٥]، فاجتهد في الرعيّة، وسار فيهم سيرة حسنة.

(١) ذو القرنين: هو الملك تبع الأقرن بن شمّر بن يرعش، ولعله هو ذو القرنين المذكور في القرآن، ويسمى الأقرن ذو القرنين لشيب كان على قرنيه، ولد وهو عليه، وكان ملكاً عظيماً حليماً، قد اطلع على الغيب، وسمع حكومات من ينظر في القرآن. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) الحجاز: هي في الأصل سلسلة جبال السرات التي تبدأ جنوباً من اليمن، وتمتد شمالًا إلى قرب الشام، وسميت حجازاً لأنها تحجز تهامة عن الغور عن نجد. وحدد الأصمعي الحجاز في كتابه. «جزيرة العرب» بأنه تخوم صنعاء، من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام. انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج٩، ص ٨٢٨٣.

(٣) العروض: المدينة ومكة واليمن، وقيل: مكة واليمن. وقال ابن دريد: مكة والطائف وما حولهما. وسميت تلك الناحية بالعروض لأنها معترضة في بلاد اليمن والعرب وما بين تخوم فارس إلى أقصى أرض اليمن مستطيلة مع ساحل البحر. وقال ابن الكلبي: بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض، وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص ١١٢.

(٤) البحرين: تتألف من مجموعة من الجزر في الخليج العربي بين قطر والإحساء أكبرها جزيرة البحرين، بها عيون ماء عذبة، وجزيرة المحرق، والنبي صالح، وأم نعسان، اشتهرت قديماً بصيد اللؤلؤ. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٣٣٠.

(٥) عبد شمس بن وائل: عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن. تولى الحكم بعد وفاة أبيه وائل، وسار في الرعية سيرة حسنة، كان له ولدان: الصوار وجشم، أوصى قبيل وفاته بالحكم لابنه الصوار. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٤٣.

[أبو السميدع الصوّار]

فلما مات، ملك من بعده ولده أبو السميدع الصوّار[(١)]، وكان حسن السيرة، وجمع الأموال، واتخذ السلاح.

[ذو يقدم]

ولمّا مات، ملك من بعده ذو يقدم[(٢)]، فسار سيرة أجداده، وشمَّر عن ساق، وأصاب في ملكه قحط وجدب، وكان في (٢٤) زمن يوسف[(٣)] عليه السلام، فسار أهل اليمن يمتارون من عنده، فرثى لهم من بعد السفر، فقال لهم: أين أنتم من النواضح[(٤)]، ووصفها لهم، فلما رجعوا، احتفروا الآبار، فكانت النواضح من

---

(١) الصوّار: الصوّار بن عبد شمس بن وائل، قام مقام والده بعد وفاته، فالتقط في أيامه آثار أجداده، واستعمل وصية أبيه عبد شمس في المملكة، أخذ في جمع الأموال وادخار السلاح، وأنجد حمير بأنجاد العدد، ولم ينسَ حظه من العدل وحسن السيرة، حتى سنت به حياته. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٤٥ - ٤٦.

(٢) ذو يقدم: ذو يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل. ملك بعد وفاة أبيه، وسار بالناس سيرة حسنة، واستخلف بعده ابنه ذا أنس، وقال في ذلك شعراً:

أبا عمرو إذا ما قمت بعدي	فأمرك بالأقارب والعشيرِ
ولا ينقذك مطلوب بضّرٍ	ولا تظهر لهم كل الظهورِ
وإن من الحجاب لما يعنى	عليك الجاريات من الأمورِ
ولا تبح نذيراً حين يسعى	بنصح فالنذير أخو البشيرِ

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) يوسف: النبي يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، كان قد قسم به ولُأمّه شطر الحسن، أحبه والده حباً شديداً، وحسده أخوته على ذلك، غيّبه أخوته في الجبّ، ودخل مصر وله سبع عشرة سنة، واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه إلى مصر، أتاه الله العلم والحكمة قبل النبوّة وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة. كانت غيبته عن أبيه يعقوب اثنتين وعشرين سنة، وكان مقام يعقوب وأهله بمصر سبع عشرة سنة. مات يوسف بمصر، وكان قد أوصى بأن يحمل ويدفن عند آبائه في مزرعة حبرون (جيرون) فحمله موسى لما خرج بقومه، ومن نسل يوسف يوشع بن نون بن لافرائيم بن يوسف. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٤) النواضح: الآبار. انظر: لسان العرب، نضح+ نضخ.

تلك اليوم، فكل بئر بقيت باليمن من تلك اليوم، فهي عدّ لا تنزح، ولا تنضب، وتسمى العادية واليوسفية.

[ذو أنس بن ذي يقدم]

ولمّا مات ذو يقدم، ملك من بعده ولده ذو أنس(١)، فاستن سنن آبائه، وسار على منهاجهم، وعمل بوصاياهم.

[عمرو بن أنس]

ولمّا توفي ملك من بعده ولده عمرو(٢)، وكان مصطنعاً لعزّ الرئاسة مستحقاً لها، حافظاً لما قلّد، أميناً فيما أئتمن عليه.

[الملطاط بن عمرو]

فلما توفي، ملك من بعده الملطاط(٣).

(١) ذو أنس: ذو أنس بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل. تولى الملك بعد وفاة أبيه ذو يقدم، فمضى على سنن آبائه، وجرى جريهم، وأقبل على ابنه عمرو دون أخوته غنم والراتع، وقال وهو يوصيه شعراً:

يا عمرو من صاحب الأيام كان له	على العزيز بها فضل إذا اختبرا
إن الأنيس وإن لم يرضَ عقدته	يسوؤه العاقل العرّيف ما عمرا
من لم يجاوز بخير نعمة شردت	عنه وأصبح عنها يقتضي الأثرا
والشر مفتاح أبواب المزيد لمن	يبغي المزيد وكفاك الذي عمرا

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٥٠.

(٢) عمرو بن أنس (ذو أبين) بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل. تولى الملك بعد وفاة أبيه ذو أبين وهو ذو أنس. وسار بالناس سيرة حسنة. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٥١.

(٣) الملطاط: وفي الكثير من المصادر الملطاظ بن عمرو بن ذي أبين. ملك يماني جاهلي قديم من ملوك حمير، صاهر «علهان تبع» من همذان، فتزوج هذا أخته، وولدت له أيمن بن علهان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٨٧.

[عامر بن ماء السماء]

فلما توفي الملطاط. قيل: ملك من بعده عامر ماء السماء[١]، وسمي ماء السماء، لأنه كان إذا قحط الناس، أقام ماله مقام المطر.

[شداد بن الملطاط]

وقيل: ملك من بعد الملطاط شداد[٢].

[وتار بن شداد]

وقيل: ملك من بعده وتار[٣]، فلم يلبث وتار في الملك إلّا قليلاً، حتى نازعه بنو الصوّار في الملك، وقالوا: نحن أحق بالملك منه، لأنه ملك أبينا، وتداعوا للحرب، فلما رأت ذلك وجوه حمير، خافوا الفرقة والقطيعة، فرأوا خلع وتار، وإخراج عمومته من الملك.

---

(١) عامر ماء السماء: عامر بن حارثة بن الغطريف الأزدي، من يعرب، سمي ماء السماء لأنه كان يقيم ماله إذا بئست الناس مقام المطر، فيبلغ الناس بعطاياه ورفده وقت الجدب، إلى أن يلحقهم المطر والخصب، وذكروا أن عامر ماء السماء بن حارثة جرّد إلى الشام زيد بن ليث بن سدد بن أسلم، فلما صار الحجاز وقع بين عشائره كلام، فافترقت قضاعة عنهم، وأقام زيد بالحجاز، ونسله بها إلى اليوم. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) شداد: وفي الكثير من المصادر سدد بن الملطاظ بن عمرو بن ذي أبين. ملك بعد وفاة أبيه الملطاظ، وامتثل ما عهد إليه أبوه، فسعد به أقاربه، وحظي به من لم ينأ عنه، ولم يبقَ له ولد غير الحارث الرائش ووتار، فأسند إليه الملك وأشهره به. ومما قاله شعراً:

جعلت عمري أثلاثاً فأوله ... صباً وأوسطه للغشم والجرتِ
ثم ارتفعت فكان الثلث آخره ... قسماً لدنياي موفوراً لآخرتي

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) وتار: وتار بن سدد بن الملطاظ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سدد، وكان ولي عهده، وكان في عهده إليه، إذا أنا متُّ، فقف عمرك على خمس خصال، تستعذب وردها، وتستعدي صدرها، وتحمد غبها: على فرض الله تؤديه، ووطر لنفسك تقضيه، وتيقظ في الملك تحميه، وحكم عدل في الرعية تمضيه، ولذي آلب في غير الده ما يكفيه، فلم تطل مدّة وتار، ولا ثبتت قدمه في الملك حتى نازعه عمومته بنو الصوار. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٥٦ - ٥٧.



[تبع بن زيد]

فأقاموا تبع بن زيد[(١)]، ورضيت به بنو الصوّار، فملك تبع، وحسنت سيرته.

[علهان وبهقان]

ثـم ملك من بعده علهان، وبهقان[(٢)]، فأحسـنا السـيرة، وامتثلا ما وصّاهما به أبوهما. ثم مات بهقان وبقي علهان، واستفرد بالملك، فسار سيرة من سبق من آبائه.

[شهران بن بهقان]

ثم ملك من بعده شهران[(٣)].

[تالب ريم بن شهران]

ولمّا توفي شـهران، ملك من بعده تالب ريم[(٤)]، فعظم سـلطانه، وحسـنت أيامه، وذكرته حمير في كثير من مشاهدها.

(١) تبّع بن زيد: تولى الحكم بعد خلع الملك وتار من قبل بني الصوار، فملك وحسـنت سـيرته، وقرّب بني الصوار وأدناهم وآثارهم، وكان له الاسـم ولهم الجسـم. ويعرف بصاحب السد «سد تبع». انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٥٧ ـ ٥٨.

(٢) علهان وبهقان: ملكا وأحسنا السيرة وعملا بوصية أبيهما، وعندما توفي بهفان، استفرد علهان بالملك، وأوصـى إلـى ابن أخيه شـهران بالملك، وقال له: إني لـم أخصّك بالملـك دون ابني أيمن لأجل أنك تزيد عليه في الفضل أو سعة في نجدة، ولكن أحببت أن أصل ما طوته الأيام من عمر أبيك دون ما بقي من عمر أبيك دون عمري. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٥٨.

(٣) شـهران: شـهران بن بهقـان، ملك بعـد وفاة عمه علهان، فأوسـع الناس هيبة ورهبة ورغبة، وشـملهم عدلـه، وقام سـلطانه، فأمر ببناء ما حول ناعط من قصـور، وأوصى بالحكم من بعده لابنه تالب ريم. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٥٨.

(٤) تالـب ريـم: تولـى الملك بعد وفاة أبيه شـهران، وكان والده قد اسـتعمله في حياتـه في أرض حمير، وكتـب لـه كتاباً جاء فيه: «باسـمك الله رب حمير وهمذان، زبور مـا زبر على قطّ وحجر، بعهدي لك يـا تالـب فـي حياتي، ووصية لك بعد وفاتي أن لك الشـركة في أمري ما حييـت، والحوزة للملك ما رديت، فاتخذ بسنّتي واعمل جادّتي، ولا ترضين لنفسك أن يقال: أبـــوه خير منه، وأن يلحــق الآخر =

[حاشد ذو أمر]

ثـم ملك من بعده حاشـد ذو أمر[١]، فأحسـن السـيرة، وأقام قليـلًا. ثم إنه جمـع حمير وكهـلان، وقال: أيها الناس، إن لكل قـوم دولة، ولكل دولة مدّة، كما أنه لكل حامل تمام، ولكل مرضع فطام، وقد حان منّا انقطاع الأمد، ووفاء بظهـور آل سـدد، فإنه لنا لولد، وقد جاء في الخبـر أنه الملك المنتظر، والعلم المشـتهر، وإني قدر رأيت أن أُنزل نفسـي منزلة العباء له، خشية أن أنزلها منه. فلم يزل كذلك، حتى قام الحارث الرائش[٢]، واعتضد به.

[الرائش بن شدد]

وهـذا هـو الملـك الرائش بـن شـدد (٢٥) بن قيس بـن صيفي بـن حمير الأصغـر، وولـده التبابعـة، وكان ملـكاً عظيماً مهاباً شـديد البأس، غـزا الهند، فقتـل المقاتلة، وسـبا الذرية، وغنـم الأموال، وخلف عليهـا يعفر بن عمرو[٣]، في اثني عشر ألفاً، وأمره أن يبني بها مدينة، يذكر بها، ورجع إلى اليمن، وقام يعفر بالهند، وبنى بها مدينة، لم يُرَ مثلها، وسـماها الرائشـة. ولمّا رجع الرائش إلـى اليمن، دانت له الملوك، وحملت إليه الخراج، ولبث باليمن زماناً طويلاً،

= بالأول...». حكم تألب ريم حكماً عادلاً، فعظم سـلطانه، وحسـنت أيامه وذكرته حمير في كثير من مسـاندها، ولـم تعرف لـه همذان عهـداً ولا وصية، لأنه كان أكثـر أيامه، في حمير. انظـر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٥٩ - ٦٠.

(١) حاشـد ذو أمـر: هو حاشـد بن جشـم بن خيوان بـن نـوف الهمذاني، من قحطـان، جـدّ جاهلي بنوه أحـد القبيلتين في اليمن حاشـد وبكيل، وهم بطون كثيرة. انظـر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٥٩.

(٢) الحارث الرائش: هو الحارث الرائش من آل سدد بن الملطاظ بن عمرو بن ذي أبين بن ذي يقدم بن الصوّار بن عبد شمس. انظر: الهمذاني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج٨، ص٢١٣

(٣) يعفر بـن عمـرو: هـو يعفر بـن عمرو بـن ذي أبين بـن ذي يقدم بـن الصـوار بـن عبد شـمس، القائد العسـكري الذي دخل أرض الهند بجيش عظيم. بنى في الهند مدينة الرائشـة، فثقل هذا الاسـم على العجـم فسـمّوها الرايـة، ويقـال: الواية، فأقام بها يعفر حينـاً، وخلف عماله، وعاد إلـى اليمن بالغنائم العظيمة. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٦٣.

لا يغزو، ودانت له الآفاق، وأتته الرسل من ملك بابل والأكاسرة، وحملوا إليه الهدايا والتحف، وغزا السند، والترك، وبابل، وكان ذلك في زمن موسى عليه السلام.
وللرائش أخبار كثيرة، اختصرتها خوف الإطالة.

[أبرهة ذو المنار]

ثم ملك من بعده ابنه أبرهة ذو المنار(١)، وسمي ذو المنار لأنه أول من بنى المنائر(٢) والأعلام والأمثال على السبل، ليهتدي بها عند قفوله من غزوه، وكان غزوه إلى منقطع العمارة من الغرب، وملك جميع تلك النواحي، وقيل: إن أبرهه كان أجمل أهل زمانه، عشقته امرأة من الجن، يقال لها المنعوق بنت المرابع، فتزوج بها، فولدت له العيد، وسار أبرهه غازياً، ومعه ابنه العيد، واستخلف على اليمن ابنه افريقش(٣)، إلى أرض السودان براً وبحراً، وأمعن فيها، وأقام بها. وأرسل ولده العيد إلى أرض المغرب في عسكره، فسار بها، حتى أتى على قوم وجوههم في صدورهم، وإذا جاءهم النهار، وحميت عليهم الشمس، استخفوا في الماء، فوضع فيهم السيف، حتى أفناهم، ورجع إلى أبيه بسبايا كثيرة منهم، فلما قدم بهم إلى أبيه، ذعرت الناس منهم، فسمي ذو الأذعار(٤).

---

(١) أبرهة ذو المنار: انظر: سيرته الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٦٩ - ٧٠ - ٧١.

(٢) المنائر: جمع منارات، وهي أشبه بالشاخصات التي تدل على الطريق.

(٣) إفريقش: انظر: سيرته الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٧١ - ٧٢ - ٧٣.

(٤) ذو الأذعار: هو عمرو بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش، من حمير، وذكره نشوان بعد سعيد الحميري في قصيدته: العبد ذو الأذعار أحد التبابعة ملوك اليمن. وهو معاصر لسليمان النبي عليه السلام، أو بعده بقليل، كان جباراً، ظلم الناس، فلقب بذي الأذعار، وثار في أيامه شرجيل بن عمرو، فأنشأ دولة في مأرب، انتقلت بالإرث إلى ابنه الهدهاد، ثم إلى بلقيس، وضعفت بلقيس فجيء بها إلى ذي الأذعار، فقتلته بحيلة في غمدان. وفي سيرته اختلاف في الروايات والأقاويل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٧٢. وانظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن. ص٧٠.

ومن أعمال أبرهه الهدهاد[١] بن شرحبيل بن زيد[٢]، وهو أبو بلقيس، التي ذكرها الله في كتابه العزيز، وأمها بنت اليلب بن مصعب ملك الجن، وتزويجه بها له حديث طويل، تركته اختصاراً، وخوف الإطالة. وكان ملك الهدهاد من بعد أبرهة مائة سنة.

[بلقيس بنت أبرهة الهدهاد]

وملكت من بعده ابنته بلقيس، حتى تزوجها سليمان بن داؤد عليه السلام، ولتزويجه بها حديث مشهور، تركته.

وقيل: إن سليمان بن داؤد زوجها ذي تبع، وردهما إلى اليمن، فبنى ذو تبع[٣] باليمن المصانع، ولم يزل بها ملكاً، إلى أن مات سليمان بن داؤد، والله أعلم.

---

(١) أبرهة الهدهاد: هو الهدهاد بن شرجيل بن عمرو، من حمير، ملك يماني جاهلي قديم، خلف أباه في ملكه، وتابع حربه مع ذي الأذعار (عمرو بن أبرهة) فاقتتلا عشرين سنة لا يقوى أحدهما على الآخر، وهو أبو بلقيس. قال أصحاب الأحبار: عهد إليها بالملك قبيل وفاته. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٧٨.

(٢) شرحبيل بن زيد: والصحيح شراحيل بن عمرو بن غالب، من حمير، ملك يماني، كان من كبار قومه في عهد ذي الأذعار (عمرو بن أبرهة) وثار على ذي الأذعار، فاجتمعت حوله جموع مأرب، فأنشأ دولة مستقلة، وقاتله ذو الأذعار، فمات شراحيل بعد سنة واحدة، وخلفه ابنه أبرهة الهدهاد. انظر: ابن منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير، ص ١٣٤.

(٣) ذو تبع: ملكان من ملوك اليمن **أولهما**: ذو تبع الأكبر، وهو نوف بن يخصب بن الصوّار، ولقبه ذو تبع، ملك جاهلي يماني من ملوك حمير، يقال له: الأكبر تمييزاً له عن حفيده نوف بن موهب إل. **وثانيهما**: ذو تبع الأصغر، وهو نوف بن موهب إل، ويقال: إنه تزوج بلقيس، وفيه يقول علقمة ذو جدن:

هل لأناس مثل آثارهم بمأرب ذات البناء اليفعْ
أو مثل صرواح وما دونها مما بنت بلقيس أو ذو تبعْ

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٥٤.

وفيه يقول النعمان بن بشير الأنصاري:

أم أين ذو تبع وذو سخط معاً أو ذو الملاحي لات حين مُلاح

انظر الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٨٢.

[ناشر تنعم بن عمرو]

ولمّا مات سليمان بن داؤد، ملك ناشر تنعم بن عمرو بن العيد بن أبرهه[١]، فكان ملكاً عظيماً، دوّخ الشام ومصر، وتوجه نحو المغرب، حتى بلغ وادي الرمل، ويقال: لا يوجد خلف ذلك الوادي نبات ولا شيء من الحيوان، وله أخبار طويلة تركتها.

[شمر يرعش]

ثم ملك (٢٦) شمر يرعش[٢] بن افريقيش بن أبرهه، سمي بذلك لأن كل من رآه كان يرعش من هيبته، وقيل: إنه أصابه في آخر عمره الفالج، وهو الذي أحدث السيوف الحميرية، وهنَّ أحكم السيوف وأكثرهن جوهراً، فمن بقاياهن سيف ابن قيفان[٣]، الذي صار لمعد يكرب

(١) ناشر تنعم: ويقال ياسر تنعم بن عمرو بن العبد بن أبرهة بن الرائش، ويسمى ياسر تنعم لأنه ردّ ملك حمير إليها، بعد أن انتقل سليمان بن دواد عليه السلام، وهو الذي أوصى له الهدهاد بالملك في عهد بلقيس أو بعدها، فأجابته حمير وقدّموه. ويقال: لمّا ولي ياسر تنعم الملك أقرّ بلقيس على ملك مأرب، ولم يغير عليها شيء من أمرها، وكان ملكاً عظيماً، خرج من اليمن غازياً، فدوّخ الشام ومصر، وقبض أتاواتها، وتوجه نحو المغرب لرؤيا رآها حتى بلغ وادي الرمل الذي يسيل، ولم يبلغه أحد من الملوك قبله، ويقال: إن اسمه وادي الرسيل، وفيه أمر بصنع صنم من نحاس، فصنّع ونُصب على صخرة، وكتب عليه بالمسند، وهو كتاب بالحميرية وعليه أبيات من الشعر منها:

أنا علم الملوك ثبتٌّ دهري ... على رغم المقاول والقيولِ
نصبت فلم أزل صنماً مقيماً ... لحمير للشباب وللكهولِ

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٨٩-٩٩.

(٢) شمر يرعش: شمر يرعش بن إفريقش بن أبرهة ذو المنار بن الحارث بن الرائش، وهو الذي أحدث السيوف الحميرية اليرعشية، وهو الذي أحكم السيوف سقياً وأكثرها جوهراً، ويقال: إن حديدها من جبل نعم، وسمّي يرعش لأنه كان يرعش من رآه من هيبته، وقيل: إنه سمي بذلك لأنه أصابه الفالج في آخر عمره، وكان يرتعش منه. وكانت مدّة ملكه مائة وستٍ وثلاثين سنة. انظر الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٩٣-٩٥.

(٣) ابن قيفان: هو علقمة بن ذي قيفان الأصغر من ولد ذي بيح بن ذي قيفان الأكبر. وقد نقل الهمذاني في الجزء الثاني من الإكليل قصة هذا السيف وانتقاله إلى عمرو بن معد يكرب، وفي ذلك قال ابن معد يكرب هذا البيت: =

الزبيـــدي[١]، يقـال لـه الصمصامة، وغزا شـمر يرعش من اليمـن في جنود كثيـرة، حتـى دخل بابل، ثـم توجه يريد الصين، فأخذ علـى أرض فارس[٢]، وسجسـتان[٣]، وخراسـان[٤]، وبـلاد التـرك، فافتتـح المـدائـن والحصـون، وقتـل الأعــاجـــم، وسـبـى ذريتهـــم، ودخـــل مـدينـــة الصغـــد[٥]،

= وسيف لابـن ذي قيفان عندي تخيـره الفتـى مـن عصـر عـادِ

انظر: الهمذاني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج٢، ص٥٧.

(١) معد يكرب الزبيدي: والصحيح عمرو بن معد يكرب الزبيدي، حيث سقط اسم عمرو من المخطوط. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٩٣. وترجمته: عمرو بن معد يكرب الزبيدي، فارس اليمن، صاحب الغارات المذكورة. وقدم على المدينة سـنة ٩هـ، في عشـرة من بني زبيد، فأسـلم وأسـلموا، وعادوا. ولما توفي النبي ﷺ، ارتدّ عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسـلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت إحدى عينيه، وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية، وكان عصي النفس أبيّها، فيه قسوة الجاهلية، يكنّى أبا ثور، وأخبار شجاعته كثيرة، له شعر جيد. توفي على مقربة من الري. وقيل: قُتل عطشاً يوم القادسية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢٦١ ـ ٢٦٣، وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٨٦.

(٢) فارس: أي بلاد فارس، سميت بفارس بن علم بن سام بن نوح عليه السلام، وقال ابن الكلبي: سميت بفارس طهـورث، وإليه ينسـب لأنهم من ولـده، وكان ملكاً عادلاً قديماً قريب العهـد من الطوفان. وقال ابن لهيعـة: فـارس والـروم قريش العجـم، وبلاد العجم هي إيران حالياً، وتشـمل غالب برسـيس القديمة التي كانت نواة الإمبراطورية الفارسية القيمة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٦ – ٢٢٧. وغربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص١٢٦.

(٣) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة. قال الاصطخري: أرض سجستان سبخة ورمال حارة، بها نخيل، وهـي أرض سـهلة، ولا يـرى فيها جبل، وسـكانها من الفرس، مـن مدنها زالق، وكركوية، وهيسـوم، وزرنج، وبسـت، وبها أثر مربط فرس رسـتم الشـديد، ونهرها المعروف بالهند مند. وكثير من علماء المسلمين ينسبون إليها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص١٩٠ – ١٩٢.

(٤) خراسـان: بـلاد واسـعة، أول حدودها مما يلـي العراق، وآخـر حدودها مما يلي الهند، وطخارسـتان وغزنـة وسجسـتان وكرمـان، وليس ذلك منهـا، وإنما أطراف حدودها، وتشـمل على أمهـات البلاد، منها: نيسـابور، وهراة، ومرو، وبلخ، وطالتان، ونسـا، وأبيرود، وسـرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التـي دون نهـر جيحون، كذلك، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعد ما وراء النهر منها، وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة صلحاً وذلك سنة ٣١هـ، في أيام عثمان. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٣٥.

(٥) انظر: الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٩٣. وقد وردت في النص «الصعيد» والصحيح ما أثبتناه في المتن.



فهــدمهـــا[١]، فسميت شـمر كنـد بلغـة العجم، أي شـمر خرّبهـا، فعرّبتها العرب، فقيل: سـمرقند، وقيل: إنه أول من بناها، فسُـميت باسـمه، واختلف أيضـاً، قيـل: إنه مـات بها، وقيل: إنه خـرج يريد الصيـن، فأصابهم العطش، فمات، هو وكثير من أصحابه، وله حديث يطول، تركته. وقيل: إنه رجع إلى اليمن سالماً.

[تبع الأقرن]

ثـم ملك مـن بعده تبع الأقـرن[٢]، وهو ذو القرنين علـى بعض القول، بن شمر يرعش، وكثير من حمير يرى أن هذا هو ذو القرنين، المذكور في القرآن، لشـدّة ملكه وعدله، وحسـن سـيرته، وله أخبار كثيرة، واختلافات، لم أوردها، والله أعلم.

[الرائد]

ثم ملك الرائد[٣]، وهو يسـمى الربيع الأكبر لعظم سـلطانه، وشـدّة ملكه، وهو تبع بن تبع الأقرن بن شمر يرعش.

---

(١) انظر: الحميري، نشـوان بن سـعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٩٣. وقد وردت في النص «فهلك بها» والصحيح ما أثبتناه في المتن.

(٢) تبع الأقرن: وهو ابن الملك شـمر يرعش، ويسـمى الأقرن «ذو القرنين» لشـيب على قرنيه، ولد وهو عليه، وكان ملكاً عظيماً صليحاً قد اطلع على الغيب، وسـمع حكومات من ينظر في القرآن. ويقال: إنه هو القائل شعراً:

أنـا الملـك المتـوّج بالعطايـا ... جلبـت الخيـل مـن أوطـان سـام

غـزا بـلاد الروم وأوغل فيها حتى قطعها، ووصف بتلـك الناحية وادياً فيه الياقوت، وبالقرب منه عين يسـمى ماؤهـا «ماء الحيوان» وقيل «ماء الحياة» الـذي ظفر به الخضر دون ذي القرنين، ولما بلغ هذه الناحيـة أدركـه الشـتاء، فمات، ودفـن هناك، وكـرّ أصحابه راجعين خـوف الهلاك. انظـر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ٩٥ – ٩٦.

(٣) الملـك الرائـد: الملك الرائد تبـع الأكبر لعظم ملكه وشـدّة وطأته، وهو تبع بن تبع الأقرن بن شـمر يرعش بن إفريقش، وكثير من حمير يقول: إنه ذو القرنين السيّار الذي بنى سد ياجوج وماجوج، وأنه =

[أسعد الكامل]

ثـم ملـك من بعده أسـعد الكامل[1]، فكان ملـكاً عظيماً، شـاعراً، فصيحاً، عالماً بالنجوم، وهو أحد المعمرين، عمر ثلاثمائة سنة وإحدى وخمسين سنة، وكان ملكه ثلاثمائة سنة وستاً وعشرين سنة، وكان مؤمناً بالله، وهو أحد الذين نهى الرسـول ﷺ عن سبّهم. وقيل: كان يؤمن بمبعث النبي محمد ﷺ. وقيل: هو الذي قدمت إليه امرأة من أهل الشام، تشكو من رجل ذبح لها كبشاً غصبها علـى أخـذه، فلم يزل يقود العسـاكر، ويفتح المدائن والحصـون، طالباً لذلك، حتى دخل الظلمات، وله حديث طويل.

وسمي أسعد الكامل، لكماله (٢٧) في الدنيا والآخرة. وقيل: إنه نبي، لأن الله ذكـره مع الأنبياء في قصصهـم، فقال: ﴿ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ [ق: ١٤]، وهو أول من كسـا البيـت العتيق الأنطاع المذهبة اليمانية، فـرأى في نومه قائلاً يقول: زد في

= الصعب ذو القرنين بن الأقرن، أقام عشـرين سـنة لا يغزو، فأتاه عن الترك ما ساءه من أمر مطاولتهم على من ببابل وتناولهم لأطاريفه، فسـار إليهم على أرض نجد، ثم على جبل طيء، ثم على الأنبار، وهو الطريق الذي كان يسلكه الملك الرائش شمر يرعش، فلقيهم في حدّ أذربيجان، فهزمهم، وأذرع القتل فيهم، وأسر منهم وسبى، ثم جال في بلاد فارس وخراسان وبابل، ثم توجه إلى الصين وافتتحها وسباها، وفي ذلك قال تبع الأكبر شعراً:

أنـا تبـع الأمـلاك مـن نسـل حميـرٍ ملكنـا عبـاد الله فـي الزمـن الخالـي
ملكناهـم قهـراً وسـارت جيوشـنا إلـى الهنـد والأتـراك تـردي بأبطـالِ

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١١٤ - ١١٥.

(١) أسـعد الكامل: هو الملك الكامل تبع الأوسـط أسعد الكامل بن ملكيكرب بن تبع الأكبر، وهو الرائد تبع الأقرن. وكان أبوه ملكيكرب ملكاً على اليمن لا سـواها، وما حوله بنو سـبأ الأصغر وسائر بطون حمير، لأنهم طلبوا بذلك الراحة مما كانوا يعتادونه من التعب في المغازي مع ملوكهم الأوائل. كان أسـعد كامل كثير الغزو، وكان كثير التوجه بقواده، وإذا خرج لم يترك طريقاً سـلكه آباؤه إلّا سـلكه، ولا منهلاً وردوه إلّا ورده، ولا بلداً إلّا وطأه وقصده، أو بعث إليه عسكره، حتى دخل الظلمات، وفي ذلك يقول شعراً:

سـيذكر قومـي بعـد موتـي وقائعـي ومـا فعلـت قومـي بقيـسٍ أفاعـلا
ومـا دوّخـت أرض اليمامـة والقنـا ومـا صبّحـت فيهـا تميمـاً ووائـلا

انظر: الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١١٧ - ١١٨.

كسوة البيت، فكساه المعافري[١]، فرأى ثانية كالقول الأول، فكساه الوشي، ونحر بمكة سبعين ألف بدنه، وطاف بالبيت، وسعى، وعمل له باباً ومفتاحاً، ورجع إلى اليمن، ومات بها.

[حسان بن أسعد الكامل]

ثم ملك من بعده ولده حسان[٢]، وهو الذي مضى إلى اليمامة، وقتل ملكها[٣]، وكانت بها الزرقاء[٤]، تنظر من مسيرة ثلاثة أيام، فتنذر قومها، فيهربون، فلما سار إليها حسان، أمر قومه أن يحمل كل رجل منهم غصناً من الشجر، يغطون به أنفسهم، وأمر واحداً أن يأخذ كتفاً يلوّح بها، فلما نظرت الزرقاء، قالت لقومها: قد جائتكم حمير، وسارت إليكم الشجر، فقالوا: كيف تسير إلينا الشجر؟ أخولط عقلك؟ وكذّبوها. فقدم عليهم حسان بالجنود على غير استعداد للحرب، ولا هيئة للهرب، فقتلهم عن آخرهم، وأمر بالزرقاء،

(١) المعافري: نوع من الثياب، سميت بذلك نسبة إلى حيّ من أحياء العرب يدعى معافر.

(٢) حسان: هو حسان بن أسعد تبع، وهو الذي قتل جديساً باليمامة، وكان سبب ذلك أن ملكاً من طسم يقال له عمليق بن حباش، وكان مطيعاً لملوك حمير، وكان ملكاً على طسم وجديس بن عابر بن إرم بن سانم بن نوح، وكان جباراً لا يتزوج رجل امرأة إلّا وأُهديت إليه قبل زوجها، حتى تزوج رجل من جديس عفيرة بنت عفار أخت الأسود بن عفار، عظيم جديس ورئيسها، فأدخلوها عليه فانتزعها، وخلّى سبيلها. وفي اليوم التالي دعاه أخوها إلى غداء، وقتل عمليق وجنوده غدراً، انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٣٩ - ١٤٤.

(٣) ملك اليمامة: هو الأسود بن عفار سيد بني جديس، كان جلداً فاتكاً، وقصة أخته عفراء معروفة، وبسببها دبر حيلة، وقتل الملك عمليق بن حباش، فوثب قومه على رجال طسم حتى أبادوا أشرافهم، ثم قتلوا باقيتهم، وفي ذلك يقول عفار:

ذوقي ببغيك يا طسم مجلّلة ... فقد أتيت لعمري أعجب العجبِ
إنا أنفنا فلم ننفك نقتلهم ... والبين هيّج منا سورة الغضب

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٥، ص٤٤٤.

(٤) الزرقاء: وتعرف باسم زرقاء اليمامة، وهي أخت رياح بن مرّة الطسمي، واسمها يمامة بنت مرّة الطسمية، كانت متزوجة من جديس، وهي أبصر خلق الله، وكانت زرقاء العين، ولذلك سميت زرقاء اليمامة، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص٤٤٦.

فأُدخلت عليه، فقال لها: بـمَ نلت هذا البصر؟ فقالت: بحجر الإثمد، كنت أدقّه وأسحقه، وأكتحل به، إذا أويت إلى الفراش، فأمر بقلع عينيها، فوجدوا بالحدقتين عروقاً سوداً من الكحل.

ثم إن حسان نهض بجنوده، يريد العراق، فغضبت حمير، وعلموا أنه لن يرجع من غزوته، حتى يبلغ حيث بلغ أبوه، فأتوا إلى أخيه عمرو بن أسعد(١)، فسألوه أن يردّ أخاه، فقال: إنه لا يفعل، فقالوا: إن أبى اقتلهُ، ونحن نملكك علينا، فنهاه خاله ذو رعين(٢) عن قتله، فأبى عمرو، ووثب على أخيه، فقتله، ورجع بالجنود إلى اليمن، ثم افترقت عليه حمير، حتى ضعف عن العدو، ثم ندم ندامة على قتل أخيه، وامتنع عن النوم، فشكا إلى بعض خواصه ما يجد من السهاد، فقالوا له: لا تقدر على النوم، حتى تقتل الذين أشاروا عليك بقتل أخيك، فقتلهم عن آخرهم(٣).

[تُبَّع الأعرج بن حسان]

ثم ملك من بعده تُبَّع الأعرج بن حسان بن أسعد الكامل(٤)، وهو (٢٨) آخر

(١) عمرو بن أسعد: عمرو بن أسعد تبع أبي كرب، من ملوك اليمن. كان مع أخيه حسان بن أسعد تبع في زحفه على العراق، قتل أخاه حسان، وولي ملك حمير، وعاد إلى بلاده، فنزل بغمدان، وقتل من أشار عليه بقتل أخيه، فاضطربت أموره، واستمر إلى أن مات. ومدّة ملكه ٦٣ سنة. وكان معاصراً لعمرو بن حجر الكندي جد امرئ القيس. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٧٤. وانظر قصة قتله لأخيه في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) ذو رعين: هو شرحبيل بن عمرو بن شمّر تنعم بن شرحبيل بن معد يكرب بن غشم بن الغوث بن يعرب بن يكنف بن جيدان بن لهيعة بن مثوب بن يريم ابن ذي رعين الأكبر. وهو خال عمرو بن أسعد، وهو الذي نهاه عن قتل أخيه حسان، لكنه رفض وقتله. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٤.

(٣) انظر تفاصيل القصة كاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٤ – ١٤٥.

(٤) تبع الأعرج بن حسان بن أسعد الكامل: والصحيح عمرو تبع الأعرج بن حسان بن أسعد الكامل. انظر الترجمة الكاملة في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٤٥ – ١٤٦.

التبابعة، غزا الأعاجم، وقفل على طريق يثرب، وفي نفسه من اليهود، لحدث أحدثوه في غيبته لتلك الغزاة، فجمع منهم ثلاثمائة رجل، فضرب أعناقهم بالمدينة، فقام منهم شيخ كبير، قد آيس، فقال: أبيت اللعن أيها الملك، مثلك لا يفني رعيته على الغضب، وإن هذه المدينة مهاجرها نبي في آخر الزمان، من ولد إسماعيل عليه السلام، فأعجب الملك ذلك، وكفّ عنهم، واتبع دينهم، وأخذ الشيخ، ومعه حبر من الأحبار، فتهودت حمير.

[عبد كلال]

ثم ملك عبد كلال[١].

[ذو معاهن بن حسان]

ثم ملك ذو معاهن بن حسان الأضخم[٢] بن تبع الأقرن، وسُمي ذو المعاهن[٣] لأنه أول من أحدث المعاهن على باب ظفار، وهي جرس من ذهب، إذا فتح الباب، سمع لها صوت من بعيد.

[ذو نواس الأصغر]

ثم ملك من بعده ذو نواس الأصغر، واسمه زرعة بن عمرو بن تبع

---

(١) عبد كلال: عبد كلال بن مثوب بن ذي حدث بن مالك بن عيدان بن مالك بن حجر بن ريم بن ذي رعين. ملك بعد عمرو وتبع بن حسان بن أسعد الكامل. كان على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولم يكن له غزوة، ولا فتك بأحد، ومات حميد الخلال، حسن السيرة في رعيته، تاركاً للظلم، كثير الحلم. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٤٧.

(٢) ذو معاهن بن حسام الأضخم: وهو ذو معاهن بن حسان الأضخم بن تبع الأقرن بن ذي معاهن، وهو أول من أحدث المعاهن بباب ظفار. كان حميد السيرة، تاركاً للظلم، كثير العدل. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٤٧.

(٣) ذو المعاهر: والصحيح ذو المعاهن، وسمي بذلك لأنه أول من أحدث المعاهن بباب ظفار، وهي جرس من ذهب يعلق خلف الباب، فإذا فُتح الباب سُمع لتلك الجرس صوت من بعيد. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٤٧.

الأصغر بن حسان بن أسعد، وهو صاحب الأخدود، وسمي ذو نواس لذؤابتين كانتا تنوسان على رأسه، وكان على دين اليهود، فشكا إليه يهود بنجران[١] غلبة النصارى عليهم، وذلك لفتنة وقعت بينهم بنجران، فنهض ذو نواس إليهم بنجران، وحفر الأخدود، وأضرم فيها النار، وخيّر النصارى بين الرجوع عن دينهم، وبين إلقائهم في النار، وفيهم نزلت هذه الآيات: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤] إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]. فلما صنع ذو نواس ما صنع بالنصارى، غضب ثعلبان الأكبر بن شرحبيل بن الحارث بن لمك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهو حمير الأصغر، ومضى إلى النجاشي ملك الحبشة، ودينه دين النصارى، فاستنجده، وشكا إليه ما صنع ذو نواس، فبعث معه النجاشي قائداً[٢] في ثلاثين ألفاً، فلقيهم ذو نواس، فقال: نحن سامعون مطيعون لكم، دونكم اليمن، فهذه مفاتيح خزائنها، فابعثوا إليها من يقبض لكم الخزائن، وأتى بمفاتيح كثيرة، تحملها الإبل، فكتب القائد إلى النجاشي يخبره ويستشيره، فكتب إليه أن يقبل الطاعة، فافترقت الحبشة باليمن، وكتب ذو نواس إلى حمير، فقتلوهم حتى أفنوهم. وعلم الحبشي أنه قد غدر بهم، فوجه قائدين وجيشاً عظيماً، فقاتلهم (٢٩) ذو نواس، فلما علم أنه لا طاقة له بهم، اقتحم البحر بفرسه، فغرق.

---

(١) نجران: نجران من مخاليف اليمن، من ناحية مكة، قالوا: سمي بنجران بن ريدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من عمرها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٢٦٦.

(٢) القائد هو «أرياط» القائد الحبشي المعروف الذي حارب جيشه ذا نواس صاحب الأخدود، وهدمت قواته سلحين وبينون، ولم يكن مثلهما في الدنيا. وفي ذلك قال الشاعر علقمة ذو وجدن:

أو ما رأيت وكل شيء هالكٍ	بينون خاوية كأن لم تعمر
أو ما رأيت وكل شيء هالك	سلحين خاوية كظهر الأدبرِ

انظر: الهمذاني، أبو محمد الحسن، الإكليل، ج٨، ص٢٢٦ - ٢٢٧

ثـم جمع النعمان بن عفير[١]، جموعاً من اليمن، فقاتل الحبشـة، فلم تكن له بهم طاقة، واستولت الحبشة على اليمن[٢].

[سيف بن ذي يزن]

ثم ملك من بعده سيف بن ذي يزن[٣]، وذلك أنه مضى إلى كسرى يستنصره على الحبشة، فأمدّه بالمسجونين، واختار منهم رجلاً يقال له وهرز، وأمره إذا قدم اليمن أن يسأل عن سيف بن ذي يزن، فإن كان من الملوك، فألبسه التاج، وأعطـه الخلعة، والمنطقة، وسـلم إليه الأمر، وإن لـم يكن من الملوك، فابعث إليّ برأسه، واضبط البلاد، إلى أن يصلك خبري.

ثم خرج سيف والقائد بالعسكر، وركبوا في مركبين، فغرق أحدهما، وسلم الآخـر، وهـو الذي فيه القائد وسـيف، فنزلوا بسـاحل عـدن[٤]، فلقيهم جموع الحبشـة، فاقتتلـوا قتالاً شـديداً، وقتل وهرزٌ أميرَ الحبشـة، فانهزمت الحبشـة، وملكوا البلاد.

---

(١) النعمان بن عفير: قائد يمني، أعاد تجميع قوات ذي نواس، وقاتل جيش النجاشـي في السـهول، لكنه هُزم واضطر إلى الهروب، ولجأ إلى الجبال بمجموعة فيمن اتبعه من أهل اليمن، ولحقتهم الحبشـة، فاستسلموا وسيطر الأحباش على اليمن. انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٤٩.

(٢) انظر التفاصيل في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٤٨ - ١٤٩.

(٣) سيف بن ذي يزن: الملك سيف بن ذي يزن بن النعمان بن زرعة بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف الأكبر بن عامر بن ذي يزن، وهو الذي عناه عمرو بن العاص في قوله للحسن بن علي جواباً لمعاوية:

فأقبل يمشـي مستخيلاً كأنه شراحيل   ذو همـدان وسـيف بن ذي يـزنِ

انظر: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص١٥٠.

(٤) عـدن: مدينـة مشـهورة على سـاحل بحر الهند (المحيـط الهندي) مـن ناحية اليمن، ردئـة لا ماء فيها ولا مرعـى، وهـي مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعـون إليه لأجل ذلك، فإنها بلدة تجارة. وقال أهل السير سيمت بعدن بن سنان بن إبراهيم عليه السلام، وكان أول من نزلها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٨٩.

ثم إن وهرز، سأل أهل اليمن عن حال سيف، فقالوا: ملكنا وابن ملكنا. فألبسه التاج والخلعة والمنطقة، وسلّم الأمر إليه. وسيف هذا هو الذي وفد عليه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، جدّ النبي ﷺ، في وجوه قريش، وقبائل العرب، يهنئونه بالظفر على الحبشة، فاستأذنوا بالدخول عليه، فأذن لهم، فلما دخلوا عليه، استأذنه عبد المطلب في الكلام، فتكلم عبد المطلب بكلام طويل، تركته، فسأله سيف من أنت؟ فقال: أيها الملك، أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال: إدن منيّ، فدنا منه، فأقبل عليه سيف، وعلى النفر الذي معه، فتكلم سيف معهم كلاماً جميلاً حسناً[(١)]، تركته خوف التطويل.

ثم نهضوا إلى دار الضيافة، فأقاموا بها شهراً، لا يؤذن لهم بالدخول عليه، ولا الانصراف، ثم إنه أرسل إلى عبد المطلب: إنيّ مسرٌّ إليك من سرّ علمي أمراً، لم أبح غيرك عليه، ووجدتك (٣٠) أهلاً له، فليكن عندك مصوناً، حتى يأذن الله فيه، وأسرَّ إليه ظهور النبي ﷺ، فأخبره عبد المطلب بأنه (قد ولد)[(٢)] لأبنه عبد الله ولد على الصفة التي وصفها سيف، وكان بينهما كلام جميل جليل، تركته، وأمر سيف عبد الله بالاحتفاظ على ولده، وأعطى عبد المطلب وأصحابه عطايا جزيلة[(٣)]، تركت وصفها، وقال: أتني بخبر هذا المولود رأس

(١) قال عبد المطلب: «إن الله أحلّك محلّا رفيعاً، صعباً، شامخاً، باذخاً، وأنبتك نباتاً طيباً، طابت أرومته، وعزّت جرثومته، وثبت أصله، وانشق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن، وأنت أبيت اللعن رأس العرب الذي إليه مقادها، وعليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد...». انظر: نص الحوار الذي جرى بين عبد المطلب وسيف بن ذي يزن في: الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٥٢ - ١٥٤.

(٢) استدراك من النسخ الأصلية ب، ص ٢٨.

(٣) وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، حيث كان برفقة عبد المطلب آنذاك:

جلبنا المدح تحمله المطايا ... على أكوار أجمالٍ ونوقِ
مغلغلة مراجعها ترامي ... إلى صنعاء من فجّ عميقِ
تؤم بنا ابن ذي يزن وتغري ... ذوات بطونها أمّ الطريقِ

=

الحول. فمات سيف بن ذي يزن قبل (أن يحول)[١] الحول، فصار ملك اليمن إلى كسرى، فكان يجعل عليها عاملاً، والله أعلم وأحكم.

= وترعى من مخاليها بروقاً ... مواقعة الوميض إلى البروقِ
فلما وافقت صنعاء صارت ... إلى ذي الملك والحسب الوثيقِ
إلى ملك أدرّ لنا العطايا ... بحسن بشاشة الوجه الطليقِ

انظر الأبيات في الهمذاني، أبي محمد الحسن: الإكليل، ج٨، ص٣.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٨.

الباب الرابع

في ذكر انتقال الأزد(١)
إلى عُمان وإجلاء الفرس منها

(١) الأزد: الأزد بـن الغوث بن نبت بن مالك بـن زيد بن كهلان، من القحطانيـة، جـدّ جاهلي يمانـي قديم، بنوه أكبـر قبيلة في كهلان. ويقـال أيضاً: «الأسْـد» بالسـين السـاكنة والنسـبة إلـى «أزدي» أو «أسـدي» بسـكون الزاي والسـين، وهو بالزاي أفصح. انقسم بنوه إلـى ثلاثـة أقسـام: أزد شـنوءة، وأزد السـراة، وأزد عُمـان. ومـن سـلالته قبائل غسان، وخزاعة، وأسـلم، وبارق، وألمع، والأوس، والخـزرج. انظر الزركلـي، خير الدين: الأعـلام، ج١، ص٢٩٠. وانظـر تفاصيـل أنسـاب الأزدلـي: العوتبـي، سـلمة بـن مسـلم: الأنساب، ج٢، ص٤٤ ـ ٤٥.



قـال الكلبـي: إن أول من لحق بعُمان مـن الأزد مالك بن فهم بن غانم بن دوس بـن عدنان بـن عبد الله بـن زهران بـن كعب بـن الحارث بـن كعب بـن عبد الله بن مالك (بن)[١] نصر بن الأزد الأزدي، ثم الدوسي.

وكان سـبب خروجه إلى عُمان، أنـه كان له جار، وكان لجاره كلبة، وكان بنـو أخيه عمرو بن فهم يسـرحون ويروحون، فيمرون علـى بيت ذلك الرجل، وكانت الكلبة تنبحهم، وتفرّق أغنامهم، فرماها رجل منهم بسهم، فقتلها، فشكا إليـه جـاره، فغضب مالك، وقال: لا أقيم ببلد ينال فيـه هذا من جاري، فخرج مراغماً لأخيه.

وقيـل: إن راعيـاً كان فـي طريق بيتـه كلب عقور لغلام من دوس[٢]، فشـدّ الكلب على الراعي، فرماه بسهم، فقتله، فعرض صاحب الكلب للراعي، فخرج مالك من السراة[٣]، بمن أطاعه من قومه، فسمي ذلك النجد نجد الكلبة، فلما

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٨.

(٢) دوس: دوس بـن عُدثان بـن عبد الله بـن زهـران، مـن أزد شـنوءة من قحطـان، جدّ جاهلـي: من بنيه: أبو هريـرة الصحابـي، ومنهـم من نزل عُمـان، ومنهم من بالحجاز وخراسـان، وكانـت دار دوس في الأندلـس «تدميـر» وكان صنمهم في الجاهلية اسـمه «ذو الكفين» وكسـره عمرو بن حممة الدوسـي. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥.

(٣) السـراة: هي الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ولها سـعة، وقال الحسـن الهمذاني: السـراة جبـل يصـل ما بين أقصى اليمن والشـام، وليس بجبل واحد، وإنما جبال متصلة على شـق واحد من أقصى اليمن إلى الشام. وقالوا: والسروات ثلاث: سراة بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء، والطائف من سـراة بني ثقيف، وهو أدنى السـروات إلى مكة، ومعدن البُرْم هو السـراة الثانية، وهو في بلاد عدوان، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من الشـرق، وبأسـفل السـروات أودية تصب في البحر منها: الليث، وقنونا، والحسبة، وضنكان، وعشم، =

توسط مالك الطريق، حنّت إبله إلى مراعيها، وجعلت تتلفّت إلى السراة، وتردد الحنين، فقال مالك شعراً:

تحـنُّ إلـى أوطانهـا إبـل مالـك ... ومن دونها عرض الفلا والدكادكِ
وفـي كل أرض للفتـى متقلـب ... ولست بدار الذل يوماً برامكِ (٣١)
ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب ... رحاب النواحي واضحات المسالكِ[1]

وقال أيضاً:

تحـنُّ إلـى أوطانهـا بُـزل مالك ... ومن دون ما تهوى المرار المغارفُ
وشـيخ أبـيٌّ فيـه منـع لضائـم ... وفتيـانٌ أنجـادٌ كـرامٌ غطـارفُ
فحثي رويداً واسـتريحي وبلّغي ... فهيهات منك اليوم تلك المآلفُ[2]

ثـم سـار يريـد عُمـان، فـكان لا يمـرُّ بحـيّ مـن أحيـاء العرب مـن معد ولا عدنان، إلّا سـالموه ووادعوه، لمنعته وكثرة عسـاكره، ثم سـار حتى نزل برهـوت[3]، وادٍ بحضرمـوت[4]، فلبـث فيـه، حتـى أراح واسـتراح، وبلغه أن

= وبيش، ومركوب، ونعمان، وهو أقربها إلى مكة، وهو وادي عرفات. وأهل السراة ثلاث: أولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة، وهي السراة الوسطى، ثم سراة الأزد أزد شنوءة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(١) انظر الأبيات: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ج٢، ض ١٧٤.

(٢) انظر الأبيات في المصدر السابق، ص ١٧٤. مع اختلاف في بعض الألفاظ. وردت كلمة المآلف في النسخة الظاهرية «المتالف».

(٣) برهوت: وادٍ باليمن، وقيل: برهوت بئر حضرموت. انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص ٤٠٥.

(٤) حضرمـوت: منطقـة جنـوب جزيـرة العرب علـى خليج عـدن والبحر العربـي، قيل: سـميت بحاضر ميـت، وهـو أول من نزلها، ثم خففت بإسـقاط الألف، وقال ابن الكلبي: اسـم حضرموت في التوارة حاضرميت. وقيل سـميت بحضرموت بن يقطن بن عامر بن شـالخ، وقيل: اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية بن سبأ، وقيل حضرموت اسمه عامر بن قحطان، وإنما سمي حضرموت لأنه كان إذا حضـر حرباً أكثر فيها مـن القتل، فلقب بذلك. فيها قبر هود عليه السلام. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٩ - ٢٧١.

بعُمان الفرس، وهم ساكنوها، فعبأ عساكره، وعرضها، فيقال: إنهم كانوا زهاء ستة آلاف من فارس وراجل، فاستعد، وأقبل يريد عُمان، وجعل على مقدّمته ابنه هناءة[(١)]، ويقال: فراهيد[(٢)]، في ألفي فارس من صناديد قومه، فلما وصل إلى الشحر[(٣)]، تخلف عنه مهرة بن جيدان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير، فنزل الشحر[(٤)]. وسار مالك حتى دخل عُمان، بعسكر جم في الخيل والعدّة والعدد، فوجد بها الفرس من جهة الملك دارا بن دارا بن بهمن، وهم يومئذ أهلها وسكانها، والمتقدم عليهم يومئذ المرزبان، عامل الملك فعند ذلك، اعتزل مالك بمن معه إلى جانب قلهات[(٥)]، من شط عُمان، ليكون أمنع لهم، وترك العيال والأثقال، وترك معهم من يمنعهم من العسكر، وسار ببقية

(١) هناءة: هناءة بن مالك بن فهم، من الأزد، جدّ جاهلي. كانت منازل بنيه في جهات عُمان، من نسله «الأهيف بن حمحام» و«يحيى بن يزيد» من رجال الحديث، له ترجمة في تهذيب التهذيب، و«عقبة بن مسلم» ولاه المنصور على البحرين والبصرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٩٦.

(٢) فراهيد: فراهيد بن مالك بن فهم، جدّ جاهلي، ينسب إليه بنو جشم، وفي بطونهم: بنو هانئ، وبنو بكر، وبنو وهب، وبنو ضحيان، ومن بنو حديد بن جشم، كان منهم بعُمان الموازع «ضحيان بن مازعة» ومن بني فراهيد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، ومن فراهيد الخليل أحمد الفراهيدي صاحب كتاب «العين» وكتاب «العروض» ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن يزيد النحوي الشهير المعروف بـ «المبرّد» ومنهم بلح بن عقبة الشاري، والربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي الإمام المشهور. انظر العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ج٢، ص٢٢٧ - ٢٢٩.

(٣) الشحر: الشحر هو الشط، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٧.

(٤) مهرة بن جيدان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير: جدّ جاهلي يماني. كانت بلاد بنيه في الشحر (بين عدن وعُمان) على ساحل البحر. وإليهم تنسب الإبل المهرية (وجمعها المهاري) بفتح الراء وكسرها، كما في الصحاح) وإلى مهرة يرجع كل مهري. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٣١٤.

(٥) قلهات: أولى العواصم في الجاهلية قبل غيرها لعمان، وهي المعهد الملاكي والمركز السلطاني المهم، فكانت الدولة المعروفة في الجاهلية الأولى لعمان، كانت عاصمة مالك بن فهم عند نزوله عُمان، ثم ما زالت عرشه في الساحل، ومنهج قصره في الداخل، ثم انتقلت رئاسة القطر إلى صُحار، ولكن قلهات اليوم اسم بلا مسمى، وأثر بعد عين. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص٥٤ ـ ٥٥.

العسكر، وجعل على المقدمة ابنه هناءة في ألفي فارس، وسار حتى نزل بناحية الجوف[(١)]، فعسكر معسكره، وضرب مضاربه بالصحراء، وأرسل إلى الفرس، يطلب إليهم النزول في قطرٍ من أقطار عُمان، وأن يمكنوه، ويفسحوا له في الماء والكلأ، ليقيم معهم.

فلما وصلت رسله إلى المرزبان وأصحابه ائتمروا في ما بينهم، وتشاوروا، حتى طال ترديد الكلام والتشاور بينهم، ثم أجمع رأيهم على صرفه، وقالوا: ما نحب هذا العربي ينزل معنا، فيضيق علينا أرضنا وبلادنا، فلا حاجة لنا إلى قربه وجواره.

فلما وصل جوابهم إلى مالك، أرسل إليهم: إنه لا بد لي من النزول (٣٢) في قطرٍ من عُمان، وأن تواسوني في الماء والكلأ والمرعى، فإن تركتموني طوعاً، نزلت في البلاد، وحمدتكم، وإن أبيتم، أقمتُ على كرهكم، فإن قاتلتموني قاتلتكم، فإن ظهرت عليكم، قتلت المقاتلة، وسبيت الذرية، ولم أترك أحداً منكم ينزل عُمان أبداً. فأبوا أن يتركوه طوعاً، وجعلوا يستعدون لحربه وقتاله، وأقام مالك بناحية الجوف حتى أراح واستراح، وتأهب لحرب الفرس ولقائهم، وكان هنالك إلى أن استعدّت الفرس لحربه وقتاله.

ثم إن المرزبان أمر أن ينفخ في البوق، وتضرب الطبول، وركب من صحار في جنوده وعساكره في عسكر جم، يقال: إنه كان في زهاء أربعين ألفاً، وقيل: ثلاثين ألفاً، ومعه الفيلة، وسار يريد الجوف، للقاء مالك، ونزل بصحراء

(١) الجوف: موضع بأرض عُمان، يقال: إن سامة بن لؤي مات فيه. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٣. أما السيابي فقد عرفه بما يأتي: الجوف اسم يقع على بلدان العوامر تغريباً، فيشمل إزكي وأعمالها، ونزوى وأعمالها، وبهلا وتوابعها، والحمرا وما إليها، إلى الجبل الأخضر شمالاً، وجبل الكور غرباً وتحده من الجهة الجنوبية أدم، فالرمل الجنوبي إلى الفهود. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص١٤.

سلّوت[١]، قريباً من نزوى[٢]. فبلغ ذلك مالك بن فهم، فركب في ستة آلاف، حتى أتى صحراء سلّوت، فعسكر بها، بإزاء عسكر المرزبان، فمكثوا يومهم ذلك، لم يكن بينهم حرب.

ثم إن مالك بن فهم بات ليلته يعبّئُ عساكره يمنة ويسرة وقلباً، ويكتب الكتائب، ويوقف فرسان الأزد مواقفهم، فولى الميمنة ابنه هناءة، وولى الميسرة ابنه فراهيد، ووقف هو في القلب في أهل النجدة والشدّة. وبات المرزبان يكتب كتائبه، ويوقف أصحابه مواقفهم، واستعد كلا الفريقين.

وركب مالك فرساً أبلق، ولبس درعين، ولبس عليهما غلالة حمراء، وتكمم على رأسه بكمة حديد، وتعمم عليها بعمامة صفراء، وركب معه ولده، وفرسان الأزد على تلك التعبئة، وقد تقنّعوا بالدروع والبيض والجواشن، ولم يظهر منهم غير الحدق.

فلما توقفوا للحرب، جعل مالك يدور على أصحابه راية راية، وكتيبة كتيبة، ويقول: يا معشر الأزد، أهل النجدة والحفاظ، حاموا على أحسابكم، وذبّوا عن أبنائكم، وقاتلوا وناصحوا ملككم وسلطانكم، فإنكم إن انهزمتم

(١) صحراء سلّوت: تقع صحراء سلّوت قرب نزوى، بين نزوى وبهلا، وقعت فيها المعركة الشهيرة بين جيش مالك بن فهم والفرس المرازبة.

(٢) نزوى: مدينة عُمانية تقع على سفح الجبل الأخضر في المنطقة الداخلية، أنشأها عدمان بن عمرو الأزدي، نزله السبئيون. كما سكنها الخيار بن يحيى من أبناء امرئ القيس، وسكن أخوه الآخر بسمد نزوى، ومنهم انتشرت ذريتهم بنزوى، وتوسعت المدينة أيام الأئمة الخروصيين، ثم في عصر النباهنة، وكذلك الأئمة اليعاربة. حيث اتّخذت عاصمة للإمامة في عُمان منذ بداية عهد الإمامة الثانية سنة ١٧٧هـ، وقال ياقوت: يعمل في نزوى صنف من الثياب منمقة بالحرير، جيدة فائقة، لا يعمل في شيء من بلاد العرب مثلها، ومآزر من ذلك الصنف، يبالغ في ثمنها. انظر نزوى عبر التاريخ، حصاد ندوة المنتدى الأدبي في نزوى، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨١. وللمزيد من التفاصيل انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص٦٣ ـ ٦٦.

تبعتكم العجم بجنودها، فاختطفوكم، واصطادوكم بين كل حجر ومدر، وباد ملككم وسلطانكم، (٣٣) فوطّنوا أنفسكم على الحرب، وعليكم بالصبر والحفاظ، فإن هذا اليوم له ما بعده. وجعل يحرّضهم، ويأمرهم بالصبر والحفاظ.

ثم إن المرزبان زحف بجميع عساكره وقوّاده، وجعل الفيلة أمامه. وأقبل مالك وأصحابه، ونادى بالحملة عليهم، وقال: يا معشر الأزد، احملوا معي فداكم أبي وأمي، على هذه الفيلة فاكشفوها بأسيافكم وأسنتكم. ثم حمل، وحملوا معه على الفيلة بالرماح والسيوف. ورشقوها بالسهام، فولّت الفيلة راجعة على عسكر المرزبان، فوطئت منهم خلقاً كثيراً، وحمل مالك وكافة أصحابه على المرزبان وأصحابه، فانتفضت صفوف العجم، وجالوا جولة، ثم تراجعت العجم بعضها إلى بعض، وأقبلت إلى حدها وحديدها، وصاح المرزبان بأصحابه وأمرهم بالحملة، فحملوا، والتقى الجمعان، واختلف الضرب والطعان، واشتدّ القتال، وعظم النزال، فلم تسمع إلا صليل الحديد، ووقع السيوف، فاقتتلوا يومهم ذلك، إلى أن حال بينهم الليل، وانصرف بعضهم عن بعض، وقد كثر القتل والجراح في الجميع.

ثم ابتكروا من الغد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل من الفرس خلق كثير، وثبتت لهم الأزد، إلى أن حال بينهم الليل.

فلما أصبحوا في اليوم الثالث، زحف الفريقان بعضهم إلى بعض، فوقفوا مواقفهم تحت راياتهم، وأقبل أربعة نفر من المرازبة والأساورة، يعد الواحد منهم بألف رجل، حتى دنوا من مالك، فقالوا: هلمَّ إلينا ننصفك من أنفسنا، ويبارزك منا واحد، واحد، فتقدم مالك إليهم، وخرج منهم واحد، فطارده مالك ساعة، فعطف عليه مالك، فطعنه برمحه في صلبه، فخرَّ عن فرسه إلى الأرض، فضربه بالسيف، فقتله.

ثـم حمل الفارس الثانـي على مالك، وضرب مالـكاً، فلم تصنع ضربته شـيئاً، وضربـه مالك على مفرق رأسـه، فقـدَّ البيضة والـرأس، وخرَّ الفارس ميتاً.

ثم حمل الفارس الثالث، فضربه مالك على عاتقه، فقسمه نصفين، ووصل السيف إلى الدابّة، فقطعها نصفين.

فلمـا رأى الفـارس الرابع مـا صنع مالـك بأصحابه، كاعت نفسـه، وولى راجعـاً نحو أصحابه، حتى دخل فيهـم. وانصرف مالك (٣٤) إلى موقفه، وقد تفاءل بالظفر، وفرحت بذلك الأزد فرحاً شديداً، ونشطوا للحرب.

فلمـا رأى المرزبان ماصنع مالك بقـواده الثلاثة، دخلته الحمية والغضب، وخـرج من بين أصحابه، وقال: لاخير فـي الحياة بعدهم، ونادى مالكاً، وقال: أيهـا العربـي، اخرج إليَّ، إن كنت تحاولُ ملكاً، فأيُّنـا ظفر بصاحبه، كان له ما يحاول، ولا نعرِّض أصحابنا للهلاك.

فخرج إليه مالك برباطة جأش وشدة قلب، فتجاولا بين الصفين ملياً، وقد قبض الجمعان أعنّة خيولهم، ينظرون ما يكون منهما، ثم إن المرزبان حمل على مالك بالسـيف حملة الأسد الباسل، فراغ عنه مالك، وضربه بسيفه على مفرق رأسـه، فقدَّ البيضة والدرع، وأبان رأسـه عن جسـده، فزحف الفريقان بعضهما إلـى بعـض، واقتتلـوا من نصف النهـار إلى العصـر، وأكل أصحـاب المرزبان السـيف، وصدّقتهـم الأزد الضـرب والطعـن، فولّـوا منهزمين، علـى وجوههم هاربين، حتى انتهوا عسـكرهم، وقد قتـل منهم خلق كثير، وكثرت الجراح في عامتهـم، فعند ذلك، أرسـلوا إلى مالك، يطلبون منـه الصلح، وأن يكفّ عنهم الحـرب، ويؤجلهـم إلى سـنة، ليخرجوا أهليهم من عُمـان، وأعطوه على ذلك عهـداً وجزيـة، فأجابهم مالك إلى ذلك، وأعطاهم عهـداً أن لا يعارضهم حتى

يبدأوه بحرب، وكفّ عنهم الحرب، وعادوا إلى صحار[1]، وما حولها من الشطوط، فكانوا هناك، والأزد في عُمان. وانحاز مالك إلى جانب قلهات، فقيل: إن الفرس، في تلك المهادنة، طمسوا أنهاراً كثيرة وأعموها، وكان النبي سليمان بن داؤد قد حفر فيها عشرة آلاف فلج.

ثم إن الفرس كتبوا إلى دارا بن دارا بقدوم مالك إلى عُمان بمن معه، وما جرى بينهم وبينه من الحرب، وقتل قائده المرزبان، وجلّ أصحابهم، وأخبروه بما هم فيه من الضعف والعجز، واستأذنوه في التحمل إليه بأهليهم وذراريهم.

فلما وصل كتابهم إليه، وقرأه، غضب غضباً شديداً، وداخَلَهُ القلق، وأخذته الحمية لمن قُتل من أصحابه وقواده، فعند ذلك، دعا بقائد من عظماء مرازبته، وأساورته، وعقد له على ثلاثة آلاف من أجلاء أصحابه ومرازبته، وبعثهم مدداً لأصحابه الذين بعُمان، فتحملوا إلى البحرين، ثم تخلصوا إلى عُمان، وكل هذا لم يدرِ به مالك.

(١) صحار: مدينة عُمانية تحمل اسم صحار بن سام بن نوح، وقبيلة صحار من العرب البائدة، عاش بها، كانت مقر حكم عبد وجيفر ابني اللندي، عندما حمل إليهما عمرو بن العاص رسالة الرسول ﷺ، وأسلما، وأسلم معهما العُمانيون. بلغت المدينة ذروتها في العهد الإسلامي، فكانت حاضرة عُمان، وليس على البحر من مدينة أكبر منها، وكانت ممر الصين، وخزانة الشرق، وأعظم مدن عُمان عمراناً وأكثرها مالاً. ووصفها ياقوت الحموي بقوله: صحار قصبة عُمان مما يلي الجبل، وتوأم قصبتها مما يلي الساحل، وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالآجر والساج، كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها، وإليها ينسب أبو علي محمد بن زوزان الصحاري الشاعر العُماني، وكان قد نكب، فخرج إلى بغداد، فقال يتشوق إلى بلدته:

لحى الله دهراً شردتني صروفه ... عن الأهل حتى صرت مغترباً فردا
ألا أيها الركب اليماني بلّغوا ... تحية نأي الدار لقيتم رُشدا
إذا ما حللتم في صحار فالمعوا ... بمسجد بشّار وجوزوا به قصدا

انظر الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ج١٥، ص٤٣ – ٤٤. والحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٣٩٣ – ٣٩٤. وللمزيد من التفاصيل، انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص٥٣ ـ ٥٤.

فلمـا وصلوا إلـى أصحابهم، أخـذوا يتأهبون للحرب، حتـى انقضى أجل الهدنـة، فجعـل مالـك يسـتطلع أخبارهـم، (٣٥) فبلغـه وصول المـدد إليهم، فكتـب لهـم: إني قد وفيت لكم بما كان بيني وبينكم من العهد وتأكيد الأجل، وأنتـم بعـد حلـول بعُمـان، وبلغني أنه قـد أتاكم من قبـل الملك مـدد عظيم، وأنكم تستعدون لحربي وقتالي، فإما أن تخرجوا من عُمان طوعاً، وإلّا زحفتُ عليكم بخيلي ورجلي، ووطئت ساحتكم، وقتلت مقاتلتكم، وسبيت الذراري، وغنمت الأموال.

فلما وصل رسوله إليهم، هالهم أمره، وعظموا رسالته إليهم مع قلّة عسكره وكثرتهم، وما هم فيه من القوّة والمنعة، وزادهم غيظاً وحنقاً، وردّوا عليه أقبح ردّ، فعند ذلك زحف عليهم مالك في خيله ورجاله، وسار حتى وطئ أرضهم، واسـتعدت الفرس لقتاله ومعهـم الفيلة، فلما قربوا من معسـكره، عبّأ أصحابه رايـةً رايـةً، وكتيبـةً كتيبةً، وجعل علـى الميمنة هناءة بن مالك، وعلى الميسـرة فراهيـد، وقام هو وبقيـة أولاده في القلب، والتقوا هم والفـرس، فاقتتلوا قتالاً شـديداً، ودارت رحى الحرب بينهم ملياً من النهار. ثم انكشفت العجم، وكان معهـم فيل عظيـم، فتركوه، فدنا منه هنـاءة، فضربه على خرطومـه، فولّى، وله صياح، واتبعه معن بن مالك، فعرقبه، فسقط.

ثم إن العجم ثابوا وتراجعوا، فحملوا على الأزد حملة رجل واحد، فجالت الأزد جولة، ونادى مالك: يا معشر الأزد، اقصدوا إلى لوائهم فاكشفوه من كل وجه. وحمل بهم على العجم حملة رجل واحد، حتى كشـفوا اللواء، واختلط الضرب، والتحم القتال، وارتفع الغبار، وثار العجاج حتى حجب الشمس، فلم تسمع إلّا صليل الحديد ووقع السيوف، وتراموا بالسهام، فتقصدت، وتجالدوا بالسيوف، فتكسرت، وتطاعنوا بالرماح، فتحطمت، وصبروا صبراً جميلاً، وكثر القتال والجراح في الفريقين.

ثم لم يكن للفرس ثبات، وولّوا منهزمين على وجوههم، فاتبعهم فرسان الأزد يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجعلوا يطلبونهم حيثما ثقفوهم وأدركوهم، ولم يفلت[1] منهم إلا من ستره الليل.

وتحمّل بقية الفرس في السفن، وركبوا البحر، وعبروا إلى فارس. فاستولى مالك على عُمان، وغنم جميع (٣٦) أموال الفرس، وأسر منهم خلقاً كثيراً، ومكثوا في السجن زمناً طويلاً، ثم أطلقهم، ومنَّ عليهم بأرواحهم، وكساهم، وزودهم، وأوصلهم في السفن إلى أرض فارس. وملك عُمان وما يليها من الأطراف، وساسها سياسة حسنة، وسار فيها سيرة جميلة، وله ولأولاده في مسيرهم إلى عُمان، وحربهم للفرس أشعار كثيرة، وشواهد، تركتها اختصاراً.

ثم جاءت إلى عُمان قبائل كثيرة من الأزد، فأول من لحق بمالك من الأزد عمران بن عمرو بن عامر ماء السماء[2]، وولداه الحجر[3] والأسود[4]، وتفرعت من الحجر والأسود بعُمان قبائل كثيرة.

---

(١) في الأصل: «يفت»، والصحيح ما أثبتناه في النص.

(٢) عمران بن عمرو بن ماء السماء: عمران الوضّاح بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب، وهو غسان بن الأزد، فولد رجلين هما: الأسد بن عمران، والحجر بن عمران. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص١١٧.

(٣) الحجر: هو الحجر بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب، وهو غسان بن الأزد يقول الأزد: «إنه كان نبياً» وبنوه بطون كثيرة منها: زهران، وزيد مناة، وطابخة وبنو إياد، وممن ينسب إليه في الإسلام الحافظ بن عبد الغني بن سعيد الأزدي وآل بيته، وسعيد بن بشر بن مروان الأزدي الحجري. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص١١٧. والزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ١٦٩.

(٤) الأسود: والصحيح الأسد وهو الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن زاد الركب، وهو غسان بن الأزد. ولده ستة رهط: العتيك بن الأسد، وسهيل بن الأسد، ومالك بن الأسد، وأبا وائل بن الأسد، والحارث بن الأسد وسليمة بن الأسد، وأمهم هند بنت سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. انظر التفاصيل في: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص١١١ - ١١٨.

ثم خرج ربيعة بن الحارث بن عبد الله بن عامر الغطريف[١] وإخوته.

وخرجت ملادس[٢] بن عمرو بن عدي بن حارثة، فدخلت في هداد.

ثم خرجت عرمان بن عمرو بن الأزد[٣].

ثم خرجت اليحمد بن حمّى[٤].

ثم خرجت بنو غنم بن غالب بن عثمان[٥].

ثم خرجت الحدّان وأخوها زياد، وهو الندب الأصغر[٦].

ثم خرجت معولة، وهم بنو شمس[٧].

ثم خرجت الندب الأكبر[٨]. وخرجت الضيق[٩].

---

(١) «ثم خرجت الربعة، واسمه ربيعة بن الحارث بن عبد الله بن عامر الغطريف، وإخوته من بني الحارث بن عبد الله». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

(٢) ملادس: والصحيح ملارس. «وخرجت ملارس بن عمرو بن عدي بن حارثة فدخلت في هداد على نسب فيهم». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

(٣) هكذا وردت أيضاً في الأنساب «ثم خرجت عرمان بن عمرو بن الأزد». انظر العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

(٤) وفي الأنساب: «ثم خرجت اليحمد بن حمى، واسم حمى عبد الله بن عثمان بن نصر بن زهران». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

(٥) وفي الأنساب: «ثم خرجت بنو غنم بن غالب بن عثمان، وبطونها جذيمة بن غنم، وسعد بن غنم». العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

(٦) وفي الأنساب: «ثم خرجت الحدان، وإخوتها زياد، وهوب الندب الأصغر، وبالسراة منهم كثير». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

(٧) وفي الأنساب: «ثم خرجت معولة، وهم بنو شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

(٨) وفي الأنساب: «ثم خرجت الندب، وهو الندب الأكبر، ونكل بن النهى بن الهور بن الهنو بن الأزد، فدخلت الندب في بني غالب بن عثمان، فقالوا الندب بن غالب». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

(٩) وفي الأنساب: «وخرجت الضيق بن عمرو بن الأزد، فدخلت في عبد القيس بن غالب، فانتسب منهم». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص ٢٠٥.

وخرج ناس من بني يشكر[١].

وخرج ناس من بني غامد[٢]، وخرج ناس من حواله.

خرجت هذه القبائل كلّها على راياتها، لا يمرّون على أحد إلّا أكلوه، حتى وصلوا عُمان فلمؤوها، وأقاموا في بلد ريّف (وخير)[٣] واتساع، وسمت الأزد عُمان عُماناً، لأن منازلها كانت على وادٍ لهم بمأرب[٤]، يقال له عُمان، فشبهّوها به، والعجم تسميها مزون، وقال بعض العرب شعراً:

إن كسرى سمّى عُمان مزوناً	ومزون ياصاح خير البلاد
بلدة ذات مزرع ونخيل	ومراع ومشرب غير صاد[٥]

لم تزل قبائل الأزد تنتقل إلى عُمان، حتى كثروا بها، وقويت يدهم، واشتدت شوكتهم، وملئوها، حتى انتشروا إلى البحرين، وهجر[٦].

(١) وفي الأنساب: «وخرج ناس من بني يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص٢٠٥.

(٢) وفي الأنساب: «وخرج ناس من بني غامد بن عبدالله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. وخرجت ناس من خواله». انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص٢٠٥.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٤.

(٤) مأرب: اسم مكان في اليمن، وهي بلاد الأزد فيها. قال سهيلي: مأرب اسم قصر كان لهم. وقيل: هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ، كما كان اسماً تبعاً لكل من ولّي اليمن والشحر وحضرموت، وكان في بلاد مأرب سدّ عظيم، عُرف بسدّ مأرب، دمّره سيل العرم، الذي دمّر بدوره أيضاً الضياع، والحدائق، والجنان، والقصور، والدور، وباعد الله بين أسفار من كان مقيماً حوله، حيث تفرقوا في جزيرة العرب وبلاد الشام. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤ - ٣٥.

(٥) انظر البيتين في السالمي، نور الدين: تحفة الأعيان، ج١، ص٢٩.

(٦) هجر: الهجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية. وهجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٣.

ثـم نزل عُمان سـامة بن لؤي بن غالب[١]، نزل (٣٧) بتـوام[٢] وهي الجو، في جوار الأزد، وكان فيها ناس من بني سعد[٣]، وناس من بني عبد القيس[٤]، وزوج ابنته بأسد بن عمران بن عمرو.

ونـزل بعمـان ناس من بنـي تميم، آل خزيمة بن خـازم[٥]، ونزلها ناس من بني النبت[٦]، ومنازلهم عبري[٧]، والسليف[٨]، وتنعم، والسر.

(١) سـامة بن لؤي بـن غالب: سـامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بـن كنانة، ومن قريش. السـام عروق الذهب، والواحدة سـامة، وبه سمي سـامة بن لؤي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص١٧٨.

(٢) توام: اسـم قصبة في عُمان مما يلي السـاحل، وصحار قصبتها مما يلي الجبل، ينسـب إليها الدرّ وبها قرى كثيرة، والتوأم: جمع توأم، جمع عزيز. وقال نصر: توأم قرية بعُمان بها منبر لبني سامة.

(٣) سـعد: سـعد بن زيـد مناة بـن تميم، من عدنـان: جدّ جاهلـي. كانت منـازل بنيه في يبريـن وما تلاها ورمالها، ثم تفرقت بطون منهم بين قطر وعُمان وأطراف البحرين، إلى ما يلي البصرة، ونزل بعضهم في العراق. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٨٥.

(٤) عبدالقيـس: عبدالقيس بـن أفصى بـن دعمي، من أسـد ربيعة، من عدنـان، جدّ جاهلي، النسـب إليه عبـدي، وقيسـي، وعبـد قيس، واقتصـر ابن الأثير على عبـدي، كانت ديار بنيه تهامـة، ثم خرجوا إلى البحريـن واسـتقروا بهـا، وهم بطون كثيرة. انظر: الزركلي، خير الديـن: الأعلام، ج٤، ص٤٩. وانظر نسب بني عبد القيس في: العوتبي. سلمة بن سلم: الأنساب، ج١، ص١٤٧ ـ ١٤٨.

(٥) خزيمة بـن خـازم: والصحيـح خزيمة بن خازم التميمـي، وال، من أكابر القواد في عصر الرشـيد والأمين والمأمون. شهد الوقائع الكثيرة، وقاد الجيوش، وولي على البصرة أيام الرشيد، والجزيرة في أيام الأمين. ولمـا عظـم الخلاف بين الأمين والمأمون انحاز إلى أصحاب المأمون، واشـترك في حصار بغداد إلى أن قتل الأمين، فأقام ببغداد حتى مات فيها سن ٢٠٣هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٣٠٥.

(٦) نبت: نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ: جدّ جاهلي يماني قديم. بنوه قبائل وبطون من أصولها «الأزد» و«خثعم» و«بجيلة». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٧.

(٧) عبـري: كرسـي بـلاد الظاهرة، وقاعـدة ملكهـا، وحماها المنيـع. من أجمل بـلاد الظاهـرة وأفخرها، وأوسـعها مقاماً، وأفسـحها مناخاً، وأطلقهـا هواءً، وأنضرها رياضاً. ولها يخضـع كثير من قبائل ذلك الأفـق، وبلاد السـرّ هي عينها الباصـرة وهامتها العالية. هي عاصمة الظاهـرة، واقعة في تربة صالحة، قابلـة للغـراس علـى مختلف أنواعه. وهي النافـذة التي تطل على عُمان الداخـل، والباب الذي يمهد السـبيل للواصل إلى عُمان من الجهة الغربية. انظر: السـيابي، سـالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص٧٦ ـ ٧٧.

(٨) السليف: قرية تابعة لولاية عبري في منطقة الظاهرة من سلطنة عُمان.

ونزلها ناس من بني الحارث بن كعب، ومنازلهم بضنك[(١)].

ونزلها ناس من قضاعة، نحو مائة رجل، وهم بضنك أيضاً.

ونزلها من بني رواحة بن قطيعة بن عبس[(٢)]، منهم أبو الهيثم[(٣)].

واستقوى ملك مالك بعُمان، وكثر ماله، وهابته جميع القبائل، من يمن ونزار، وكانت له جرأة وإقدام، ما لم يكن لغيره من الملوك، وكان ينزل إلى شاطئ قلهات، وينتقل إلى غيرها. ونزل بناحيته ملك من ملوك الأزد، يقال له مالك بن زهير[(٤)]، وكان عظيم الشأن، كاد أن يكون مثل مالك بن فهم في العزّ والقدرة، فخشي مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد، وأن يقع بينهما حرب، فخطب منه ابنته[(٥)]، فزوجه، على أن يكون لأولادها منه التقدمة والكبر، على سائر أولاده من غيرها، فأجابه مالك بن فهم إلى ذلك، وتزوجها، فولدت له سليمة بن مالك.

وملك مالك عُمان سبعين سنة، لم ينازعه في ملكه عربي ولا عجمي.

---

(١) ضنك: من أفخر البلاد وأوسعها، في قاع خصب بين حزون جاثمة، روضة من رياض القنا، وارفة الظل، وافية القطوف، مغروسة بما يعود عليها نفعه العميم. من أطيب بلاد الجو، وأوسعها عمراناً. في ضنك أخلاط من القبائل العديدة، إذ هي من أمهات القرى. انظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) قطيعة بن عبس: قطيعة بن عبس بن بغيض، من غطفان، من عدنان، جدّ جاهلي. النسبة إليه «قطعي» بضم أوله وفتح ثانيه. من نسله حذيفة بن اليمان الصحابي، وحزم وسهيل وعبد الواحد القطعيون، من رجال الحديث، وخالد بن برد، ولّاه الوليد دمشق. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٠.

(٣) وردت في الأصل: «أبو الهشم»، ويقصد بذلك: أبو الهيثم العبسي الرواحي. انظر: العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج٢، ص٢٣٧.

(٤) مالك بن زهير: ملك عُماني قديم لم نعثر على ترجمة له.

(٥) واسمها الحزام بنت مالك بن زهير. انظر: السالمي، نور الدين: تحفة الأعيان، ج١، ص٣١.

وكان عمره مائة وعشرين سنة[(١)].

وقيل: هو الملك الذي ذكره الله تعالى:

﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩]. وقيل: الملك الذي ذكره الله، هو مندلة بن الجلندي بن كركر[(٢)]، من ولد مالك بن فهم، وهو جدّ الصفاق[(٣)]. وقيل: هو الجلندي بن كركر[(٤)]، وهو من ولد مالك بن فهم. وقيل: هو الجلندي بن المستكبر. وقيل: هو المستنير بن سعود بن جرار بن عبد العزى ابن معولة بن شمس بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأزد. وليس هو كذلك، بل والقول الأول هو الأصح، لأن الجلندي هذا قبل الإسلام إلّا بقليل، وقيل: أدرك الإسلام. وولداه عبد[(٥)] وجيفر[(٦)]، وقصة السفينة كانت في زمن موسى عليه السلام، وبين نبيّنا محمد ﷺ، وبين موسى، أعوام ودهور.

---

(١) عاش مائة وعشرين سنة، وامتدحه أوس بن زيد العبدي، وكان عظيم القدر في معد، وهو في جوار مالك بن فهم فقال:

إن الأسد الكرام إن جل جار فمع النجم لا يخاف غريبا
عزَّ من كان مالك له جار لست في الأزد حللت غريبا

انظر السالمي، نور الدين، تحفة الأعيان، ص٣١.

(٢) مندلة بن الجلندي بن كركر: ملك عُماني قديم، لم نعثر له على ترجمة.

(٣) الصفّاق: ملك عُماني قديم، لم نعثر له على ترجمة.

(٤) الجلندي بن كركر: ملك عُماني قديم، لم نعثر له على ترجمة.

(٥) عبد بن الجلندي: ملك عُماني، عاش في صدر الإسلام، دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام برسالة بعث بها إليه مع عمرو بن العاص، فنزل عمرو في مدينة صحار، وبعث إلى عبد وأخيه جيفر، وقد ذكر أن أبا بكر أمر عبد على سرية لمقاتلة المرتدين، فقام بمهمته خير قيام، وأشاد حسان بن ثابت به وبرأيه، وجعل أبو بكر الصديق أخذ الصدقات من أهل عُمان على يده هو وأخوه جيفر بن الجلندي. انظر: دليل أعلام عُمان، ص١١١.

(٦) جيفر بن الجلندي: ملك عُماني، كتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وبعث الصحيفة مع عمرو بن العاص، ونزل عمرو صحار، وقابل جيفر، ودفع إليه بالصحيفة، فلما قرأها، أسلم جيفر ومن معه، وانتشر الإسلام في عُمان كلها إلّا الفرس، فقاتلهم جيفر وأخوه عبد، وأخرجوهم من عُمان. انظر: دليل أعلام عُمان، ص٤٦.

فصل (مقتل مالك بن فهم)

وقيل: إن مالك بن فهم قتله ولده سليمة خطأ، وسبب ذلك، قيل: إن مالكاً جعل على أولاده الحرس بالنوبة، كل ليلة على رجل منهم، ومعه جماعة من خواصه وأُمنائه، وكان سليمة أحب إخوته إلى (٣٨) أبيه، وأحظاهم لديه، وأكرمهم عليه، وأرفعهم منزلة عنده، وكان يعلمه الرمي، حتى أحذق، وصار حاذقاً ماهراً، فحسده إخوته لمكانه من أبيه، وكانوا يطلبون له عثرة مع أبيه، فلم يجدوا له عثرة. فأقبل ذات يوم نفر منهم إلى أبيهم، فقالوا: يا أبانا، إنك جعلت على كل واحد منّا نوبة من الحرس، وكل منّا قائم بنوبته، ما خلا أخانا سليمة، فإنه إذا كانت نوبته، انفرد عن أصحابه، وتشاغل بالنوم عن الحرس، فلا تكن لك منه كفاية ولا مغنى. وجعلوا يوهنون أمره، وينسبونه إلى العجز والتقصير. فقال أبوهم: إن كلاً منكم قائم بما عليه، وليس من أحد منكم تقصير، وقد فهمت قولكم في ولدي سليمة، فإنه لم تزل الأخوة تحسد بعضها بعضاً، لإيثار الآباء بعضهم على بعض، وإن ظني فيه، كعلمي به. فانصرفوا عنه، ولم يبلغوا ما أملوه.

ثم إن مالكاً داخله الشك فيما تكلموا به من أمر سليمة، فأراد ليختبر دعواهم، فلما كانت نوبة سليمة في الحرس، وقد خرج سليمة في فرسان قومه، وكان من عادته، إذا خرج للحرس، انفرد عن أصحابه، وكمن قريباً من دار أبيه، فلما كانت تلك الليلة، خرج مع أصحابه، وانفرد عنهم كعادته، وكمن في مكانه الأول. وكان مالك (قد)[1] خرج في تلك الليلة متنكراً مستخفياً، لينظر هل يصح قول أولاده في سليمة، وكان سليمة قد أخذته في تلك الساعة سنة، وهو على ظهر فرسه، فلما رأى الفرس شخص مالك من بعيد، صهل،

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٩.

فانتبه سليمة من سنته مذعوراً، ورأى الفرس ناصباً أذنيه، وكان معوداً الفرس إذا رأى شيئاً، ينصب أذنيه مقابلاً لما يرى، فيرمي الفارس السهم بين أذني الفرس، فلا يخطئُ ما رماه الفارس، ففوّق سليمة سهمه، ويمّمهُ نحو مالك، وهو لا يعلم أن ذلك الشخص أبوه، فسمع مالك صوت السهم، وقد خرج من كبد القوس، فهتف به: لا ترمي يا بني، أنا أبوك. فقال: يا أبتِ، ملك السهم قصده، فأصاب مالكاً في لبّة قلبه. فقال مالك حين أصابه السهم قصيدة طويلة انتخبتُ، منها هذه الأبيات:

جزاه الله من ولد جزاءً … سليمة إنه سأماً جزاني
أعلّمه الرماية كل يوم … فلما اشتدَّ ساعده رماني
توخاني بقدحٍ شكَّ لبّي … دقيق قد برته الراحتانِ
فأهوى سهمه كالبرق حتى … أصاب به الفؤاد وما عداني
ألا شُلّت يمينك حين ترمي … وطارت منك حاملة البنانِ[1]

فلما مات مالك، أنشأ ولده هناءة يقول هذه الأبيات:

لو كان يبقى على الأيام ذو شرف … بمجده لم يمت فهم وما ولدا
حلّت على ملك الأملاك جائحة … هدّت بناء العلا والمجد فانفصدا
أبا جذيمة لا يبعد ولا غلبت … به المنايا وقد أودى وقد بعدا
لو كان يُفدى لبيت العزّ ذو كرم … فداك من حلّ سهل الأرض والجلدا
ياراعي الملك أضحى الملك بعدك لا … تدري الرعاة أحار الملك أم قصدا[2]

---

(١) انظر القصيدة كاملة في السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان،، ج١، ص ٣٦ - ٣٧.

(٢) انظر الأبيات في: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان، ج٢، ص ١٧٧. وفي السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، ج١، ص ٣٦ - ٣٧.

(ذكر أخبار سليمة بعد موت أبيه)

ولمّا قتل سليمة أباه، تخوّف من إخوته، واعتزلهم، وأجمع على الخروج من بينهم، فسار إليه أخوه هناءة في جماعة من وجوه قومه، فاجتمعوا إليه، وكرَّهوا إليه الخروج، وكان أكثر تخوّفه من ناحية أخيه معن، فقال لهم: إني لا أستطيع المقام معكم، وقد قتلت أباكم، وكان ذلك من سبب حسد إخوتي لي، وقد يبلغني من معن ما أكره، وإني لأخشى أن يتوقع عليَّ في بعض سفهاء قومه، فناشدوه الله والرَّحم، أن يقعد عندهم، وضمن له هناءة بتسليم الدِّية عنه إلى أخوته من ماله، وأعفوه عن القود، فقبل ذلك سليمة، وأقام معهم.

وسلَّم هناءةَ عنه الدّية من ماله إلى إخوته، فقبلها الإخوة وعفوا، إلّا معن، فإنه قبلها ولم يعفِ، وطمع هناءة أن يصلح ذات بينهم، وكان حسن السيرة في إخوته وقومه.

ثم إن معناً خلا له زمن، لا يتعرض لسليمة بشيء أبداً، حتى أكل الدّية، ثم إنه جعل يطلب غفلة سليمة، ويغري به سفهاء قومه، من حيث لا يعلم به أحد، فبلغ ذلك سليمة، فأقسم لا يقيم بأرض عُمان، وأجمع رأيه على ركوب البحر، فخرج هارباً في نفر من قومه، وقطع البحر، حتى نزل ببرِّ فارس، وأقام بجاسك[1]، وتزوج بامرأة منهم من قوم يقال لهم الاسفاهية، فولده منها يسمون بنو الاسفاهية.

فبينما سليمة ذات يوم قاعد تذكر أرض عُمان، وانفراده عنها، (٤٠) وعن إخوته، وما كانوا فيه من العزّ والسلطان، فقال هذين البيتين:

(١) جاسك: جزيرة كبيرة بين جزيرة قيس، وهي المعروفة بكيش، قبالة مدينة هرمز. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٩٥.

كفى حزناً أني مقيم ببلدة — أخلّائي عنها نازحون بعيدُ
أقلِّبُ في البلاد فلا أرى — وجوه أخلّائي الذين أريدُ[(١)]

ثم إنه رحل، ونزل بأرض كرمان[(٢)]، وأقام عند بعض ملوكها، وعرّفهم بحسبه ونسبه، وكيف حسده إخوته، وكيف قتل أباه، وكيف كان خروجه عن إخوته.

فلما عرفوا مكانه وشرفه، كتموا أمره، مخافة أن يعرض له بسوء، لأجل ما كان من أبيه وأخيه جذيمة الأبرش[(٣)]، في ملوك فارس، وأكرموا مثواه، وأعجبهم ما رأوا من فصاحته وجماله، وكمال أمره، فرفعوا قدره، وأرادوا أن يزوجوه من كريمة من كرائم نسائهم. وكان ذلك في زمن ملكهم ولد دارا بن دارا[(٤)]، وكان كثير العسف والظلم، جباراً غشوماً على رعية وأهل مملكته، وقد

---

(١) انظر البيتين في: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان، ج٢، ص١٧٨. وفي السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان،، ج١، ص٣٨.

(٢) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين بلاد فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع، تشبه البصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات، سميت كرمان بكرمان بن فلوج بن لنطي بن يافث بن نوح عليه السلام. وقيل: إنما سميت بكرمان بن فارك بن سام بن نوح، لأنه نزلها لما تبلبلت الألسن واستوطنها، فسميت به، فتحت كرمان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عثمان بن أبي العاص الثقفي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤ - ٤٥٥.

(٣) جذيمة بن الأبرش: جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي، ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق، وكان أعزّ من سبقه من ملوك هذه الدولة، اجتمع له ما بين الحيرة، والأنبار، والرقة، وعين التمر، والقطقطانية، وبقة، وهيت، وأطراف البر إلى العمير ويبرين، وما وراء ذلك. وهو أول من غزا بالجيوش المنظمة، وأول من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب. وكان يقال له: «الوضاح» و«الأبرش» لبرص فيه. طمع إلى امتلاك مشارف الشام وأرض الجزيرة، فغزاها، وحارب ملكها (عمرو بن الظرب _أبا الزباء) فقتله وانتهب أملاكه، وانصرف، فراسلت الزباء جذيمة وعرضت عليه نفسها زوجة، فجاءها في جمع قليل، فقتلته بثأر أبيها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١١٤.

(٤) دارا بن دارا: هو دارار بن دارا بن بهمن بن أسفنديار، تولى الحكم بعد والده، وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة دارا. كان شاباً غراً جميلاً حقوداً جباراً سيئ السيرة في رعيته، واستوحش منه الخاصة والعامة. دام ملكه أربع عشرة سنة. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢١٢ - ٢١٣.

أضرَّ بهم، وكان إذا تزوجت امرأة من نسائهم، ولم تزفّ إليه قبل زوجها، قتلها وقتل أهلها وبعلها، ولا يقدر أحد أن يبتني بامرأة، إلّا بعد أن يفتضّها الملك ويجامعها، كانت بكراً أو ثيباً.

فأخبروا سليمة بصنيع الملك فيهم، وشكوا إليه جوره، وأنهم لا يقدرون عليه، لكثرة حجّابه وحرّاسه، فقال سليمة: ماذا لي عليكم إن كفيتكموه، وأرحتكم منه؟ فقالوا: أنّى لك ذلك، ولم يقدر عليه من كان قبلنا من أهل العزّ والسلطان؟ فقال: تدبير الأمر عليّ، فماذا لي عليكم؟ قالوا: ما شئت، قال: إذا كان الغد، فليحضر عندي أهل الوفاء والعهد والتقديم منكم.

فلما كان الغد، اجتمع إليه عظماء كرمان وأشرافها أهل الوفاء، فجرى الكلام بينهم، فقال سليمة: إن أمكنتموني مما أشرط عليكم، دبَّرت الأمر، فقالوا كلّهم: لك ما طلبت. فقال: أريدُ أن تصيروا ملكه وسلطانه لي، ولعقبي من بعدي، وعلى أن آخذ جميع غلّات كرمان وخراجها، إلى أن أتمكن، وأنتخب من العرب من أردت، وأجعلهم معي، وعلى أن تزوجوني من كرائم نسائكم. فأعطوه ذلك، وضربوا على يده، وقالوا: لك الوفاء بجميع ما طلبت وشرَّطت. وبايعوه على قتل الملك، وأعطوه العهود والمواثيق على الوفاء، وكتموا أمرهم. وكان فيهم من بيت الملك، وهم قوّامهُ ونظام (٤١) ملكه، ولكن كثر عليهم ظلمه، فكرهوه، ورأوا قتله راحة لهم.

انظروا أيها السامعون في عاقبة الظلم والجور، أدَّاه إلى أن تقتله أقرباؤه، ولو عدل لأحبه البعداء والأدنياء، وتمنّوا له طول العمر والنصر على الأعداء.

فلما فرغوا من البيعة، زوّجوه من كرائم نسائهم، وكل هذا لم يعلم الملك منه شيء، وأشهروا التزويج لرجل من أهل كرمان، لئلا يعلم الملك بشيء، فلما فرغوا من أمر التزويج، عاهدهم سليمة على ليلة معلومة، ليزفوه

إلى الملك، وقال: اشـهروا أمر التزويج، ليتهيّأ له الملك، وليتأهب لمباشـرة العرس.

فلما كانت تلك الليلة، أشـهروا الزفّة، وعمدوا إلى سـليمة، فألبسوه الحلل الفاخرة، والحلي السـنيّ، وضمخوه بالأطايب، وكان شـاباً حسناً جميلاً، وكان قد شـحذ سكيناً، وجعلها في سـراويله، وزفوه في الخدم والحشم، حتى انتهوا بـه إلى الحصن، ففتحـت لهم الأبواب، ودخلوا به، فنظـر إليه الملك في ضوء المشاميع، وهو في تلك الهيئة الحسنة الجميلة، هاله منظره، وسلب لبه وعقله، فأومأ إلى النساء والخدم لينصرفوا، فانصرفوا، فأغلق الأبواب، وأرخى الستور، وبقي هو وسليمة في غرفة واحدة، فأهوى إليه يقبله ويضمه إلى صدره، فاسترخى سـليمة، وجعـل يلاعبه ويداعبـه، كما تفعـل الجارية، حتى تمكـن منه، فأخرج السكين، وضربه في خاصرته، وقتله، ولبس سليمة درع الملك، وتقلد السيف، وجعل على رأسه البيضة، وبات متأهباً، ولم يعلم أحد بما صنع بالملك، وبات الذين بايعوه في خوف عظيم، لا يدرون ما يكون من أمر سليمة والملك.

فلمّا طلع الفجر، وثب سليمة إلى الأبواب، ففتحها، وخرج على الحرّاس وخاصّة الملك وحجّابه، فوضع فيهم السيف، حتى أباد عامتهم، والباب العامد مغلـوق لم يفتحه، ووقع الضجيج في الحصـن، وعلت الأصوات، فأقبل أهل البيعة وغيرهم من أهل البلد بالسـلاح التام، فأشـرف عليهم سـليمة من أعلى الحصـن، وعليـه الدرع والبيضة، وبيده سـيف الملك، يقطر دمـاً، ورمى إليهم بـرأس الملـك وجثّته، فلمـا نظروا إليه، هالهم ما رأوا من أمر سـليمة وجرأته، وسُـرَّ بذلـك كثير من أهـل البلد، وخاف من لم يسـرّه ذلك، ولـم يقدر(أن)[١] يظهر حرباً ولا كلاما، واسـتقام (٤٢) الأمر لسـليمة بأرض كرمان، وسلّمت له جميع رعاياها طوعاً وكرهاً، ورغبة وهيبة.

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

ثـم جعلـوا في رجل الملك حبلاً، وأمروا الصبيان يسـحبونه، ويطوفون به في شوارع البلد وسككها.

ولمّا اسـتقر الأمر لسـلمية، أهدوا إليه عرسَـه، فابتنى بها، وتمهد له الأمر، واسـتولى علـى كرمـان وثغورهـا ونواحيهـا، وأطاعـوه، ومكنـوه من أنفسـهم وأموالهـم، وأعانـوه في جميـع أموره، فلم يـزل كذلك، حتى حسـدوه، وبغوا عليـه، وقالوا: إلى متى يملكنا هذا العربي، ونحن أولو القوّة والمنعة؟ وجعلوا يتعرضون له في أطراف ملكه.

فكتـب سـليمة إلى أخيـه هناءة بن مالك بعُمـان، يسـتصرخه، ويطلب منه المعونة والمدد من فرسان الأزد ورجالهم، يشدّ بهم عضده، ويقيم بهم أود من اعوجّ عليه من أهل مملكته، فأمدّه بثلاثة آلاف من فرسـان الأزد وشـجعانهم، وحملهم في المراكب، حتى أوصلهم أرض كرمان، فتحصنوا عند سليمة، فشدَّ بهم عضده، وأقام بهم من تعاوج عليه من العجم.

ولم يزل أمره مسـتقيماً بأرض كرمان، واشـتدّ ملكه، وقوي سلطانه، وولد له عشـرة أولاد، كلّهم ذكور، وهم: عبد، وحماية، وسعد، ورواحة، ومجاشن، وكلاب، وأسد، وزاهر، وأسود، وعثمان.

وتوفي سليمة بأرض كرمان، فاختلف رأي أولاده من بعده، ودخل الناس بينهـم، فكان سـبب زوال ملكهـم، ورجوع الملك إلى العجـم، فغلبت الفرس عليهم، واسـتولوا علـى ملك أبيهم، واضمحلَّ أمرهـم، فتفرقوا بأرض كرمان، وفرقة توجهت إلى عُمان، وجمهور بني سليمة بأرض كرمان، لهم بأس وشدّة، وعدد كثير، وبعُمان الأقل منهم.

ثـم لـم تكن للفرس رجعة إلى عُمان، بعـد أن جلاهم مالك عنها، إلى أن انقضى ملكه، وملك أولاده من بعده، وصار ملكها إلى الجلندي بن المسـتنير

المعولـي، وصـار ملك فـارس إلى بني ساسـان، وهـم رهط الأكاسـرة، فكان الصلـح بينهـم وبين الجلنـدي بعُمان، فكانوا يجعلون لهـم بها أربعة آلاف من الأكاسـرة والمرازبـة، مـع عامـل لهم بها مع ملـوك الأزد، فكانـت الفرس في السـواحل وشـطوط البحـر والأزد ملوكاً فـي البادية والجبال وأطـراف عُمان، وكل الأمور منوطة بهم، وكان كل من غضب عليه كسـرى أو خافه على نفسـه وملكه، أرسـله إلى عُمان، (٤٣) يحبسـه بها. ولـم يزالـوا كذلك، إلى أن أظهر الله الإسلام بعُمان.



الباب الخامس

في معرفة الرسل
صلوات الله عليهم أجمعين

أول الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، آدم[١] عليه السلام. ثم ابنه شيث[٢]، أنزل الله عليه سبعين صحيفة، وهو نبي ورسول. ثم إدريس[٣]، وهو أخنوخ، نبي ورسول، أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وفرض عليه صلاتين، في طرف النهار، غدوة وعشيّة، وفرض عليه الحج إلى الكعبة البيت الحرام، كما فرض على آدم وشيث من قبله.

ثم بعث الله نوحاً[٤] عليه السلام، واسمه: ساكن بن لمك بن ياجور بن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام، فلبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، فلم يؤمنوا، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون، ابتعثهُ الله بالدين الذي أمر به ملائكته، وأوحى الله إليه، إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، ولا تشرك بي شيئاً، وادعِ قومك إلى ذلك. ومما فرض الله عليه، برّ الوالدين، وأن يوفوا بالعهد، وأن

(١) انظر قصة آدم كاملة في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ١٢ - ٢٦.

(٢) شيث بن آدم: عندما بلغ شيث مبلغ الرجال، أوحى الله تعالى إلى آدم أن يأخذ من شيث العهود والمواثيق، فبرز حتى صار إلى موضعٍ خالٍ من الأرض، فجعل يوصي شيث بتقوى الله، ويحذره نقم الله. فلما فرغ من وصيته، أوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل والملائكة أن اهبطوا إلى شيث وآدم، وخذوا على شيث العهد والميثاق، واكتبوا عليه كتاباً، وكونوا من الشاهدين. انظر: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٧.

(٣) إدريس: وهو أول من بعث بعد آدم عليه السلام، وهو جدّ نوح عليه السلام، وكان أشدّ الناس عبادة، بعثه الله على قومه، وكانوا من السحرة، وأول من لعن الآباء والأمهات، وقطعوا الأرحام، وأطاعوا الشيطان، فدعاهم إدريس إلى طاعة الله، وفرض الله تعالى عليه صلاتين طرفي النهار: غدوة وعشية، وفرض عليه الحج إلى الكعبة البيت الحرام، وفرض عليه الأحكام والحدود، وترك السحر، فلما دعا قومه إلى ذلك أبوا، وهمّوا بقتله، فرفعه الله إليه، وأسكنه الجنّة. انظر: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٩ - ٣٠.

(٤) انظر قصة النبي نوح في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٣١ - ٣٧.

لا يقربوا الزنى، وأن لا يأكلوا مال اليتامى ظلماً، وكان نوح يتلو الكتاب من الصدر الأول في صلاته، وفرض عليه كل يوم ثلاث صلوات: أول النهار، ووسطه، وآخره، وكان لا يصلّي جماعة، وكان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فريضة من ربه، فدعا قومه إلى طاعة الله، وما أمر ربّه، فكذّبوه، وشتموه، وضربوه.

ثم أخذ في عمل السفينة، بعدما أذن الله له في عملها، وأمره أن يحمل الناس في أعلاها، وأن يجعل آدم وحواء بتابوتيهما في وسطها، والدواب والوحوش في أسفلها، وحمل فيها من كل زوجين اثنين، مما يلد ويبيض، إلّا ما يتولد من الطين كالحشرات، فإنه لم يحمله. فلما استوت السفينة، أوحى الله إليه أن العلامة إذا فار التنور الذي في دارك، فاركب السفينة أنت ومن معك.

فلما فار التنور، ركب نوح في ثمانين امرأة وثمانين رجلاً، وحمل فيها من كل زوجين اثنين، والذين سبق عليهم القول (٤٤) من أهله امرأته وولده، فلم يركبا في السفينة، وفتح الله أبواب السماء بماء منهمر، وفجّر الأرض عيوناً، فالتقى الماء على أمر قد قُدّر، وارتفع الماء فوق أعلى جبل في الأرض أربعين ذراعاً. وركب نوح لعشر خلون من رجب، ونزل لعشر خلون من المحرم، تمام ستة أشهر.

وكانت تجري بهم في موج كالجبال، فإذا أتت الحرم، طافت بمكان البيت سبعة أشواط، ورفع البيت عن الغرق، وقيل: كانت الكعبة من درّة من جوهر الجنة، وبقي منه الحجر الأسود في جبل أبي قبيس[1]. ثم سارت السفينة حتى

(١) جبل أبي قبيس: اسم الجبل المشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان، ومكة، بينما، سمي باسم رجل من مذحج، كان يكنى أبا قبيس، لأنه أول من بنى فيه قبة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص ٨٠.

انتهـت (إلـى)[1] جبل الجـودي[2] بـأرض الموصل، وقيل: إنـه بالصين، ورفعه يومئذ ثمانين فرسخاً، والله أعلم.

وأتى الماء على جميع الدنيا، فغرق كل من عليها من الخلق، فلما نشفت الأرض، نزل نوح بمن معه بأرض بابل، فموضعهم يسـمى سـوق ثمانين، ولم تكـن للذيـن ركبوا مع نـوح ذرية، والنـاس كلهم من أولاد نـوح الثلاثة، وهم سـام، وحام، ويافث: فالزنج، والسـند، والهند، والنوبة، والحبشة، والبربر، من أولاد حام والعرب، والفرس، والروم، من أولاد سام. وياجوج وماجوج والترك والصقالب من أولاد يافث.

ووصـى نـوح أولاده بطاعـة الله، وأن يؤمنـوا بـالله والرسـل مـن قبلهـم. واسـتخلف نوح ولده سـام، وكان أفضل أولاده، ومنه كانت الأنبياء، صلوات الله عليهـم، والأوليـاء، والملوك، وخيار الناس، وكان سـام يصلي في كل يوم ثلاثين ركعة، وكان يصوم عاشـوراء، وهو اليوم الذي اسـتوت فيه السفينة على الجودي، وخرج سـام مع أبيه، وعلّمه المناسـك، وكان يقول في تلبيته: لبيك اللهم لبيك، لا شـريك لـك لبيك، إن الحمد والنعمة والملك لك، لا شـريك لك لبيك، وقيل: نزلت عليه صحف.

ولـم تـزل النـاس على طريقـة واحدة، ومنهـاج واحد، إلى أن مات سـام، فتبلبلـت الألسـن، وتكلم كل نـاسٍ بلغة، وتكلم أبو عـاد بالعربية، فهم العرب العاربة.

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) جبـل الجـودي: جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشـرقي من دجلـة من أعمال الموصل، عليه اسـتوت سـفينة نوح عليه السلام لمّا نضب الماء. ومسـجد نوح عليه السلام موجود بالجودي. انظر: الحموي، ياقوت ابن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ص١٧٩.

ثم أرسل الله هوداً[١] إلى عاد، وهو هود بن عابر بن عاد بن إرم بن سام بن نـوح، فدعا إلى مـا دعا إليه من قبله، فكذبوه، فحبـس الله عنهم الغيث، (٤٥) وأخذهم بالسـنين، ونالهم الضرُّ، فبعثوا ثلاثة رجال منهم إلى الحرم، ليسـتقوا لهـم، وهـم: قيل بن عاد، والتيم بن هزال، ومرثد بن سـعيد. وقيل بعثوا أربعة: قيل، وشداد، ولقمان، ولقيم، فساروا إلى الحرم، فاستقوا، فلم يسقوا، وأرسل الله عليهم الريح العقيم، في يوم نحسٍ مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، سخّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، فترى القوم فيها صرعى، كأنهم أعجاز نخل خاوية.

فبقيـت منهـم بقيّـة كانـوا عنهـم بمنزح، وهـم ثمـود[٢] فأرسـل الله عليهم صالح[٣] بـن كاين بـن راشـك بن كاشـح بن الأروع بـن مهل بـن هـود عليه السلام، فدعاهـم إلـى مـا دعت الرسـل من قبلـه، وكان يصـوم يوم عاشـوراء، وكانت منازلهـم بالحجـر بين الشـام والحجاز، وكان لهم عيد يجتمعـون فيه، فدعاهم صالح إلى طاعة الله، فسألوه أن يريهم آية، فأخرج لهم من صخرة كانت قريباً منهـم ناقة يتبعها فصيلها، لم يَرَ الراؤون أحسـن منها، ومـن فصيلها، وقد كان شـرط عليهم إن مسّـوها بسـوء، أخذهم عذاب أليم، وأن لهم شرب يوم، ولها شرب يوم معلوم.

ويُـروى عـن النبـي ﷺ، أنها إذا كان يوم شـربها، تضع شـفتيها علـى الماء،

---

(١) انظر قصة النبي هود في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٣٧ – ٤٠.

(٢) ثمود: ثمود بن عابر بن إرم، من بني سام بن نوح، رأس قبيلة من العرب العاربة في الجاهلية الأولى. كانت إقامته في بابل، ورحل عنها بعشـيرته إلى الحجر (بين المدينة والشـام)، ثم انتشـروا بين الشـام والحجـاز، وبقيـت آثارهم فـي الحجر المعروفة بمدائن صالح إلى اليـوم. وفيها عجيب الآثار، بيوت محفورة في الصخور. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٠٠ – ١٠١.

(٣) صالـح: انظر قصة النبي صالـح في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سـعيد: الكشـف والبيان، ج٢، ص ٤٠ – ٤٤.

فتشـرب ماءهم كلّـه، فيخرج منها لبن، فيشـبعهم كلّهم، فكفـروا بنعمة الله، وكان فيهم تسعة رهط يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، فُسّاق، شُرَّاب الخمور، كانوا من أكابرهم، فعقروا الناقة، وقسموا لحمها في ثمود، وخرجوا يطلبون الفصيل.

وبلـغ الخبـر إلـى صالـح، فقـال: أدركـوا الفصيـل، فلعلكـم إن أدركتمـوه لا تعذبون. وخرج صالح معهم، فلما (رأى)[1] الفصيل صالحاً، نادى: يا صالح، يا أماه، ثلاثة أصوات، فقال صالح لقومه: استعدّوا للعذاب. وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء، فأتتهم الصيحة يوم الأحد، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

ثـم إن الله تعالـى، بمنّـه ولطفـه، بعـث خليله ونبيّـه إبراهيـم[2]، صلوات الله عليـه، في زمـن نمرود بن كنعان[3] بن كوش بن حـام بن نوح عليه السلام، وهو مـن الأربعـة الذيـن ملكـوا الأرض، وهـم: نمـرود، وشـداد[4]، وسـليمان بن

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٤٣.

(٢) انظـر قصـة النبـي إبراهيـم فـي: القلهاتـي، أبو عبدالله بـن محمد بن سـعيد: الكشـف والبيـان، ج٢، ص٤٥ - ٥١.

(٣) نمرود بـن كنعان: هو نمرود بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح، وكان في زمانه الكهنة والمنجمون، وقالـوا لـه: سـيولد في مملكتك مولود يكون سـبب هلاكك وهلاك ملكك على يديه في هذه السـنة، وأنـه يدعـو إلـى غير دينك. فأمر بعزل النسـاء عن الرجال، وكل حبلى ولدت غلامـاً أمر بقتله، وكان مـن قـدر الله أن آزر أبـا إبراهيم صلـوات الله عليه، قد واقـع امرأته على طهر منهـا، فحملت إبراهيم خليل الرحمٰن، فلما جاءها المخاض خرجت هاربة وخبأته في شجرة، وأخبرت والده بمكانه، فأخذه وجعلـه في سـرداب تحت الأرض، وكانت أمه تختلف إليه وترضعه، وهـو إبراهيم النبي عليه السلام. وكان هلاك نمرود على يده. انظر: القلهاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٤٥.

(٤) شـداد: شـداد بن عاد بن ملطاط بن جشم بن عبد شـمس بن وائل بن حمير، من قحطان، ملك يماني جاهلي قديم، من ملوك الدولة الحميرية، اتفقت عليه كلمة أولي الرأي من حمير وقحطان، بعد وفاة النعمان بـن يعفـر، فولّوه الملك في صنعاء، فكان حازماً مغـواراً، غزا البلاد إلى أن بلغ أرمينيا، وعاد إلى الشام، فزحف إلى المغرب، يبني المدن ويتخذ المصانع. ولما رجع إلى اليمن مضى إلى مأرب، فبنى فيه قصراً بجانب السدّ، ولم يكن في الدنيا مثله، ولما مات نقبت له مغارة في جبل شبام ودفن فيها، ومعه جميع أمواله، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٥٨ - ١٥٩. وانظر التفاصيل في: الحميري نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن، ص٥٤ ـ ٥٥.

داؤد (٤٦) عليهما السلام، وذو القرنين، وكان في زمانه الكهنة والمنجّمون، وهو إبراهيم بن آزر بن تارح بن ياجور بن شاروع بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: كان مولده بالسوس[١]، وقيل: ببابل، وقيل بكوثا[٢]، والله أعلم.

وابتلاه الله بعشر كلمات، فأتمَّهُنَّ، خمس منهن بالرأس، وخمس بالبدن، فاللواتي في الرأس: قصّ الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الشعر. واللواتي في البدن: تقليم الأظفار، ونتف الإبطين، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء. وقيل: هنّ مناسك الحج.

وقيل: ابتلاه الله بالكواكب، والشمس والقمر، فأحسن في ذلك، وعرف ربّه، إنه دائم لا يزول.

وابتلاه بالنار، فصبر، وفضائله وشرفه كثير، لا يحصى. وكفى ما قصّ الله في كتابه، أنه جعله إماماً للناس، واتخذه خليلا.

وهو أول من ضاف الضيف، وأطعم الطعام، وسنَّ الحج، وقعَّد قواعد البيت بعد الغرق، وأول من اختتن، وأول من أوفى بعهده، وأطاع ربّه، في ذبح ولده إلى أن فداه الله بذبح عظيم، وهو أول من شاب، وأول من كسر

(١) السوس: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام. قال حمزة: السوس تعريب الشوش ومعناه الحسن والنزه والطيّب واللطيف. وقال ابن المقفع: أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان هو سور السوس، ولا يعرف من بناه. وقيل: إن أول من بنى كور السوس وحفر نهرها أردشير بن بهمن القديم بن اسفنديار بن كشتاسب. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) كوثا: وتعرف باسم كوثا ربَّى في العراق، وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبها مولده، وهي من أرض بابل، وبها طُرح إبراهيم عليه السلام في النار. فتحت في عهد عمر بن الخطاب، على يد سعد بن أبي وقاص. قال زهير بن جُؤيّة:

لقينا بكوثى شهريار نقوده عشية كوثى والأسنّة جائرة

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

الصليب، وأول من طهر البيت العتيق من الأوثان، وأول من اتخذ المقام، وفضائله لا تحصى.

وفي الخبر، إن البيت انهدم، فبنته العمالقة(١) من بعد إبراهيم، ثم انهدم، فبنته جرهم ملوك اليمن، ثم انهدم فبنته قريش، في زمن رسول الله ﷺ، ووضع الحجر الأسود في الركن رسول الله ﷺ.

ثم أرسل الله لوطاً، وهو لوط(٢) بن هارون بن رباح، واسمه بالعربية آزر، فكفى بما قصَّ الله في كتابه من قصته وقومه وهلاكهم، وأنجى الله لوطاً وأهله وجميع مواشيه، إلّا امرأته كانت من الغابرين، وهو ابن أخ إبراهيم، ومدائنهم خمس، أهلك الله أربعاً، وبقيت واحدة.

ثم أرسل الله إسماعيل، وإسحاق(٣)، ويعقوب(٤)، ثم يوسف(٥)، وأيوب(٦)،

(١) العمالقة: عملاق أو عمليق بن لاوذ بن إرم: جدّ جاهلي قديم، من العرب العاربة. بنوه العمالقة، وكانوا ببابل، فغلبتهم عليها الفرس، فانتقلوا إلى تهامة بالحجاز، ثم تفرقوا في الحجاز، والبحرين وعمّان، والجزيرة، والشام. قال الطبري: كانوا عرباً ولسانهم عربي. وكان منهم ملوك العراق الجزيرة وجبابرة الشام (الكنعانيون) وفراعنة مصر. وتكرر في التوراة ذكر قتالهم اليهود، قال يوست: العماليق شعب قوي ذكر أولاً في قصة كدر لعومر، ولا يعرف أصلهم، وعدّهم بلعام أول الشعوب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٨٨.

(٢) انظر قصة النبي لوط في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٥١ - ٥٢.

(٣) إسحاق: وهو أصغر ولد إبراهيم عليه السلام، وجعل إبراهيم الوصية إليه، وآمن بكلمة التقوى وهي: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن يتبع ملّة أبيه إبراهيم، فعمل نبي الله إسحاق بما أمره أبوه حتى ولد له يعقوب والعيص. انظر: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٥٣.

(٤) يعقوب: يعقوب بن إسحاق عليه السلام، انظر قصة نبوته في: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص١٣٧.

(٥) يوسف: يوسف بن يعقوب عليه السلام، النبي الذي أعطاه الله الحسن والجمال ما لم يعطه أحداً من ولد آدم، أبغضه أخوته، وكمنوا له العداوة في سبب الرؤيا التي ذكرها الله في محكم كتابه العزيز «القرآن». انظر قصة النبي يوسف في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٥٥ - ٥٦.

(٦) أيوب: وهو أيوب بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، كان أعبد الناس في زمانه، وكان من =

ثم أرسل الله موسى وهارون[١]، وشعيباً[٢]، ويونس[٣]، (٤٧) ويوشع بن نون[٤]، وكلَّم الله موسى تكليما، وانزل عليه التوراة، وأرسل داؤد[٥]، وأنزل عليه الزبور، وأرسل سليمان[٦]، وملّكه الدنيا جميعها، والجن والأنس، والشياطين،

= أحسن الناس صنعاً بمن يمرّ به من السائلين، ورث الكرم عن جدّه إبراهيم عليه السلام، وكان يأمر بكلمة التوحيد وشهادة أن لا إله إلّا الله، ابتلاه الله بالجدري، فغطى جسده كله، ولم يبقَ له إلّا عيناه ينظر بهما إلى السماء ويقول: يارب صبّرني على بلائك، وأفرغ عليّ رحمتك، ومنّ عليّ بعافيتك. ثم شرب من العين وردّ الله عليه ملكه وأولاده وقصوره. انظر القصة كاملة في: القلهاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٥٣ - ٥٤ - ٥٥.

(١) انظر قصة نبوة موسى وهارون في: القلهاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٥٦ - ٦٠.

(٢) شعيب: هو النبي شعيب بن نون من ولده الهون بن الهيرة بن الأزد، بعثه الله إلى قومه، فلما أمرهم بطاعة الله وعبادته، وترك عبادة الأصنام كذّبوه وعصوه، فأخذهم عذاب يوم الظلة. ويقال: إنه أصابهم في بيوتهم حرّ شديد، فخرجوا يلتمسون الرّوح، فأتاهم كهيئة سحابة، فخرجوا يسعون إليها، فلما أظلتهم أخذتهم الصاعقة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين. انظر قصة النبي شعيب في: القلهاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٦٠ - ٦١.

(٣) يونس: يونس بن متى النبي عليه السلام، قصته مع الحوت الذي ابتلعه مشهورة، أرسله الله نبياً على بني إسرائيل بعدما خرج من بطن الحوت، وأنذرهم بالعذاب لمّا عصوه، وعندما أقبلت العيون علموا أن العذاب نازل بهم، فآمنوا. انظر قصة النبي يونس في: القلهاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٦٩ - ٧٤.

(٤) يوشع بن نون: كان في العهد الذي نزل فيه الوحي على موسى عليه السلام، واستخلفه الله تعالى على قومه من بعده. كان كثير الصلاة، يصلي في اليوم مائة وعشرين ركعة، واشترى سيفاً وقوساً يجاهد في سبيل ربه. وكان يأمر قومه بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحثهم على طاعة الله، واتباع رسله، والإيمان بما جاؤوا به من التوحيد. انظر: القلهاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٦١ - ٦٢.

(٥) داود: هو داود بن إيشا بن عبيد بن بهش بن فارط بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم. أتاه الله تعالى الملك والنبوة، فقسم الدهر ثلاثة أيام: يوم لقضائه بين الناس، ويوم لخلوته ونسائه، ويوم لعبادة ربه قائم في المحراب. انظر قصة النبي داود في: القلهاتي، أبو عبدالله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص٦٢ - ٦٥.

(٦) سليمان: سليمان بن داود بن إيشا بن عبيد بن بهش بن فارط بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم، ملّكه داود الملك على بني إسرائيل وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وعليهم ووليهم بعد أبيه وهو ابن أربعين سنة، وفهمه الله منطق الطير، وحشر له الجن والإنس، وسخّر له الريح عاصفة، وسخر له الشياطين يغوصون له في البحر يخرجون له اللؤلؤ والمرجان، وأسال له =

والعفاريت، والطير، والوحوش، وكل من في الأرض، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء، حيث أصاب. وأرسل زكريا ويحيى[(١)]، والياس[(٢)]، والعزيز[(٣)]، وعيسى ابن مريم[(٤)]، وأنزل عليه الإنجيل، وقيل: إن عيسى دعا إلى طاعة الله، وهو ابن ثلاثين سنة، ومدّة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام، ثم رفعه الله إليه، وأنزل الله عليه المائدة، قيل: إنها: كانت خبزاً وسمكاً، وقد كانوا طلبوا منه ذلك، فدعا الله، كما قال الله في كتابه: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

= عين القطر، وهي عين النحاس. وأخبار سليمان وأحاديثه كثيرة منها ما جرى له عند بلقيس. ولمّا عبد غير الله في بيته نزع الله عنه خاتمه وملكه، وأراه الذل والهوان، فكان يخدم كل يوم عند الصيادين بسمكتين إلى أن رُدّ عليه خاتمه وملكه. انظر: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٦٥ - ٦٩.

(١) زكريا ويحيى: نبيّان من أنبياء بني إسرائيل عليهما السلام، وقد سمي يحيى بهذا الاسم لأن أباه زكريا أوتي يحيى وهو يومئذٍ ابن خمس وتسعين سنة، وكانت زوجته في سنّه. أخرجه الله حياة للأرض يذكره ويسبحه ويقدسه، من شيخ كبير وامرأة عجوز. كان يحيى يلبس ثياب الصوف والشعر، وساح في الأرض يعبد الله ليلاً ونهاراً، وكان إذا صلى بكى حتى يبكي من سمعه لبكائه. قتله ملك بني إسرائيل بعدما رفض أن يحلل له الزواج من ابنته ذبحاً في محرابه، وجُعل رأسه في طشت، وجاؤوا به إلى الملك والرأس يتكلم ويقول: «إنها لا تحل لك». فهرب والده زكريا ودخل في جوف سدرة، فجاءه جند الملك وقتلوه، وحملوا رأسه إلى الملك والرأس يتكلم ويقول أيضاً: لا تحل هذه المرأة لك. انظر تفاصيل قصة زكريا ويحيى عليهما السلام في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٨٠ - ٨٦.

(٢) الياس: هو الياس التشبي، ويقال: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن حرون، وقيل الياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران. وقالوا: وكان إرساله إلى أهل بعلبك غربي دمشق، فدعاهم إلى الله عز وجل، وأن يتركوا عبادة صنم لهم يسمونه «بعلا» فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله، فهرب منهم، واختفى عنهم حتى أهلك الله ملكهم، وولي غيره، فأتاه الياس، وعرض عليه الإسلام، فأسلم، وأسلم من قومه خلق عظيم. انظر تفاصيل قصة الياس في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: والبداية النهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م، ج١، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٣) العزيز: عزيز بن جروة، ويقال ابن سوريق بن عديا بن أيوب بن درزنا بن أسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران، ويقال: عزيز بن سروخا، جاء في بعض الآثار أن قبره في دمشق، كان صالحاً حكيماً. انظر قصة العزيز الكاملة في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج٢، ص ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧.

(٤) عيسى بن مريم: انظر قصته كاملة في: القلهاتي، أبو عبد الله بن محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٨٦ - ٩٠.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۞ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٤، ١١٥] فلما عصوا بعدها أعمهم الله بعقابه، ومسخهم قردة وخنازير.

وفي الخبر أن عيسى قام فيهم، بعدما أنزل الله عليه الإنجيل سنتين ونصفاً، ورُفع وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، وستة أشهر، وعاشت أمه بعده خمس سنين، وولدته، وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، وماتت، ولها من العمر تسع وأربعون سنة، وستة أشهر، والله أعلم. وقيل إن أمه ماتت قبله، والله أعلم.

ومن كلام عيسى عليه السلام: يا علماء السوء، جعلتم الدنيا فوق رؤوسكم، والحكمة تحت أقدامكم. يا علماء السوء جلستم على باب الجنة، لا دخلتم، ولا تركتم الناس يدخلون، يا علماء السوء، لا تأخذوا للعلم ثمناً، فإنكم إن فعلتم ذلك شقيتم، تظهرون للناس السكينة، وتلبسون ثياب الصوف، وتفترشون المسوح، وقلوبكم مثل قلوب الذئاب.

ومن كلامه: الدنيا خُلقت مزرعة، فمن زرع خيراً، حصد في الآخرة خيراً، ومن زرع الشرّ، حصد الشر. (٤٨).

ومن كلامه: النفس نور كل حي، والحكمة نور كل قلب، والتقوى رأس كل حكمة، والحق باب كل قلب، والتقوى رأس كل خير.

ثم أرسل الله سيدنا ونبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، بما أرسل النبيين من قبله، فنسخت شريعته جميع الشرائع، إلى يوم القيامة، وجعله خاتم رسله، وبعثه إلى الخلق كافّة، وجعل كتابه معجزاً، لا يمكن الإتيان بمثله، وخصّهُ بخروج الماء من أصابعه، وليلة القدر، ويوم الجمعة، ومنعه من قول الشعر، فلا يتأتى له، وهو أفصح الخلق لساناً، وأُعطي (نوابغ)[1] الكلم، وكان يرى من خلفه، كما يرى

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٥٤.

من قدّامة، وليست له ظلّة إذا مشى في الشمس، وتؤثر قدمه، إذا مشى في الصخرة الصلداء، ولا توثر في الرمل والثرى، ولا يحطّ عليه الذباب، وخُصَّ بصلاة العشاء الآخرة، وصلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، وصلا الكسوفين، وصلاة الاستسقاء، وصلاة العيدين، وصلاة الليل، والأذان، والإقامة، وصلاة الوتر، وخصّ بإباحة الغنيمة، وكان أفرس من ركب الفرس من العالمين، وكان لا ينهزم، إذا لقي العدو، وإن كثروا، وأُبيح له الوصال في الصوم، وحرّم الله نكاح أزواجه على الخلق، وجعلهنَّ أُمهات المؤمنين، وخُصّ بإسقاط المهر والنكاح بلا ولي، ولا شهود، وخُصّ بهبة المرأة له نفسها، وحرّم عليه نكاح الإماء أبداً، إلا ما يشتري لنفسه، وهو أكثر النبيين أُمّه، ويشهد لجميع الأنبياء، فلذلك كان خاتمهم، وله الشفاعة، ولواء الحمد، والحوض المورود، ونهر الكوثر، وأول من يدخل الجنة. وقال في خلقه وعظمه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ومن شرفه أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه لم يناده الله في القرآن باسمه تعظيماً، كما نادى الرسل: يا آدم، ويا نوح، ويا إبراهيم، ويا موسى، ويا عيسى.

ومن شرفه أن السماوات حرست من الشياطين، ورفعت له الدنيا ومن فيها إلى النفخة.

وأقسم الله على هدايته، فقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤].

وأقسم على رسالته، فقال: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ١ ـ ٤].

وأقسم (٤٩) عل محبته، فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٣].

وأقسم على براءته من العيوب، فقال: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٢].

ونهى الله المؤمنين أن يدعوه باسمه، فقال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

وقد ناداه الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ [الأنفال: ٦٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٤١].

ونهى عن رفع الصوت على صوته، بقوله: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

وأقسم الله بحياته، فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

ونصره بالرعب من مسيرة شهرين من بين يديه ومن خلفه، وأيّده بالملائكة، ونصره بريح الصبا، ورفع ذكره، فقال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

وقرن اسمه مع اسمه، وأمر أهل السماوات والأرض بالصلاة عليه، وصلى عليه وملائكته، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وشق له اسماً من سمائه، فالله المحمود، والنبي محمد، وسمّاه الرؤوف الرحيم، وقرن طاعته بطاعته، فقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥]. فجعل الله الأمر إليه، لطهارته عنده، وأمانته على خلقه، وجعله مغنياً لعباده، فقال: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤].

ومن شرفه ما نزل عليه في عتابه، لم يسمع السامعون لأحد من قبله، ولا من بعده، في الأولين وفي الآخرين، بأحسن منه، فبدأه بالعفو، قبل التأنيب في المخاطبة، وقبل أن يعرف الذنب، فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

وأنزل الله فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

ومن شرفه، وضع الأغلال والأصار عن العباد، وجعله الله على عباده.

وشرفه كثير، لا يعد ولا يحصى ولا يحصر، ولا يستوعب، ولا يقدر أحد على إتيان عشر عشر عشره، ولو عمر المجتهد ألوفاً من (٥٠) الأعوام.

وسأشرح، إن شاء الله، بدء أمره إلى آخره، من مولده ﷺ، إلى وفاته، وأذكر جميع حروبه وغزواته، وبالله أستعين، وعليه أتوكل، وهو حسبي، ونعم الوكيل.

الباب السادس

في ظهور النبي محمد ﷺ

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة. قيل: حملت به أيام التشريق عند الجمرة الوسطى، وولد ليلة الاثنين، لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول، وقيل: كان الطالع عشرون درجة من برج الدلو، والمشتري وزحل مقترنين في ثلاث درجات من برج العقرب، وهي درجة وسط السماء، وهي اليوم الثامن من نيسان، عام الفيل، وقيل: لعامين، وقيل: ثلاث وقيل: اثنتي عشرة سنة، وقيل: بعد قدوم الفيل بسبعة وخمسين يوماً، لاثنين وثمانين سنة وثمانمائة سنة لذي القرنين، والله أعلم.

وليلة مولده، اهتز إيوان كسرى، وسقطت معه أربع عشرة شرافة، فهال ذلك كسرى، وعزم على كتمانه من وزرائه، فلم تحتمله نفسه، وضاق به صدره، فلما أصبح الصباح، أخذ بزّته ولباسه، وقعد تحت تاجه، وأرسل إلى وزرائه وأهل مملكته، فلما حضروا عنده، قال: أخبروني، لماذا أرسلت إليكم؟ قالوا: لتسألنا عن شيء، فإن كان عندنا منه علم أخبرناك. فقصَّ عليهم خبر الإيوان، وكان في وزرائه رجل، يقال له الموبذان، فقال: أصلح الله الملك، وأنا رأيت رؤيا أهالتني، وأقلقتني، فقال الملك: هات رؤياك، قال: رأيت إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، حتى انتشرت في دجلة وبلادها، فقال الملك: أي

شـيء يكون ذلـك؟ قال الموبـذان: لا أدري، غيـر أن حدثاً يكـون في ناحيـة المغرب. (٥١)

فبينمـا هم في ذلـك يتحاورون، إذا أقبل عليهم راكـب بخمود نار فارس، وكانـت قبـل ذلك لم تخمد ألف عـام، فهاله ذلك أكثر ممـا رأى من الإيوان، ورؤيـا الموبـذان، (وبينما)[١] هم في ذلـك إذا أتاهم آتٍ بغور بحيرة سـاوة[٢]، وفـاض وادي السـماوة[٣]، فاشـتد جزعـه، واستشـار وزراءه وأصحابـه، فقـال بعضهـم: إن فـي ناحية العرب علماء الكهنة، فلو بعثت إلى عاملك النعمان بن المنـذر، فيبعث إليك بأعلم من فيهم، فأرسـل إليـه أن ابعث إليَّ بأعلم من في بلادك، فبعث إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن ثعلبة الغساني[٤]، وقد أتى عليه نيّف على ثلاثمائة سـنة، وكان على دين النصرانية، فلما قدم إلى كسـرى، قال له: أخبرني لِمَ بعثت إليك؟ قال: لتسألني، فإن يكُ عندي شيء، وإلّا أتيت

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) بحيرة سـاوة: سـاوة مدينة حسـنة بين الري وهمذان، وفي حديث سـطيح في أعلام النبوة: وخمدت نار فارس، وغارت بحيرة سـاوة، وفاض وادي السـماوة، فليسـت الشـام لسطيح شـاماً... وقد ذكرها أبو عبدالله محمد بن خليفة السنبسي شاعر سيف الدولة بن مزيد فقال:

ولـم تـدرِ مـا أعـلام مـرو وسـاوة ولـم تمسِ في جيحون تلتمس العبرا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٩.

(٣) وادي السـماوة: السـماوة مـاء بالباديـة، سـميت السـماوة لأنها أرض مسـتوية لا حجر بهـا، كانت أم النعمان سميت بها، فكان اسمها ماء، فسمتها العرب ماء السماء. وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام مسماة بهذا الماء. قال جرير:

صَبَحْـتَ عُمـان الخيـل رهـواً كأنها قطـاً هـاج مـن فـوق السـماوة ناهلُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٥.

(٤) عبد المسـيح: عبد المسـيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني: معمّر من الدهاة، من أهل الحيـرة (فـي العراق) له شـعر وأخبار. يقـال: إنه باني قصر الحيرة، عاش زمنـاً طويلاً في الجاهلية، وأدرك الإسـلام، وظل على النصرانية. واجتمع به خالد بن الوليد في الحيرة. وفي أمالي المرتضى خبـر عـن رجـل من أهل الحيرة كان يحضر أساسـاً لبناء، فظهر له قبر عبد المسـيح بـن بقيلة وعند رأسـه أبيات من شـعره. وهو ابن أخت سـطيح الكاهن. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٥٣.

رجلاً من بني عمّي بمشارق الشام، فيخبرني عن سؤال الملك من غير أن أساله.

فأخبره بايوان الملك، ورؤيا الموبذان، وخمود نار فارس، وغور البحيرة، وإفاضة الوادي، فقال عبدالمسيح: ليس عندي في هذا شيء، ولكن أنظرني حتى أقدم إلى الشام، وآتيكم بعلم ذلك، فمضى عبدالمسيح، فتوجه إلى الشام، حتى قدمها، وقد أشرف في طريقه على الموت بالعطش، فلما قدم على سطيح[1]، وقف بين يديه، فلم يجبه سطيح جواباً، ولم يرفع إليه رأسه، فلما استبطأهُ عبدالمسيح، أنشأ يرجز ويقول شعراً:

أصمُّ أم يسمعُ غطريفُ اليمن	أم فلزفان لم ينشأ والعننِ
يا فاصل الخطّة أعيت مَنْ ومَنْ	أتاك شيخُ الجنّ من آل سننِ
وأمه من آل ذئب بن حَجَنْ	أبيض فصفاض اليدين والبدنِ
رسول قيل العُجم سرى للوسن	يجوب في الأرض علنداة شزنِ
ترفعني وجن تهوي بي وجن	حتى أنا عاري الحافي والفطنِ[2]

فلما أتم أرجوزته، رفع إليه سطيح رأسه، فقال: «عبدالمسيح على جمل مشيح، أتى إلى سطيح، وقد أشفى إلى الضريح، بعتك ملك بني ساسان

---

(١) سطيح: سطيح الكاهن، هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الذئب، من بني مازن، من الأزد: كاهن جاهلي غساني. من المعمرين، يعرف بسطيح. كان العرب يحتكمون إليه، ويرضون بقضائه، حتى إن عبدالمطلب بن هاشم على جلاله وقدره ومقامه ـ رضي به حكماً بينه وبين جماعة من قيس عيلان في خلاف على ماء الطائف، كانوا يقولون: إنه لهم. وكان يضرب المثل بجودة رأيه. وقال الفيروزآبادي: سطيح، كاهن بني ذئب، ما كان فيه عظم سوى رأسه. وزاد الزبيدي: كان أبداً منبسطاً منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال: كان يطوي كما تطوى الحصيرة، ويتكلم بكل أعجوبة. وهو من أهل الجابية، من مشارف الشام. مات فيها بعد مولد النبي ﷺ بقليل. وكان الناس يأتونه فيقولون: جئناك بأمر؟ فما هو؟ فيجيبهم على ما في أنفسهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٤.

(٢) انظر الأبيات في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج٢، ص٢٦٩. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

لارتكاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعاباً، تقود (٥٢) خيلاً عواباً، حتى انتشرت بدجلة وبلادها».

فقال عبد المسيح: أي شيء يكون ذلك؟ فقال سطيح: إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة[١]، وفاض وادي السماوة، وغارت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح بشام، يملك (منهم)[٢] ملوك وملكات، على عدد الشُّرُفات، وكل ما هو آتٍ آت.

وذكر الجاحظ[٣] أن سطيحاً قضى مكانه. ثم إن عبد المسيح، رجع إلى كسرى، فلّما كان ببعض الطريق، أنشأ يقول:

شمّر فإنك ماضي الهمّ تشميرُ ... لا يفزِ عَنّكَ إدلاج وتهجير
إن يُمْسِ ملك بني ساسان أفرطهم ... فإنَّ ذا الدهر أطوارٌ دهاريرُ
منهم أخو الصَّرحِ بهرامٌ وإخوته ... والهرمزان وسابور وسابورُ
فرُبّما ربّما أضحوا بمنزلةٍ ... تخاف صَوْلهُمُ الأُسْدُ المهاصيرُ
والناس أولادُ علّات فمن علموا ... أن قد أقلَّ فمحقور ومهجورُ
وهم بنو الأم إمّا إن رأوا نشباً ... فذاك بالغيبِ محظوظٌ ومنصورُ
والخيرُ والشرُّ مقرونان في قَرَنٍ ... فالخيرُ مُتَّبَعٌ والشرُّ محذورُ[٤]

(١) صاحب الهراوة: هو النبي الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٤٩.

(٣) الجاحظ: (١٦٣ - ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ - ٨٦٩م): عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره، وكان مشوّه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة. منها «الحيوان» و«البيان والتبيين» و«سحر البيان» و«التبصر والتجارة». انظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان. ج٣، ص٤٧٠ ـ ٤٧٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٧٤.

(٤) انظر الأبيات في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج٢، ص٢٦٩، مع اختلاف في كثير من الألفاظ.

فلمّا وصل إلى كسرى، أخبره بما قال سطيح، فقال: إلى أن تملك منا أربعة عشر، تكون أمور عظام.

ثم إن النبي ﷺ، أخذته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية[١]، لأن نساء قريش كنّ لا يرضعن أولادهنّ، وعندها شُقّ صدره، وملئ حكمة وإيماناً، بعد أن استخرج حظ الشيطان منه. وأرضعته أيضاً قريبة الأسلمية[٢]، جارية أبي لهب[٣]، وحضنته أم أيمن بركة الحبشية[٤]، كان ورثها من أبيه، فلما كبر أعتقها، وزوجها زيد بن حارثة.

---

(١) حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية: حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر السعدي البكري الهوازني: من أمهات النبي ﷺ في الرضاع. كانت زوجه الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية، وكان المرضعات يقدمن إلى مكة من البادية لإرضاع الأطفال، ويفضلن من يكون أبوه حيّاً لبرّه، إلّا أن محمداً كان يتيماً، مات أبوه عبد الله، فتسلمته حليمة من أمه آمنة، ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرافها، ثم في المدينة، وعادت به إلى أمه. وماتت آمنة وعمره ست سنين، فكفله جدّه عبد المطلب. وقدمت حليمة إلى مكة بعد أن تزوج رسول الله ﷺ بخديجة، وشكت إليه الجدب، فكلم خديجة بشأنها، فأعطتها أربعين شاة. وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلما. وجاءت إلى النبي يوم حنين، وهو على الجعرانة، فقام إليها وبسط لها رداءه، فجلست عليه، ولها رواية عن النبي ﷺ، وروى عنها عبد الله بن جعفر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٦٩ ـ ٧٠. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٧١.

(٢) قريبة الأسلمية: والصحيح ثويبة، وهي أول مرضعة للنبي ﷺ، كانت جارية أبي لهب. أرضعت النبي بلبن ابنها مسروح، وكانت تدخل على النبي بعد أن تزوج خديجة، فكانت تكرمها. وأعتقها أبو لهب، لمّا هاجر النبي إلى المدينة، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وحلّة حتى ماتت بعد فتح خيبر سنة ٧هـ/ ٦٢٨م. ومات ابنها مسروح قبلها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٠٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٤٧.

(٣) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، عمّ الرسول ﷺ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنياً عتيّاً، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره، وحرص عليهم وقاتلهم وفيه الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ وكان أحمر الوجه، مشرقاً، فلقب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام، ولم يشهدها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٢.

(٤) بركة الحبشية: هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، وهي أم أيمن، غلبت عليها كنيتها، كنيت بابنها أيمن بن عبيد، وهي أم أسامة بن زيد، تزوجها زيد بن حارثة بن عبيد الحبشي، فولدت له أسامة، يقال لها مولاة رسول الله ﷺ، وخادم رسول الله. هاجرت إلى الحبشة، وإلى المدينة، تعرف بأم الظباء، انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٦.

وتوفـي أبـوه، وهو في بطن أمه له شـهران، وقيل: سـبعة، وقيل: مات أبوه وهو ابن ثمانية وعشرين شهراً.

وماتـت أمـه، وهـو ابن أربـع سـنين. وقيل: ابن سـت سـنين. وكفله جدّه عبد المطلـب، ولمـا بلـغ ثمانـي سـنين، وشـهرين وعشـرة أيـام، توفـي جـدّه عبد المطلب، فوليه عمه أبو طالب.

ولما بلغ اثنتي عشرة سنة، وشهرين وعشرة أيام، خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، فلما بلغ بصرى[١]، رآه بحيرا الراهب[٢]، فعرفه بصفته، فجاءه، فأخذ بيده، وقال: هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين.

وخرج ثانية إلى الشـام، في صحبة ميسـرة[٣]، غلام خديجة بنت خويلد[٤]،

---

(١) بصرى: مدينة بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، فتحت سنة ١٣هـ. ذكرها كثير من الشعراء في أشعارهم. قال الأعرابي:

أيـا رفقـة مـن آل بصـرى تحملـوا ... رسـالتنا لُقِّيـت مـن رفقـة رشـدا

وقال الصمّة بن عبد الله القشيري:

نظـرت وطـرف العيـن يتّبـع الهـوى ... بشـرقيّ بصـرى نظـرة المتطـاول

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٤٤١.

(٢) بحيـرا الراهـب: الراهب بحيـرا كاهن نصراني مـن عبد القيس، كان في صومعة له في بصرى الشـام، وكان إليه علم أهل النصرانية، تعرف على شـارات النبوة عندما لقي الرسـول ﷺ وهو في طريقه إلى الشام مع عمه أبي طالب. وقال له: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنّه شـراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شـأن عظيم، فأسـرع به إلى بلاده. ويقال أيضاً: إن بحيرا من أحبار يهود تيماء وكان اسمه جرجيس أو جرس. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري: السيرة النبوية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٦، ج١، ص١٩١ – ١٩٤.

(٣) ميسـرة: ميسـرة أبو طيبة الحجّام، روى يزيد بن معقل بن ميسرة عن أبيه معقل، عن أبيه ميسرة حجّام عن النبي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستة يعذبون يوم القيامة: الأمراء بالجور، والعرب بالعصبيّة، والعلمـاء بالحسـد، والدهاقين بالكبـر، والتجار بالخيانة، وأهل الرسـاتيق بالجهل**». انظـر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٢٨٤ – ٢٨٥.

(٤) خديجـة بنـت خويلد: خديجة بنـت خويلد بن أسـد بن عبد العزى، من قريش، زوجة رسـول الله ﷺ الأولى، وكانت أسـنّ منه بخمس عشـرة سـنة، ولدت بمكة، ونشـأت في بيت شـرف ويسـار، ومات أبوهـا يـوم الفجار، وتزوجت بأبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها. وكانت ذات مال كثير، وتجارة =

(٥٣) في تجارة لها، قبل أن يتزوجها، فلما قدم الشام، نزل تحت ظل شجرة، قريباً من صومعة راهب، فقال الراهب: ما نزل تحت ظل هذه الشجرة إلّا نبيّ، وكان ميسرة يقول: إذا كان الهاجرة، واشتد الحر، نزل ملكان، يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره.

ولمّا رجع من سفره ذلك تزوج بخديجة بنت خويلد، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وشهر وعشرة أيام، ورويّ عنه أنه أصدقها اثنتي عشرة أوقية ذهباً، وهي أول من آمن به ﷺ، وهي يومئذ بنت أربعين سنة.

ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة، شهد بنيان الكعبة، ووضع الحجر الأسود بيده.

= تبعثها إلى الشام، تستأجر الرجال، وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله ﷺ، الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى بحوران، وعاد رابحاً، فدست له من عرض عليه الزواج بها، فأرسلت عمها عمرو بن أسعد، فحضر، فتزوجها رسول الله قبل النبوة، فولدت له القاسم، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. كانت أول من أسلم من الرجال والنساء. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٣٠٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٨٠ ـ ٨٦.

فصل في بدء الرسالة

قيل: إن النبي ﷺ، كان يأتيه الوحي في المنام ستة أشهر، ثم قرن معه اسرافيل، ثلاث سنين. فلما بلغ أربعين سنة ويوماً، أتاه جبريل عليه السلام، وابتعثه الله بشيراً ونذيراً، وكانت مبدأ النبوة يوم الاثنين، لثماني ليال خلون من شهر ربيع الأول، وذلك أن النبي كان يخرج بعيداً من الناس، ويقيل بغار في جبل حراء[1]، فيأتيه جبريل، فيسمع صوته، ولا يراه، فيفزع، ويأتي إلى خديجة، فيخبرها بما يسمع، فتقول: لا تخف، إن ربك يريد بك خيراً.

فبينما رسول الله ﷺ، قاعداً بالغار، إذ سمع صوتاً، قال: **فنظرت يمنةً ويسرةً، فلم أرَ شيئاً، ثم نظرت إلى فوقي، فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض**، يعني الملك الذي ناداه، قال النبي: **فرعبت، ثم نزل، فأخذني، وضغطني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، وقال: يا محمد، أبشر، فأنا جبريل، وأنت رسول الله إلى هذه الأمة، ثم أخرج قطعة نمط، فقال لي: إقرأ، فقلت: والله ما قرأت كتاباً قط، وما أرى شيئاً أقرأه، وإني لأُمّيّ**، فقال: إقرأ، **فقلت: وما أقرأ؟** فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، **ثم قال لي: انزل، فنزلت، ونزل من قرار الجبل إلى الأرض، فأجلسني على دربوك، وهو البساط، وعليه ثوبان أخضران، (٥٤) ثم ضرب برجله الأرض، فخرجت عين ماء، فتوضأ، وتوضأت كما توضأ، وأول ما علمني الوضوء، ثم قام**

---

(١) جبل حراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف، ومنهم من يؤنّثه فلا يعرفه، قال جرير:

ألسنا أكرم الثقلين طُرّاً وأعظمهم ببطن حرّاء نارا؟

وكان النبي ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبّد الله في غارٍ من هذا الجبل، وفيه أتاه جبريل عليه السلام. وقال عرّام بن الأصبغ: وهو من جبال مكة، شامخ، أرفع من جبل ثبير، ارتقى رسول الله ﷺ ذروته ومعه نفر من أصحابه، فتحرك، فقال له: إسكن ياحراء، فما عليك إلّا نبي أو صدّيق أو شهيد. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

جبريـل وصلـى، وصليت معـه ركعتين، ثم قال لي: هكـذا الصلاة يا محمد، ثم انصرف.

فأتيـت خديجة، وقد صنعت لي طعاماً، وأرسـلت فـي طلبي، فلم تجدني، فلما رأتني وجدتني متغيّر اللون، كأن في وجهي غباراً، فمسـحته، فلم يذهب، فقالـت: مـا لك يا ابـن عبدالله؟ فقلت: أرأيتك الذي كنـت أخبرتك، أني كنت أسـمع صوته، ولا أراه، فقد والله بـدا لي اليوم، قالت: وكيف ذلك؟ فقصصت عليها ما كان، فقالت: ألم أخبرك أن ربك لن يصنع بك إلّا خيراً؟.

فلبسـت خديجـة ثوبهـا، ثـم انطلقت إلى عـداس الراهب، وهـو عالم من علمائهم، يقال له شـيبة بن ربيعة بن عبد شـمس بن عبد مناف[1]، فقال لها: ما لك يا سـيدة نسـاء قريش؟ وكانت تسمى بهذا الاسـم في نساء قريش، فقالت: أنشـدك الله يا عداس، هل سمعت في ما سـمعت بجبريل؟ فقال عداس: ذلك ظاهر ربنا، ما لك تذكرينه بهذا البلد؟ أنبئيني، فذكرت له ما ذكر لها النبي ﷺ، فقال: نعم والله، إنه لرسول الله.

ثـم انطلقـت إلى ورقة بـن نوفل[2]، وهـو عمها، وكان ورقـة طلب الدين، فخالف دين آبائه، وتنصّر قبل أن يبعث النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأخبرته بما ذكر النبي لها،

---

(١) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: من زعماء قريش في الجاهلية. أدرك الإسلام، وقتل على الوثنية. وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية: ﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴾ وهم سـبعة عشـر رجلاً من قريش، اقتسموا عقبات مكة في بدء ظهور الإسلام، وجعلوا دأبهم في موسم الحج أن يصدوا الناس عن النبي ﷺ، ولما كانت وقعة بدر، حضرها شيبة مع مشركيهم، ونحر ذبائح لإطعام رجالهم، وقتل فيها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٨١.

(٢) ورقة بـن نوفل: ورقة بن نوفل بن أسـد بن عبدالعزى، من قريش: حكيـم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسـلام، وامتنـع عـن أكل ذبائحهـا، تنصر وقرأ كتـب الأديـان، أدرك أوائل عصر النبـوة، ولم يدرك الدعوة، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. عندما نزل الوحي على الرسـول ﷺ، أخذته خديجة إليه، فأخبره الرسول ما رأى، فقال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزّل على موسى». وقد سُئل النبي ﷺ عن ورقة فقال: «يبعث يوم القيامة أمة واحدة». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ١١٤ – ١١٥.

فقـال: والله لئـن كانتـا رجلا جبريل استقرتا على الأرض، فقد نـزل على خير خلق الله، فأرسـلي إلى محمد. فأرسـلت إليه، فأتاهما، فسـأله ورقة: هل أمرك جبريل بشيء؟ قال: **لا والله**. قال: هل أمرك أن تدعو أحداً؟ قال: **لا**، قال ورقة: أمـا والله لئن بقيت إلى دعوتـك لأبلينَّ الله عذراً في نصرتك. فمات ورقة قبل أن يدعو النبي ﷺ، وفشا أمر النبي ﷺ.

فصل في أول من آمن بالنبي محمد ﷺ

أول من آمن بالنبي محمد ﷺ، خديجة بنت خويلد، ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم علي بن أبي طالب[1]، وقيل: إن علياً ولد في الإسلام، ثم زيد بن حارثة[2].

وكان أبو بكر رجلاً مهاباً نجياً، ذا خلق ومعروف، وكان تاجراً، وكان رجال (٥٥) قومه يأتونه ويألفونه، فكان يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه، ويجلس إليه، فأسلم على يديه الزبير بن العوام[3]، وعثمان

---

(١) علي بن أبي طالب: واسم أبي طالب عبد مناف عبد المطلب بن هاشم، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، بويع الخلافة يوم قتل عثمان بن عفان الذي اشتعلت الفتنة ضدّه من لدن معاوية، واستمرت مع علي كرّم الله وجهه إلى أن انتهت بموقعة صفين، وعدّة من قتل معه في وقعة الجمل ثمانية آلاف، منهم من الأزد خاصة أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس. وكان بين وقعة الجمل ووقعة صفين مع معاوية سبعة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، بقي في الخلافة حتى مقتله على يد عبد الرحمٰن بن ملجم في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ، وهو أول من وضع النحو وسنّ العربية وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ج٤، ص ١٧٣ - ١٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٨٧ ـ ١١٧.

(٢) زيد بن حارثة: زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرجيل) الكلبي: صحابي اختطف في الجاهلية صغيراً، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها، فتبناه النبي قبل الإسلام، وأعتقه وزوجه بنت عمته، واستمر الناس يسمونه «زيد بن محمد» حتى نزلت آية ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ وهو من أقدم الصحابة إسلاماً، وكان النبي ﷺ لا يبعثه في سرية إلّا أمره عليها، وكان يحبه ويقدمه. جعل له الإمارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها سنة ٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٥٠ ـ ٣٥٣.

(٣) الزبير بن العوام: الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد الله الصحابي الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سلّ سيفه في الإسلام، وهو ابن عمة النبي ﷺ، أسلم وله ١٢ سنة. وشهد بدراً وأحداً وغيرهما. وكان على بعض الكراديس في اليرموك. وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب. قالوا: كان في صدر ابن العوام أمثال العيون من الطعن والرمي، وجعله عمر في من يصلح للخلافة بعده. وكان موسراً، كثير المتاجر، خلف أملاكاً بيعت بنحو أربعين مليون درهم، وكان طويلاً جداً، إذا ركب تخط رجلاه الأرض. قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادي السباع (على بعد ٧ =

ابــن عفـان[١]، وطلحة بن عبيد الله[٢]، وسـعد بن أبي وقـاص[٣]، وعبد الرحمن

= فراسـخ من البصرة) وكان خفيف اللحية، أسـمر اللون، كثير الشـعر، له ٣٨ حديثاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٠٧ ـ ٣١١. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٤٣.

(١) عثمان بـن عفـان: (٤٧ ق.هـ ـ ٣٥هـ/ ٥٧٧ ـ ٦٥٦م): بـن أبـي العاص بن أمية، مـن قريش، أمير المؤمنين ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشـدين، وأحد العشـرة المبشرين بالجنة، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، كان غنياً شـريفاً في الجاهلية. ومن أعظم أعماله في الإسـلام قام بتجهيز جيش العسـرة بمالـه، صـارت إليه الخلافـة بعد وفاة عمر بـن الخطاب سـنة ٢٣هـ، افتتحـت في أيامه أرمينيا وخراسـان وكرمان، وسجسـتان وإفريقيا، وقبرص، وأتم جمع القرآن. كان أول من زاد في المسـجد الحرام ومسـجد الرسـول، وقدّم الخطبـة في العيد على الصلاة وأمر بـالأذان الأول يوم الجمعـــة، واتخذ الشـرطة، نقم عليه النـاس اختصاصه أقاربه من بني أميـة بالولايات والأعمال، فجاءتـه الوفـــود من الكوفة والبصرة ومصر، وطلبـــوا منـه عزل أقاربه فامتنع، فحصروه في داره يراودونـــه أن يخلـع نفسـه، فلم يفعـل، فحاصروه أربعين يوماً، وتسـوّر عليه بعضهـم الجـــدار، فقتلـــوه صبيحـة عيـد الأضحى فـي بيته فـي المدينة سـنة ٣٥هـ. انظـر: الزركلي، خيـــر الدين: الأعـــلام، ج٤، ص ٢١٠. وابن الأثير، علي بن محمـــد: أسد الغابـــة في معرفة الصحابـة، ج٣، ص ٥٧٨ ـ ٥٨٥.

(٢) طلحة بن عبيدالله: طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي القرشـي المدني، أبو محمد صحابي شـجاع من الأجواد. وهو أحد العشـرة المبشـرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام. كان من دهاة قريش، وكان يقال له ولأبي بكر: «القرينان». ويقال له: «طلحة الجود» أو «طلحة الخير» و«طلحة الفياض». شهد أحداً، وشهد الخندق وسائر المشاهد. وكانت له تجارة وافرة مع العراق. قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة ودفن بالبصرة سنة ٣٦هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٢٤. و انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٨٤ ـ ٨٨.

(٣) سـعد بن أبـي وقـاص: هو سـعد بن مالك، يكـنـى أبا إسـحاق، وأمـه همنـة بنت سـفيان بـــن أميـــة بن عبد شـمس. أسـلم بعد سـنة، وقيل: بعد أربع، وكان عمره لما أسـلم سبع عشـرة سنة، شـهد بـدراً وأحداً والخندق والمشـاهـد كلها مع رسـول الله ﷺ، وأبلـــى يوم أُحد بلاءً عظيماً، وهو أول من أراق دماً في سـبيل الله، وأول من رمى بسـهـم في سـبيل الله، واسـتعمل عمـــر بن الخطـاب سـعداً علـى الجيـوش التي سـيرها لقتـــال الفـرس، وكــــان أمير الجيـش الـــذي هزم الـــفـرس فـي القادسـيـــة، وهـو الذي فتـح المدائـن بالعـــراق، وهو الـذي بنـى الكوفـة، وولي العـراق، ولمـــا قتل عثمـــان اعتزل الفتنة، توفـــي سـعد سـنة خمس وخمسـين هجريـة بالعقيق علـــى بعد سـبعـــة أميال من المدينة، فحمل على أعناق الرجال إلـى المدينـة، ودفن في البقيع. وهـــو آخر العشـــرة المبشرين بالجنـة. انظـــر: أبـــو الحسن علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابـــة، ج٢، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦. وابـــن حجر العسـقلاني، أحمـد بن علـي: تهذيب التهذيب، ج١، ص٦٩٨ ـ ٦٩٩.

ابـن عـوف[١]، ثم جـاء بعثمان بن مظعـون[٢]، وأبي عبيدة عامر بـن الجراح[٣]، وأبي سلمة بن عبد الأسود[٤]، والأرقم بن أبي الأرقم[٥].

---

(١) عبد الرحمٰن بـن عـوف: عبد الرحمٰن بـن عوف بـن عبـد عوف بـن عبد الحارث، أبو محمـد الزهري القرشـي: صحابي، من أكابرهم، وهو أحد العشـرة المبشـرين بالجنة، وأحد السـتة أصحاب الشورى الذيـن جعـل عمـر الخلافة فيهم، وأحد السـباقين إلى الإسـلام، قيـل: هو الثامـن. وكان من الأجواد الشـجعان العقلاء. اسـمه في الجاهلية «عبد الكعبة» أو «أبو عمرو» وسـماه الرسول ﷺ عبد الرحمٰن. ولد بعد الفيل بعشـر سـنين. وأسلم، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. وجرح يوم أحد ٢١ جراحاً. كان يحتـرف التجـارة والبيـع والشـراء، فاجتمعت له ثـروة كبيرة. وتصـدّق يوماً بقافلة فيها سـبعمائة راحلـة تحمل الحنطة والدقيق والطعام. ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسـين ألف دينار فـي سـبيل الله. كانت وفاته فـي المدينة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعـلام، ج٣، ص ٣٢١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٤٧٥ ـ ٤٨٠.

(٢) عثمان بـن مظعون: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السـائب: صحابي كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحرّم الخمر. وأسـلم بعد ثلاثة عشـر رجلاً، وهاجر إلى أرض الحبشـة مرتين. وأراد التبتـل والسـياحة فـي الأرض زهداً بالحياة، فمنعه رسـول الله، فاتخذ بيتاً يتعبد فيـه، فأتاه النبي ﷺ، فأخذ بعضادتي البيت، وقال: يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية (مرتين أو ثلاثاً) وإن خير الدين عند الله الحنفية السمحة. وشهد بدراً. ولما مات جاءه النبي ﷺ وقبّله ميتاً، حتى رؤيت دموعه تسيل على خدّ عثمان. وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج، ص ٢١٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٨٩ ـ ٥٩٢.

(٣) أبـو عبيـدة عامر بن الجـراح: عامر بن عبد الله الجراح بن هلال الفهري القرشـي: الأميـر القائد، فاتح الديار الشـامية، والصحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنّة، قال ابن عساكر: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة. وكان لقبه أمين الأمة. ولد بمكة. وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها. وولّاه عمر بـن الخطـاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشـام، بعد خالد بن الوليد، فتمّ له فتح الديار الشـامية، وبلغ الفرات شـرقاً وآسـيا الصغرى شـمالاً، توفي بطاعون عمواس، ودفن في غور بيسـان، وانقرض عقبـه. انظـر: الزركلي، خير الديـن: الأعلام، ج٣، ص ٢٥٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٢٥ ـ ١٢٨.

(٤) أبو سلمى بن عبد الأسد: والصحيح أبو سلمة بن عبد الأسد هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي. اسمه عبد الله بن عبد الأسد، وأمه بريرة بنت عبد المطلب، فهو ابن عمّة النبي ﷺ. كان قديم الإسـلام، أسـلم مع أبي عبيدة بن الحـارث، وعثمان بن مظعون، والأرقم بن الأرقـم. وهاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته أم سلمة، ثم عاد وهاجر إلى المدينة. وشهد بدراً وجُرح بأُحُد جُرحاً اندمل ثم انتفض، فمات منه في جمادى الآخر سنة ثلاث من الهجرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ١٥٢. وانظر أيضاً: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٩٥ ـ ٢٩٧.

(٥) الأرقم بـن الأرقـم: الأرقم بن عبد مناف بن أسـد المخزومي، أبو عبد الله: صحابي، رفيع الشـأن، لم =

فلما أسلموا، وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً، جعل أبو بكر يلحُّ على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: يا أبا بكر، إنّا قليلون. فلم يزل به حتى أظهر أمره ﷺ، وفرّق المسلمين في نواحي المسجد، وقام أبو بكر خطيباً، ورسول الله جالس، فكان أبو بكر أول خطيب في الإسلام، دعا إلى الله ورسوله، فثار المشركون على أبي بكر والمسلمين، يضربونهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، وأخذ الفاسق عتبة بن ربيعة[١]، يضرب أبا بكر رضي الله عنه، بنعلين مخصوفتين، فأثَّر في وجهه رضي الله عنه، وجاءت بنو تميم لأُمه أم الخير[٢]، وقالوا: (أطعميه)[٣] واسقيه، فلما دخلت وألحّت عليه، جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما لي علم بصاحبك، قال: اذهبي إلى أُمِّ جميل بنت الخطاب[٤]، فاسأليها عنه، ففعلت، فجاءت إلى أبي بكر، فقالت: إنّي أظنُّ

= يسبقه إلى الإسلام غير ستة من الصحابة. كانت داره بمكة، عند الصفا، تسمى «دار الإسلام» وفيها كان رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، وممن أسلم فيها عمر بن الخطاب، وشهد الأرقم المشاهد كلها مع رسول الله. ونفله النبي ﷺ يوم بدر سيفاً، واستعمله على الصدقات. توفي بالمدينة سنة ٥٥هـ، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٢٨٨.

(١) عتبة بن ربيعة: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيباً، نافذ القول. نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده. وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلّا عتبة وأبو طالب، فإنهما سادا بغير مال. أدرك الإسلام، وطغى، فشهد بدراً مع المشركين. وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم «بدر» فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٠٠.

(٢) أم الخير: أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرّة القرشية التميمية، واسمها سلمى، وهي أم أبي بكر الصديق، أسلمت قديماً مع ابنها أبي بكر، وتوفيت أم الخير قبل أبي قحافة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٢٦.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٥٢.

(٤) أم جميل بنت الخطاب: هي فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشية العدوية، أخت عمر بن الخطاب، وهي امرأة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد العشرة. أسلمت قديماً أول الإسلام مع زوجها سعيد، قبل إسلام أخيها عمر، وكانت سبب إسلام أخيها عمر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٢٢٠.

أن ينتقم الله لك. فقال أبو بكر: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت أم جميل: هذه أمك تسمع، فقال: لا عليك منها، قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم. فحلف لا يأكل ولا يشرب، حتى يأتي رسول الله ﷺ.

فلما هدأت الرجال، وسكن الناس، أخرجتاهُ أمُ جميل بنت الخطاب، وأم الخير، وهو يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكبَّ عليه وقبّله، فرقَّ له رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ليس بي إلّا ما نال هذا الفاسق منّي، هذه أمي برّت بولدها، فادعها إلى الله، وادعِ لها الله، فأسلمت، فأقاموا مع رسول الله في الدار شهراً، وكانوا (تسعة)[1] وثلاثين رجلاً.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٥٣.

فصل: في إسلام حمزة[١] رضي الله عنه

وكان حمزة أسلم يوم ضُرب أبو بكر رضي الله عنه، وسبب إسلامه أن أبا جهل[٢]، لعنه الله، مرّ برسول الله وهو جالس، على الصفا (٥٦) فآذاهُ وشتمهُ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان[٣]، في مسكن لها، فوق الصفا، تسمع ذلك، فأقبل حمزة متوشحاً قوسه، راجعاً من القنص، فمرّ بالمولاة، فقالت: يا أبا عمارة، ما لقي ابن أخيك محمد (آبقاً)[٤] ما لقي من أبي الحكم بن هشام.

---

(١) حمزة: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، من قريش: عمّ النبي ﷺ، وأحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ في مكة. وكان أعز قريش وأشدها شكيمة. ولما ظهر الإسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي ﷺ ونال منه، فقصده الحمزة، فضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عزّ محمد وإن حمزة سيمنعه. وكفوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزة مع النبي ﷺ إلى المدينة، وحضر موقعة بدر وغيرها. قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله ﷺ كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الأفاعيل. وقتل يوم أحد، فدفنه المسلمون في المدينة، وانقرض عقبه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٧٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٦٧ ـ ٧٠.

(٢) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. قال صاحب عيون الأخبار: «سوّدت قريش أبا جهل ولم يطرّ شاربه، فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام. وكان يقال له «أبو الحكم»، فدعاه المسلمون «أبا جهل». استمر يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٨٧.

(٣) عبد الله بن جدعان: عبد الله بن جدعان التيمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة. كانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، فوقع فيها صبي، فغرق، وهو الذي خاطبه أمية بن أبي الصلت بأبيات اشتهر منها قوله:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

له أخبار كثيرة، أورد الأصفهاني بعضها متفرقة. وسماه اليعقوبي بين حكام العرب في الجاهلية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٧٦.

(٤) هكذا وردت في الأصول والصحيح «آنفاً».

فغضب حمزة، فخرج سـريعاً، ودخل المسـجد، فرأى أبا جهل جالساً مع قومه عند الكعبة، فضربه بقوسـه ضربة شـجّه بها شـجة منكرة، وقال: أتشـتمه وأنـا علـى دينه، أقول كما يقول، فردَّ علي ذلك إن اسـتطعت. وتمَّ حمزة على إسلامه، فعرفت قريش أنه سيمنعه، فكفّوا عنه بعض ما كانوا ينالونه.

فصل في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قيل: دعا رسول الله ﷺ، فقال: اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام، يوم الأربعاء، فأسلم عمر يوم الخميس، وذلك أن قريشاً اجتمعوا، فتشاوروا في أمر النبي، فقالوا: أي رجل ينطلق إلى محمد يقتله، فقال عمر: أنا، فمضى في طلب رسول الله ﷺ، فلقيه سعد بن أبي وقاص، فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً، قال: أنت؟ قال: نعم، قال: أنت أصغر من ذلك، فقال عمر: لعلك أصبأت إلى محمد، فأبدأُ بك، فأقتلك أولاً، فقال سعد: أتريد قتل محمد؟ أَوَتَدَعُك بنو عبد مناف أن تمشي على الأرض؟ إعلم أني قد آمنت بمحمد، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله، فسلّ عمر سيفه، وكشف سعد عن سيفه، وشدّ كل واحد منهما على صاحبه، حتى كادا أن يختلطا، فقال سعد: ما لك لا تصنع هذا بأختك آمنة[١]، وزوجها سعيد بن زيد[٢]، فقال: أهما أسلما؟ قال: نعم.

فتركه، ومضى إلى منزل أُختِه، فإذا هي وزوجها يقرأون سورة طه، فقال: عمر: ما هذه الهمهمة التي أسمعها؟ فقالت أُختُه: لا شيء، قال: أُخبرت أنكما اتبعتما دين محمد، وبطش بلحية سعيد، وضرب به الأرض، وجلس على صدره، فجاءته أُختُه لتجرّه عنه، فلطمها لطمة فجَّ وجهها، فقالت: يا عدو الله، أتضربني على أن أُوحد الله تعالى؟ والله لقد أسلمنا، ونشهد أن

(١) آمنة: آمنة بنت الخطاب. والصحيح فاطمة بنت الخطاب زوجة سعيد بن زيد، وردت ترجمتها سابقاً.

(٢) سعيد بن زيد: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور: صحابي، من خيّارهم. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، إلّا بدراً، وكان غائباً في مهمة أرسله بها النبي ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين، وكان من ذوي الرأي والبسالة. وشهد اليرموك، وحضر حصار دمشق. وولّاه أبو عبيدة دمشق. مولده بمكة ووفاته بالمدينة سنة ٥١هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٩٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٧٦ ـ ٤٧٨.

لا إلـه إلّا الله، وأن محمـداً رسـول الله، على رغم من أنفـك، فاصنع ما أنت صانع. (٥٧)

فلّمـا سـمع عمر ذلك، قام عنه، وقال: اعرضا علـيّ الصحيفة التي كنتما تدرسـانها، فتمنّعـت، وقالـت: ويحـك، فقـال: قـد وقـع فـي قلبي مـا قلتِ، فأعطنيهـا، أنظـر إليها، وأعطيـك المواثيق أن لا أخونك فيهـا، قالت: فانطلق فاغتسل.

فخـرج عمر ليغتسـل، فقـال زوجهـا: أتدفعين إليـه كتاب الله، وهـو كافر: قالـت: أرجـو أن يهدي الله أخي، فلما جاء عمر، دفعت إليه الصحيفة، فقرأها، فلمـا انتهى إلـى قوله تعالـى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]. قـال عمـر: ينبغـي لمن هذه صفتـه أن لا يعبد معه غيره، فلمـا انتهـى إلى قولـه تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]. قال عمر: أشـهد أن لا إلـه إلا الله، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسـوله، فكبّـر زوجها من جوف البيـت، ثـم خرج، فقال: يا عمر، سـبقت فيك دعوة رسـول الله ﷺ، بالأمس. فقال عمر: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ. فنهض معه خُباب[(١)]، وسعيد[(٢)]، حتى أتوا منزل حمزة، فدقّوا الباب، فخرج بعض أصحاب الرسـول، فنظر من شـق الباب، ثم رجع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر، نعوذ بالله من شرّه، فقال النبي: افتحـوا لـه الباب، فـإن جاء بخير، قبلناه، وإن جاء بشـر قتلناه. ففتح له الباب،

(١) خبـاب: هـو خباب بـن الأرتّ بـن جندلة بن سـعد التميمي، أبو يحيـى، أو أبو عبـد الله، صحابي من السـابقين، قيل: أسـلم سـادس سـتة، وهو أول من أظهر إسـلام. كان في الجاهلية قيناً يعمل السيوف بمكة، ولما أسـلم اسـتضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه فصبر، إلى أن كانت الهجرة، ثم شهد المشـاهد كلها، ونزل الكوفة، فمات فيها سـنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م، وهو ابن ٧٣ سـنة. ولما رجع علي من صفين مرّ بقبره، فقال: رحم الله خباباً، أسـلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً. روى له البخاري ومسـلم ٣٢ حديثـاً. انظـر: الزركلي، خير الدين: الأعـلام، ج٥، ص٨٧. وانظر: ابـن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١٤٧ ـ ١٥٠.

(٢) سعيد: هو سعيد بن زيد، وردت ترجمته سابقاً.

واستقبله رسول الله ﷺ، في صحن الدار، وأخذ بساعده، وقال: يا عمر، ما جاء بك؟ فلما غمز النبي ساعده، ارتعد عمر، وقال: إني جئتك مسلماً يا رسول الله، فقال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله، فقالها عمر، فكبّر رسول الله ﷺ، وكبّر المسلمون، فقال عمر: يا رسول الله، لا ينبغي أن يكتم هذا الدين.

وكان النبي يسرُّ أمره سنتين، أو ثلاث سنين، فلما كان من اتبعه أربعين رجلاً، وذلك سنة ست من نبوته نزلت عليه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

فقام ﷺ على الصفا ونادى بأعلى صوته في أيام الموسم: يا أيها الناس، إني رسول الله رب العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم، قالها ثلاثاً. ثم انطلق، حتى انتهى إلى المروة، فرماه أبو جهل، لعنه الله، بحجر، فشجّهُ بين عينيه، واتبعته الناس بالحجارة، فمضى حتى أتى الجبل، فاستند إلى موضع يقال له المتكأ، والناس في (٥٨) طلبه.

وأُخبر علي أن محمداً قتل، فانطلق إلى خديجة فأخبرها الخبر، ثم قال: ناوليني شيئاً فيه ماء، وخذي معك شيئاً من الطعام، وانطلقي بنا، نلتمس رسول الله ﷺ، فمضيا، حتى جاوزا الجبل، فقال علي: يا خديجة، استبطني الوادي، وأنا أستظهره، فجعلا يناديانه.

وهبط جبريل عليه السلام، فبكى رسول الله ﷺ، وقال: **ما ترى ما صنع بي قومي**؟ كذّبوني وطردوني. فأخذ جبريل بيده، وأقعده على الجبل، ثم أخرج من تحت جناحيه درنوكاً من درانيك الجنة، منسوجاً بالدرّ والياقوت، وهو البساط، وبسطه، حتى جلله جبال تهامة، ثم أقعد النبي ﷺ، وقال له: أتريد أن تعلم كرامتك على الله؟ ادعِ إليك تلك الشجرة تجيبك، فدعاها، فأقبلت إليه،

حتى خرّت ساجدة بين يديه، فقال: يا محمد، مرها ترجع، فأمرها، فرجعت إلى مكانها.

وهبط عليه إسماعيل، حارس سماء الدنيا، فقال: السلام عليك يا رسول الله، قد أُمرت أن أطيعك، أفتأمرني أن أنثر عليهم نجوم السماء، فتحرقهم؟

وأقبل ملك الشمس، وقال: إن الله أمرني أن أطيعك، أتأمرني أن أجمع عليهم الشمس فتحرقهم؟

وأقبل ملك الأرض، فقال: أتأمرني أن آمر الأرض، فتجعلهم في بطنها؟

وأقبل ملك الجبال، فسلّم عليه، وقال: أتأمرني أن أنسف عليهم الجبال فتحطمهم؟

وأقبل ملك البحار، وقال، بعد التسليم عليه: أتأمرني أن آمر البحار، فتغرقهم.

فقال النبي ﷺ: **قد أمرتم بطاعتي؟** قالوا: نعم، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: **اللهم إني لم أبعث عذاباً، وإنما بُعثتُ رحمة، دعوني وقومي، فإنهم لا يعلمون.**

ونظر جبريل إلى خديجة، وهي تجول في الوادي، فقال: يا رسول الله، ألا ترى إلى خديجة؟ وقد بكت لبكائها ملائكة السماء، ادعها إليك، واقرءها مني السلام، وقل لها: إن جبريل يقرؤكِ السلام، وبشرها بأن لها بيتاً في الجنّة من قصب، لا صَخَبَ فيه ولا نصب، من لؤلؤ مكلل بالذهب.

فدعاها رسول الله ﷺ، والدماء تسيل من وجهه، وهو يمسحها، ويردّها أن تقع على الأرض، ويقول: **أخشى أن يغضب رب الأرض (٥٩) على من فيها.**

ثم إن رسـول الله ﷺ، مرّ بسـوق ذي المجاز[١]، وعليه حلّة حمراء، وهو ينـادي بأعلـى صوتـه: يا أيهـا النـاس، قولوا: لا إلـه إلا الله، وإني رسـول الله، تفلحـوا. وعمه عبدالعـزى[٢]، ينادي: أيها الناس، لا تطيعـوه، فإنه كذاب، وقد رمـى النبي بالحجارة، حتى أُدمي عقباه وكعباه، وأُوذي، وسـبَّ، وشُـتم، وهو يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده، ويجادلهم بالتي هي أحسن.

وقيل: كانت بنت رسول الله ﷺ، عند عتبة بن أبي لهب، فأراد عتبة السفر إلـى الشـام، فقال: لأتينَّ محمـداً، فآذيه في ربه، فمضى إليـه، وقال: يا محمد، إني كافر بالنجم إذا هوى، والذي دنا فتدلى، وتفل في وجه النبي، فقال النبي: **اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك**، وكان أبو طالب حاضراً، فوجم لها، فقال: ما أغناك يابن أخي عن هذا، ورجع عتبة إلى أبيه، فأخبره بما كان.

ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب، فقال: هذه الأرض مسـبعة، فقـال أبو لهـب: يا معاشـر قريش أعينونا هـذه الليلة، فإنـي أخاف دعوة محمد على ولدي، فجمعوا أحمالهم، ونام عتبة فوقها، وأحاطوا به، فجاء الأسد، فجعل يشمُّ وجوههم، ثم ضرب بيده وجه عتبة، فخدشه، فصاح عتبة قتلني رب محمد، ومات مكانه. ولحسان بن ثابت[٣]، شعر في هذا المعنى، يقول:

(١) سوق ذي المجاز: سوق في مكة.

(٢) عبدالعزى: أبو لهب بن عبدالمطلب بن هاشم، من قريش، عم الرسول ﷺ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، كان أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام، كان غنياً عتياً، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره، وحرّض عليهم وقاتلهم، وفيه نزلت الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞﴾. كان أحمر الوجه مشـرقاً، فلقب في الجاهلية بأبي لهب. مات سنة ٢هـ/ ٦٢٤م قبل وقعة بدر بأيام، ولم يشهدها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص١٢.

(٣) حسـان بن ثابت: بـن المنـذر الخزرجي الأنصـاري، أبو الوليـد، الصحابي، شـاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسـلام، عاش سـتين سـنة في الجاهلية، ومثلها في الإسـلام، وكان من سـكان المدينة، واشـتهرت مدائحه في الغسـانيين وملوك الحيرة قبل الإسـلام، عمي قبل وفاته، لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً، لعلة أصابته، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه. وكان يضرب بلسـانه روثة أنفه من طوله. قال أبو عبيدة: «فضل حسـان الشـعراء الثلاثة». كان شـاعر الأنصار في =

سائل بني الأشعر إن جئتهم ... ما كان من أنباء بني واسع
لا وسّع الله له قبرَهُ ... بل ضيَّق الله على القاطعِ
رمى رسول الله من بينهم ... دون قريش رمية القاذعِ
فاستوجب الدعوة منه بما ... بيّن للناظر والسامعِ
أن سلط الله له كلبه ... يمشي الهوينا مشية الخادعِ
حتى أتاه وسط أصحابه ... وقد علته سنة الهاجعِ
فالتقم الرأس بيافوخه ... والنحر منه نقرة الجائعِ
ثم علا بعد بأنيابه ... منعفراً وسط دم ناقعِ (٦٠)
وقد كان هذا لكم عبرة ... للسيد المتبوع والتابعِ
وإن يرجع العام إلى أهله ... فما أكيلُ السبع بالراجعِ[١]

وقيل: اجتمع المشركون إلى أبي طالب، وذكروا له شأن النبي ﷺ، فقالوا: إن ابن أخيك سفَّهَ أحلامنا، وسَّب آلهتنا، وشتم آباءنا، وإنّا ندفع إليك عمارة بن الوليد بن المغيرة[٢]، فخذه واتخذه ولداً، وادفع لنا ابن أخيك نقتله،

= الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. كان شديد الهجاء، فحل الشعر. قال المبرّد (في الكامل) أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنهم يعدون ستة نسق، كلهم شاعر، منهم سعيد بن عمر عبدالرحمٰن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام. توفي بالمدينة سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م، وله ديوان شعر بقي محفوظاً منه، وقد انقرض عقب حسّان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٧٥ - ١٧٦. وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٨٠.

١ ـ انظر القصيدة كاملة في: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت، لبنان، ج١، ص ٢٤٩ - ٢٥٠. مع اختلاف في كثير من الألفاظ.

(٢) الوليد بن المغيرة: الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له: «العدل» لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو «البيت» جميعها، والوليد يكسو وحده. وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. وهو الذي جمع قريشاً وقال: إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه أحداً مما يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه» «ساحر لأنه =

فإنه خالف دين آبائك، وفارق قومك، وسفّه أحلامهم، فقال: والله لبئس ما تسومونني، تعطونني ابنكم أغذوه لكم وأُربّيه، وأعطيكم ولدي تقتلونه، فهذا والله لا يكون أبداً، ثم قال للنبي: فاصدع بأمرك، لن يصلوا إليك بجمعهم، (ولأبي طالب شعر في المعنى)[1]:

والله لـن يصلوا إليـك بجمعهم ... حتـى أُغيَّـب فـي التـراب دفينـا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشـر وقـرّ بـذاك منـك عيونـا
ودعوتنـي وعلمت أنك ناصحي ... ولقـد صدقـت وكنـت ثـم أمينا
وعرضـت دينـاً قـد عرفـت بأنه ... مـن خيـر أديـان البريـة دينـا
لـولا الملامـة أو حـذارِ مسبة ... لوجدتنـي سـمحاً بـذاك متينا[2]

وقد كان أشدّ المشركين عداوة للنبي ﷺ وأعظمهم أذى له، وأكثرهم استهزاءً به خمسة نفر: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل[3]، أبو عمرو بن العاص السهمي[4]، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن قيس

= يفرق بين المرء وأخيه والزوج وزوجته». وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد خالد بن الوليد. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص١٢٢.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٥٧.

(٢) انظر الأبيات في: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ج٨، ص١١٥. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) العاص بن وائل: العاص أو (العاصي) بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش: أحد الحكام في الجاهلية. كان نديماً لهشام بن المغيرة، وأدرك الإسلام، وظل على الشرك، ويعدّ من المستهزئين ومن الزنادقة الذي ماتوا كفاراً وثنيين، وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار. وقيل في خبر موته: خرج يوماً على راحلته، ومعه أبناء له يتنزه، ونزل في أحد الشعاب، فلما وضع قدمه على الأرض، صاح، فلم يروا شيئاً، وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، ومات، فقالوا: لدغته الأرض. وكانت أمه من بني «بلّي» من قضاعة، اسمها «سلمى» وفيه يقول ابن الزبعري من أبيات:

أصاب ابن سلمى خلة من صديقه ... ولولا ابن سلمى لم يكن لك راتق

وهو والد «عمرو بن العاص». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٤٧.

(٤) عمرو بن العاص: عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي: أو عبد الله: فاتح مصر، أحد دهاة العرب وأُولي الرأي والحزم والمكيدة والفهم. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة =

المخزومي[1]، والأسود بن المطلب الأسدي، فأهلكهم الله جميعاً في يوم واحد، بأنواع من العذاب، وذلك أن جبريل عليه السلام، كان واقفاً عند النبي ﷺ عند المقام، قبل هلاك هؤلاء بيوم، وهؤلاء الرهط يطوفون بالبيت، فكلما مرّ رجل منهم، قال جبريل: يا محمد، أي رجل هذا؟ قال النبي: **بئس الرجل هذا**، قال جبريل: قد كفيتكه، حتى مرّوا كلهم، وكانوا يستهزئون بكتاب الله ونبيه، فقال جبريل: كيف تراهم يا محمد؟ قال: **ما أصحّ أجسامهم يا جبريل، ما أرى بهم قلبة**، قال جبريل: وربك يا محمد، لا يمسين منهم أحد غداً على وجه الأرض.

فأما الوليد بن المغيرة، فإنه مرَّ برجل من خزاعة يريّش نبلاً، فوطئ على شيء منها، فطارت شظيّة منها برجله، فقطعت منها عرق النساء، فمات.

وأما العاص بن وائل، (٦١) فإنه أصاب بمكة مطر شديد بالليل، فلما أصبح، قال لولده: شد لي على بعيري، حتى أطوف على شعاب مكّة فأتنزّه، ففعل، فأتى على شعب من شعاب مكّة، وأناخ بعيره، فضربته حيّة في رجله، فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعيره، فنادى: قتلني ربُّ محمد، فطلبوا الحيّة، فلم يقدروا عليها، فانطلقوا به محمولاً على سرير، وهو ينادي: قتلني ربُّ محمد، فمات من يومه.

= الحديبية. وولّاه النبي على إمرة جيش «ذات السلاسل» وأمدّه بأبي بكر وعمر. ثم استعمله على عُمان. ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي فتح قنسرين، وصالح على حلب وإنطاكية ومنبج، وولّاه عمر فلسطين ثم مصر ففتحها، وعزله عثمان. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية، فولّاه معاوية على مصر سنة ٣٨هـ، وأطلق له خراجها ست سنين، فجمع أموالاً طائلة. توفي بالفسطاط. أخباره كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٧٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢٣٢ ـ ٢٣٥.

(١) الحارث بن قيس المخزومي، والأسود بن المطلب الأسدي: من أشراف قريش، اجتمعوا مع بقية أشرافها: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البحتري بن هشام، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، أبو جهل هشام، وعبدالله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف. وبعثوا إلى الرسول ﷺ، فكلّموه، وخاصموه حتى تعذّروا فيه، ثم انصرف عنهم حزيناً لما رأى مباعدتهم إياه. انظر تفاصيل الحادثة في: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣١٥-٣١٩.

وأمـا الحارث بن قيس، فإنه أكل سـمكاً مملوحاً فـي الليل، فأخذه عطش شديد، فجعل يشرب من الماء ولا يروى، وكلما تنفس قال: قتلني ربٌّ محمد، حتى شرب قربة ماء، فانفتق بطنه، فمات.

وأمـا الأسـود بن عبـد يغوث، فإنه انطلـق إلى بعض مياه بنـي كنانة، فجعل يحذرهـم النبـي ﷺ، وينهاهم عن اتباعـه، فقال لهم: إن قلتم إن محمداً سـاحر صدقتـم، وإن قلتـم: إنه مجنون، صدقتـم، ومن أخذه، ودفعه إلينـا، فله مائة من الإبل. ثم رجع إلى أهله، وقد شـوَّه الله خلقه، وسـوّد جلده، وصار كالحبشي، فلمـا أتى أهله، أنكروه، ولـم يعرفوه، وأغلقـوا دونه الباب، فجعل يقول لهم: أنا الأسود بن عبد يغوث. قالوا: كذبت بل أنت لص، اخرج عنّا، فلما طردوه، جعل يطوف في شعاب مكة، ويقول: قتلني ربّ محمد، فلم يزل كذلك حتى مات.

وأما الأسـود بن عبدالمطلب، فإنه كان له ابن يتجر إلى الشـام، وقد خرج إلـى الشـام، ووعـده أن يرجع يوم كذا، وقـت كذا، وقاس لـه المراحل، فأبطأ عليـه، فقـال لغلامـه: اخـرج بنا إلى الصحـراء، نلتقـي ولدي، فقد أبطـأ علينا، فخرجـا، فقـال للغلام: هل ترى شـيئاً؟ قال: أرى سـواداً، قال: انطلـق بنا إليه، فعسى أن يكون ذلك ولدي، فانطلقا إليه، فإذا هي سمرة قد رفعت لهما، وأتى جبريـل، فجعـل يضرب وجهه بأغصان تلك السـمرة، ونادى الأسـود: أدركني يـا غـلام، فإن رب محمد قتلني، فقال الغلام: مـا أرى أحداً يضربك. فلم يزل يضربه جبريل، حتى مات.

فأنـزل الله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٩٥، ٩٦].

أي يعلمون عقابي في الآخرة، مع عذابي لهم في عاجل الدنيا، وأراح الله نبيّه منهم.

فصل (في الهجرة الأولى إلى الحبشة)

وأخذ المشركون يعذبون من أسلم، ويفتنونهم عن دينهم، فلما كثر عليهم الإيذاء، استأذنوا النبي أن يهاجروا إلى أرض الحبشة عند النجاشي، فأذن لهم، فهاجروا إليها، وكانوا نيّفاً وثلاثين رجلاً، وثماني نسوة، سوى الصبيان الذين خرجوا بهم.

ويروى عن أم سلمة[١] أنها قالت: لمّا قدمنا الحبشة[٢]، أصبنا خير دار، وجاورنا رجلاً حسن الجوار، (٦٢) تعني النجاشي. فبعثت قريش عبدالله بن أبي ربيعة[٣]، وعمرو بن العاص، إلى النجاشي، يطلبون منه ردّنا إليهم، وأهدوا إليه من طرف بلادهم، وأهدوا للبطارقة أيضاً، ونزلوا عندهم.

ثم دخلوا عند النجاشي، فسجدا له، وسلّما عليه، وقالا: أيها الملك، إن قومنا لك ناصحون، ولسعيك شاكرون، ولإصلاحك محبون، وإنهم

---

(١) أم سلمة: هي هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الراكب ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم كانت عند أبي سلمة بن عبدالأسد بن هلال المخزومي، فولدت له عمر وسلمة ودرة وزينب، هاجرت إلى الحبشة، ثم إلى المدينة. تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث بعد وقعة بدر. توفيت سنة ٥٩هـ ودفنت بالبقيع. انظر: عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٩٩٢م، ج٤، ص١٩٣٦.

(٢) الحبشة: مملكة قديمة في إفريقيا، قبالة جزيرة العرب من جهة البحر الأحمر. لا يعرف زمن ظهورها، ويقال: إنها أسست حوالى عام١٠٠٠ق.م.، وأن الذي أسسها هو الابن الأكبر للملك سليمان من مملكة سبأ. وكانت الحبشة بعاصمتها أكسوم وثنية، ثم اعتنقت المسيحية على يد فرومنتيوس، وهو أسقف قبطي أوفده بطريرك الاسكندرية في القرن الرابع الميلادي. وإليها هاجر المسلمون الهجرتين الأولى والثانية. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص٥٣.

(٣) عبدالله بن أبي ربيعة: عبدالله بن أبي ربيعة، واسمه عمرو بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أبو عبدالرحمٰن المكي والد عمر الشاعر. له صحبة. كان اسمه بحير، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله، وولّاه الجند ومخاليفها، فلم يزل عليها حتى قتل عمر، وأقرّه عثمان، فجاء لينصره، فوقع عن راحلته، فمات قرب مكة. انظر: ابن حجر العسقلاني، دار المعارف العظامية، الهند، حيدر آباد، ١٣٢٦هـ، ج٥، ص٢٠٨.

بعثونا لنحذّرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك، لأنهم قوم رجل كذاب، خرج فينا، يزعم أنه رسول، ولم يتابعه أحد منّا إلّا السفهاء، وقد ابتدعوا ديناً سوى دينك، ودين من مضى من آبائنا، لا نعرفه، وفارقوا أشرافهم، وخيارهم، وأهل رأيهم، وانقطعوا بأمرهم عنهم، ثم خرجوا إليك لتمنعهم من عشائرهم، وآبائهم، فادفعهم إلينا، نردّهم على آبائهم وعشائرهم.

فقالت البطارقة: صدقوا أيها الملك، فارددهم، فهم أعلم بقومهم. وقال له: وآية ذلك أنهم لا يسجدون لك رغبة عنك وعن دينك.

قال النجاشي: لم أكن لأردّ قوماً نزلوا بلادي، وجاؤوا إليّ.

قالت أم سلمة ﵂: فمضى المسلمون إليه، فلما وصلوا، صاح جعفر[1] بالباب: يستأذن عليك حزب الله، فقال النجاشي: نعم، فليدخلوا بأمان الله وذمته، فقال عمرو لصاحبه: ألا تسمع كيف يرطنون، والرطن: كلام لا يفهم، وساءهما ما أجابهما به النجاشي، ثم دخلوا، ولم يسجدوا، فقال عمرو: ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك؟ فقال النجاشي: ما منعكم أن تسجدوا

---

(١) جعفر: جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبدالمطلب بن هاشم: صحابي هاشمي. من شجعانهم. يقال له «جعفر الطيّار» وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويدعو فيها، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هناك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فقدم عليه جعفر، وهو بخيبر سنة ٧هـ. وحضر وقعة مؤتة بالبلقاء (من أرض الشام) فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية على صدره وصبر حتى وقع شهيداً، وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن الله عوّضه عن يديه. بجناحين في الجنة، وقال حسان:

فلا يبعدنَّ الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٢٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٣٥٠ ـ ٣٥٢.

لي؟ فقالوا: نسجد لله الذي خلقك وملّكك، وإنما كانت تلك التحّية لنا، ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبيّاً صادقاً، وأمرنا بالتحية التي رضيها الله لنا، وهي السلام عليكم، تحية أهل الجنة.

فعرف النجاشي ذلك حق، وأنه كذلك في التوراة والإنجيل، فقال: أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله؟ قال جعفر: أنا، قال: إن هذين يزعمان أنكم فارقتم دينهما، ولم تتبعوا دين اليهود، ولا ديني، فأنتم على أي دين؟ فقال جعفر: إنك ملك، ومن أهل الكتاب، ولا يصلح عندك كثرة الكلام، ولا الظلم، وأنا أجيب عن أصحابي، وهذان الرجلان، فليتكلم أحدهما، وينصت الآخر، فقال عمرو لجعفر: تكلم، قال جعفر للنجاشي: سل هذين الرجلين، أعبيد نحن أم أحرار، فإن كنّا عبيداً قد أبقنا، فارددنا إليهم، فسألهما النجاشي: أعبيد هؤلاء أم أحرار؟ قال عمرو: بل هم (٦٣) أحرار كرام. قال النجاشي: نجوا من العبودية. فقال جعفر: سلهما، هل أخذنا أموال الناس بغير حق، فعلينا قضاؤها؟ فقال النجاشي: يا عمرو، وإن كان قنطاراً، فعليَّ قضاؤه، فقال عمرو: ولا قيراطاً. قال النجاشي: فما تطلبان منهم؟ قال عمرو: كُنّا وهم على دين واحد، دين آبائنا، فتركوه، واتبعوا غيره. فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي اتبعتموه؟ وما الدين الذي تركتموه؟ أصدقني يا جعفر.

قال جعفر: أما الدين الذي كنا عليه، فتركناه، فهو دين الشيطان، كنا نترك عبادة الله ونعبد الحجارة، وأما الذي تحوّلنا إليه، فدين الله الإسلام، بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه، وصدقه، وعفافه، فدعانا لنعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، ونخلع كل معبود دونه، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر، وأمرنا بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وصلة الرحم، وعلمنا الأخلاق الحسنة، وتلا علينا تنزيلاً لا يشبهه غيره، فصدقناه، وآمنا به وعرفنا أن جاء به من عند الله، فهو الحق المبين، ففارقنا عند ذلك قومنا، فآذونا وفتنونا،

فلمـا بلـغ بنا ما نكره، ولم نقـدر على الامتناع، أمرنا نبيّنـا ﷺ، أن نخرج إلى بـلادك، اختيـاراً منـه لك عن سـواك، لأنك تمنع مـن الظلـم، وإن كتابك مثل كتاب ابن مريم، فقال النجاشي: تكلمت بشيء عظيم، فعلى رسلك.

فأمر النجاشـي بضـرب الناقوس، فاجتمـع إليه كل قسـيس وراهب، فقال النجاشي: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى والقيامـة نبياً مرسـلاً؟ فقالوا: اللهم نعم، بشـرنا به عيسـى، وقـال: من آمن به، فقـد آمـن بـي، ومن كفر به، فقـد كفر بي. قال النجاشـي: يا جعفـر، اقرأ عليّ ممـا يُقرأُ عليكـم. فقرأ عليه سـورة العنكبوت والروم، ففاضت عينا النجاشـي وأصحابـه مـن الدمع، وقال: يـا جعفر: زدنا من هذا الحديث الحسـن الطيّب، فقرأ عليه سورة الكهف، فأراد عمرو أن يغضب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسـى وأمـه. فقال النجاشـي: ما تقولون في عيسـى وأمه؟ فقـرأ عليهم جعفر سـورة مريم، فلما أتى على ذكر عيسـى، رفع النجاشـي نفثة من سواكه (٦٤)، وقال: والله ما زاد عيسى على ما قال نبيّكم قدر هذا.

ثـم قـال لجعفـر وأصحابه: اذهبـوا فأنتم سـيوم بأرضي، أعنـي آمنين، من سـبكم أو آذاكم غرم. (ثم)[١] قال: لا دهوزة اليوم عليكم حزب إبراهيم. فقال عمـرو: ومـن حـزب إبراهيم؟ قال: هـؤلاء الرهط وصاحبهم الـذي جاؤوا من عنده، ومن اتبعهم.

ثـم ردَّ النجاشـي على عمرو وصاحبه المال الذي سـاقاه إليـه، وقال: إنما هديتكم رشوة، فإن الله ملّكني، ولم يأخذ مني رشوة.

قـال جعفـر: فانصرفنـا، فكنّا في خير دار وحسـن جـوار. وانصرف عمرو وصاحبه إلى قريش.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٦١.

فصل (في مقاطعة قريش لبني هاشم)

ثـم إن قريشـاً تعاهدت مع النبي، وتقاسـمت على عداوتـه، وذلك أنه لمّا فشا الإسلام في القبائل، وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم كتاباً إلى بني هاشـم وعبد المطلب، أن لا ينكحوا إليهم، ولا يبايعوهم، ولا يشتروا منهم، ولا يخالطوهم، ولا يكلموهم ولا ينصرونهم، ولا يتركوهم ينتفعون بشيء من المنافع، فكتبوا العهود على بعضهم بعض، ثم غدوا على من أسلم، فأوثقوهم وآذوهم، واشتدّ البلاء والفتنة على المسلمين، وقـال المشـركون: لا صلـح ولا رحـم، إلا علـى قتـل هـذا الصابئـي، فدخل أبو طالـب والنبـي وبنـو عمه، ومـن اتبعهم مـن المؤمنين، والمشـركون الذين حموهم، وانحازت بنو هاشـم وبنو المطلب كلهم إلى شـعب أبي طالب، غير أبي لهب، فإنه انضم إلى قبائل قريش، وظاهرهم على النبي.

وآذت قريش رسـول الله ﷺ، وضربوا أصحابه في كل طريق، وحصروهم في الشـعب، ولم يتركوا أحداً يدخل عليهم طعاماً ولا شـيئاً، وإذا خرجوا من الشـعب إلى الموسم، نادى منادي الوليد بن المغيرة: أيما رجل تجدوه يشتري طعاماً، فزيدوا عليه. فبقوا على ذلك ثلاث سنين، حتى بلغ بهم الجهد الشديد، وسـمع أصوات صبيانهم، يتصارخون من الجوع، وكانوا لا يصل إليهم شـيء من الطعام إلّا سرّاً، ممن أراد صلتهم مستخفياً.

ثـم قـام فـي نقـض العهـد نفـر مـن قريـش، ولدتهـم نسـاء مـن بنـي هـاشـم، منهـم: هشـام بـن عمـر[1]، وزهيـر بـن أبـي

(١) هشـام بن عمـر: والصحيـح هشـام بن عمـرو: وهـو هشـام بن عمرو بـن ربيعة بـن الحارث بن حبيب بـن نصر بن جذيمة بن مالك بن حسـل بن عامر بن لؤي. وكان ذا شـرف في قومه، وهو الـذي نقـض الصحيفة. ويقـال: «إنه كان يأتي بالعير وبنو هاشـم وبنو المطلب في الشـعب ليلاً، وقد أوقره طعاماً، حتى إذا أقبل به فم الشـعب خلع خطامه من رأسـه، ثم ضرب جنبه، فيدخل =

أميــــة[1]، وأبــو البخــترى[2]، والمطعم بن عــدي[3]، فخرج النبي وأصحابه من الحصار.

ومات أبو طالب في سنة عشر من النبوّة، (٦٥) ودفن في مكة، ولم يسلم.

وماتــت خديجــة رضي الله عنها، بعد أيام. وقيل: إنها ماتت بعد شــهر وخمســة أيام، وولــدت للنبــي ولدين ذكرين، هما: القاســم[4]، وعبد الله[5]، وماتــا أطفالاً قبل

= الشـعب عليهم، ويقدّم لهم الطعام. انظر: ابن هشـام، عبد الملك بن هشـام: السـيرة النبوية، ج٢، ص ١٤ - ١٥.

(١) زهير بـن أبـي أمية: زهير بن أبـي أمية بن المغيرة بن عبد الله بـن عمرو بن مخزوم، وأمـه عاتكة بنت عبد المطلب. كان من المسيئين إلى الرسول ﷺ. من أشراف قريش، وقد ذكره أبو طالب في القصيدة اللامية التي أوضح فيها لقريش أنه غير مُسَلّم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً، حتى يهلك دونه. فقال في مطلعها:

ولمـا رأيـت القـوم لا ودَّ فيهـم ... وقـد قطعـوا كل العـرى والوسـائلِ
وقـد صارحونـا بالعـداوة والأذى ... وقـد طاوعـوا أمـر العـدو المزايـلِ

انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ٢٩١ - ٣٠٢.

(٢) أبـو البختـرى: من أشـراف قريـش الذين اجتمعـوا بالنبي ﷺ، فكلمـوه، وخاصمـوه، وانصرف عنهم حزيناً لما رأى مباعدتهم له. انظر التفاصيل في: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ٣١٥ - ٣١٩.

(٣) المطعم بن عدي: المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، من قريش: رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب الفجار، وهو الذي أجار رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف، وعاد متوجهاً إلـى مكـة، ونزل بقرب حراء، فبعث إلى بعض حلفاء قريش ليجيروه في دخول مكة، فامتنعوا، فبعث إلى المطعم بن عدي بذلك، فتسـلح المطعم وأهل بيته، وخرج بهم حتى أتوا المسـجد، فأرسـل من يدعـو النبـي ﷺ للدخول، فدخل مكة، وطاف بالبيت، وصلـى عنده، ثم انصرف إلى منزله آمناً، وهو الـذي أجار سـعد بن عبادة، وقد دخل مكـة معتمراً، وتعلقت به قريش، فأجـاره مطعم. مات المطعم قبل وقعة بدر، وله بضع وتسعون سنة، وفيه يقول حسان من قصيدة:

فلـو كان مجـد يخلـد الدهـر واحداً ... من النـاس أبقى مجده اليـوم مطعما

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٥٢.

(٤) القاسم: هو القاسم بن محمد بن عبد المطلب الهاشمي، ابن الرسول ﷺ من أم المؤمنين خديجة بنت خويلـد رضي الله عنها، وبـه كان يكنـى، وهو أكبر بنيه، وكان مولده ووفاته قبل بعثة الرسـول ﷺ. ودفن بمكة. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ٢٠٢.

(٥) عبـد الله: عبـد الله، ويلقب بالطيـب والطاهر، لولادته بعد الوحي، ولد بمكة بعد الإسـلام، ومات =



الإسلام، وأربع بنات، وهنّ: زينب(١)، ورقية(٢)، وأم كلثوم(٣)، وفاطمة(٤)، وأدركن الإسلام، وأسلمنَ، وكل أولاده ماتوا قبله، إلّا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر.

فلما مات أبو طالب، وماتت خديجة، لزم النبي بيته، وأقلَّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال.

= بها، وبعضهم يعدّ الطيب والطاهر اثنين. انظر: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ج١، ص٢٢٣.

(١) زينب: زينب بنت سيد البشر محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، القرشية الهاشمية: كبرى بناته. تزوج بها ابن خالها أبو العاص بن الربيع، وولدت له علياً وأمامة، فمات علي صغيراً، وبقيت أمامة، فتزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه بعد وفاة فاطمة الزهراء رضوان الله عليها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٦٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) رقيّة: رقية بنت محمد النبي العربي القرشي صلوات الله وسلامه عليه، وأمها خديجة أم المؤمنين، ولدت ونشأت في الجاهلية، وتزوجت عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب. ولما ظهر الإسلام ونزلت آية: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ غضب أبو لهب، فأمر بمفارقتها، ففارقها، وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وتزوجها في الإسلام عثمان بن عفان، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة الهجرتين الأولى والثانية. ثم استقرت في المدينة، وتوفيت ورسول الله ﷺ ببدر سنة ٢هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١١٤ ـ ١١٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣١.

(٣) أم كلثوم: بنت من بنات رسول الله ﷺ من زوجته الأولى خديجة بنت خويلد. تزوجها في الجاهلية عتبة بن أبي لهب، وفارقها للسبب الذي من أجله فارق أخوه عتبة أختها رقية. وهاجرت إلى المدينة مع عيال رسول الله ﷺ. فلما توفيت أختها رقية سنة ٢هـ، تزوجها عثمان بن عفان سنة ٣هـ، وتوفيت عنده في المدينة، فقال النبي ﷺ: «**لو أن لنا ثالثة لزوجنا عثمان بها**». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٧٤ ـ ٣٧٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٣١.

(٤) فاطمة الزهراء (١٧ ق.هـ ـ ١١هـ)/ (٦٠٥ ـ ٦٣٢م). فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ بن عبدالله بن عبدالمطلب، الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد، من نابهات قريش. وإحدى الفصيحات العاقلات، تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في الثامنة عشرة من عمرها، وولدت له الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب. وعاشت بعد أبيها ستة أشهر. وهي أول من جعل له النعش في الإسلام، عملته لها أسماء بنت عميس. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢١٣ ـ ٢١٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٣٢.

ثم إن النبي ﷺ، خرج إلى الطائف[١]، ومعه زيد بن حارثة، في ليالٍ بقين من شوال، فقام بها عشرة أيام، وقيل: شهراً. وأتى إلى ثلاثة أخوة من ثقيف، وسألهم أن يجيبوه إلى الإسلام، وينصروه على من خالفه من قومه، وكانوا هم رؤساء الطائف، فقال واحد منهم: ما تثاب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الثاني: أما وجد الله أحداً غيرك يرسله؟ وقال الثالث: والله أكلمك، فإن كان الله أرسلك، فأنت أعظم خطراً من أن أكلمك، وإن كنت كاذباً فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله عنهم، وقد يئس من آل ثقيف، فقال لهم: فإذا لم تفعلوا، فاكتموا عليَّ إذاً.

وقد كره رسول الله أن يبلغ ذلك قومه، فيخبرهم عليه، فلم يكتموا عليه، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويشتمونه، ويصيحون عليه، ويرمونه بالحجارة، حتى إن رجليه لتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى شُجَّ في رأسه.

واجتمع عليه الناس، حتى ألجأوه على حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة، هما فيه، فرجع عنه من اتبعهما، وجلس هو وزيد تحت ظل خمره، ودعا الله ﷻ بدعوات.

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، وهو محزون، فلما نزل، قام في جوف الليل يصلي، فصرف الله إليه نفراً من جن نصيبين[٢]، فاستمعوا قراءته، فلما

---

(١) الطائف: هو وادي وَجّ، وهو بلاد ثقيف، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً. وهي مدينة ذات زرع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، وبها مياه جارية، وجلّ أهلها من ثقيف وحمير وقوم من قريش، وهي على ظهر جبل غزوان. وقال ابن عباس: سميت الطائف لأن إبراهيم عليه السلام، لمّا أسكن ذريته مكة سأل الله أن يرزق أهلها من الثمرات، فأمر الله ﷻ قطعة من الأرض أن تسير بشجرها حتى تستقر بمكان الطائف، فأقبلت وطافت بالبيت، ثم أقرّها الله بمكان الطائف، فسميت الطائف لطوافها بالبيت. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٨ - ٩.

(٢) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل بين الموصل والشام، وفي قراها أربعون ألف بستان، وعليها سور كانت الروم بنته، وأتمه كسرى أنو شروان عند فتحه إياها. فتحها عبد الله بن عبد الله بن عتبان سنة ١٧هـ. وإلى هذه المدينة ينسب عدد كبير من العلماء. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٩.

قضاها، ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا، فقصَّ الله خبرهم بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

فلما أراد النبي ﷺ، أن يدخل على قريش، لم يدرِ كيف يدخل عليهم، وقد أخرجوه منها، فأرسل رجلاً من (٦٦) خزاعة إلى مطعم بن عدي، ليدخل في جواره، فقال ابن عدي: نعم، فأمر مطعم بنيه وقومه، وقال لهم: البسوا سلاحكم، فقد أجرتُ محمداً، فكونوا عند البيت.

وقام على راحلته، ونادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمداً، فلا يهيجه أحد منكم، فلما سمع أبو جهل كلامه، قال: أجرنا من أجرت. فانتهى رسول الله ﷺ، إلى الركن، واستلمه، وصلى ركعتين، ثم انصرف إلى بيته، ومطعم وأولاده وقومه مطيفون حوله.

ثم قام بمكة، وكان يقف بالموسم، يدعو القبائل، وكان يقول: يا بني فلان، إنِّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأبو لهب يقول: لا تطيعوه.

ثم أتى كندة(١)، في منازلهم وأتى كلبًا(٢)، وبني حنيفة(٣)، وعامر بن صعصعة(٤)، فدعاهم إلى الله ﷻ، وعرض عليهم الإسلام.

---

(١) كندة: كندة بن عفير بن عدي بن الحارث من كهلان: جدّ جاهلي يماني. قيل: اسمه ثور، وكندة لقبه. كان لبنيه ملك بالحجاز واليمن، في الجاهلية. وكان لهم صنم اسمه «دريج» أقاموه بالنجير (حصن باليمن، قرب حضرموت) وآخر اسمه «الجلسد» سدنته بنو شكامة، من أحفاده. وتلبيتهم: «لبيك لا شريك لك تملكه أو تهلكه». ولابن الكلبي كتاب ملوك كندة. ولما ظهر الإسلام، وفد على النبي ﷺ وفد «كندة» من حضرموت، فأسلموا. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٣٤. انظر أنساب كندة في العوتبي، سلمة بن سلم: الأنساب، ج١، ص٣٣٤ ـ ٣٣٦.

(٢) كلب: كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة، جدّ جاهلي، حيثما أطبق لفظ «كلبي» فالنسبة إليه. من نسله بنو كلدة، وبنو أوس، وبنو ثور، وبنو رفيدة. من منازلهم القديمة (صوأر) فوق الكوفة، وكانوا ينزلون دومة الجندل وتبوكاً وأطراف الشام، وصنمهم في الجاهلية «ود» نصبوه بدومة الجندل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٣٠.

(٣) حنيفة بن لجم بن صعب، من بني بكر بن وائل، من عدنان: جدّ جاهلي. كانت منازل بنيه «اليمامة» ومنهم مسيلمة الكذاب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٨٧.

(٤) عامر بن صعصعة: عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر، من قيس عيلان، من العدنانية: جدّ جاهلي. بنوه بطون كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٢٥١.

فصل في إسلام جن نصيبين

ثم إن رسول الله ﷺ، أُمر بإنذار الجن، وصُرفوا إليه مّرة ثانية.

قال عبد الله بن مسعود[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرجت مع رسول الله ﷺ، بأعلى مكة، فدخلنا شعب الحجون، فخطّ لي رسول الله خطّاً، وأمرني بالجلوس فيه، وقال لي: لا تخرج منه حتى أعود إليك، فجلستُ فيه، ومضى النبي، فافتتح القرآن، فكنت أرى النسور تهوي إليه، وسمعت لغطاً شديداً، حتى خفت على رسول الله ﷺ، وغشيته نسور كثيرة، حالت بيني وبينه، حتى ما كنت أسمع له صوتاً. ثم طفقوا يمضون كقطع السحاب ذاهبين، ففرغ رسول الله منهم مع الفجر، وأتى إليَّ فقال: أنمت؟ فقلتُ: لا والله، ولقد هممت مراراً، أن استغيث بالناس، حتى سمعتك تفزعهم بعصى، وتقول: اجلسوا. قال النبي: والله لو خرجت، لم آمن عليك أن يختطفك أحد منهم. ثم قال لي: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم، رأيت رجالاً سوداً، عليهم ثياب بيض، قال: أولئك جن نصيبين، سألوني الزاد، فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة، فقالوا: يا رسول الله، يقذّرها بنو آدم، يعنون العظام، لأن الروث لدوابهم، فنهى رسول الله عن الاستجمار(٦٧) بالعظام والروث، فقلت: يا رسول الله، وما يغني عنهم ذلك؟ قال: إنهم لا يجدون عظماً، إلا وجدوا عليه لحمة يوم أكل، ولا روثة، إلا وجدوا عليها حبّها يوم أُكلت.

---

(١) عبد الله بن مسعود: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمٰن: صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلا، وقرباً من رسول الله ﷺ، وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سرّه، ورفيقه في ترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت، يمشي معه. نظر إليه عمر يوماً، وقال: وعاء مليء علماً. وولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان بن عفان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٣٧. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٣٨١ ـ ٣٨٧.

وقيـل: إن الجـن ثلاثـة أصنـاف: صنف لهم أجنحـة، يطيرون فـي الهواء، وصنـف كالحيّات والـكلاب، وصنف يحلـون ويظعنون. وقيـل: إن من الجن لأجسام عاقلة خفيفة، تغلب عليهم النارية والهوائية، والله أعلم.

فصل في تزويج النبي ﷺ بعائشة وسودة[١]

وذلك أنه لما ماتت خديجة، أتت خولة بنت حكيم[٢]، امرأة عثمان بن مظعون، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: بمن؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: من البكر؟ قالت: بنت أحب الخلق إليك أبي بكر. قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك، واتبعتك على دينك، قال: فاذهبي فاذكريني عليهما. قالت: فدخلت بيت أبي بكر رضي الله عنه، فقلت: يا أم رومان[٣]، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قالت: وما ذلك؟ قالت: سألني رسول الله ﷺ، أخطب عليه عائشة، قالت: انتظري أبا بكر. فجاء أبو بكر رضي الله عنه، فذكرت له، فقال: هل تصلح له، إنها لصغيرة، فأرسل أبو بكر، ابنته إلى النبي ﷺ، وقال لها: قولي للنبي: هل تصلح لك الحلة؟ فأتت عائشة إلى النبي، وقالت: يقول لك أبي: هل تصلح لك الحلّة، فقال لها النبي: ارجعي إلى أبيكِ، وقولي له: إنها لصالحة، فرجعت إلى أبيها، وقالت: يقول: إنها لصالحة. فأتى أبو بكر

---

(١) سودة بنت زمعة: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، من لؤي، من قريش، إحدى أزواج النبي ﷺ. كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس، وأسلمت، ثم أسلم زوجها. وهاجروا إلى الحبشة في الهجرة الثانية. ثم عادا إلى مكة. فتوفي السكران، فتزوجها النبي ﷺ بعد خديجة. توفيت في المدينة سنة ٥٠هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١٥٧ ـ ١٥٨. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ١٤٥.

(٢) خولة بنت حكيم: خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأرقص بن مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، امرأة عثمان بن مظعون، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكانت امرأة صالحة، روى عنها سعد بن أبي وقاص في النزول في السفر. انظر: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص ١٨٣٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٩٣.

(٣) أم رومان: أم رومان بنت عامر بن عويمر، من كنانة: الصحابية، زوجة أبي بكر الصديق، وأم عائشة. توفيت في حياة الرسول ﷺ، فنزل في قبرها واستغفر لها، وقال: «**اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك**». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٢٠ ـ ٣٢١. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٣٦.

إلـى النبي، وزوجـه بها، وأصدقها أربعمائة وثمانيـن درهماً. وقيل: إن أبا بكر سلّم مهرها من ماله.

قالت خولة بنت حكيم: ثم دخلت على سودة بنت زمعة، فقلت: لقد ساق الله إليك الخير والبركة. قالت: فما ذلك؟ فقلت: أرسـلني النبي أخطبك عليه، قالت: وددت ذلك، فأدخلي على أبي، فدخلتُ على أبيها، وكان شـيخاً كبيراً، فقلـت: إن النبـي أرسـلني أخطب عليه (٦٨) ابنتك. قال كفـؤ كريم، فما تقول صاحبتك؟ فقلت: تحب ذلك، فقال: ادعيها إليَّ، فدعتها، فأتت، فقال: أي بنيّه، إن هذه تزعم أن محمداً أرسل إليك، وهو كفؤ كريم، فماذا تقولين؟ أتحبين أن أزوجه بك؟ قالت: نعم، قال: يا سودة، ادعيه إليَّ، فجاء النبي إليه، وزوجه بها أخوها عبيد الله، بأمر أبيه، وكان تزويجه بها سنة عشر من نبوته ﷺ.

فصل في بدء إسلام الأنصار

وذلك في سنة إحدى عشرة من النبوة، خرج النبي يعرض نفسه على القبائل أيام الموسم، كما كان يصنع من قبل في كل موسم. فبينما هو عند العقبة[(١)]، إذ لقي رهطاً من الخزرج، قال: ألا تجلسون أُحدثكم؟ قالوا: بلا، فجلسوا إليه، فدعاهم إلى الله ﷻ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا (من اليهود)[(٢)] يقولون: قد أظلنا زمان نبي يبعث، فلما كلمهم النبي ﷺ، قالوا: والله إنه النبي الذي تعدكم به اليهود، فلا يسبقنّكم إليه أحد من القبائل. فآمنوا به، (وكانوا)[(٣)] ستة أنفس: أسعد بن زرارة[(٤)]، وعوف بن الحرث[(٥)]، وهو ابن عفراء[(٦)]، ورافع بن

(١) العقبة: العقبة التي بويع فيها النبي ﷺ بمكة، فهي عقبة بين منى ومكة، وعندها مسجد، ومنها ترمى جمرة العقبة، وكان من حديثها أن النبي ﷺ كان في بدء أمره يوافي الموسم بسوق عكاظ وذي المجاز ومجنة، ويتتبع القبائل في رحالها، حتى إذا كانت سنة إحدى عشرة من النبوة، لقي ستة نفر من الأوس عند هذه العقبة فدعاهم إلى الإسلام، وعرض عليهم أن يمنعوه، فقالوا: هذا والله النبي الذي تعدنا به اليهود، يجدونه مكتوباً في توراتهم، فآمنوا به وصدّقوه. ثم لما كانت سنة اثنتي عشرة من النبوة وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلاً، فلما كانت سنة ثلاث عشرة من النبوة أتى منهم سبعون رجلاً وامرأتان، ودعوا الرسول إلى الهجرة إلى المدينة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٢١.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٦٥.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٦٦.

(٤) أسعد بن زرارة: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي، غلبت عليه كنيته، واشتهر بها، كان عقيباً نقيباً، شهد العقبتين الأولى والثانية، وبايع فيهما. انظر الترجمة كاملة في: ابن الأثير، علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٥) عوف بن الحرث: والصحيح عوف بن الحارث وهو عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن النجار. لم يرد ذكره في كتب تراجم الصحابة، ذكره ابن هشام في السيرة: انظر ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ١١١.

(٦) عفراء بنت عبيد: عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارية، أم معاذ ومعوذ وعوف، وبها تعرف أولادها، وكلهم من الأنصار. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، ج٧، ص ١٩٧.

مالك العجلاني[١]، وقطبة بن عامر بن حديدة[٢]، وعقبة بن عامر[٣]، وجابر بن عبد الله بـن ربـاب[٤]. فلما رجعـوا إلى المدينة[٥]، ذكـروا لهم أمر النبـي ﷺ، ودعوهم إلى الإسـلام، فلم تبقَ دار من دور المدينة إلّا وفيه ذكر رسـول الله ﷺ، وذلك لسـابق

(١) رافع بـن مالـك العجلانـي: رافع بـن مالـك العجلاني بـن عمرو بـن عامر بن رزيـق الزرقـي الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا مالك، ويكنى أبا رفاعة، بدري، شهد العقبتين الأولى والثانية، وشهد بدراً فيما ذكره موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، ولم يذكره ابن اسحاق في البدريين. قال أحمد بن زهير: سمعت سعد بن عبد الحميد بن جعفر يقول: رافع بن مالك أحد الستة النقباء، وأحد الاثني عشر، وأحد السبعين. قتل يوم أحد شهيداً. قال أبو عمر: الستة النقباء كلهم قتلوا. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص ٦٤. وابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٢٤٤.

(٢) قطبة بـن عامر بـن حديـدة: قطبة بـن عامر بن حديدة بـن عمرو بن سـواد بن غنم بن كعب بن سـلمة الأنصاري الخزرجي السلمي. يكنى أبا زيد. شهد العقبتين الأولى والثانية، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشـاهد كلهـا مـع رسـول الله ﷺ. وكانـت معه راية بني سـلمة يـوم الفتح. وجرح يوم أحد تسـعة جراحـات، ورمـى يوم بـدر حجراً بين الصفيـن. وقال: لا أفرّ حتـى يفرّ هذا الحجـر. توفي في خلافة عثمان بن عفان. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ٤٠٦.

(٣) عقبة بـن عامر: عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بـن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم بن ربيعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني، أبو حماد، صحابي، روى عن النبي ﷺ، ولي أمرة مصر من قبل معاوية سـنة ٤٤هـ. وتوفي في عهد معاوية سـنة ٥٨هـ، ودفن بالمقطم، وهو أحد من جمع القرآن، ومصحفه بمصر. انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٧، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٤) جابر بن عبد الله بن رباب: الصحيح جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سـنان بن عبيد الخزرجي الأنصاري السـلمي، صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، له ولأبيه صحبة. غزا تسـع عشـرة غزوة. كانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي، يؤخذ عنه العلـم، روى عنه البخاري ومسـلم وغيرهمـا ١٥٤٠ حديثاً. عمّر طويلاً مولده سـنة ١٦ ق، هـ. ووفاته سنة ٧٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج، ص ١٠٤. وابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٧٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٦٩.

(٥) المدينة: مدينة رسول الله ﷺ، سميت يثرب لأن أول من سكنها يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بـن عوض بـن إرم بن سـام بن نـوح عليه السلام، فلما نزلها الرسـول ﷺ بعد هجرتـه أصبحت تعرف باسـم المدينة المنورة، ومدينة الرسـول، اتخذ منها مركزاً للدعوة الإسلامية، ونجح في تحصينها ضدّ المشـركين. كانـت عاصمة الدولة الإسـلامية في عهد الرسـول ﷺ، والخلفاء الراشـدين رضوان الله عليهـم. وتعدّ المدينة ثاني المدن الإسـلامية بعد مكـة المكرمة. قال ابن عباس رضي الله عنه: من قال للمدينة يثرب فليسـتغفر الله ثلاثاً، إنما هي طيبة. وقال النبي ﷺ لما هاجر: «**إنك أخرجتني من أحب أرضك إليّ، فأسكنتني أحب أرض إليك**». فأسكنه المدينة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص ٤٣٠. وغربال، محمد شفيق: الموسوعة الميسرة، ج٢، ص ١٦٧٤.

العلـم، إذ سـبقت لهم من الله السـعادة، وهم مـن غير قومه، وكذّبه قومه وشـتموه، وسمّوه ساحراً، وكاذباً، (وشاعراً)[1] ومجنوناً، وكاهناً، واقترحوا عليه أن يجعل لهم الصفـا ذهبـاً، وأن يكـون له بيت من زخـرف، وأن يكون له كنز وجنّـة، يأكل منها، وأن يرقى في السماء، فيأتيهم بكتاب يقرأوه، وأن يأتيهم بالله والملائكة قبيلاً. وكم أصـاب النبي منهم من الأذى والبلاء، فانظـر أيها العاقل بعين بصيرتك، واعلم أنها لا تنفع القرابة، وإنما للمرء ما قُضي عليه وقُدّر.

ثم انظر فيما لحق النبي من البلاء والأذى من الكفار، أكان ذلك لهوانه على ربه أم كان الله عاجزاً عن دفعهم عن نبيّه أن يصلوا إليه بسوء، فلا والله، بل كان الله قويـاً عزيـزاً، وكان النبـي على الله كريماً، وإنمـا أراد الله ليرفع بذلك درجات (٦٩) نبيّه، ويضاعف حسناته، فكذلك ما أصاب المؤمن في دنياه، فلكرامته على ربـه، وليكفـر بذلـك عنه السـيئات، وترفع له الدرجـات، أو يكـون عقوبة لذنب سلف منه، فلا يعاقب عليه في الآخرة، والله أكرم من أن يعاقب على ذنب مرتين، فطوبـى لمـن عوقب في دنياه على ذنبه، أو يكون ذلك لـه رفعاً إلى درجات، لم يبلغها عمله، فقدر له ذلك، ليعظم أجره وثوابه، ويبلغه الدرجات العلى.

وقد قيل عن النبي ﷺ: (الأنبياء أشدّ الناس بلاءً في الدنيا، ثم الأمثل فالأمثل).

وقيل: إذا أحب الله عبداً زوى، عنه الدنيا، كما يزوي الوالد الشفيق المكاره عن ولده.

وكذلك قيل: ما أصاب الكافر في الدنيا من ثروة وعافية، فإنما ذلك حظه من الدنيا، وما له في الآخرة من نصيب، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ۞ وَزُخۡرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥].

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٦٦.

فالواجب على العبد أن يشكر مولاه على كل حال، وليعلم أن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه، وليكن خائفاً، وجلاً، وراجياً موقناً، وليعلم أن الله غافر الذنب، وقابل التوب، وإن الله شديد العقاب، وليحذر من الإصرار على صغائر الذنوب، فإنه لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار، وليتق المعصية جهده، فإذا بدت منه فليتبعها باستغفار، فإن كانت معصيته فيها حق لله وحده، أجزاه الاستغفار، وإن كان الحق فيها للعباد، فلا يجزيه الاستغفار، إلا بعد التخلص من الحق الذي لزمه، إلى من لزمه، أو براءة من صاحبه، ولا يمنعنَّ أحدكم الحياء من التخلص، وطلب البراءة، فإن فضوح الدنيا، أيسر من فضوح الآخرة، وليكن المرء على أُهبة لهجوم الموت عليه، فإنه لا يدري متى يهجم عليه، فلا يمكنه التخلص، إذا حضره الموت، ولا يطولن الأمل، فإن الأجل قريب، فاستيقظوا، واستعدّوا، واصبروا سويعة، تستريحوا دهراً طويلاً، لا غاية له، ولا نهاية، وتنجوا من عذاب أليم، لا انقضاء له، (٧٠) وانظروا فيما مضى من العمر، هل تجدون لما أصبتم من نعيم لذّة؟ أو لما أصابكم من ألم شدّة؟ وأضرب لكم مثلاً: رجلان أتى عليهما شهر رمضان، فصام أحدهما، ولم يصم الآخر، حتى انقضى شهر رمضان، فأصبحا جميعاً مفطرين، فلم يجد الصائم تعب الصوم، وبقي له الأجر، ولا المفطر لذة ما أكل في شهر رمضان، وبقي عليه الوزر.

وأتموا أيها الإخوان جميع خصال الإيمان، فإنه لا يتم إلّا بجميع خصاله، وإذا انقضت منه خصلة، ذهب جميعه، واعلموا أن الله لا يقبل، إلّا ممن تمَّ إيمانه، فلو كان مثلاً رجل مجتهد، يصوم النهار، ويقوم الليل، ويقرأ القرآن، وينفق على الفقراء والمساكين، وبذل نفسه في محاربة المشركين، حتى قتل غير مولٍ دبره، إلّا أنه كان يدين بتحليل الخمر، وقتل على هذا غير تائب منه، ولا مقلع عنه، لم ينفعه ذلك الاجتهاد، ولا الصوم، ولا الصلاة، ولا الصدقة، ولا جهاده للمشركين، حتى قتل غير مول دبره، واسألوا أيها الإخوان التوفيق، لإتمام الإيمان، وما يقرب لمرضاته، إنه جواد كريم.

الباب السابع

في ذكر المعراج

وذكر طرف من الجنة والنار

قيل: أُسري بالنبي ﷺ، من المسجد الحرام[١]، إلى المسجد الأقصى[٢]، ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، في السنة الثانية عشرة من النبوّة، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً.

وقيل: ليلة سبع عشرة من ربيع الأول، قبل الهجرة بسنة.

وقيل: بسنة وشهرين.

وقيل: ليلة سبع وعشرين من رجب.

واختلف أيضاً فيه من أي موضع، والأصح أنه من المسجد، كما قال تعالى.

واختُلف فيه، هل كان في اليقظة أم في النوم؟ والأصح أنه في اليقظة، لأنه لو كان في النوم، لم يكن معجزة، ولم يستبعده المشركون، ولا كذبوا به، ولا ارتد من ارتد، لأن الرؤيا لا يعدّ فيها مثل هذا.

---

(١) المسجد الحرام: أو البيت الحرام، أو الكعبة المشرفة، بناء مربع أقامه النبي إبراهيم عليه السلام، وجدّدته قريش قبل البعثة، وجُدّد بعد ذلك غير مرة. معبد قريش الأكبر، وكان مقرّ أصنامها إلى أن طهره محمد ﷺ عام الفتح، وحطّم الأصنام. كان مكشوفاً، ثم سقف وكسي بالديباج، حجّ إليه العرب في الجاهلية، ويحج إليه المسلمون من مختلف الأقطار، ويسمى البيت العتيق، والبيت الحرام والكعبة المشرفة والمسجد الحرام. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص١٤٦٥.

(٢) المسجد الأقصى: مسجد كبير ببيت المقدس، ثاني مسجد بُني بعد المسجد الحرام، بدأه داود وأتمه سليمان كمعبد، ثم جدد بعد ذلك غير مرّة، كان كنيسة، ثم مسجداً، وكان قبلة للصلاة زمناً، ثم عادت القبلة إلى الكعبة، أسرى الله سبحانه وتعالى بالنبي محمد ﷺ إليه من المسجد الحرام بمكة، وعرج منه إلى السماء. جدد بناء المسجد في عهد الملك الأموي عبدالملك بن مروان. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص١٦٩٦.

واختلف أيضاً فيه، هل كان بالروح دون الجسد؟ أم بالروح والجسد معاً؟ والله أعلم.

رُوي عن النبي ﷺ، أنه قال: بينما أنا في الحطيم، وربما قال مضطجعاً، إذ أتاني آتٍ، فشق من نحري إلى مراق بطني، فأخرج قلبي، ثم أوتي بطشت من ذهب مملوءة من ماء زمزم، فغسل قلبي وبطني، وحُشيت (٧١) حكمةً وإيماناً، ثم أعيد، ثم أوتيتُ بالبراق، وهي دابّة دون البغل، وفوق الحمار، أبيض، يقع حافره عند منتهى طرفه، وحُملت عليه، وانطلق بي جبريل عليه السلام، حتى أتيتُ بيت المقدس[1]، فربطَهُ في الحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليتُ فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء فيه خمر، وإناء فيه لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، فشربت قدر نصفه، ثم ناولته جبريل، فقال: لو شربته كلّه لهديت أُمتك كلها، فقلت: اردده علي يا جبريل، فقال: قُضي الأمر بسعادة من يؤمن، وشقاوة من يكفر.

ثم انطلق بي جبريل إلى سماء الدنيا، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، ففتح لنا، فلما خلصتُ، فإذا فيها آدم صلوات الله عليه، وقيل لي: هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فرد عليّ السلام، وقال: مرحباً بالولد الصالح.

(١) بيت المقدس: المدينة المقدسة، تقع في فلسطين وتتوسطها، أقيمت فوق تل صخري، تجددت عظمتها حين اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية، ويقال: إن أمه هيلانة أعادت بناء الكثير من الأماكن المقدسة فيها. فتحت المدينة في زمن عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ، تحتوي مدينة بيت المقدس على كثير من الأماكن المقدسة لدى اتباع الديانات السماوية الثلاث: الإسلام، والمسيحية، واليهودية، وأهمها: المسجد الأقصى، وكنيسة القيامة، سيطر عليها الصليبيون زمن الحملات الصليبية، وأسسوا فيها مملكة عرفت باسم مملكة بيت المقدس (المملكة اللاتينية)، قضى عليها صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧م. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٤٥٤.

ثـم صعد بي إلى السـماء الثانية، فاسـتفتح،، فقيل: من هـذا؟ قال: جبريل ومعه محمد. قيل: وقد أُرسـل؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، ففتـح لنـا، فلما خلصتُ فإذا أنا بيحيى[١]، وعيسـى، وهما أبناء خالة، فسـلمت عليهما، فردّا عليّ السلام، وقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثـم صعد بـي إلى السـماء الثالثة، فاسـتفتح، فقيل: من هذا؟ قـال: جبريل ومعه محمد. قيل: وقد أُرسـل؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، ثـم فتـح، فلما خلصت، فـإذا برجل فُضّل على الناس بالحسـن والجمال، كما فُضّـل القمـر على الكواكب، فقلـت: من هذا يا أخي جبريـل؟ قال: هو أخوك يوسف، فدنوت منه وسلمت عليه.

ثـم صعد بي إلى السـماء الرابعة، فاسـتفتح، فقيل: من هـذا؟ قال: جبريل ومعـه محمـد. قيل: وقد أُرسـل محمد؟ قـال: نعم، ففتح، فلمـا خلصت، فإذا برجـل، فقلـت: من هذا؟ قال جبريـل: هذا إدريس، رفعه الله مكانـاً علياً، وهو مسند ظهره إلى دواوين الخلائق التي فيها أمورهم.

---

(١) يحيـى: النبي يحيى بن زكريا عليه السلام، ولد قبل عيسـى المسـيح عليه السلام بستة أشـهر، وكان عمـر أبيه اثنتين وتسـعين سـنة، وأمه ثماني وتسعين سـنة. نبّئ صغيراً، فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، وكان لا يأتي النسـاء، ولا يلعـب مـع الصبيان. ويحيى أول من آمن بعيسـى المسـيح وصدّقه، وذلـك أن أمه كانت حاملاً بعد، فاستقبلت مريم بنت عمران وهي حامل بعيسى، فقالت لها: يا مريم أحامل أنتِ؟ فقالت: لمـاذا تسـأليني؟ قالـت: إني أرى ما في بطني يسـجد لما فـي بطنك. وقيل: صدّق المسـيح عليه السلام وله ثلاث سـنين، وسـماه الله تعالى يحيى، ولـم يكن قبله من تسـمى بهذا الاسم. وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة، فكان مما نسخ أنه حرّم نكاح بنت الأخ، وكان لملكهم هيرودوس بنت أخ تعجبـه يريـد أن يتزوجها، فنهاه يحيى عنها، فطلبت منه أن يذبـح يحيى بن زكريا، فدعا بيحيى، ودعا بطسـت، فذبحه، فلما رأت الرأس قالت: اليوم قرّت عينيّ، فصعدت إلى سـطح قصرها، فسقطت منه إلـى الأرض ولهـا كلاب ضارية تحتـه، فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهي تنظـر، وآخر ما أكلته منها عيناهـا. وبعـث الله بختنصّر عليهم، فقتل منهم سـبعين ألفاً. وقيل: كان قتـل يحيى بن زكريا قبل رفع عيسى المسيح عليه السلام بسنة ونصف، والله أعلم. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٩٨ – ٣٠٦.

ثـم صعـد بي إلى السـماء الخامسـة، فاسـتفتح، فقيل: من هـذا؟ قـال: جبريـل ومعـه محمد. قيل: وقد أُرسـل محمـد؟ قال: نعم، ففتـح لنا فلمـا خلصنـا، فـإذا برجـل جالـس، ومعه قـوم يقص عليهـم، فقلـت: (٧٢) يا جبريـل، من هـذا؟ ومـن هؤلاء؟ قـال: هذا هارون المجيب والذيـن حولـه بنـو إسرائيـل.

ثم صعدنا إلى السـماء السادسـة، فاسـتفتح، فقيل: من هـذا؟ قال: جبريل ومعه محمد. قيل: وقد أُرسـل محمد؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخٍ، ومن خليفة، ثم دخلنا، فإذا برجل جالس، فجاوزناه، فبكى الرجل، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: موسـى، فقلت: ما باله يبكي؟ قال: تزعم بنو إسـرائيل أنه أكرم بني آدم على الله.

ثـم صعدنا إلى السـماء السـابعة، فاسـتفتح، فقيـل: من هذا؟ قـال: جبريل ومعـه محمد. قالوا: وقد أُرسـل محمد؟ قال: نعـم، قالوا: مرحباً به، ثم دخلنا، فـإذا برجل أشـمط جالس على كرسـي عند بـاب الجنة، وعنده قـوم جلوس، بيـض الوجوه، وقوم في ألوانهم شـيء، فقام الذين في ألوانهم شـيء، فدخلوا نهراً، فاغتسـلوا منه، فخرجوا، وقد صـارت ألوانهم مثل أصحابهم، ثم جاءوا، فجلسـوا إلـى أصحابهـم، فقلت: يـا جبريل، مـن هذا الأشـمط؟ ومن هؤلاء؟ ومـا هذه الأنهـار؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، أول من أشـمط على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه، فهم قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأما الذين في ألوانهم شيء، فقوم قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، ثم تابوا، فتاب الله عليهم. وأما الأنهار الثلاثة، فأدناها رحمة الله، والثاني: نعمة الله، والثالث: الشراب الطهور. وإبراهيم مسـند ظهره إلى بيت، فقلت لجبريـل: ما هذا البيت؟ قال: هو البيت المعمـور، يدخلـه كل يوم سـبعون ألف ملك، إذا خرجوا لـم يعودوا إليه، إلى يوم القيامة.

ثم مضينا حتى أتينا سـدرة المنتهى، فإذا بشـجرة لها أوراق، الواحدة منها قد غطت الدنيا بما فيها، ونبقها مثل قلال هجر، يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهـران ظاهـران، ونهران باطنان، فسـألت جبريل عنها، فقال: أمـا الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات.

ويخرج أيضاً من أصلها أنهار من ماء غير آسـنٍ، وأنهار من لبن، لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر، لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وهي على خد السماء السابعة مما يلي الجنة، وعروقها وأغصانها تحت الكرسي (٧٣).

قال ﷺ: «انتهيتُ إلى سدرة المنتهى، وأنا أعرف أنها سدرة، ورقها وثمرها، فغشـيها من نور الله ما غشـيها، وغشـيتها الملائكة، كأنهم جراد من ذهب من خشـية الله، فلما غشـيها ما غشـيها، تحولت، حتى لا يسـتطيع أحد أن ينعتها، وفيهـا مـن الملائكة لا يعلـم عددهم إلا الله تعالى، ومقام جبريل في وسـطها، فلمـا انتهيـت إليها، قال لي جبريل: تقدّم، قلت: بـل تقدم أنت يا جبريل، قال: بل تقدم أنت يا محمد، أنت أكرم على الله منيّ، فتقدمتُ، وجبريل على أثري، حتى انتهى بي حجاب فراش الذهب، فحركت الحجاب، فقيل، من هذا؟ فقال: جبريـل ومعي محمـد. قال الملك: الله أكبر، وأخرج يـده من تحت الحجاب، فاحتملنـي، وتخلـف جبريـل، فقلت له: إلى أيـن؟ قال: يا محمـد، وما منّا إلا لـه مقـام معلوم، إن هذا منتهى الخلائـق، وإنما أُذن لي في الدنو إلى الحجاب لاحترامك وإجلالك.

فانطلـق بـي الملـك في أسـرع من طرفة عيـن إلى حجاب اللؤلـؤ، فحرّك الحجاب، فقيل: من هذا؟ قال: صاحب حجاب الذهب، ومعي محمد رسـول العرب، فقال الملك: الله أكبر، فأخرج يده من تحت الحجاب، فاحتملني حتى وضعني بين يديه.

فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب، حتى جاوز بي سبعين حجاباً، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، ما بين الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام. ثم دلّى لي رفرف أخضر، يغلب ضوء الشمس، فوضعتُ عليه، فاحتملني حتى وصل بي إلى العرش، فلما رأيت العرش، اتضع عندي كل شيء دونه، فقرَّبني الله فكنت قاب قوسين أو أدنى، وتدلّت قطرة من العرش.

فوقعت على لساني، فما ذاق الذائقون شيئاً قط أحلى منها، فأنبأني الله بها نبأ الأولين والآخرين، وانطلق لساني بعدما كلَّ من هيبة الرحمٰن، فقلت: التحيات لله، والصلوات والطيّبات، فقال الله تعالى: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقال الله تعالى: هل تعلم يا محمد فيما اختصم الملأ الأعلى، قلت: أنت أعلم يا رب بذلك، وبكل شيء، وأنت علّام الغيوب، قال: اختصموا في الدرجات والحسنات، فهل تدري(٧٤) يا محمد ما الدرجات والحسنات؟ قلت: أنت أعلم يا رب. قال: الدرجات: إسباغ الوضوء في المكاره، والمشي إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، والحسنات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والتهجد بالليل والناس نيام. ثم قال: (يا)[1] محمد، آمن الرسول، قلتُ: نعم أي وربي، قال: ومن؟ قلت: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرّق بين أحد من رسله، كما فرّقت اليهود والنصارى. قال: فماذا قالوا؟ قلت: قالوا سمعنا قولك، وأطعنا أمرك. قال: صدقت، فسل تُعطى، فقلت: غفرانك ربنا وإليك المصير، قال: قد غفرت لك ولأُمتك، سل تُعطى، قلت: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، قال: قد غفرت الخطايا والنسيان لك ولأمتك، وما استكرهوا عليه، قلت: ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا من اليهود، قال: ذلك لك ولأمتك، قلت: ربّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، قال:

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٧١.

قـد فعلـت ذلك بك وبأمتـك، قال ربنا اعـف عنّا من الخسـف، واغفر لنا من القـذف، وارحمنا من المسـخ، أنت مولانا فانصرنا علـى القوم الكافرين، قال: فعلت ذلك بك وبأمتك.

ثم قال لي: سل تُعطى، قلت: يا رب، إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، ورفعت إدريس مكاناً علياً، وآتيت سليمان ملكاً عظيماً، وآتيت داؤد زبوراً، فما لي يا رب؟ فقال: اتخذتك حبيباً، كما اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمتـك كما كلمت موسـى تكليماً، وأعطيتك فاتحة الكتاب، وخواتم سـورة البقرة، وكنزاً من كنوز عرشي، ولم أعطها نبياً من قبلك، وجعلت لك ولأمتك الأرض مسـجداً، وترابهـا طهـوراً، وأطعمتك وأمتك الفيء، ولـم أطعمه أحداً قبلك، ونصرتك بالرعب على عدوك، مسيرة شهر، وأنزلت عليك سيد الكتب كلهـا، ومهيمنـاً عليها قرآناً فرّقناه، ورفعت لك ذكـرك، حتى تذكر، كما ذكرت شـريعة مـن شـرائع دينـي، وأعطيتك مـكان التـوراة المثاني، ومـكان الإنجيل المبيـن، ومـكان الزبور الحواميم، وفضلتك بالمفصّل، وشـرحت لك صدرك، ووضعـت عنـك وزرك، وجعلت أُمتك خير أمه أُخرجت للناس، وجعلتهم أمةً وسطاً، وجعلتهم الأولين، وهم الآخرون، فخذ ما آتيتك، وكن من الشاكرين.

ثـم أفضـى إليَّ أموراً بعدها، لم يأذن لي أن أخبركم بها. (٧٥) ثم فُرضت عليّ وعلى أمتي في كل يوم، خمسون صلاةً.

فلمـا عهـد إلـيّ بعهـده، وتركنـي عنده ما شـاء، قـال لي: ارجـع إلى قومـك، فبلّغهم عنّي. فحملني الرفرف الأخضـر الذي كنت عليه، يرفعني ويخفضنـي، حتـى هوى بـي إلى سـدرة المنتهى، فإذا جبريـل عليه السلام أُبصره خلفـي بقلبـي، كما أبصره بعيني أمامي، فقال: أبشـر يـا محمد، فإنك خير خلـق الله، وصفوته من النبّييـن، حيّاك الله بما لـم يحيي به أحداً من خلقه،

لا نبيّاً مرسلاً، ولا ملكاً مقرّباً، ولقد بلّغك مكاناً، لم يصل إليه أحد من أهل السماوات والأرضين. فهنّأك الله كرامته، وما حباك من المنزلة الأثيرة، والكرامة الفائقة، فخذ ذلك بشكر، فإن الله منعم، يحب الشاكرين، فحمدت الله على ذلك.

ثم قال لي جبريل: يا محمد، انطلق إلى الجنة، حتى أُريك ما لك فيها، فتزداد بذلك زهادة في الدنيا إلى زهادتك، وفي الآخرة رغبة إلى رغبتك. فسرنا نهوي منقضين، أسرع من السهم والريح، حتى وصلنا، بإذن الله، إلى الجنة، فهدأت إليّ نفسي، وثاب إليّ فؤادي، وجعلت أسأل جبريل عمّا كنت رأيت في عليّين من البحور والنار والنور وغيرها. فقال: سبحان الله، تلك سواد سرادقات عرش العزة التي أحاطت به، فهي سترة الخلائق من نور العرش والحجاب، ولولا ذلك لاحترق ما تحتها من خلق الله، وما لم تره، أكثر وأعجب، فقلت: سبحان الله العظيم، ما أكثر عجائب خلقه.

وقلت: يا جبريل، ومن الملائكة الذين رأيتهم في تلك البحور وتلك الصفوف بعد الصفوف، كأنهم بنيان مرصوص؟ قال: يا رسول الله، هم الروحانيون الذين يقول الله فيهم: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا﴾ [النبأ: ٣٨].

ومنهم الروح الأعظم، ثم إسرافيل بعد ذلك.

قلت: يا جبريل، من الصف الآخر الذين في البحر الأعلى، فوق الصفوف كلها قد أحاطوا بالعرش؟ قال: هم الكروبيون أشراف الملائكة وعظمائهم، وما يجترئ أحد من الملائكة أن ينظر إلى الكروبيين، وهم أعظم شأناً من أن أطيق (أن)[١] أصفهم لك، وكفى بما رأيت منهم.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٧٣.

ثـم طـاف بـي جبريل في الجنة، بـإذن الله تعالـى، فما ترك فيهـا مكاناً إلّا رأيته، وأخبرني عنه، فرأيت القصور (٧٦) من الدرّ والياقوت والزبرجد، ورأيت الأشـجار من الذهب الأحمر، قضبانها اللؤلؤ، وعروقها الفضّة الراسـخة، فلأنا أعـرف بـكل درجة وقصر وبيت وخيمـة وثمر في الجنة من بما في مسـجدي هذا.

ورأيـت نهـراً يخـرج مـن أصلـه ماء، أشـد بياضـاً مـن اللبـن، وأحلى من العسـل، علـى رضـاض من المسـك الأذفـر، ودرّ وياقوت. فقـال جبريل: هذا الكوثـر الـذي أعطـاك الله تعالى، وهو التسـنيم، يخرج من تحـت العرش، إلى دورهـم وقصورهـم وبيوتهم وغرفهم، يمزجون به أشـربتهم من العسـل واللبن والخمر، وذلك قوله تعالى: ﴿عَيۡنَا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]. ثم انطلق يطوف بي في الجنة، حتى انتهينا إلى شـجرة، لم أرَ مثلها في الجنّة، فلما وقفت تحتها، رفعت رأسي، فلم أرَ شيئاً من خلق (الله)[١] غيرها، لعظمها، وتفرّق أغصانها، ووجدت فيها ريحاً طيّبة، لم أشم في الجنّة ريحاً أطيب منها، فقلّبتُ بصري فيها، فإذا هي ورقها حلل طرائف من ثياب الجنّة، من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر، وثمرها أمثال القلال العظام، من كل ثمرة خلق الله في السـموات والأرضين، من ألوان شـتّى، وريح شتّى، فعجبت من تلك الشجرة، وما رأيت من حسنها، قلت: وما هذه الشجرة؟ قال: هذه التي ذكرها تعالى:

ولكثير من أمتك ورهطك حسن مقيل، ونعم طويل.

ورأيـت فـي الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قلب بشـر، كل مفـروع منه معـد، ينظر به صاحبـه، أوليـاء الله ﷻ، فتعاظمني الذي رأيت، وقلت: لمثل هذا فليعمل العاملون.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٧٣.

فصل: ومن غير المعراج

وفي الجنة شجرة، يخرج من أصلها خيل من ذهب، ذوات أجنحة وأسرجة مـن ذهـب، ملجمة بالدرّ، فيركبها أولياء الله، فتطير بهم حيث يشـاؤون، فيقول الذيـن دونهـم: يا أهل الجنّة، انصفونا. ثم يقولـون: (يا رب)[١]، بما بلغ عبادك هـذه الكرامة؟ فيقول لهم (٧٧): كانوا يقومون الليل، وأنتم تنامون، ويصومون النهار، وأنتم تأكلون، وينفقون، وأنتم تبخلون، ويقاتلون، وأنتم تجبنون.

وقـال رسـول الله ﷺ: فـي الجنة قصر مـن لؤلؤ، في ذلك القصر سـبعون داراً مـن ياقوتـة حمراء في كل دار سـبعون بيتاً من زمـرّد أخضر، في كل بيت (سـبعون)[٢] سرير، على كل سرير سبعون فراشاً، من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، لكل حورية سـبعون وصيفة، عند كل وصيفة سـبعون مائدة، كل مائدة لا تشبه الأخرى، ويعطى ولي الله من القوّة ما يأتي على ذلك كلّه.

وجنـة عدن كلهـا من الياقوت الأحمـر، وجنة الفردوس مـن اللؤلؤ، ودار الجـلال من الزمرّد الأخضـر، وجنة المأوى من الذهـب الأحمر، وجنة النعيم من الفضة البيضاء، ودار السلام من درّة بيضاء، بلا علّاقة من فوقه، ولا دعامة من تحته، له سبعون مقصورة.

وفـي الجنـة نخل عروقهـا من ذهـب، وكربها مـن ذهـب، وعراجينها من ذهـب، وشـماريخها من الذهب، لها رطب مثل الدلاء، أشـدُّ بياضـاً من اللبن والفضـة، وألْيَنُ من الزبد والسـمن، وأذكى من المسـك والكافور، وأحلى من السكر والعسل.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٧٤.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٧٤.

وجنـة عدن هي بطنـان الجنان، وهي الدرجة العليا، والجنان وسـطها، قد حفّـت بهـا الجنـان، وفيها التسـنيم يجيء من معالـي الجنّة إلى بيـوت الجنان التـي حولهـا، وهي مغلقة مذ خلقها الله تعالى، حتى يدخلها النبيّون والشـهداء والصالحون.

وخلق الله الجنة، وجعل ترابها المسـك، وأرضها الفضّة، ورضراضها الدرّ والياقـوت، وجعل حيطانها لبنة من ذهـب، ولبنة من فضة، ولبنة من درّ، ولبنة مـن زمـرّد، وجعل ما بين اللبنتين المسـك الأذفـر، وغرس أشـجارها بقدرته، وقيل: في الجنة ست شجرات: واحدة لثمارهم، وخمس لحللهم، يجمع ولي الله سبعين حلّة، فيواريها بين إصبعيه.

وقـال ابن عباس: لمّا خلق الله جنّـة عدن، قال لها: تزيني، فتزينت، ثم قال لهـا: أظهري أنهـاركِ، فأظهرت السلسـبيل وعين الكافور وعين التسـنيم، ففجَر منها في الجنان أنهار الخمر، وأنهار العسل، وأنهار اللبن، وقال: أظهري سررك، وحللك، وكراسـيك، وحليك (٧٨) وحور عينك، فأظهرت، فقال لها: تكلمي، فقالت: طوبى لمن دخلني، فقال الله ﷻ: وعزّتي وجلالي، لا يدخلنكِ بخيل.

قال المؤلف: البخيل: الذي لا يؤدي ما افترض الله عليه من ماله.

وجنـة الفردوس وسـط جنة عدن كالتـاج على رأس الملـك، وفيها درجة الوسـيلة، وهي أعلى الدرجات، وهي للنبي محمد ﷺ، وفيها قصر من ذهب، يقال له عدن، وفيه أربعة آلاف باب.

ويروى أن في الجنة نهراً يقال له الجدول، تنبت على شاطئيه الحور العين كنبـات الزعفـران، ينشـقّ النبت عن حواجبهـا كالأهلّة، وأشـفار عينيها كقوادم النسـور، يغشى الشمس ضوؤها، لو أخرجت كفّها، لاقتبس به أهل السماوات والأرض.

ويروى أن في الجنة حوراء، يقال لها لعبة، خُلقت من أربعة أشياء: الزعفران الرطب، والمسك الأذفر، والعنبر الأشهب، والكافور الأبيض، وأن جميع أهل الجنّة لها عشّاق من حسنها، وجمالها وبهائها وكمالها، مكتوب على نحرها: من أراد أن يكون له مثلي، فليعمل بطاعة ربيّ. وحولها سبعون ألف وصيفة، يقلن: يا ويح المشتاقين إلينا، لو عاينونا، لصبروا على طاعة الله، ولو نشروا بالمناشير، وقرّضوا بالمقاريض، حتى يصيروا إلينا، ونصير إليهم، شعراً:

حورية ما إن لها مشبه	في الحسن والنعمة واللينِ
إن مسها الماء على لينها	جرت مع الماء على الطينِ
تزهو بوجه حسن بهج	أبهج من روض البساتينِ
تقول بالغنج لأترابها	إذا مشت في الخرّد العينِ
يا طلبي لو كنت لي طالباً	لما تشاغلت بمن دوني
يا عاشقي لو كنت لي عاشقاً	ما كنت في الأحباب تجفوني
سبحان من صورها لعبةً	وجلّ من قال لها كوني

فالحوراء قد وصفها رسول الله ﷺ، قال: خلقت من الزعفران، وعُجنت بماء الحياة، وأُلبست من اللؤلؤ والمرجان، شعرها مرصع باللؤلؤ، وهي في بياض الدرّ، وصفاء المرجان، مطهرة من الطرق والأذى، يُرى مخ ساقها من وراء ثيابها، مهفهفة، مرهفة، متوجة، دعجة، غنجة، مكحلة، مطيبة، بهية، شهيّة، لاعبة، مخدّرة، منعمة، (٧٩) راضية مرضية، ضاحكة مضحكة، خود خدلّجة، مسفرة نيّرة، لعوب كعوب، مسورّة مخلخلة، إذا خطرت في دحداح قصرها، مالت الأشجار إليها. قال لها خالقها: كوني، فكانت، وهي تنادي: نحن الخالدات، فلا نموت أبداً، نحن الناعمات فلا نبؤس أبداً، نحن الضاحكات فلا نحزن أبداً، طوبى لمن كنّا له، وكان لنا.

يـا ابن آدم، إن الحور العين لبسـها الأرجوان، وقبابهـا المرجان، وخدّامها الولدان، ومقامها الجنان، دار الأمان، أمشاطهنّ الذهب، ومجامرهنّ ومداهنهنّ اللؤلؤ، وموائدهنّ الياقوت.

ويـروى عن النبي ﷺ، أنه قال: أوحـى الله إلى جبريل عليه السلام، أن اهبط إلى الجنـة الفـردوس، فانظر ما أعددت فيها لأوليائـي، فهبط، فإذا هو بأربع قوائم: قائمـة بيضـاء، وقائمة حمراء، وقائمة خضراء، وقائمـة صفراء، وإذا في أعلاها غرفـة مـن ياقوتة حمراء، لها اثنا عشـر ألف مصراع مـن الزبرجد الأخضر، ما بيـن المصـراع إلـى المصراع اثنا عشـر ألـف ذراع، فيها ريـاح الرحمة تخفق، وأنهـار تطـرد، فبينما هم كذلـك، إذ تجلّت لهم حورية مـن الحور العين، كأن الشـمس والقمر يخرجان من جبينها، وكأن حاجبيها أجنحة النسـور، ولها اثنتا عشرة ألف ذؤابة، مرصّع شعرها بالدّر والجوهر، تمشي في الجنة باثنتي عشرة ألف مشـية، كلما مشـيت مشـية، تبدّل حليها وحللها، ومشـى عن يمينها ألف وصيفة، بأيديهن صبائر الريحان والمسـك والزعفران، وعن شمالها اثنتا عشرة ألف وصيفة بأيديهنّ الحلي والحلل. فبينما جبريل ينظر إليها، إذ ابتسـمت في وجهـه، فأضـاءت جنـة الفردوس من ضـوء ثناياها، فخرَّ جبريل سـاجداً، وهو يقول: سبحانك لا إله إلّا أنت.

وفـي الجنـة حوراء يقال لهـا العيناء، إذا أرادت أن تمشـي في الجنّة، أتت إليها سبعون ألف حورية من الحور العين، فهنَّ عن يمينها وعن شمالها يحملن أذيالها، فترفع أذيالها إلى عنقها، فتقول لها الحور العين: يا عيناء، لو رآك ولي الله، كيف كان يفعل؟ (٨٠) فتقول: كان يقتل نفسه في الدنيا.

قـال المؤلـف: معنـاه يجهـد نفسـه في العمـل والطاعـة، والانتهـاء عن المعصيـة، لا القتـل بعينـه، لأنه لو قتل أحد نفسـه، لكان من أهـل النار، لم يصل إلى عيناء.

ثم تقول: إنّا للصائمين، إنّا للقائمين، إنّا للراكعين، إنّا للساجدين، إنّا للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، إنّا لمن أطعم الطعام، إنّا لمن أفشى السلام، إنّا لمن صلى بالليل والناس نيام.

ويروى أن لوليِّ الله في جنة الفردوس قصراً من درّة بيضاء، في جوف ذلك القصر بيوت، طول كل بيت ألف ذراع، وعرضه كذلك، في ذلك البيت سبعة بيوت: الأول من الفضة، والثاني من الذهب، والثالث من اللؤلؤ، والرابع من الزمرّد، والخامس من الزبرجد، والسادس من الدّر، والسابع من النور. وأبواب البيوت من العنبر، على كل باب ألف سرير من الزعفران والكافور الأبيض، على كل سرير ألف فراش من السندس الأخضر، على كل فراش حورية خلقها الله من الطيب، من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى مفرق رأسها من الكافور الأبيض، وعلى كل واحدة منهنّ ستون ألف حلّة من حلل الجنّة، وفي أذن كل واحدة قرطان من الذهب، وشنفان من الياقوت الأحمر، إذا أقبلت على زوجها يرى الياقوتتين تضيئان من ورائها كالشمس بهية للناظرين، ولكل واحدة منهن ثلاثون ألف ذؤابة من المسك، تسحبها في تراب الجنّة، تحمل كل ذؤابة سبعون ألف وصيفة، مكتوب على جباههنَّ: هذا ثواب الله لأوليائه جزاءً بما كانوا يعملون.

ويروى عن النبي ﷺ، أنه قرأ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۞ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٥، ٥٦]. فقال لأصحابه: أتدرون ما شغل أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شغلهم افتضاض الأبكار، منهم من يفتض ثمانية آلاف بكر، ومنهم من يفتض عشرة آلاف بكر، كلٌ على قدر عمله في الدنيا.

ويروى عنه، من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه (٨١) قال: القرآن ألف ألف حرف، وسبعة وعشرون ألف حرف، من قرأه صابراً محتسباً، كان له بكل حرف زوجة من الحور العين.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يقول الله عز وجل، لوليّه: إصعد إلى منزلك، فيصعد إلى قصر من لؤلؤة بيضاء، فيتلقاه ملك، فيقول له: هذه مفاتيح قصرك، ما فتح مذ خُلق، إلى أن جئت، فيدخل إلى غرفة حمراء مبطنة بخضراء، وخضراء مبطنة بحمراء، وفيها زوجاته، وما تشتهي نفسه.

وقيل: إذا استقر بوليّ الله قراره، قال: فيا سبحان الله، ما رأيت شيئاً في الدنيا، إلّا رأيته في الجنّة، إلّا المراكب، فيؤتى بنجيبة من الدّر، فيقال له: إركب، فيركب، وإذا أهل الجنّة على مثل حاله، فيقال لهم: انطلقوا بنا إلى السوق، فيأتون إلى سوق ليس فيه بيع ولا شراء، فيه الصور، فما يأتي على صورة إلّا ودخل فيها، فيخرج، وقد ازداد حسنه وبهاؤه سبعين ضعفاً، فيرجع إلى زوجته، وقد ازدادت في الحسن سبعين ضعفاً، وتقول: الله أهدى إلي بعدك هدية حلياً وحُللاً، وألف وصيفة، كأنهن بيضٌ مكنون، وإذا على باب خيمته ألف أمرد، فيقولون: نحن قهارمتك على ضياعك، كل واحد منَا على مسيرة ألف عام.

وقيل: في جنّة عدن قصر من ذهب، حوله البروج والمروج، له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حبرة، وإن ولي الله يكون على سريره، بين سماطين من اللؤلؤ المكنون، والغلمان قيام على رأسه، عليهم أقبية الديباج، ومناطق الدرّ، مسوّرون، مخلخلون، مقرّطون، فتأتي الملائكة من عند ربّ العالمين، فيقولون للحاجب الأول: استأذن لنا على ولي الله، فيقول: أين أنا من ولي الله، ولكن أذكر للذي يليني، ويذكر للذي يليه، حتى ينتهي إلى الخاصة، فيقولون: يا ولي الله، الملائكة على الباب يستأذنون عليك، فيقول: أئذنوا لهم.

وقيل: تأتي ريح فتلقي الاستئذان في أذن ولي الله، فيأذن لهم، فيدخلون، وهم بين سماطين من الدرّ، حتى يصلوا إليه، فيقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، وعند كل ملك هدية لا تشبه الأخرى، كلما خرج ملك، دخل آخر، وتدخل عليهم ريح طيبة تنسيهم كل ريح وجدوها في الدنيا، فهم كذلك يختلفون عليهم.

ويروى أن علامة ما بينهم وبين الخدم، إذا أرادوا الطعام، أن يقولوا (٨٢) سبحانك اللهم، فإذا قالوا، علم الخدم أنهم يريدون الطعام، فيدخلون عليهم من أربعة آلاف باب بالموائد، فتوضع بين أيديهم ميلاً في ميل، فيقوم على رأس ولي الله سبعون ألف غلام، بيد كل غلام صحيفتان، واحدة من ذهب، والأخرى من فضة، في كل صحيفة لون من الطعام، لا يشبه ما في الأخرى، فيأكل مقدار أربعين عاماً، كلما شبع شرب، انهضم الطعام، فيخرج جشاء أطيب من ريح المسك، وما شرب، فيرشح عرقاً، أذكى من المسك الأذفر.

ثم تأتي الطير، كأمثال النجب، قد اصطفت بين يديه، وتكلمت بلسان طلق ذلق، تقول: يا ولي الله، كل مني، فإني رعيت في روضة كذا وكذا، فإذا اشتهى واحدة منهن، سقطت بين يديه على سبعين لوناً من ألوان الشوي والقلي والمطبوخ، فيأكل، وهي تسبح الله، فإذا شبع، نهضت سليمة كما كانت، فتقع على غصن من تلك الأغصان، وهي تفخر على الطير، فتقول: من مثلي، وقد أكل ولي الله من لحمي؟

ويروى أن ولي الله يقول للطير: أطعمني، فتطعمه من إحدى شقيه طبيخاً ليس كالطبيخ، ومن الأخرى شواءً ليس كالشوي.

وإذا اشتهى ولي الله الوقوف على البحر، والتنزه على ساحله، وهو رمل من كافور أصفر، فإذا انتهى، نظر إلى الحوت في البحر، أومأ إليه، فيأتيه وقشره

مـن الذهب والفضة، وإذا خرج للتنـزه في ميادين الجنة، على خيل من ذهب، فيصيدون من ظباها بلا شبك، ولا حبل.

وعلى رأس كل ولي تاج من ذهب، له سبعون ركناً، على كل ركن ياقوتة بيضـاء، تضيء مسـيرة ثلاثة أيـام للراكب المتعـب، وعلى جبينـه الأكاليل من الجوهـر، وعلـى ولي الله سـبعون طاقاً من سـندس واسـتبرق مختلفة الألوان. والذي يلي جسده من حرير أبيض.

وقيل: في دار ولي الله لؤلؤة مجوفة، فيها شجرة، تطلع منها الحلل، فيأخذ ولـي الله، الحلـة منظومـة بالدّر والجوهـر، محكمة بأكمامهـا وأزرارها. وقيل: أدنـى أهل الجنة منزلة، من ينظر إلى ملكه مسـيرة ألـف عام، ينظر إلى أقصاه، كما ينظر إلى أدناه، ويقوم على رأسه ثمانون ألف غلام، لو طلع أحدهم على الشمس والقمر لانكسفا من حسنهم وجمالهم، وهي صفة اللؤلؤ المكنون.

قيـل: يا رسـول الله، (٨٣) هذا الخـادم، فكيف المخدوم؟! قـال: كما بين البدر ليلة تمامه، وبين الكواكب.

وقال رسـول الله ﷺ: أهل الجنة جرد مرد، مكحلون، محبرون، مسـرورون، منعمـون مخلخلـون، يعطـى كل واحد منهم قـوة مائة رجل في الطعام والشـراب والشـهوة، ويجد لذّة شـهوته، بعـد فراغه من إنعامه مقدار أربعيـن عاماً، قد ألبس الله وجوههـم النور، وأجسـادهم الحرير، فهم بيض الألـوان، صفر الحلل، في يد كل واحد منهم عشـرة خواتم من الذهب، لكل إصبع خاتمان، مزوجون بالحور، متوجـون بتيجـان الذهب والجوهـر، على رأس كل واحد تاج مـن الجوهر، ذلك التاج أخف من الريش، له سـبعون ذؤابة، (كل ذؤابة)[1] تسـاوي ما بين المشـرق والمغـرب، وجبهتـه نـور، وذلـك قولـه تعالـى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]. يبدو ضوء الشمس من ضياء وجوههم، وفي يد كل واحد منهم ثلاثة

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٠.

أسوره: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. إما أصفر بين أبيضين، وإما أبيض بين أصفرين. وفي صدره وشاحان وطوق، وفي رجليه خلخالان.

قيل لابن عباس: كيف يعرف الرجال من النساء واللباس واحد؟ قال: الرجال عليهم التيجان، والنساء عليهن الخُمُر، إذا أقبل ولي الله ترى قرطيه يضيئان، فإذا دخل عليهم، استقبلته الحوراء من الحور العين، عليها سبعون حلّة، كل حلّة لا تشبه الأخرى، ليس فيها مفصل، إلا وعليه حلّة، يوجد ريحها من مسيرة مائة عام، من نظر وجهها، أبصر وجهه فيها، من صفاء وجهها، وإذا نظر إلى صدرها، أبصر كبدها من رقة بدنها، ويبصر مخّ ساقها من رقة عظمها وجلدها، وهي في بيت فرسخ في فرسخ، ورفعه مثل ذلك، عليه أربعة آلاف مصراع من ذهب، فيه بساط من ذهب مكلل باللؤلؤ، وقد فرش على طول البيت، وفيه سرير، عليه الفرش، وهو بمنزلة سبعين غرفة من غرف الدنيا.

فإذا اشتهى ولي الله ثمرة، طارت إليه الثمرة، حتى يأكل منها، أو يذهب به سريره، حتى يأكل منها، وهذا كلّه ثواب المتقين، الذين يتقون شرب الخمر والفواحش، وما حرّم الله.

إخواني (٨٤) اصبروا قليلاً، تستريحوا دهراً طويلاً، كي تنالوا هذه النعم الجزيلة التي لا يقدر أحد على وصفها، فإنما دنياكم هذه ماضية ذاهبة، أين الأخلّاء والأصحاب، والآباء والأمهات، والإخوة، والأخوات، والملوك، والرؤساء الأكابر؟ الذين كنتم أنتم وإياهم في عصر واحد، هل تقدرون على إحصاء من قد مات، ممن تحفظونه حياً، تمشون على وجه الأرض انتم وإياه، ممن هو أكبر منكم، وأصغر سناً، وممن ولد بعدكم، مضوا، فكأنهم ما كانوا، قدموا إلى ما قدموا، فاعتبروا بهم أيها الإخوان، فإنكم لا محالة بهم لاحقون، ولما صاروا إليه صائرون، تمرّ بكم الأيام والساعات، وتسوقكم الأنفاس والأوقات، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا، ولا يغرّنكم بالله الغرور.

رجع إلى المعراج

قال رسول الله ﷺ: «ثم عرض عليَّ النار، فنظرت إلى أغلالها، وسلاسلها، وحيّاتها، وعقاربها، وغساقها، ويحمومها، فنظرت، فإذا أنا بقوم لهم مشافر كالإبل، قد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يُجعل على أفواههم صخراً من النار، فيخرج من أسافلهم، قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً.

ثم انطلقت، فإذا أنا بقوم بطونهم كالبيوت، وهم على سابلة آل فرعون، فإذا خرج من آل فرعون صديد، فيسقونه، فتسيل بطونهم، فيقعون، فتوطأهم آل فرعون بأرجلهم، وهم يعرضون على النار، غدوّاً وعشيّاً، قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أكلة الربا، مثلهم كمثل الذي يتخبطه الشيطان من المس، ومن الربا أن يشتري الرجل مالاً أو شيئاً بالخيار، يريد به الغلة فقط، أو يدين دارهم، فيأخذ من غلة المائة كذا وكذا، لاريّة[1] على دور السنة، وللربا سبعون باباً، أدناها كناكح أمه».

فاتقوا الله، يا أهل الدراهم، لا تهلكوا أنفسكم، فإن الله قد أغناكم بالحلال عن الحرام، وجعل لكم في البيوعات أبواباً حلالاً، تأخذون منها الأرباح صافية بلا تبعة، فاتقوا الله، ثم اتقوا الله، واحذروا البيوعات الفاسدة، والمعاملات المشتبهة، ولا تهلكوا أنفسكم، فتدخلوا النار وبئس القرار، فأنتم ميّتون قريباً لا محالة، انظروا إلى من كنتم (٨٥) تحفظونهم، كم جمعوا من الأموال بالمعاملات الفاسدة، فماتوا عنها، وتركوها ميراثاً حلالاً لغيرهم، وبقي عليهم الوزر، فأدخلوا أنفسهم النار.

---

(١) اللارية: اسم عملة مثّل بها المؤلف.

واعلموا أن الأرزاق مبسوطة عليكم من الله، فتيقظوا قبل الفوات، وتداركوا أنفسكم قبل الموت، واسمعوا نصحي وعوا، فستذكرون ما أقول لكم، ومن كان معه دراهم، فليعامل بها معاملة صحيحة، أو يشتري بها سلعاً، فعسى أن يرزقه الله ربحاً حلالاً، أكثر مما يأخذ من المعاملة الفاسدة، والله ولي التوفيق.

قال رسول الله ﷺ: ثم انطلقت، فإذا بنساء معلقات بأثدائهن، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي يزنين، ويقتلن أولادهن. ثم مضينا من الجحيم.

ومن غير المعراج

وإذا سيق أهل النار إلى النار، ودنوا منها، واستقبلتهم الملائكة الغلاظ الشداد بمقامع الحديد، فإذا دخلوا النار، لم يبق منهم عضو، إلّا استقبله عذاب، إما حيّة تنهشه، أو نار تحرقه، أو ملك يضربه، فإذا ضربه الملك، هوى في النار سبعين عاماً، لا يبلغ قرارها، ثم يرفعه اللهب، فيضربه الملك، فيهوي، فهو كذلك، كلما بدا رأسه، ضربه ضربة فيهوي بها، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

قيل: إنهم يبدلون في اليوم سبعين مرّة، وقيل: سبعين ألف مرة، وإذا عطش، نادى الشراب، فيؤتى بالحميم، فإذا تناوله، سقطت أصابعه، فإذا قرّبه من وجهه، سقط لحم وجهه، ثم يدخله في فيهِ، فتسقط أضراسه ولهاته، ويدخل بطنه، فتقع أمعاءه، وينضج جلده، وذلك قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢٠، ٢١]. فيعذبون ما شاء الله، ثم يدعون خزنة جهنم، ادعوا ربكم يخفف عنّا يوماً من العذاب، فلا يجيبونهم، ثم يدعون مالكاً أربعين عاماً، فلا يجيبهم، فيقولون: قد دعونا الخزنة، ودعونا مالكاً، فلم نُجب، هلمّ بنا نجزع، فلا يغني عنهم، ثم يقولون: هلموا بنا نصبر، فيصبرون، فلا يغني عنهم، فيقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]، فهذا العذاب للكافرين. ولكن المسلم إذا جرت (٨٦) عليه المعصية، ثم تاب وندم وأقلع، يرجى له من الله أن يمن عليه، ويرحمه، والله غفور رحيم.

ويُقال: إن أدراك النار سبعة أدراك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وبعض الدراكات أسف من بعض، ما بين النار والنار خمسمائة عام، والباب الأعلى منها، يضعف عن ناركم هذه سبعين ضعفاً.

وقيل: إن نار الدنيا خُلقت من نار جهنم، وضُربت بالماء ستين مرّة، ولولا ذلك لما انتفع بها أهل الدنيا، وقيل: إذا كان يوم القيامة، تُردُّ هذه النار إلى نار جهنّم، فتستجير بالله، وتستغيث من نار جهنّم.

وقيل: إن الله أمر بالنار، فأُوقدت ألفي عام، حتى احمرّت، ثم أُوقدت ألفي عام، حتى ابيضت، ثم أوقدت ألفي عام، حتى اسودّت، فهي سوداء مظلمة. والنيران سبع: أولها جهنم، ولظى، وسقر، والحطمة، والجحيم، والسعير، والهاوية، وهي أسفل النيران.

وسميت جهنم لسعتها وغزرها وعمقها. وقيل: سُميت جهنم لأنها تجهم يوم القيامة على الخلائق، فتأكل وجوههم.

وعن النبي ﷺ، أنه قال: لجهنّم سبعة أبواب، ولكل باب منها سبعون وادياً، كل وادٍ مسيرة سبعين عاماً، لكل واد (سبعون)[1] ألف شعبة، ولكل شعبة ألف مفازة، ولكل مفازة سبعون (ألف)[2] شقٍّ، في كل شق سبعون ألف ثعبان، في كل ثعبان سبعون ألف عقرب، في كل عقرب سبعون ألف فقارة، في كل فقارة قلّة سم. فلا ينتهي الكافر والمنافق، حتى يواقع ذلك كله.

قال كعب: إن آثاما وادٍ من أودية جهنم، يجتمع فيه صديد أهل النار، فينطلق بهم، فيغمسون في ذلك الصديد حتى تنخلع مفاصلهم، فيخرجون منها، وقد جدّد الله لهم جلوداً جديدة، فيلقون في النار، وهي التي قال الله ﷻ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٣، ٤٤]. وقال: ﴿يُسْحَبُونَ ۞ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]. وقوله تعالى في نار الدنيا: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. أي جعلنا هذه النار التي في أيديكم لتذكروا بها نار جهنّم.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٤.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٨٤.

وقيـل: في جهنم وادٍ، يقال له غي، أبعدها قعراً، وأشـدّها حرّاً، وفيه بئر تسـمى الهبهـب، كلما خبت جهنـم، فتح الله تلـك (٨٧) البئر، فتسـعر منها جهنم.

وقال ابن عباس: إن اليهود يجدون في كتبهم أنّ ما بين طرفي جهنّم مسيرة أربعين ألف سنة.

وقيـل: يأمـر الله، فيؤتـى بجهنـم، فتجـيء، وهي تـدبّ على أربـع قوائم، تجرهـا ملائكة غلاظ شـداد، بسـبعين ألف زمام، حتى تقف بيـن يدي الجبار، وهي ترمي بشرر كالقصر العظيم، ولها زفير ودوي، فتخرُّ بين يدي الله ساجدة، وتقـول: يـا رب هل خلقت خلقـاً تعذبني به، فيقول: لا وعزتـي وجلالي، إنما خلقتك لأنتقم بك ممن أكل رزقي، وشـكر غيري، فتخرّ سـاجدة لله تعالى، ثم يقـال لهـا: ازفري في وجوه أعـداء الله، فتزفر، فلا يبقى ملـك مقرّب، ولا نبي مرسـل، ولا طائـر يطير بجناحيه، إلّا جثا على ركبتيـه، وتخرج منها حيّات من نار، تسمع أكلها في بني آدم، كالخيل في آجام القصب.

وعـن أبي هريرة[١]، عـن النبي ﷺ، قال: غلظ جلد الكافـر اثنان وأربعون ذراعـاً، ولـه أربعـون إهاباً، ما بين الإهابيـن ذراعان، محشـوان عقارب كأمثال البغال، وحيّات عظام، وضرسه مثل أُحد، وما بين إصبعيه مسيرة فرسخ، وشفته السفلى متدلية إلى صدره، والعليا قالصة إلى وجهه، وهم فيها كالحون.

(١) أبـو هريـرة: عبدالرحمٰن بن صخر الدوسـي الملقب بأبي هريـرة (٦٠٢ - ٦٧٩م)، صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه (٥٣٧٤) حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل من صحابـي وتابعـي، وولي إمرة المدينة مدّة، ولما صارت الخلافة إلى عمر اسـتعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولاً بالعبادة، فعزله، وكان أكثر مقامه بالمدينة، وتوفي فيها. وكان يفتي، قد جمع شيخ الإسلام تقي الدين السبكي جزءًا سمي (فتاوى أبي هريرة) ولعبد الحسين شرف الدين كتاب في سـيرته. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣٠٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٤٥٧.

ولظى، سُميت بذلك، لشدّة التهابها. وسقر، لأنها تذيب الأجساد، وتعصرها، وتلوحها وتلوح الأرواح، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٧، ٢٨]. لا تبقي لحماً ولا عظاماً إلّا أكلته. ثم يُعاد خلقاً جديداً، ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلۡبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]. مغبّرة مسودة. وسميت الحطمة لحطمها من فيها، وتدقّ الشيء بالشيء، وتبلعه، ولأنها تحطم الكافرين، وتدقهم، وتسرطهم.

وسُميت الجحيم لعظم جمرها، وهو جمر أسود ليس له نور، ولشدّة أدوارها وتوقدها وسُميت السعير، لاستعارها وتوقدها، وشدة تلهبها وتأججها، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧]، أي تأججاً، ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥]. أي تأججاً.

وسُميت الهاوية، لأن من فيها يهوي بها، فلا يبلغ قعرها، وهم فيها أبداً معذّبون، لا يستقرون ولا يجدون قراراً.

وقيل: إن النار ظاهرها من نحاس، وباطنها من رصاص، وأرضها عذاب، وسقفها سخط الله، حرّها شديد، وقعرها بعيد، وشراب أهلها الصديد، وعذابها باقٍ لا يبيد، (٨٨) فالنار من فوقهم، والنار من تحتهم، والنار من خلفهم، والنار من قدّامهم، والنار عن أيمانهم، والنار عن شمائلهم، قد أحاطت بهم، وأطبقت عليهم، فهم فيها معذبون، لا يفتر عنهم، وهم فيها مبلسون، قد اسودّت وجوههم، وصُمّت آذانهم، ونضجت جلودهم، لا تقال لهم عثرة، ولا تفرج عنهم شدّة، إذا استغاثوا لا يُغاثون، وإن دعوا لا يجابون، إلّا أن يُقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون، طعامهم الجحيم، وشرابهم الحميم، ومثواهم في العذاب الأليم، لباسهم القطران، وتغشى وجوههم النيران، فهم في الذل والهوان، لا يقضى عليهم فيموتوا، وما هم منها بمخرجين، قد وُكّلت بهم ملائكة غلاظ شداد، فيقولون لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنّا يوماً من العذاب، فيقولون لهم: أو لم تأتكم رسلكم بالبيّنات، قالوا: بلى، قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلّا في ضلال.

ثـم يدعـون مالكاً: يـا مالك، ليقضـي علينا ربك، فيجيبهم بعد ألف سـنة، إنكـم ماكثـون. ثـم يقولـون: ادعوا ربكـم، فلا أحد خيـر من ربكـم، فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]، فيقول الله مجيباً لهم: ذلك بأنه إذا دعا الله وحده كفرتم، وإن يُشرك بـه تؤمنوا، فالحكم لله العلي الكبير. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢].

فيجيبهم الله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيـم: ٤٤]. ثـم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطـر: ٣٧]. فيقـول الله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]. ثم يقولون: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، فيقـول الله لهـم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنـون: ١٠٨]. فـلا يتكلمون بعدها أبداً.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: كم جسد صحيح، ووجه صبيح، ولسان فصيح، غدا في أطباق جهنم يصيح.

أيهـا الغافـل المغـرور، بما هو فيه من شـواغل هـذه الدنيا المشـرفة على الانقضـاء، دع التفكـر فيما أنت مُرتحل عنه، واصـرف الفكر في موعدك فإنك أُخبـرت أن النار مـورد الجميع، لقوله تعالـى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]. فأنـت مـن الـورود علـى يقيـن، ومـن النجاة على شـك، فاستشـعر فـي قلبك هول ذلك الورود، فعسـاك (٨٩) تسـتعد للنجاة بالتشـمير إلى أعمالها، وتأمل حـال الخلائق، وقد قاسـوا من دواهي القيامة ما قاسـوا، فبينما هم في كروبها

وأهوالها، واقفين ينتظرون حقائق أنبيائها، وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلتهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة، تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فأيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق المخلصون من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية: أين فلان المُسَوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيّع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع الحديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩].

فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يُخلّد فيها الأسير، ويُوقد فيها السعير، فشرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، فيتمنون فيها الهلاك، وما لهم عنها من فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصي، وسُودت وجوههم من المعاصي، ينادون من أكنافها، ويضجون في أطرافها: يا مالك، قد حقَّ بنا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك، قد نضجت منا الجلود، يا مالك، أخرجنا منها، فإنا لا نعود.

فتقول الزبانية: هيهات، ولا تحين مناص، ولا أمان ولا خروج لكم من دار الهوان.

فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرّطوا في جنب الله يتأسَّفون، فيأخذون في البكاء والعويل، حتى تفرغ الدموع، فيبكون الدماء، حتى تكون وجوههم كهيئة الأخدود، لو أّجريت فيها السفن لجرت، وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والدعاء والزفير، فذلك يستروحون به، لكنهم يمنعون من ذلك، وعذاب الله لا يوصف، ولا يكيَّف، وإنما هذه تذكرة وموعظة، وكفى بالقرآن واعظاً، لمن تدبرّ آياته ووعاها.

فانظر لنفسك أيها الإنسان، فإنما الدنيا طريق تمرُّ بك على عقبة كأداء، فيستريح فيها المخفّون، ويتعب فيها المثقلون، ثم تفضي بك إلى هاتين المنزلتين اللتين مرّ ذكرهما، بما فيهما من النعيم والعذاب الأليم، فلا بدَّ لك من واحدة منهما، فحاول ما دامت فيك المكنة، والرأي عندك، والأمر لك، قبل أن يصير الرأي لغيرك، أن يكون إفضاؤك من هذه العقبة إلى دار النعيم، وتفكرّ في قوله (٩٠) تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

والوفد لا يكون إلا ركباناً. ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]. فواحد يخرج من قبره، فإذا البراق على رأسه، والحلل بين يديه، فيلبس الحلل، ويضع التاج على رأسه، ويركب والملائكة مطيفون به، يزفونه إلى جنات النعيم، لا يترك من عزّه وكرمه على الله أن يمشي إلى الجنة على قدميه، وآخر يخرج من قبره، وإذا الزبانية قد أحاطت به، وألبسته السلاسل والأغلال، والأنكال والسرابيل من القطران والعذاب والخزي والهوان، وقد أحاط به، ولا يُخلّى أن يمشي على قدميه من هوانه على ربه، بل يُسحب على وجهه إلى سواء الجحيم، فيحلّ به العذاب الأليم، نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه، الذي لا طاقة لنا به.

ثم الطامّة الكبرى، والمصيبة العظمى، الخلود في النار، إذ لو كان العذاب منقطعاً لكان الأمر أيسر، ولكن الشأن في الخلود.

قلتُ: فأي (قلب)[1] يحتمل هذا؟! وأي نفس تصير على هذا؟ والله قد هدانا الطريق، وبين لنا، وأعذر وأنذر، فلا حجّة لنا بعد ذلك، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ١ ـ ٣]، نسأل الله أن يهدينا لمرضاته، ويوفقنا لطاعته، ويختم بالخير أعمالنا، ويسدد في جميع الأمور أحوالنا، إنه سميع مجيب.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٨٨.

رجع على ذكر المعراج

قال رسـول الله ﷺ: ثم مررنا بالسـماوات منحدرين من سـماء إلى سماء، حتـى انتهينا إلى موسـى عليه السلام، فقال: ما فرض الله عليـك وعلى أمتك؟ فقلت: خمسـين صلاة. قال موسـى: أنا أعلم بالناس منك، وقد بلوت بني إسـرائيل، وعالجتهـم أشـدَّ معالجـة، وإن أمتك أضعف الأمم، فارجع إلى ربك، فاسـأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك.

قال النبي: فرجعتُ إلى سـدرة المنتهى، فخررت سـاجداً، فقلت: يا رب، فرضـت علـيّ وعلى أمتي خمسـين صلاة، ولن أسـتطيع (أن)[1] أقـوم بها أنا، ولا أُمتي، فخفف عني عشراً.

فرجعتُ إلى موسى، وقلت: خفف الله عني عشراً، فقال: إرجع إليه فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم.

قـال: فرجعـت، ولـم أزل مـا بين ربـي وموسـى، حتى ردهـا إلى خمس صلوات.

ثم قال لي موسـى: ارجع إلى ربك فاسـأله التخفيف، فقلت: قد استحيت مـن ربـي، وما أنا براجع. قـال: فنوديت إني يوم خلقت السـماوات والأرض، فرضـت (٩١) عليـك وعلى أمتك في اليوم والليلـة خمس صلوات، وما يبدل القول لدي، فقم بها أنت وأمتك، فخمس بخمسين، أجزي بالحسنة عشراً.

قـال النبي: فرضيت كل الرضى، وكان موسـى أشـدهم علـيّ حين مررت بـه، وخيرهـم لي، حين رجعـت إليه. ثم انصرفت مع صاحبـي وأخي جبريل،

(١) إضافة يقتضيها السياق.

لا يفوتني (ولا أفوته)[1]، حتى انتهى بي إلى مضجعي. وكان ذلك في ليلة واحدة من لياليكم، فأنا سيد ولد آدم، ولا فخر.

قيل: لما رجع النبي ﷺ ليلة أُسري به، وكان بذي طوى[2]، قال: «يا جبريل، أخاف أن لا يصدقوني»، قال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق.

وقال النبي ﷺ: «لمّا أصبحت بمكة قبضت بيدي، وعرفت أن الناس مكذبي».

فقعد رسول الله ﷺ، حزيناً معتزلاً، فمرَّ به أبو جهل، فأتاه، وجلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل استفدت شيئاً الليلة؟ قال: نعم، أُسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، فلم يرَ أبو جهل أن ينكره مخافة أن يمنعه الحديث، قال: أتحدّث قومك بما حدثتني؟ قال: نعم، قال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلموا، فانفضّت المجالس حتى جلسوا إليهما، قال: حدّث قومك بما حدثتني، قال: نعم، أُسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، فكانوا بين مصفّق بيديه، ورافع يده على رأسه متعجبين من الكذب، وارتدّ ناس ممن كان آمن به وصدقه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أَوَقَدْ قال؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق، لأني أصدقه بما هو أبعد من ذلك، أُصدقه بخبر السماء في غدوه أو روحه، فلذلك سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٨٨.

(٢) طوى: واد في مكة، وقال الداودي، هو الأبطح، وليس كما قال. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ص٤٥.

وكان فيهم من قد سافر إلى بيت المقدس، فقالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: نعم، فجعل ينعته لهم، حتى التبس عليه، فجيء بالمسجد بين يديه، فكان ينعته وهو ينظره، فقال القوم: أما النعت؟ فقد أصاب.

ثم قالوا: يا محمد، أخبرنا عن عيرنا، فهم أهم إلينا من قولك، هل لقيتها؟ قال: نعم، مررت على عير بني فلان، (٩٢) وهي بالروحاء، قد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، ومررت بعير فلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي مرو[١]، (ونفر بكرهما)[٢] حتى رمى بفلان، وانكسرت يده، فلما رجعا، سألوهما عن ذلك، فقالا: نعم، فكان ذلك، فقالوا: هذه آية، أخبرنا عن عيرنا، متى تجيء؟ قال: مررت بها في التنعيم[٣]، قالوا: فما عدّتها وأحمالها وهيئتها؟ قال: كنت في شغل عن ذلك، ثم مثلت له بين يديه، فقال: نعم، هيئتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورق، عليه غرارتان مخيطتان، تطلع عليكم عند طلوع الشمس، قالوا: وهذه آية.

ثم خرجوا يتنشّدون عند الثنيّة، وهم يقولون: والله لقد قصّ محمد شيئاً، وأتى بيّنة، حتى أتوا كدىً[٤] وجلسوا إليه، فجعلوا ينتظرون حتى تطلع الشمس،

---

(١) ذو مرو: والصحيح ذو المروة: وهي قرية بوادي القرى، وقيل: بين خشب ووادي القرى. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص١١٦.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٨٩.

(٣) التنعيم: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف، على فرسخين من مكة، وقيل: على أربعة، وسمي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم، والوادي نعمان؛ وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة وسقايا على طريق المدينة، ومنه يحرم المكيّون بالعمرة. قال محمد بن عبد الله النميري:

فلم تَرَ عيني مثل سرب رأيته ... خرجن من التنعيم معتمراتِ
مررن بفخّ ثم رحن عشية ... يلبّين للرحمن مؤتجراتِ
تضوّع مسكاً بطن نعمان إن مشت ... به زينب في نسوة عطراتِ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩ - ٥٠.

(٤) كُدىً: الضم والقصر، جمع كُدْية وهي صلابة تكون في الأرض، يُقالُ للحافر إذا بلغ إلى حجر =

فيـرون، أيصدق محمـد؟ أم يكذب؟ فبينما هم كذلك، إذ قال قائل منهم: والله هـذه الشـمس قد طلعت. وقال آخر: والله هذه الإبـل قد طلعت، يقدمها جمل أورق عليـه غرارتـان مخيطتـان، وفيها فلان وفلان، كما قـال محمد، فرأوا منه الصدق والحق، فلم يؤمنوا، ولم يفلحوا، وقالوا: ما سـمعنا بمثل هذا، إن هذا لسحر مبين.

وقيـل: التقـى الأخنس بن شـريك[1]، وأبو جهل بن هشـام، فقال الأخنس لأبـي جهـل: أخبرني عن محمد، أهـو صادق أم كاذب؟ فإنـه ليس هاهنا أحد يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، منذ نشـأ، ولكن إذا ذهب بنو لؤي بالسـقاية، واللواء، والحجابة، والندوة، والنبوّة، فما يكون لسائر قريش؟. فهم يصدقونه سريرة، ويكذبونه علانية، حسداً منهم، إذ خصّه الله بالفضل العظيم، وما يحسـدون إلّا أنفسـهم، وما يشـعرون، ولكن الشيطان سوَّل لهم، وأملى لهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

= لا يمكنـه معـه الحفر قد بلـغ الكدية: وهو موضع بمكـة. انظر: الحموي، ياقوت بـن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤١.

(١) الأخنس بـن شـريك: والصحيح الأخنس بن شُـريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليـف بني زهرة بن كلاب. سـمي الأخنـس، لأنـه خنـس بالقوم يـوم بدر، وإنما اسـمه أُبـيّ، وهو ابن بنـي علاج بن أبي سـلمة بن عوف بن عقبة. وكان ممن ذكرهم أبو طالب في قصيدته اللامية الشـهيرة. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٠١ - ٣٣٧.

الباب الثامن

في ذكر بيعة العقبة

فلمّـا كانت سـنة ثلاث عشـرة مـن النبـوّة، واعد رسـول الله ﷺ، رجالاً من الأنصـار عنـد العقبة، في أوسـط أيام التشـريق. قـال عمر بن كعب بـن مالك[١]: خرجنـا مع حجاج قومنـا إلى مكة، ومعنا أبو جابر عبدالله بن حزام[٢]، سـيّد من سـاداتنا، وكنـا نكتـم أمرنا على مـن عندنا (٩٣) من مشـركي قومنـا، دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه أنّا واعدنا رسول الله ﷺ، فأسلم، وشهد معنا العقبة. فبتنا تلك الليلـة فـي رحالنا، حتى إذا مضى من الليل ثلثاه، خرجنا إلى الميعاد مسـتخفين، نتسلَّل واحداً واحداً، وكنّا ثلاثة وسبعين رجلاً، ومعنا امرأتان: سمية بنت كعب[٣]

---

(١) عمر بـن كعب بـن مالك: والصحيـح معد بن كعب بن مالـك. وجاءت الرواية عند ابن إسـحاق كما يأتـي: قال ابن إسـحاق: حدثني معد بن كعب أن أخاه عبدالله بـن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج، وأوعدنا رسـول الله ﷺ العقبة من أوسـط أيام التشريق. قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، سـيد من سـاداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا... انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٨٣.

(٢) عبدالله بـن حـزم: والصحيح عبدالله بـن عمرو بن حرام: وهـو عبدالله بن عمرو بـن حرام بن ثعلبة، أبو جابـر الأنصاري الخزرجي السـلمي، صحابي مـن أجلائهم. وكان أحد النقباء الاثني عشـر الذين بايعوا الرسـول ﷺ، وشـهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشـهد بدراً وأحداً، واستشهد سنة ٣هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١١١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) سمية بنت كعب: والصحيح نسيبة بنت كعب. وهي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بـن غنم بن مازن، وهي أم عُمارة، وكانت شـهدت الحرب مع رسـول الله ﷺ، وشـهدت معها أختها. وزوجها هو زيد بن عاصم بن كعب، وابناها حبيب بن زيد وعبدالله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مسـيلمة الكذاب الحنفي، صاحب اليمامة، فجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول: أفتشـهد أني رسـول الله؟ فيقول: لا أسمع، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٠٩ ـ ١١٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠.

أم عمار(١) بن ياسـر(٢)، وأسـماء بنت عمر بن معدي(٣)، فاجتمعنا بالشـعب ننتظر رسول الله ﷺ، فجاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلّا أنه أحب أن يواثق لابن أخيه. فلما جلسـنا، قال العباس: إنكم تعلمون منزلة محمـد عندنـا، وقد منعنـاه من قومنا، ممن هـو على ديننا، فهو فـي عزّ من قومه ومنعـه فـي بلده، وإنه قد أبى إلّا الانقطاع إليكـم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكـم وافون لـه بما دعوتموه إليه، ومانعـوه ممن يخالفه، فأنتـم وما تحملتم من ذلـك، وإن كنتـم ترون أنكم لا تقدرون على منعـه بعد خروجه إليكم، فمن الآن دعوه، فهو في عزّ ومنعه من قومه وبلده.

قـال كعـب: قـد سـمعنا ما قلـت، فتكلم يا رسـول الله ﷺ، وخذ لنفسـك ولربـك من الشـرط مـا أحببت. فتكلم رسـول الله، وتلا القـرآن، ودعا إلى الله تعالـى، ورغّب في الإسـلام، ثم قـال: «أُبايعكم علـى أن تمنعوني مما تمنعون

(١) هي نسيبة بنت كعب وليست سمية، وبالتالي ليست أم ياسر كما ذكر المؤلف.

(٢) عمار بـن ياسـر: (٥٧ ق.هـ ـ ٣٧هـ/ ٥٦٧ ـ ٦٥٧م): عمار بـن ياسـر بن عامـر الكنانـي المذحجي العنسـي القحطاني، أبو اليقظان، صحابي من الولاة الشـجعان ذوي الرأي، وهو أحد السباقين إلى الإسلام والجهرية. هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان، كان النبي ﷺ يلقبه (الطيب المطيّب). وفي الحديث: «ما خُيّر عمار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما. وهو أول من بنى مسـجداً في الإسـلام (بناه في المدينة وسماه قباء) وولاه عمر الكوفة، فأقام زمناً، وعزله عنها. وشـهد الجمل وصفين مع علي، وقتل في صفين سـنة ٣٧هـ، وعمره ثلاث وتسـعون سنة، له ٦٢ حديثـاً، وضع عبد الله السـبيني كتاباً في سـيرته اسـمه (عمار بن ياسـر). انظر: ابـن الأثير، علي بن محمـد: أسـد الغابـة فـي معرفـة الصحابـة، ج٤، ص١٢٢ ـ ١٢٨. وانظـر: الزركلـي، خيـر الدين: الأعلام، ج ، ص٣٦.

(٣) أسماء بنت عمر بن معدي: والصحيح أسماء بنت عمرو بن عدي: وهي أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سـواد بن غنم بن كعب بن سـلمة، أم منيع الأنصارية السلمية. من المبايعات تحت العقبة، وهي ابنة عمّة معاذ بن جبل. روى عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، وكان ممن شـهد العقبـة، وبايع رسـول الله ﷺ، وذكـر قصة البيعة، فقال: واجتمعنا بالشـعب عنـد العقبة، ونحن سـبعون رجلاً وامرأتان: نسـيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بنـي سـلمة، وهـي أم منيـع. انظر: ابن الأثيـر، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفـة الصحابة، ج٧، ص١٤.

منه نساءكم وأنفسكم وأبناءكم». فأخذ بيده البراء[١]، وقال: والذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع منه أُزرنا، يعني محال الأُزر، وهو كناية عن النساء.

قال: فبايعنا رسول الله، ونحن أهل الحرب والسلاح، ورثناها كابراً عن كابر، فعرض في الحديث الهيثم بن التيهان[٢]، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين اليهود حبالاً، ونحن قاطعوها، فهل عسيت إن فعلنا ذلك، وأظهرك الله، أن ترجع إلى قومك، وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله ﷺ، فقال: «**بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم مني، وأنا منكم، أُحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم**».

وقالوا له: الشرط لنا عليك، أن تكون في بلدنا حيّاً وميّتاً، قال: نعم، وقال: «**أخرجوا منكم إثني عشر رجلاً يكونون نقباء على قومهم**»، فأخرجوا (٩٤) تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، فقال رسول الله: «**أنتم كفلاء على قومكم بما أُخذ عليكم**»، قالوا: نعم فما لنا بذلك يا رسول الله؟ قال: **لكم الجنّة**.

(١) البراء: البراء بن معرور بن صخر الخزرجي الأنصاري: صحابي من القراء المقدمين، شهد العقبة، وكان أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار. وهو أول من تكلم منهم ليلة العقبة حين لقي السبعون من الأنصار رسول الله ﷺ، وبايعوه، وأول من مات من النقباء. توفي قبل الهجرة بشهر واحد. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٥٧. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٤٧.

(٢) الهيثم بن التيهان: والصحيح أبو الهيثم بن التيهان: وهو مالك بن التيهان بن مالك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر، أبو الهيثم، البلوي، من بلي بن الحاف بن قضاعة، حليف بني عبد الأشهل، شهد بيعتي العقبة الأولى والثانية، وكان أحد الستة الذين لقوا قبل ذلك رسول الله ﷺ بالعقبة. قيل: إنه أول من بايع النبي ﷺ ليلة العقبة، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. وتوفي في خلافة عمر سنة عشرين أو إحدى وعشرين، وقيل: بل قتل يوم صفين مع علي سنة سبع وثلاثين. وقيل: بل بقي حتى مات بعدها بيسير. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص٩٨. والزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٥٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١٢ ـ ١٤.

قالوا: ربح البيع فلا نقيل، ولا نستقيل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]. فجميع المؤمنين داخلون في هذه الآية.

ومرّ إعرابي، والنبي يقرأ هذه الآية، فقال: كلام من هذا؟ قال النبي: **كلام الله**، قال الأعرابي: بيع والله مربح، لا نقيله ولا نستقيله، فخرج الأعرابي إلى الغزو، فاستشهد. وأنشد أبو علي الكوفي[1]، شعراً:

من يشتري قبة في العدن عالية ... في ظل طوبى رفيعات مبانيها
دلّالها المصطفى والله بائعها ... ممن أراد وجبريل مناديها

ثم قالوا: يا رسول الله، ابسط يدك، فبسط رسول الله ﷺ يده، فبايعوه، على أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئاً.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**انفضّوا إلى رحالكم**». قال: فانفضضنا، فلما أصبحنا، عدّت علينا قريش في منازلنا، وقالوا: يا معشر الخزرج، إنا قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا، لتستخرجوه من بين أظهرنا، وتبايعوه على حربنا، والله ما مرّ حي من العرب أبغض من أن ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم، فانبعث مشركوا قومنا هنالك يحلفون لهم، ما كان من هذا شيء، وما علمناه، وقد صدقوا، إذ هم لم يعلموا، ونحن ينظر بعضنا إلى بعض.

(١) أبو علي الكوفي: هو أحمد بن محمد بن عمار، أبو علي، فاضل إمامي، عارف بالحديث والأصول، من أهل الكوفة، من كتبه: «أخبار آباء النبي ﷺ» و«إيمان أبي طالب» وكتاب «الممدوحون والمذمومون» و«المبيضة» وهم الفرق التي خالفت بني العباس في البيعة والرأي، وكان شعارها لبس البياض خلافاً للعباسيين المعروفين بالمسودة. توفي أبو علي الكوفي سنة ٢٣٦هـ. انظر: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ج٣، ص١٤٠.

ثـم إن قريشـاً أتـوا عبدالله بن أُبي بن سـلول[١]، فذكروا له ما سـمعوا من أصحابـه، فقـال: إن هذا الأمر لجسـيم، ومـا كان أصحابي ليتقوّلـوا عليَّ بمثل هذا، وما علمته، فانصرفوا عنه، وقال كعب بن مالك[٢] أبياتاً يذكر فيها النقباء، وهي هذه:

فأبلـغ أبا سـفيان أن قـد أضاءنا ... بأحمد نور من هدى الله سـاطعُ

ودونك فاعلـم أن نقض عهودنا ... أبـاه المـلا منـا الذيـن تبايعـوا

أباه بـن عمـرو والبـراء كلاهما ... وأسـعد يأباه عليك ورافعُ(٩٥)

وسـعد أبـاه السـاعديُّ ومنـذر ... لأنفـك إن حاولت ذلـك جادعُ

ومـا ابن الربيع إن تناولت عقده ... بمسـلمة لا يطمعـنْ ثَـمَّ طامـعُ

وأيضـاً فلا يعطيكم ابـن رواحة ... وإحقـاره مـن دونـه السـمّ ناقعُ

وفاءً بـه والخزرجي ابن صامت ... بمندوحـة عمّـا تحـاول واسـعُ

وأيضـاً فـلا يعطيكم بـن رواحة ... وإحقـاره مـن دونـه السـمُّ نافعُ

أبـو هيثـم أيضـاً وفـيّ بمثلهـا ... صبور لما أعطى من الحق جامعُ

ومـا ابن حضير إن أريد بمطمع ... فهل أنت عن إحموقة الغيّ نازعُ

(١) عبدالله بن أبي سلول: عبدالله بن أُبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب المشهور بابن سـلول، وسـلول جدّته لأبيه من خزاعة: رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج فـي آخـر جاهليتهم. وأظهر الإسـلام بعد وقعة بدر تقيّة. ولما تهيأ النبـي ﷺ لوقعة أُحُد، انخزل ابن أُبي وكان معـه ثلاثمائـة رجـل، فعاد بهم إلى المدينـة. وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبـوك. وكان كلما حلت بالمسـلمين نازلة شـمت بهم، وكلما سـمع بسيئة نشـرها وله في ذلك أخبار، ولما مات تقدم النبي ﷺ، فصلـى عليـه، ولم يكن ذلك مـن رأي عمر، فنزلت الآية: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم ...﴾. وكان عملاقاً يركـب الفرس، فتخبط إبهاماه في الأرض. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٦٥.

(٢) كعب بن مالك: كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري السلمي الخزرجي: صحابي، من أكابر الشـعراء. من أهل المدينة. اشـتهر في الجاهلية. وكان في الإسـلام من شعراء النبي ﷺ، وشهد أكثر الوقائـع. ثـم كان مـن أصحاب عثمان، وأنجده يـوم الثورة، وحرّض الأنصار علـى نصرته. ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي، فلم يشـهد حروبه. وعمي في آخر عمره، وعاش سـبعاً وسـبعين سـنة. له ديـوان شـعر مطبوع جمعه سـامي العاني في بغـداد. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤٦١ ـ ٤٦٢. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٢٩.

وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه خـؤون لما تنوي من الأمر مانعُ
أولاك نجـوم أسـعد يهتـدي بها ونجمك نحسٌ في دجى الليل طالعُ[1]

وجملة من شهد العقبة من الأوس: أحد عشر رجلاً، من الخزرج: من بني النجار، اثنا عشـر رجلاً، ومن بني الحارث بن الخزرج سـبعة رجال، ومن بني عوف بـن الخزرج سـتة رجال، ومن بني الجشـم بن الخزرج خمسـة وثلاثون رجـلًا، ومن بني سـاعدة بن كعب بـن الخزرج رجلان، فذلك ثلاثة وسـبعون رجلاً، وامرأتان. وقال حسان بن ثابت:

كـذب امرؤ أضحـى يعـد قبيلة نصـرت بأجمعهـا النبـي سـوانا
فسـل البريـة هـل أجبنـا ربّنـا ورسـوله للحـق حيـن دعانـا
مـا ضرّنـا أن البريـة كلهـا جهدت لتدرك في الحروب ذرانا
ولـرب مغتبـط بحسـن بلائنـا لـو يسـتطيع عـن الهـدى لثنانـا
نحـن الذين سـروا بمكـة بعدما نـام الرقيـب فزاننـا مسـرانا
مشـيا علـى خـوف فلم نـرَ مثله حتـى عقدنـا للنبـي وثيقـة
عقـد العهـود ببيعـة محفوظـة وكفـى بنا فضلاً علـى من غيرنا
مشـياً يعـد أبـر مـن ممشـانا فيمـا أحـب ومثلهـا أعطانـا
ألّا تـرى فينـا لـه خوّانـا حـب النبـي محمـد إيانـا[2]

ثـم إن النبي أمر أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا، وأقام النبي ﷺ بمكـة، ينتظـر أن يُـؤذن لـه في الهجـرة، ولم يتخلـف معه أحد بمكـة إلّا أُخذ وحبـس، وفتـن عـن دينـه، وهاجر جميـع المؤمنيـن، إلا علي بن أبـي طالب، وأبو بكر رضي الله عنه.

(١) انظر القصيدة في: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية ج٢، ص٨٧-٨٨، مع اختلاف في بعض الألفاظ. وفي القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص١٥٥.
(٢) انظر القصيدة في: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص١٥٧.

وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن النبي في الهجرة، وهو يقول (٩٦) له: «لا تعجل، لعلّ الله يجعل لك صاحباً».

ثم إن أبا بكر خرج من مكة، يريد أرض الحبشة مهاجراً، حتى إذا بلغ ترك العماد[(١)]، لقي ابن الدغنّة[(٢)]، وهو سّيد القادة، فقال له: إلى أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي، أريد أن أسيح في الأرض، أعبد ربي، فقال ابن الدغنّة: إن مثلك لا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٍ، فارجع، فاعبد ربك ببلدك.

فرجع أبو بكر، وارتحل معه ابن الدغنّة، فطاف عشيته في أشراف قريش، فقال: إن أبا بكر مثله لا يخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، ووفى ابن الدغنّة لأبي بكر بالذمة، فلبث أبو بكر يعبد ربه في داره، ولا يشتغل بغير صلاته وقراءته، ثم بدا له، فبنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فيزدحمن عليه نساء المشركين، وأبناؤهم يتعجّبون، وينظرون إليه، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ، فغاظ من ذلك أشراف قريش، فأرسلوا إلى أبي الدغنّة، وقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في بيته، فقد تجاوز ذلك، وبنى مسجداً بفناء داره، فأعلن فيه بالصلاة والقراءة، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على عبادة ربه سرّاً فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك، فاسأله، فليرد عليك جوارك، فإنا كرهنا أن نخفرك في ذمتك، ولسنا مقرين أبا بكر على الاستعلان في بلدنا.

---

(١) ترك العماد: موضع بعينه قرب مكة في ديار بني سليم، يسكنه بنو صبيحة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص١٤٩.

(٢) ابن الدُغنّة: هو أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا جميعاً، فسموا الأحابيش (لأنهم تحالفوا في أسفل مكة يقال له وادي الأحبش) وكان ابن الدُغنّة سيد الأحابيش. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٢.

فأتى ابن الدغنّة إلى أبي بكر، فقال له: قد علمت ما عاقدتك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد عليّ جواري. فقال أبو بكر: إنّي أردّ إليك ذمتك وجوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله.

ثم إن أبا بكر تجهّز، يريد المدينة، فقال له النبي ﷺ: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على النبي ﷺ، حتى أُمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة. وكان قد رأى في المنام أنه قد هاجر من مكة إلى أرض ذات نخل، فقال: ظننت أنها اليمامة(١)، أو هجر، فإذا هي المدينة، فأمره الله بالهجرة إليها، وهو (٩٧) ابن ثلاث وخمسين سنة، وقد هاجر قبل هجرته جماعة من المسلمين.

(١) اليمامة: اليمامة اسم إقليم في نجد، وقاعدتها هجر، وتسمى اليمامة جوّاً والعروض بفتح العين، وكان اسمها قديماً جَوّاً، فسميت باليمامة بنت سهم بن طسم، قال أهل السير: كانت منازل طسم وجديس باليمامة. وقال الكسائي: اليمام من الحمام البري، التي تكون في البيوت والحمام البرّي. وقال الأصمعي: اليمام ضرب من الحمام البري. كان فتح اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في السنة الثانية عشرة للهجرة، وفتحها خالد بن الوليد، حيث دخل في معركة طاحنة مع جيش مسيلمة الكذاب من بني حنيفة، وقتل مسيلمة في هذه المعركة على يد وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص ٤٤١ - ٤٤٢. وابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢١٨ - ٢٢٤.



الباب التاسع

في ذكر هجرة النبي ﷺ، من مكة إلى المدينة

قيـل: لمّـا رأى المشـركون ظهـور النبـي ﷺ، والمؤمنون يـزدادون عنده، اجتمع أشراف قريش للتشاور في دار الندوة[١]، فقال بعضهم لبعض: إن محمداً يزعم أنكم إن بايعتموه، كنتم ملوك العرب والعجم، وإذا متّم، بُعثتم إلى جنات أحسـن مـن جنات الأرض، وإن لـم تبايعوه، كان لكم منه ذبـح، ثم بُعثتم بعد موتكم إلى النار تُحرقون بها.

فبينما هم كذلك، إذ دخل عليهم إبليس، لعنه الله، في صورة شيخ، قالوا: من أنت أيها الشـيخ؟ قال: شـيخ من أهل نجد، سمع باجتماعكم، فحضركم، ليسمع ما تقولون، عسى أن لا يعدمكم رأي شيخ.

ثـم ذكروا شـأن محمد، فقـال بعضهـم: إن هذا الرجل قـد كان من أمره ما كان، وإنـا والله لا نأمنـه على الوثوب علينا بمن معـه، فأجمعوا فيه على رأي. فقال هشام بن عروة[٢]: أوثقوه بالحديد، وأغلقوا عليه، ثم تربصوا به ما أصاب

(١) دار الندوة: دار اتخذها قصي بن كلاب بعدما تيمّنت قريش بأمره، كان باب دار الندوة في المسـجد، وفيهـا كانـت قريش تقضي أمورها، وبعد مـوت قصي أصبحت دار الندوة لبنـي عبد الدار، ثم لولده، حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشـم بن عبد مناف بن عبد الدار لمعاوية، فجعلها دار الإمارة بمكة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢١ - ٢٣.

(٢) هشام بن عروة: بعد المراجعة والتدقيق في مصادر التاريخ الإسلامي الرئيسية وبخاصة السيرة النبوية وتاريخ الطبري تبيّن أن الذين اجتمعوا من أشراف قريش في دار الندوة للتشاور في أمر الرسول ﷺ هـم: مـن بنـي عبد شـمس: عتبة بن ربيعة، وشـيبة بن ربيعة، وأبو سـفيان صخر بن حـرب. ومن بني نوفل بـن عبـد منـاف: طعيمة بـن عـدي، وجبير بـن مطعـم، والحارث بـن عامر بن نوفـل. ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة. ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسـود بن المطلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل هشـام. ومن بني سهم: نبيـه ومنبـه ابنـا الحجاج. ومن بني جمح: أمية بن خلف. ولم يرد ذكر هشـام بن عروة، والقول الذي =

من قبله، كزهير، والنابغة[1]، من الموت. فقال الشيخ: والله لو حبستموه، لخرج إلى أصحابه، وانتزعوه من أيديكم.

فقال أبو البختري: نخرجه من بين أظهرنا، وننفيه من بلدنا. فقال الشيخ النجدي: ما هذا لكم برأي، ألا ترون إلى حسن منطقه، وحلاوة حديثه، وغلبته على قلوب الرجال، بما يأتي به؟ فوالله، لو فعلتم ذلك، ما أمنتُ عليكم أن يأتي إلى حيّ من العرب، فيغلب عليهم بحسن حديثه، فيبايعوه، ثم يسير بهم عليكم، فيطأكم بهم.

فقال أبو جهل[2]: والله إن لي فيه لرأياً، وهو أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابّاً نجداً جلداً، فنعطي كل واحد منهم سيفاً صارماً، فيعمدون إليه، ويضربونه

= نسبه إليه مؤلف المخطوطة منسوب إلى: وقال قائل منهم. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٥٥. والطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٢٤٣.

(١) النابغة: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان عمرو بن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظياً عند النعمان بن المنذر، وحتى شبّب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة، ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في ديوان مطبوع. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمراً طويلاً. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٤.

(٢) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشدّ الناس عداوة للنبي ﷺ، وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية. قال صاحب عيون الأخبار: سوّدت قريش أبا جهل لم يطرّ شاربه، فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام وكان يقال له «أبو الحكم» فدعاه المسلمون «أبا جهل» سأله الأخنس بن شريق الثقفي، وكانا قد سمعا شيئاً من القرآن: ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه... والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدّقه، واستمر في عناده يثير الناس على النبي ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم، والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، وكان من قتلاها سنة ٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٨٧.

ضربة رجل واحد، فيقتلونه، فنستريح منه، ويتفرّق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، ويرضون بالعقل، فنعقله لهم جميعاً.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قال هذا الرجل، وهو الرأي عندي، فاجتمع القوم كلهم على ذلك.

فأتى جبريل عليه السلام، إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما كان من اجتماعهم، وقال له: لا تبيتنّ الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، وأمره بالهجرة إلى المدينة.

فلما كانت العتمة، اجتمع القوم على بابه، وترصدوا له، حتى ينام، فيبيّتونه، فلما رأى النبي مكانهم، قال لعلي: نم على فراشي الليلة، واتشح ببردي الحضرمي (٩٨) الأخضر، فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه. فبات عليٌّ تلك الليلة على فراش النبي.

وخرج النبي إلى أبي بكر، فقال له: قد أُذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: نعم، فعمدا إلى الغار[١]، وكان خروجهما ليلة الاثنين، لثلاث بقين من شهر صفر، وقيل: لأربع خلون من ربيع الأول.

ويروى أن أبا بكر قال لعائشة: لو رأيتني ورسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ صعدنا إلى الغار، وقدما رسول الله تقطران دماً، وأما قدماي (فعادا)[٢] كأنهما صنوان، وكان أبو بكر يمشي تارة قدّام النبي، فيذكر الطلب من خلفهما، فيمشي خلفه، ثم يذكر الرصد، فيمشي قدّامه، شفقة على النبي منه، حتى انتهيا إلى الغار، فقال أبو بكر: دعني أدخل قبلك، التمس الغار إن كان فيه شيء، فدخل أبو بكر

(١) الغار: مغارة في الجبل كأنه سَرَبٌ، والغار المذكور هنا هو غار ثور الذي لجأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصدّيق أثناء الهجرة، وهو غار بجبل ثور بمكة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص١٨٢.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٩٥.

إلى الغار، ثم خرج، وصعد فوق سطحه، فجعل يرزن برجليه، يستوثق منه، ثم نـزل، ودخل هو والنبي، فكان أبو بكـر كلما رأى حجراً في الغار، ألقمه قطعة مـن ثوبـه، حتى قطع جميـع ثوبه، وبقي حجر واحد، فسـدّه بعقبـه، وكان فيه حيّة، فلسعته، فرقاها له النبي ﷺ.

فلما أصبحا، قال له النبي ﷺ[1]: **أين ثوبك يا أبا بكر؟!** فأخبره بما صنع، فقال النبي صلوات الله عليه وسلامه: **اللهم، اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة**، فأوحى الله إليه، إن الله قد استجاب دعائك.

ثـم دعـا النبـي شـجرة كانت قريبـاً من الغـار على بـاب الغـار، فبعث الله حمامتيـن، فباضتـا علـى باب الغار، ونسـج العنكبوت على بـاب الغار. وقيل: لذلك نهى النبي ﷺ، عن قتل العنكبوت، وقال: هي جند من جنود الله. وجعل الجزاء في الحمام.

وبات المشـركون يحرسـون علياً على فراش النبي ﷺ، فلما أصبح، ثاروا عليـه، فقالوا: أيـن صاحبك؟ قال: لا أدري. فاقتفوا أثـره، حتى أتوا إلى الغار، فظنّوه قديماً، لما رأوا عليه من نسج العنكبوت، وبيض الحمام، ونبت الشجرة، فقالـوا: إنه لو دخل الغار لانكسـر بيض الحمام، ولا نقشـع نسـج العنكبوت، وأثـره قـد انتهى إلى هاهنا. فإما أنه سـاخ فـي الأرض، أو صعد إلى السـماء، وبقوا متحيّرين، لا يدرون أين ذهب.

وأمـر أبو جهـل مناديـاً ينادي فـي مكة أعلاها وأسـفلها: من جـاء بمحمد وصاحبه، أو دَلَّ عليهما، أو جاء بأحدهما، فله مائة من الإبل. فأقبل فتيان من قريـش يطلبونهما، فقـال أبو بكر للنبي: لو نظر أحد منهم إلى قدمه لرآنا، فقال النبـي: يا أبا بكر ما ظنك باثنيـن الله ثالثهما، فأنزل الله (٩٩): ﴿إِلَّا تَنصُـرُوهُ

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٩٦.

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فمكثا في الغار ثلاثة أيام، يبيت معهما عبدالله بن أبي بكر[(١)]، وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، ويصبحُ عند قريش كالبايت معهم، فلا يسمع أمراً يُكادان به إلّا وعاه، وأخبرهما به، ويأتي إليهما حين يختلط الظلام، ويأتيهما بطعامهما عامر بن فهيرة[(٢)]، بغلس، فيغبق بهما.

ثم استأجرا رجلاً من بني الدئل، وهو على دين كفار قريش، يدلهما على الطريق.

قالت عائشة رضي الله عنها، لما أراد النبي وأبو بكر الخروج إلى المدينة، جهزناهما أحسن الجهاز، ووضعنا لهما سفرة في جُراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر من نطاقها، فسدّت به فم الجراب، فمن ذلك سميت ذات النطاقين، واحتمل أبو بكر جميع ماله، وكان خمسة آلاف درهم، وقيل: ستة آلاف درهم، وكان أبو بكر قد علف راحلتين، كانتا عنده، ورق (السدر)[(٣)]، وهو «الخبط» أربعة

(١) عبدالله بن أبي بكر: عبدالله بن أبي بكر الصديق عبدالله بن عثمان التيمي القرشي: صحابي. من العقلاء الشجعان. أسلم قديماً، وكان يحمل الطعام وأخبار قريش إلى النبي ﷺ وأبي بكر: إذ هما في الغار. وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف، وأصيب يوم الطائف بسهم، فلم يؤذه في حينه، وانتفض عليه بعد ذلك، فتوفي بعلته، له شعر، اشتهرت منه أبيات في زوجته «عاتكة» أوردها ابن حجر في الإصابة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٩٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٨٨.

(٢) عامر بن فهيرة: عامر بن فهيرة التيمي، مولى أبي بكر الصديق، يقال: أصله من الأزد. ويقال: من عنز بن وائل. استُرقّ في الجاهلية، فاشتراه أبو بكر الصديق، فأعتقه، وهو من السباقين إلى الإسلام، وممن كان يُعذَّبُ من أجل إسلامه، وكان رفيق أبي بكر في الهجرة. ثم شهد بدراً وأحداً، واستشهد في بئر معونة. انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٥، ص٨٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٣٤.

(٣) «سمر» في النسخة الأصلية ب، ص٩٧.

أشهر، فأخذ الرجل الدئلي الراحلتين، فأتاهما بغار ثور، فركبا، وأردف أبو بكر خادمه عامر بن فهيرة، ليخدمهما في الطريق.

قال أبو بكر: فأدلجنا، فحثثنا يومنا وليلتنا، حتى قام قائم الظهيرة، فضربت ببصري، هل أرى ظلّاً نأوي إليه؟ فإذا أنا بصخرة، فاهوينا إليها، فسويت بقية ظلها لرسول الله ﷺ، وفرشت له فروة، وقلت اضطجع يا رسول الله، فاضطجع، فخرجت (أنظر)[1] هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنا براعي غنم، قلت: لمن أنت؟ قال: لرجل من قريش، فسماه لي، فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فاعتقل شاة، فأمرته، فنفض من ضرعها التراب، وأمرته، فنفض كفيه من الغبار، ومعي إداوة على فمها خرقة، فحلب لي كثيفة من الغنم، فصببت الماء على القدح، حتى يبرد أسفله، فأتيت رسول الله ﷺ، وقلت: إشرب يا رسول الله. فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل.

فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم إلّا سراقة بن مالك ابن جعشم[2]، على فرس، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، قال: لا تحزن، إن الله معنا، حتى إذا دنا منّا، وكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين. فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، (١٠٠) وبكيت، فقال: لِمَ تبكي؟ فقلت: والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك، فدعا رسول الله ﷺ، على سراقة، وقال: اللهم اكفنا شرّه بما شئت. فساخت قوائم فرسه إلى بطنها

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٩٧.

(٢) سراقة بن مالك بن جعشم: سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أبو سفيان، صحابي، له شعر. كان ينزل قديداً. له في كتب الحديث تسعة عشر حديثاً، وكان في الجاهلية قائفاً، أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر الرسول ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤١٢، وانظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٨٠.

في أرض صلدة، فنزل عنها، وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادعِ الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لاعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي، فخذ منها ما شئت، وإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا، فخذ منها حاجتك، فقال النبي: لا حاجة لي فيها. فدعا له، فانطلق، ورجع إلى أصحابه.

قال سراقة: وكان كفار قريش جعلوا لمن يأتي بمحمد وصاحبه مائة من الإبل، وقد كنت في مجلس من مجالس قومي، إذ أقبل رجل منهم، فقال: إني رأيت سواداً بالساحل، أظنه محمداً وصاحبه، فعرفت أنه هما، فقلت: ليسا هما، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، انطلقا بأغنامنا. قال سراقة: وقد عرض رسول الله ﷺ رمحه عليه، لئلا يعرف من البعد.

ثم إن النبي ﷺ، سار هو وأصحابه، أبو بكر ومولاه عامر ودليلهم عبدالله بن الأريقط[1]، فمروا على خيمة أم معبد الخزاعية[2]، وكانت برزة جلدة تختبئ بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً، يشترون من عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرطون مسنتون، فقالت: والله لو كان عندنا (شيء)[3] ما أعوزكم القرى.

(١) عبدالله بن الأُريقط: والصحيح عبدالله بن أرقط، وهو دليل رسول الله ﷺ وصاحبه أثناء الهجرة، حيث سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل عُسفان، ثم سلك بهما أسفل أمج، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخرّار ثم سلك بهما ثنيّة المرة ثم سلك بهما لقفاً. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٣٦.

(٢) أم معبد الخزاعية: هي عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة، أم معبد الخزاعية، ويقال عاتكة بنت خالد بن خُليف. وهي التي نزل عليها رسول الله ﷺ في خيمتها حين خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً، وذلك الموضع يدعى إلى اليوم خيمة أم معبد. انظر: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٨٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٨٦.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٩٨.

فنظر رسـول الله ﷺ، في كسـر الخيمة، فقال: ما هذه الشاه يا أم معبد؟ فقالت: شاه خلفها الجهد عن الغنم. قال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد مـن ذلك. قـال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي وأمي، إن رأيت بها لبنـاً، فاحلبها. فدعاها رسـول الله ﷺ، ومسـح بيده الكريمـة على ضرعها، وسـمّى الله، ودعا لها الله في شـاتها، فتفاحت عليه، ودرّت، واجترّت ودعا بإنـاء تربـض الرهط، أي تـروي الجماعة، فحلب فيها ثجـاً حتى ملأها، ثم سقى أم معبد حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب هو آخرهم، ثـم حلـب فيـه ثانيـاً حتـى امتـلأ، وتركـه لهـا، وبايعهـا على الإسـلام، وارتحـلوا عنها.

فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد، يسـوق أغناماً عجافاً، تساوكن (١٠١) هـزالاً، فلمـا رأى أبو معبـد اللبـن، عجـب، وقـال: من أيـن لك هذا اللبـن يا أم معبد، والشـاه عازب حيـال، ولا حلوبة بالبيـت؟ قالت: لا والله، مـر بنـا رجل مبـارك، من حاله كذا وكذا، قـال: صفيهِ لي يـا أم معبد، قالت: (رأيت)[1] رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، ربعة، بعيد ما بين المنكبين، أبيض في اللون، مشـرّب بحمرّة، يبلغ شعره شحمة أذنيه، لم يبلغ الشـيب في رأسه ولحيته، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة التمام، معتدل، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سـما، وعـلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسـنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، واسـع الجبين، أزج الحواجب في غير قرن، أقنى الأنف، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، بيـن كتفيـه خاتم النبوّة، يقـول واصفه: لم أرَ قبله ولا بعـده، له رفقاء يحفّون به، إن قال، أنصتوا لقوله، وإن أمر، تبادروا لأمره، محفود محسود، لا عابس ولا منفر.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٩٨.

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وقيل: أصبح بمكة صوت عال، يسمعونه، ولا يدرون من صاحبه، ينشده هذه الأبيات:

جزا الله رب العرش خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي أم معبدِ
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمدِ
فيالقصيٍّ ما زوى عنكم به ... من فخارٍ لا يباري وسؤددِ
لِيَهنَ بني كعب مقام فنائهم ... ومقعدها للعالمين بمرصدِ
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاة حائل فتحلّبت ... بدرٍ صريح ضرة الشاة مزبدِ
فغادرها وهناً كحالب لقحة ... ترددها في مصدر ثم موردِ
لِيَهنَ أبا بكر سعادة جدّه ... بصحبته من يسعد الله يسعدِ[(١)]

وبقيت الشاة التي حلبها رسول الله ﷺ، عندها، (تحلبها)[(٢)] صبوحاً وغبوقاً، إلى زمن عمر بن الخطاب، إلى سنة ثماني عشرة من الهجرة.

ولقيهم في طريقهم، بريدة بن الحصيب[(٣)] في سبعين راكباً في أهل بيته، ثم قال النبي: من أنت؟ قال بريدة (١٠٢): فالتفت النبي إلى أبي بكر، وقال

---

(١) انظر الأبيات في: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٠٦. وانظر الأبيات في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتحقيق عبدالرحمٰن البرقوتي، دار الأندلس، بيروت، لبنان ١٩٦٦م، ص١٤٢-١٤٣. وقد ردّ حسان بن ثابت يجاوب الهاتف قائلاً:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيّهم ... وقدّس من يسري إليهم ويفتدي
ترحّل عن قوم فضلت عقولهم ... وحلّ على قوم بنور مجددِ
هداهم به بعد الضلالة ربّهم ... وأرشدهم من يتبع الحقّ يرشدِ

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٩٩.

(٣) بريدة بن الحصيب: بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي: من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه. وسكن =

برد الأمر وصَلَح. ثم قال النبي للرجل: ممن أنت؟ قال: من أسلم، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: سلمنا، قال النبي: ومن أي حيّ؟ قال: من بني سهم، قال: إخرج سهمك، قال بريدة: ومن أنت؟ قال: أنا محمد رسول الله، قال بريدة: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله. فأسلم بريدة، وأسلم من كان معه جميعاً، فلما أصبح، قال بريدة للنبي: لا تدخل إلّا ومعك لواء، فجعل بريدة عمامته في رمح، وشدّها، ومشى بين يدي النبي ﷺ، وقال: يا نبي الله، تنزل معي؟ فقال النبي: إن ناقتي مأمورة، فقال بريدة: الحمد لله، أسلم بنو سهم طائعين، غير مكرهين.

ثم إنهم لقوا الزبير في ركب من المسلمين، قافلين من الشام تجاراً، فكساهم الزبير ثياباً بيضاء.

قيل: وأقبل رسول الله إلى المدينة مردفاً أبا بكر رضي الله عنه، وأبو بكر شيخ يعرف، والنبي ﷺ، شاب لا يعرف، فيتلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الذي يهديني السبيل، فَيُحْسَبُ أنه يعني الطريق، وهو يعني سبيل الخير.

= المدينة. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها. له ١٦٧ حديثاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٣٦٧ ـ ٣٧٠، وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٥٠.



الباب العاشر

في ذكر قدوم النبي ﷺ، إلى المدينة

روي عـن عروة[(١)]، عن عائشـة رضي الله عنها، أنها قالت: جمع المسـلمون بمخرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم مـن مكـة، وكانوا يعمـدون كل يـوم إلـى الحـرّة[(٢)]، ينتظرونه، حتـى يردّهم حـرّ الظهيرة. فأقبلوا يوماً، بعدما أطالـوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهـم، وصعـد رجل مـن اليهود على أطم مـن آطام المدينة لأمـر ينظر إليه، فبصر برسـول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابــه لابسـين البياض، يزول بهم الســراب، فلم يتمــالـك اليهودي أن صاح بأعلى صوته: يا معشـر العـرب، هذا جدكم الذي تنتظرونه. وثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله بظهر الحـرّة، فعــدل بهــم ذات اليميـن، حتـــى نـزل فــي بني عمرو بـــن عوف[(٣)]، وهــم أهــل

(١) عروة: عروة بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي: شـاعر، من رجال الفتوح في صدر الإسـلام، عاش مدّة في الجاهلية، وشهد مع أبيه بعض حروبها. وأسلم، ويقال: إنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم. ثم عاش إلى خلافة علي، وشـهد معه صفين. قال البلاذري: كتب عمر بن الخطاب إلى عمار بن ياسـر، وهو عامله على الكوفـة، بعـد شـهرين من وقعة نهاوند سـنة ٢١هـ، يأمـره أن يبعث عروة بن زيد الخيـل الطائي إلى الري ودستبي في ثمانية آلاف، ففعل، وسار عروة إلى من هناك، فجمعت الديلم، وأمدهم أهل الري فقتلوه، فأظهره الله عليهم واجتاحهم، وذهب إلى عمر، فأخبره بالفتح، فسماه البشير. وكان ممن شهد وقعة القادسية، ويشير إلى ذلك بقوله من أبيات:

بـرزت لأهـل القادسـية معلمـاً ... مـا كل مـن يغشـى الكريهـة يعلـم

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦.

(٢) الحرّة: هي حرّة واقم، إحدى حرتي المدينة، وهي الشـرقية، سـميت برجل من العماليق اسـمه واقم. وقيل: واقم اسم أطم من آطام المدينة إليه تضاف الحرّة. وفي هذه الحرّة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ. قال محمد بن بحرة الساعدي:

فـإن تقتلونـا يـوم حـرّة واقـمٍ ... فنحـن علـى الإسـلام أول مـن قتـل
ونـحـن تـركـنـاكـم بـبـدر أذلـةً ... وأُبـنـا بأسياف لنا منكم نفل

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٩.

(٣) عمرو بـن عـوف: عمرو بن عوف بن الخزرج بـن حارثة، من الأزد، مـن القحطانية: جدّ جاهلي، =

قبــاء[١]، فنزل على كلثوم بن الهدم[٢]، وقيل: نزل على سعيد بن خيثمة[٣]، وكان عزبـاً، لا أهـل له، وقيل: تنـازع القوم، أيهم ينزل عليهـم النبي ﷺ، فقال ﷺ: أنزل الليلة على بني النجار، أخوال بني عبد المطلب، لأكرمهم، فإذا أصبحت، غدوت حيث أُمرت.

وكان قدومه يوم الاثنين (١٠٣) نصف النهار، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

وأقـام رسـول الله فـي قبـاء، فـي بنـي عمرو بـن عـوف الاثنيـن والثلاثاء والأربعاء والخميس، وقيل: بضعة عشـر يوماً، وأسس مسجدهم، وخرج عنهم يوم الجمعة، فجمع في بني سالم، فكانت أول جمعة جمعها (في الإسلام)[٤]، وخطب في بني سالم بن عوف[٥]، هذه الخطبة:

= كان لـه مـن الولد «عوف» ومنه سـلالته، وهي بطـون. انظر: الزركلي، خير الديـن: الأعلام، ج٥، ص ٨٢.

(١) قبـاء: وهـي قريـة علـى ميلين من المدينـة المنـورة على يسـار القاصد إلى مكـة، بها أثر بنيـان كثير، وهناك مسجد التقوى، وقيل: إنه مسجد رسول الله ﷺ. وإليها ينسب عدد كبير من أهل العلم. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) كلثوم بـن الهـدم: كلثوم بـن الهدم بـن امرئ القيس بـن زيد بن عبيد بـن زيد بـن مالك بن عوف بن عمرو بـن عوف بـن مالك بـن الأوس الأنصـاري الأوسـي. كان يسـكن قبـاء، ويعـرف بصاحـب رسول الله ﷺ، وكان شيخاً كبيراً. أسلم قبل وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة، وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ بقباء. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

(٣) سـعيد بن خيثمـة: والصحيح سـعد بن خيثمة بـن الحارث بن مالك بن كعب بـن النحّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السّـلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري. صحابي، أحد النقباء الاثني عشر بالعقبة. يقال: إن رسول الله ﷺ نزل عنده بعد هجرته إلى المدينة. وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة «بيـت الأعـزاب». حضر غزوة بدر الكبرى واستشـهد فيها سـنة ٢هـ. انظر: ابن هشـام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ص ٨٧، ١٣٨. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٨٤.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٠١.

(٥) سـالم بن عـوف: سـالم بن عوف بـن عمرو بـن عوف بن الخـزرج: جدّ جاهلـي. من بنيـه مالك بن العجلان، سيد الأنصار، وعدة من الصحابة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٧٢.

«الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأستغفره، وأستهديه، وأُومن به، ولا أكفره، وأُعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وإني عبده ورسوله، أرسلني بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلّة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو الساعة، وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله، فقد رشد، ومن عصى الله ورسوله، فقد غوى وفرّط، وضلَّ ضلالاً بعيداً.

أوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضّه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك (ذكرا)[1]، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تتقون به من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية، ولا ينوي بذلك، إلّا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرءُ إلى ما قدّم، وما كان من هوى ذلك ليودُّ أن لو كان بينه وبين ذلك أمدٌ بعيدٌ، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩]، فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السرّ والعلانية، فإنه من يتقّ ِ الله، يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتّقِ الله، فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله يوقّي مقته وعقوبته وسخطه، تبيضّ به الوجوه، ويرضي الرّب، ويرفع الدرجة. خذوا بحظّكم، ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، وانهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا، ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم، وسماكم المسلمين من قبل، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من يحيى عن بيّنة، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم،

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٠١.

فأكثروا ذكر الله، واعلموا أنه خير من الدنيا وما فيها، واعملوا لما بعد الموت، فإن من (١٠٤) يصلح ما بينه وبين الله، يكفه ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي الحق على الناس، ولا يقضون عليه، ويملك من الناس، ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم».

ثم ركب رسول الله ﷺ ناقته، وأرخى لها الزمام، فلا يمرّ بدور من دور الأنصار، إلّا دعاه أهلها إلى النزول معهم، ويقولون له: هلم إلى العدد والعدّة والمنعة. ويقول لهم: خلّوا زمامها، فإنها مأمورة، حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، وبركت على باب المسجد، (وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار)[١]، في حجر معاذ بن عفراء[٢]، أو أسعد بن زرارة، فلم ينزل رسول الله ﷺ، عنها، ثم وثبت، وسارت غير بعيد، ورسول الله واضع لها زمامها، لا يثنيها، ثم التفتت إلى خلفها، فرجعت إلى مبركها الأول، فبركت فيه، ووضعت جرانها، ونزل رسول الله ﷺ، عنها، فاحتمل أبو أيوب[٣]، رحله،

(١) ورد في الأصل: (وهو يومئذٍ في يد العلاء بن يمين، من بني عبد النجار) والصحيح ما أثبتناه في النص، والمربد: هو الموضع الذي يجفف فيه التمر. واليتيمان هما: سهل، وسهيل ابنا رافع بن عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. وقد شهد سهل بدراً والمشاهد كلها، ومات في خلافة عمر. ولم يشهد سهيل بدراً، وشهد غيرها، ومات قبل أخيه سهيل. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٤٠.

(٢) معاذ بن عفراء: هو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، يعرف بابن عفراء وهي أمه، وهي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة من بني غنم بن النجار. صحابي من الأنصار، وهو الذي سأله النبي ﷺ لدى هجرته إلى المدينة عن أصحاب المربد الذي بركت عنده ناقة الرسول ﷺ، فأجابه بأنه لغلامين يتيمين من بني النجار وفي حجره وهما سهل وسهيل، وقال له: سأرضيهما منه، فأمر رسول الله ﷺ بهدم المربد وأمر أن يبنى مكانه مسجد. وعمل فيه رسول الله ﷺ. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٤٠ - ١٤١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١٩٠ ـ ١٩٢.

(٣) أبو أيوب: أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، من بني النجار، صحابي، شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق، وسائر المشاهد. وكان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد. عاش إلى أيام بني أمية، وكان يسكن المدينة، فرحل إلى الشام. ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية، =

ووضعه في بيته، فدعت الأنصار رسول الله إلى النزول معهم، فقال: المرء عند رحله. فنزل عند أبي أيوب خالد بن زيد، فسأله عن المنزل، لمن هو، فأخبره معاذ، وقال: هو ليتيمين عندي. فدعاهما رسول الله ﷺ، فاشتراه منهما، وبناه مسجداً، فكان ينقل معهم اللبن في بنيانه، وهو يقول: اللهم إن الأجر أجر الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة».

ثم إن عبد الله بن الأريقط، رجع من المدينة إلى مكة، فأخبر عبد الله بن أبي بكر بمكان أبيه، فخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبيه إلى المدينة، وصحبهم طلحة بن عبيد الله، ومعهم أم رومان، وهي أم عائشة، وعبد الرحمٰن، حتى قدموا المدينة، وبعث رسول الله ﷺ، إلى علي بن أبي طالب، وأتى رافع، ليخرجا بأهله سودة بنت زمعة، وبناته، فخرجا بهم، حتى بلغا المدينة، فبنى رسول الله ﷺ بعائشة، في شهر شوال، وهي بنت تسع سنين، ومكثت معه تسع سنين.

وفي هذه السنة، زيدت صلاة الحضر، وأُقرّت صلاة السفر ركعتين، إلّا المغرب، فإنها ثلاث في الحضر والسفر، وكذلك الفجر، ركعتان في الحضر والسفر.

وفي هذه السنة، آخا النبي ﷺ، (١٠٥) بين المهاجرين والأنصار، على الحق والمساواة، يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً وثلاثمائة رجل، نصف من المهاجرين، ونصف من الأنصار، وكان ذلك قبل بدر، ثم أنزل الله ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦] فنسخت ما كان قبلها، ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثة أرحامه.

= صحبه أبو أيوب غازياً، فحضر الوقائع ومرض، فأوصى أن يوغل به في أرض العدو، فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٩٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١٢١ ـ ١٢٣.

وفي هذه السنة، مات البراء، وهو أول من تكلم ليلة العقبة، مات قبل قدوم النبي بشهر، فلما قدم رسول الله ﷺ، صلى عليه، ودعا له، وهو أول من مات من النقباء.

وفيها مات أسعد بن زرارة، وهو من النقباء، مات قبل أن يتم بناء المسجد، ودفن بالبقيع[١]، وهو أول من دفن به على قول الأنصار، وأما المهاجرون، يقولون: أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون. فلما مات أسعد بن زرارة، جاء بنو النجار إلى النبي ﷺ، وقالوا: مات نقيبنا، فنقّب علينا. فقال: أنا نقيبكم.

وفيها مات كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث، وكان كبير السن شريفاً في قومه، أسلم قبل قدوم النبي بقليل.

ومات فيها من المشركين: العاص بن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة بمكة. قيل: لمّا حضرت الوليد الوفاة جزع، فقال له أبو جهل: ما يجزعك؟

قال: والله ما بي جزع من الموت، ولكن أخاف أن يظهر دين أبي كبشة بمكة، فقال أبو سفيان[٢]: لا تخف أنا ضامن لك أن لا يظهر.

وفي هذه السنة، أسلم عبد الله بن سلام[٣]، وكان حبراً من أحبار اليهود،

(١) البقيع: بقيع الفرقد، أصل البقيع في اللغة: هو الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سمي بقيع الفرقد، والفرقد: كبار العوسج، وهو مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٤٧٣.

(٢) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابي من سادات قريش في الجاهلية. وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره. قاد قريشاً وكنانة يوم أُحد ويوم الخندق لقتال رسول الله ﷺ، واسلم يوم فتح مكة سنة ٨هـ. شهد حنيناً والطائف، ففقئت عينه يوم الطائف، ثم فقئت الأخرى يوم اليرموك، فعمي. ولما توفي رسول الله كان أبو سفيان عامله في نجران. ثم أتى الشام، وتوفي بالمدينة، وقيل بالشام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٠١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٩ ـ ١٠.

(٣) عبد الله بن سلام: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف: صحابي، قيل: إنه من =

وقد قرأ الكتب والتوراة والإنجيل، ووجد صفة النبي ﷺ، فلما قدم النبي أتاه، وقال: إني أسألك عن مسائل، إن أنبأتني عنها صدقتك، وآمنت بك. فسأله عن ألف مسألة وخمسمائة مسألة، فأجابه النبي عنها، فآمن به، ودخل في الإسلام. ومسائله موجودة مشروحة، تركتها خوف الإطالة.

وفي هذه السنة، أسلم سلمان الفارسي[(١)]. روي عن ابن عباس، قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصفهان[(٢)] من قرية، يقال

= نسل يوسف بن يعقوب، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. وفيه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾. «ومن عنده علم الكتاب»، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفاً من خشب، واعتزلها. وأقام بالمدينة إلى أن مات. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٩٠.

(١) سلمان الفارسي: سلمان الفارسي، صحابي: من مقدميهم. كان يسمى سلمان الإسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمراً طويلاً، واختلفوا في ما كان يسمى به في بلاده، وقالوا: نشأ في قرية جيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بني كلب، فاستخدموه، ثم استعبدوه، وباعوه، فاشتراه رجل من قريظة، فجاء به إلى المدينة. وعلم سلمان بخبر الإسلام، فقصد النبي ﷺ بقباء، وسمع كلامه ولازمه أياماً. وأبى أن «يتحرر» بالإسلام، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه، فأظهر إسلامه، وكان قوي الجسم صحيح الرأي، عالماً بالشرائع وغيرها. وهو الذي دلّ المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب، حتى اختلف عليه المهاجرون والأنصار، كلاهما يقول: سلمان منّا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منّا آل البيت». وسئل عنه عليّ فقال: امرؤ منّا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم الأول والآخر، وكان بحراً لا ينزف. وجعل أميراً على المدائن، فأقام فيها حتى توفي. وكان إذا خرج عطاؤه تصدّق به. ينسج الخوص ويأكل خبز الشعير من كسب يده. به في كتب الحديث ٦٠ حديثاً. «ولابن بابوية القمي كتاب «أخبار سلمان وزهده وفضائله»ومثله للجلودي. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ١١١ - ١١٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٥١٠ ـ ٥١٥.

(٢) أصفهان: أو أصبهان مدينة عظيمة مشهورة، سميت بأصبهان بن فلّوج بن لنطي بن يونان بن يافث، وقال ابن الكلبي: سميت بأصبهان بن فلّوج بن سام بن نوح عليه السلام، ومعناها بالفارسية بلاد الفرسان. وقالوا: ولم يكن يحمل لواء ملوك الفرس من آل ساسان إلّا أهل أصبهان. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٢٠٦ - ٢٠٧.

لها آجي، وكان أبي دهقان[١] قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، أجلسني في بيته، كما تجلس الجارية، واجتهدت في المجوسية[٢]، حتى كنت قاطن النار[٣] التي يوقدونها، حتى لا أتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فأرسلني في ضيعته، وقال لي: لا تحتبس عليَّ، فمررت بكنيسة النصارى، فسمعت أصواتهم، وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمرهم (١٠٦) فوالله ما تركتهم، حتى غربت الشمس، ولم آتِ الضيعة، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ فقالوا: بالشام، فرجعت إلى أبي، فأخبرته الخبر، فقال: يا بني، ليس في ذلك الدين خير، ودينك ودين آبائك خير منه. فقلت: كلّا، إنه خير من ديننا، فخافني، وقيّدني، وحبسني في بيته، فبعثت إلى النصارى، إذا قدم عليهم ركب من الشام، فليخبروني.

فلما قدم عليهم ركب الشام من النصارى، أرسلوا إليَّ، فلما قضى الركب حوائجهم، وأرادوا الرجوع، ألقيت الحديد من رجلي، وخرجت معهم، حتى قدمت الشام، فسألت عن أفاضل أهل هذا الدين، فدللت على رجل في كنيسة، فجئته، وقلت له: إني رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك، أخدمك، وأتعلم منك، وأصلّي معك. فقال: إدخل، فدخلت معهم.

(١) دهقان: الدهقان شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض، يُلجأ إليه في معرفة ذلك. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٨٨.

(٢) المجوسية: عقيدة فارس القديمة ودينها الأول، ويقول المجوس بأصلين اثنين مدبّرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور والثاني الظلمة، وبالفارسية: يزدان وأهرمن، ولهم في ذلك تفصيل مذهب، وسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين إحداهما: بيان سبب النور بالظلمة، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ الخلاص. وزعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة، ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها، أمن النور حدثت والنور لا يحدث شرّاً جزئياً، فكيف يحدث أصل الشرّ، أم شيء آخر؟ ولا شيء يشترك النور في الإحداث والقدم. وبهذا يظهر خيط المجوس. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري علي بن محمد: الفصل في الملل والنحل، ج٢، ص٧٢-٧٣.

(٣) قاطن النار: خادمها الذي يخدمها ويمنعها من أن تخبو، لتعظيمهم إياها. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٢٩.

وكان يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فأتوا إليه شيئاً من الصدقة، وأمروه أن يتصدق بها عنهم، فكنزه لنفسه، ولم يعطه الفقراء والمساكين، فبغضته بغضاً شديداً.

فلما مات، اجتمعت النصارى ليدفنوه، أخبرتهم بفعله، فقالوا: وما علمك بذلك؟ فقلت: أنا أدلّكم على كنزه، فأريتهم موضعه، فاستخرجوه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها، قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه، ثم رموه بالحجارة.

ثم جاؤوا برجل آخر، فجعلوه مكانه، فرأيته رجلاً زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، فأحببته حُبّاً شديداً، فأقمتُ معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: إلى من توصي بي، وبما تأمرني، فأشار إلى رجل بالموصل[1]، فلحقت به، فكنت عنده، ووجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، أوصى بي إلى رجل بنصيبين، فسرت إليه، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل، فما لبث أن مات، وأمرني أن آتي رجلاً بعمورية[2]، فلحقت به، فوجدته

---

(١) الموصل: المدينة المشهورة العظيمة، سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات، وقيل: إن الملك الذي أحدثها اسمه الموصل، وهي مدينة قديمة الأُس على طرف نهر دجلة. فيها قبر النبي جرجيس. إليها ينسب عدد كبير من العلماء. قال السري بن أحمد الرفاء الشاعر الموصلي يشوّقها:

سقى ربي الموصل الفيحاء من بلد ... جود من المزن يحكي جود أهليها
أو أندب العيش فيها أم أنوح على ... أيامها أم أعزّي في لياليها
أرض يحن إليها من يفارقها ... ويحمد العيش فيها من يدانيها

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) عمورية: مدينة ببلاد الروم، سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، وهي تلك التي فتحها المعتصم سنة ٢٢٣هـ، وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصّة طويلة. وقد ذكرها أبو تمام، فقال:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنى حُفّلاً معسولة الحلب

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص١٥٨.

خيـر رجل على أمر أصحابه، فاكتسـبت، حتى حصلت لـي بقيرات وغنيمات، ثم نزل به الموت، فقلت له: من توصي بي؟ فقال: والله لا أعلم أحداً على ما كنّـا عليـه، أمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلـك زمان نبي، يبعث على دين إبراهيم، صلـوات الله عليه، يخرج بأرض العرب، مهاجـره إلى أرض بين حرّتين، ذات نخل، وبه علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل (١٠٧) الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوّة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلد، فافعل.

قال: فمكثت بعمورية ما شاء الله، ثم مرّ بي نفر من كلب تّجار، فأعطيتهم بقيراتـي وغنيماتـي، ليحملونـي إلـى أرض العرب، فحملوني، حتـى إذا قدموا بـي وادي القـرى[١]، ظلمونـي، وباعوني على رجل من اليهـود، فمكثت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد التي وصفها صاحبي.

فبينمـا أنـا عنده، إذ قـدم علينا ابن عم له من بني قريظة[٢]، فاشـتراني منه، وحملني إلى المدينة، فعرفتها بصفة صاحبي، وبعث الله رسـول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، لم أسمع له بذكر، حتى هاجر إلى المدينة، فوالله إني أحمل على رأسـي عذقاً لسـيدي، وهو جالس، إذا أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه، فقال:

---

(١) وادي القرى: وهو وادٍ بين المدينة المنورة والشام من أعمال المدينة كثير القرى فتحها النبي ﷺ سنة سبع عنوة، ثم صولحوا على الجزية، أجلى عمر يهودها فيمن أجلى، فقسمها بين من قاتل عليها. قال جميل:

ألا ليـت شـعري هـل أبيتـن ليلـة ... بـوادي القـرى إنـي إذاً لسـعيد
وهـل أريـن جمـلاً بـه وهـي أيّـمٌ ... ومـا رثّ مـن حبـل الوصـال جديـد

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٥.

(٢) بنـو قريظـة: قـوم من اليهـود كانوا يسـكنون يثرب قبل الإسـلام، والتي سـميت المدينـة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها سنة ٦٢٢م. وفي غزوة الخندق أعان بنو قريظة المشركين ضدّ الرسول ﷺ، فحاصرهـم لمـدّة خمس عشـرة ليلة، ثم نزلوا على حكمه، فحكم فيهم سـعد بن معاذ الأوسـي بقتل من جرت عليه المواسـي، وبسـبي النسـاء والذرية، وأن يقسم مالهم بين المسـلمين. انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٥٩م، ص٣٤ - ٣٥.

قاتـل الله بنـي قيلة[١]، يعني الأنصار، والله إنهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قـدم عليهـم اليوم من مكة، يزعمـون أنه نبي. قال: فلما سـمعت تلك الكلمة، أخذتنـي الرعـدة، فنزلت عـن النخلة، فقلت: ماذا يقول؟ حتى غضب سـيدي، وكلمني كلمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟!

وقـد كان عنـدي شـيء جمعتـه، فلمـا أمسـيت، أخذتـه، وذهبـت بـه إلى رسـول الله ﷺ، وهو بقباء، فدخلتُ عليه، وقلت: إنه بلغني أنك رجل صالح، ولـك أصحاب معك غرباء، ذوو حاجة، وهذا شـيء عنـدي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، وقرّبته إليه، فقال لأصحابه: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة من العلامات، ثم انصرفت، فجمعت شيئاً.

ثـم تحول رسـول الله ﷺ من قباء إلـى المدينة، فمضيت إليـه، وقلت له: هـذه هديـة أكرمتك بها، فـأكل منها، وأمر أصحابه، فأكلوا، فقلت في نفسـي: وهـذه أيضاً علامة، فمضت اثنتان. وروي أن الطعام الذي أهداه سـلمان خبز ولحم.

قال: ثم جئته وهو ببقيع الفرقد، وقد تبع جنازة رجل من أصحابه، فسلمت عليـه وهـو جالس، ثم اسـتدرت إلـى ظهره، هـل أرى الخاتم؟ فكأنـه علم ما أردت، فكشـف رداءه عـن ظهره، فرأيـت الخاتم، فعرفتـه، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي: تحوَّل، فتحولـت، فقصصت عليه ما جرى عليَّ، من أوله إلى آخره. فأعجب ذلك رسول الله ﷺ، أن يسمع أصحابه.

---

(١) قيلة: هي قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سـعد بن زيد بن ليث بن سـود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، أم الأوس والخزرج. قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج:

بهاليـل مـن أولاد قيلـة لـم يجـد ... عليهـم خليـط فـي مخالطـة عتبـا
مساميح أبطـال يراحـون للنـدى ... يـرون عليهـم فعـل آبائهـم نحبـا

انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

ثم شغلني الرقّ حتى فاتتني بدر[١]، ثم قال رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، (١٠٨) فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة، أفسلها له واسقيها، وأعملها حتى تثمر، فقال رسـول الله ﷺ، أعينوا أخاكم، فأعانوني، فمنهم من أعانني بثلاثين صرمة، ومنهم بعشـرين صرمة، ومنهم بخمس عشـرة، ومنهم بعشـر، كل على قـدر مـا عنده، حتـى اجتمعت إليّ ثلاثمائـة صرمة، فقال النبـي ﷺ: إذهب يا سـلمان، فاحفر لهـا، فإذا حفرت، فأتني، أضعها بيـدي، فذهبت، فحفرت لها، حيث أمرني صاحبي، وذلك بدار البقيرة.

ثـم أتيت النبي ﷺ، فسـار عندي، فجعلنا نقـرب إليه الصرم، ويضع بيده، فـوالله مـا ماتت منها صرمة، وأثمرت في حولهـا. فأديتها إلى صاحبي، وبقيت علـيّ أربعون أوقية، كنـت كاتبته عليها مع النخل، فأتى رسـول الله ﷺ، بمثل بيضة دجاجة ذهباً، من بعض المغازي، فدعاني، وقال: خذ هذه فأدِّ ما عليك، فقلت: وأين تقع هذه يا رسـول الله مما عليَّ؟ قال: خذها فإن الله سـيؤدي بها عنك. فأخذتها، فوزنت له منها أربعين أوقية، وعُتقت.

وشـهدت مع رسـول الله ﷺ، الخندق[٢]، ثـم لم يفتني معه مشـهد، وأمر رسول الله ﷺ أن أُكسى، فكساني أبو بكر رضي الله عنه، ثوبه.

---

(١) بدر: بدر ماء مشـهور بين مكة والمدينة، أسـفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار، وهو ساحل البحر، ويقال: إنه ينتسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وبه سميت قريش، وابنه بدر بن قريش، وبه سـميت بدر التي كانت بها الواقعة المباركة، لأنه كان احتفرها، وبهذا الماء كانت الوقعة المشـهورة التـي أظهـر الله تعالـى بهـا الإسـلام، وكان لهـا أثرهـا في نفـوس العرب جميعـاً. انظـر: الحموي، ياقوت بـن عبـد الله: معجـم البلـدان، ج١، ص٣٥٧ - ٣٥٨. وابن الأثير: الكامل فـي التاريخ، ج٢، ص١٤ - ٣٣.

(٢) الخندق: يوم الخندق هو اليوم الذي وقعت فيه غزوة الأحزاب سنة ٥هـ، حين قدمت قريش لمهاجمة المدينة المنورة بعشـرة آلاف نزلوا في مجمع الأسـيال من رومة، فأمر رسـول الله ﷺ بحفر الخندق شـمالي المدينـة، لأن الجهـات الأخـرى كانت محصنة. وهزم الله المشـركين في هـذه الغزوة، بعدما تفرقت كلمتهم. انظر لتوسعة المادة: حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج١، ص٩٦ - ١٠٠.

وقيـل: إن أبا بكر اشـترى سـلمان، فأعتقه، وقيـل: أعتقتهُ امـرأة، يقال لها خليسة[١]، وأسلمت، فكافأها رسول الله ﷺ بأن غرس لها ثلاثمائة فسيلة.

وروي أن سـلمان عاش ثلاثمائة سنة، ومات بالمدائن[٢]، وقيل: رجع إلى أصفهان، أي في زمن عمر بن الخطاب ﵁. وكان له أخ بشيراز[٣]، وله نسل هناك، وله بنت بأصفهان، وبنتان بمصر، وابن يقال له كثير، والله أعلم.

وقيل: إن أئمة أهل المغرب وهم الرستميون من نسل سلمان، والله أعلم.

وفي هذه السـنة، أمر رسـول الله ﷺ حسـان بن ثابـت الأنصاري، وهو أحد بني النجار، وهو شاعر النبي، أن ينافح عنه، وعن أصحابه، فكان شعره على قريش كوقع السـيوف، وفي نسـخة أشـد من وقع السيوف، وذلك أنه لمّا هاجر النبي وأصحابه، تناولته شعراء قريش بالهجاء، وتناولت الأنصار، فمشـت إليه رجال الأنصار، فقالوا: يا رسـول الله، إن قريشاً أغرت بك وبنا

(١) خليسـة: خليسـة، مـولاة سـلمان الفارسـي. لهـا ذكـر فـي قصـة إسـلام سـلمان، رواه أبو سـلمة بن عبدالرحمٰن، عن سـلمان الفارسـي، وذكر قصّة إسلامه، قال: «فمرّ بي أعراب من كلب، فاحتملوني، حتى أتوا بي يثرب، فاشـترتني امرأة يقال لها: «خليسـة بنت فلان» حليف بني النجار بثلاثمائة درهم، قال: فمكثت معها سـتة عشـر شـهراً حتى قدم محمد ﷺ المدينة، قال: «فأتيته». وذكر إسـلامه فقال: «فأرسـل إليها النبي ﷺ علي بن أبي طالب يقول لها: إما أن تعتقي سـلمان وإما أن أعتقه. وكانت قد أسـلمت، فقالت: قل للنبي: إن شـئت أعتقته، وإن شـئت فهو لك. قال رسـول الله ﷺ، اعتقيه أنتِ. فأعتقته، قال: فغرس لها رسـول الله ﷺ ثلاثمائة فسـيلة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ٨٧.

(٢) المدائن: مدينة قديمة في العراق بناها كسرى أنوشروان بن قباذ، وأقام بها هو ومن كان معه من ملوك بني ساسـان إلى أيام عمر بن الخطاب، ويقال: إن أول من اختط مدينة في هذا الموضع أردشـير بن بابك. وكان فتح المدائن على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦هـ. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص ٧٤ – ٧٥.

(٣) شـيراز: مدينة مشـهورة في بلاد فارس، سميت بشـيراز بن طهمورث، بنى سورها الملك ابن كاليجار سلطان الدولة بن بويه سنة ٤٣٦هـ، وجعل لها أحد عشر باباً، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء من كل فنّ. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨٠ – ٣٨١.

شعراءهم، فتناولت عرضك وأعراضنا بالهجاء، وفينا شعراء، فقال: قولوا لشعرائكم، وليصيبوا منهم ما أصابوا منّا، فأمروا (١٠٩) كعب بن مالك، فقال: فلم يصنع شيئاً، فأمروا عبد الله بن رواحة[١]، قال: فلم يصنع شيئاً، فأتوا حسان بن ثابت، فقالوا: إن رسول الله ﷺ، أمرك أن تناصح، وفي نسخة تنافح عنه وعن أحساب قومك، فقال: لا والله، حتى آتي رسول الله ﷺ، فأسأله (فأتى النبي، فأمره النبي، وقال له: امضِ إلى أبي بكر فاسأله)[٢] عن معايب القوم، فإنه أعلم قومه بقريش، لينسب القوم بما فيهم، وإنك لن تزال تعان بروح القدس، ما نافحت عن نبيّك وقومك. وقال النبي لحسان: [كيف تصنع بأبي سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب][٣]، فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لأسلنك كما تسل الشعرة من العجين، فمما قاله في ذلك اليوم شعراً:

---

(١) عبد الله بن رواحة: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد، صحابي، يعدّ من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والحديبية، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته. وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة، فاستشهد فيها. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٣٥ ـ ٢٣٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٨٦.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٠٧.

(٣) وردت في الأصل أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: والصحيح ما أثبتناه في النص: المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو سفيان الهاشمي القرشي، أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام. وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاع. كان يألفه في صباهما. ولما أظهر النبي الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة، وهجاه، وهجا الصحابة. واستمر على ذلك إلى أن قوي المسلمون، وتداول الناس خبر تحرك النبي لفتح مكة، ثم تنكر وقصد رسول الله ﷺ، فلما رآه أعرض عنه النبي، فتحول المغيرة إلى الجهة التي تحول إليها بصره، فأعرض، فأدرك المغيرة أنه مقتول لا محالة، فأسلم ورسول الله معرض عنه. وشهد فتح مكة، ثم وقعة حنين وأبلى بلاءً حسناً، فرضي عنه النبي، ثم كان من أخصائه. له شعر في الجاهلية هجاء بالإسلام، وشعر كثير في الإسلام هجاء بالمشركين. مات بالمدينة سنة ٢٠هـ. وصلى عليه عمر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٢٣٧. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٧٦.

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاءُ
ديار من بني حسان قفر ... تعفّتها الروامس والسماءُ
ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاءُ
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ
هجوتَ محمداً براً تقيّاً ... أمين الله شيمته الوفاءُ
أتهجوه ولست له بكفءٍ ... فشرُّكما لخيركما الفداءُ
فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاءُ
فسوف يجيبكم حسان عنه ... يصوغ المكرمات كما يشاءُ
لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري ما تكدّره الدلاءُ(١)

فقال له النبي ﷺ: أنت حسان، ولسانك حسام. فأخرج حسان لسانه، فقال ﷺ: ما سرّني مقول على وجه الأرض كمقول حسان، حتى ظننت أن لو شئت لفريت به الأدم.

وقيل عنه ﵇، أنه قال: إهج المشركين، وجبريل معك. وقال: قل يا حسان، وجبريل يؤيدك.

وعاش حسان مائة وعشرين سنة، ستين منها في الجاهلية، وستين في الإسلام. ومن قوله هذه الأبيات:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ... ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي
فلا الجهد ينسيني حيائي وعفّتي ... ولا وقعات الدهر يفللن مبردي
وأكثر أهلي من عيالي سواهم ... وأطوي على الماء القراح المبرَّدِ(١١٠)
فإن أكُ ذا مال كثير أجد به ... وإن يعتصر عودي على العدم يجمدِ

(١) انظر القصيدة كاملة في: شرح ديوان حسان بن ثابت، ضبط وتصحيح عبدالرحمٰن البرقوقي، ص٥٧ - ٦٦.

وإنـي ليدعونـي النـدى فأجيبـه ... وأضرب بيض العارض المتوقد
وإني لقـوَّال لدى الليـث مرحباً ... وأهـلاً إذا ما ريع من كل مرقدِ[١]

ومن قوله أيضاً:

ونحن إذا ما الحرب حلّ ضرامها ... فجادت على الحالات بالموت والدمِ
فمني زمام السـابقين إلى الوغى ... إذا الفشـل الرعديـد لـم يتقـدّمِ
ونحـن إذا لم يبرم الناس أمرهم ... نكـون على حق مـن الأمر مبرمِ
ولو وزنت رضوى بحلم سراتنا ... لمـال برضـوى حلمنـا وبرمـرمِ
ونحـن إذا ما الآل أمسـى كأنما ... على حافتيـه مملس اللون عندمِ
لنطعم في المشتى ونطعن بالقنى ... إذا الحرب كانت كالحريق المضرمِ
وتلفى لـدى أبياتنا حين يحتذى ... مجالـس فيهـا كل خـرق معمم
رفيـع عماد البيـت يمنع عرضه ... من الذم ميمون النقيبة خضرمِ[٢]

(١) انظـر القصيـدة كاملـة فـي: شـرح ديوان حسـان بن ثابـت، ضبـط وتصحيـح عبد الرحمٰـن البرقوقي، ص١٧٨ - ١٨٨. مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٢) انظـر القصيـدة كاملـة فـي: شـرح ديوان حسـان بن ثابـت، ضبـط وتصحيـح عبد الرحمٰـن البرقوقي، ص٦٢ - ٦٤. مع اختلاف في كثير من الألفاظ.

الباب الحادي عشر

في ذكر الأمور الحادثة

في السنة الثانية من الهجرة



ففي هذه السـنة، تـزوج علي بن أبي طالب بفاطمـة بنت النبي ﷺ، في شـهر صفر، لليال بقين منه، وقيل: في شـهر رجب، وبنى بها في شـهر ذي الحجـة، وقيل: تزوجها في رمضان، وهي بنت ثماني عشـرة سـنة، وأهديت إليـه فـي برديـن، وعليهـا دملجان مـن فضة، ومعهـا خميلة ومرفقـة من أدم حشوها ليف.

وهـي الوسـادة، ومنخـل، ورحـى، وقـدح، وجربـاب، وفراش مـن غليظ الكتان، حشوه ليف. وروي أن النبي ﷺ، خطب حين زوّج علياً بفاطمة، فقال: «الحمـد لله المحمـود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسـلطانه، المرهوب من عذابـه، المرغـوب إليه فيمـا عنده، النافذ أمره في سـمائه وأرضـه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهـم بأحكامهم، وأحكمهم بعزته، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد ﷺ.

ثـم إن الله جعـل المصاهـرة نسـباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، نسـخ بـه الآثام، وأوشـح بها الأرحام، وألزمها الأنام، فقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤]، فأمـر الله يجـري إلـى قضائه، وقضـاؤه (١١١) يجـري إلى قدره، وقدره يجري إلـى أجله، فلكل قضاء قدر، ولـكل قـدر أجـل، ولـكل أجل كتـاب، يمحو الله ما يشـاء، ويثبـت، وعنده أم الكتاب.

ثم إن الله أمر أن يزوج علياً بفاطمة، وقد زوجته إياها على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت يا علي؟ فقال علي: رضيت».

ويروى أنه دعا لهما، فولدت فاطمة الحسن[١]، والحسين[٢].

وقيل: إن أبا بكر خطب فاطمة من النبي، فقال: انتظر فيها أمر الله، وخطبها عمر، فقال له مثل ذلك.

وفي هذه السنة، حُوّلت القبلة إلى الكعبة، يوم الثلاثاء، للنصف من شعبان، أو يوم الاثنين للنصف من رجب، وهي أول ما نسخ من الشريعة، وذلك أن النبي ﷺ، (والمسلمين)[٣] يصلون في مكة متوجهين إلى الكعبة، فلما هاجر، أمره الله أن يصلي إلى بيت المقدس، فصلى إليه سبعة عشر شهراً، فقالت اليهود: يزعم محمد أنه نبي، ولم نره أحدث في نبوته شيئاً، أليس يصلي إلى قبلتنا، ويستن بسنّتنا؟ فإن كانت هذه نبوّة، فنحن أقدم وأوفر نصيباً.

---

(١) الحسن: الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامة، ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلاً حليماً محباً للخير فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهية، حج عشرين حجة ماشياً، بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ. انصرف الحسن إلى المدينة، حيث أقام فيها إلى أن توفي مسموماً (في قول بعضهم) ومدّة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام، وولد له أحد عشر ابناً وبنت واحدة، وإليه نسبة الحسنيين كافة، وكان على نقش خاتمه (الله أكبر وبه أستعين). انظر الزركلي: خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٩٩ - ٢٠٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١١٣ - ١١٥.

(٢) الحسين: الحسين بن علي (٤ - ٦١هـ/ ٦٢٥ - ٦٨٢م) بن أبي طالب الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبدالله، السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء. وفي الحديث: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة**»، ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ، خلفه ابنه يزيد، فخرج الحسين إلى العراق مع ذراريه، وعلم يزيد بسفره، فوجه إليه جيشاً اعترضه بكربلاء (قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف، وقتل الحسين في العاشر من محرّم سنة ٦١هـ على يد شمر بن ذي الجوشن، وأُرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق (عاصمة الأمويين). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٤٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٢ - ٢٧.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

فبلـغ ذلـك رسـول الله ﷺ، فشـق عليـه، وزاده شـوقاً إلى الكعبـة، وقال لجبريل: وددتُ لو أن الله صرفني من قبلة بيت المقدس إلى اسـتقبال الكعبة، قـال: إنما أنـا عبد مثلك، وعرج جبريل، وجعل النبي يديم النظر إلى السـماء، رجاء أن ينزل (عليه)[١] جبريل بتحويل القبلة.

فبينمـا هـو يصلي الظهر، إذ نزل عليه جبريـل بهذه الآية ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، الآية فحوّل وجهه إلى الكعبة، فكان فعله هذا أصلاً يقاس عليه هذه المسألة: من عميت عليه القبلة، ثم استبانت له، وهو في الصلاة فليستقبل القبلة، ويتم الصلاة.

فعنـد ذلـك قالت اليهـود للنبي ﷺ: ما أمـرك ربك بهذا، وإنما هو شـيء تبتدعـه من نفسـك، فكان هذا ابتلاء من الله لعبـاده، فمن عصمه الله ثبت على الإسـلام، ومن خذله شـكَّ وتردّد، وارتدّ عن الإسلام. وقال المؤمنون: كيف حـال من مات من إخواننـا؟، فأنزل الله، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفـي هذه السـنة، رأى عبد الله بـن زيـد[٢]، الأذان في المنام، وسـببه أنهم ذكروا أشـياء يجمعون بها الناس للصلاة، فقـال بعضهم: البوق، وقال آخرون: الناقـوس. فبينمـا هـم كذلك إذ نـام عبد الله بـن زيـد (١١٢) الخزرجي، فرأى رجـلاً، عليـه ثوبان أخضران، وفي يـده ناقوس، فقال: أتبايعنـي هذا الناقوس؟ فقال: لماذا تريده؟ قال: أريد (أن)[٣] أجمع به الناس للصلاة، فقال: أنا أعلّمكم خيراً من هذا، وعلّمه الأذان.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١١٠.

(٢) عبد الله بـن زيـد: عبد لله بن زيد بـن عاصم بن كعب النجاري الأنصاري: صحابـي، من أهل المدينة. كان شـجاعاً، شـهد بدراً. وقتل مسـيلمة الكذاب، يوم اليمامة، له ٤٨ حديثاً، قتل في وقعة الحرّة سنة ٦٣هـ. انظـر: ابـن الأثيـر، علـي بن محمد، أسـد الغابة في معرفـة الصحابـة، ج٣، ص٢٥٠ ـ ٢٥١. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٨٨.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

ثـم انتبه، فمضى إلى النبـي ﷺ، فأخبره بذلك، فقال ﷺ: «إنها رؤيا حق، علّمـهُ بـلالاً[١]، فإنه أبرع منك صوتاً»، فعلمه إياه، فـأذّن بلال، ثم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: رأيت هذا في المنام، فقال النبي ﷺ: الحمد لله.

وفي هذه السـنة، نزلـت فريضة رمضان، بعدما صرفت القبلة بشـهر. وأمر رسـول الله بـزكاة الفطر، وذلك قبل نـزول فرض الزكاة في الأمـوال، وأمر أن يخـرج عن الحـرّ والعبد، والذكر والأنثـى، والصغير والكبير، صـاع مما يقتاته الإنسان، قيل: في سنته، وقيل: في شهره، والأفضل قبل أن يغدو إلى المصلى، ليكـون الفقـراء أغنياء في ذلك اليـوم، وكانت فريضة رمضـان، إذا صام يومه، وحل الإفطار، فطر، فمن نام، أو صلى العشاء الآخرة، حُرم عليه ما يحرم على الصائم، إلى القابلة، فأجهد الناس ذلك الصوم.

وقيل: إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، كان كثير الاشتغال بالنهار في شـهر رمضان، فأوى إلى داره، بعد أن حلّ الإفطار، فسأل أهله الطعام، فقالوا: إنـه قـد برد، فقامت زوجته تسـخن له الطعـام، ثم أتت به إليـه، فوجدته نائماً، فأيقظته، وقد حرم عليه الأكل، فأصبح صائماً، فقيل: إنه مات من جهد الصوم.

واعتـرف قـوم مـن أصحابـه ﷺ، بالجمـاع في الليـل، وأظـن أن عمر بن الخطـاب رضي الله عنه جامـع زوجته، بعد أن صلى العشـاء الآخرة فـي رمضان، فأتى النبـي ﷺ، وهو يبكي، فشـكى إليه مـا صنع، فقال النبي ﷺ: مـا كنت جديراً بذلـك يـا عمر، فأنزل الله الرخصة، وأحلّ الأكل والشـرب، والجماع في الليل

(١) بلال: بلال بن رباح الحبشـي، أبو عبدالله، مؤذن رسـول الله ﷺ، وخازنه على بيت ماله. من مولدي السـراة، وأحد السـباقين إلى الإسلام. وفي الحديث: «بلال سابق الحبشة» وكان شديد السمرة، نحيفاً طويـلاً، خفيـف العارضيـن، لـه شـعر كثيف، وشـهد المشـاهد كلها مع رسـول الله ﷺ، ولمـا توفي رسـول الله أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك. وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشـام، فسار معهم. توفي في دمشـق، روى له البخاري ومسـلم ٢٤ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٧٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤١٥ ـ ٤١٨.

في شهر الصيام، حتى يطلع الفجر بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ (١١٣) وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقيل: كان في بدء الصيام يُتَخيّرُ، فمن شاء صام، ومن شاء أطعم، ولم يصم، وهو صحيح حاضر في بلده، ثم نسخ التخيير في الحضر، وبقي في السفر.

وفي هذه السنة، خرج رسول الله ﷺ، إلى المصلى، وصلى بالناس صلاة العيد.

وفي هذه السنة، ولد عبد الله بن الزبير[١]، لعشرين شهراً من الهجرة، وهو أول من ولد في الهجرة من المهاجرين، فكبّر النبي ﷺ وأصحابه، وكان المسلمون يتحدثون أن اليهود قد سحرتهم، فلا يولد لهم ولد، فكان تكبيرهم سروراً بذلك، وأمه أسماء بنت أبي بكر[٢].

(١) عبد الله بن الزبير (١ - ٧٣هـ/ ٦٢٢ - ٦٩٢م): عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول من ولد في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقيا زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ، بعد موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج بن يوسف الثقفي، في أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج في الطائف. ونشبت بينهما حروب أتى المؤرخون على تفصيلها، انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة، بعد أن خذله عامة أصحابه، وقاتل قتال الأبطال، وهو في عشر الثمانين. وكان من خطباء قريش المعدودين، يُشَبّه في ذلك بأبي بكر. مدة خلافته تسع سنين، وكان نقش الدراهم في أيامه بأحد الوجهين «محمد رسول الله» والآخر «أمر الله بالوفاء والعدل»، وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٤١ ـ ٢٤٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٨٧.

(٢) أسماء بنت أبي بكر: أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، من قريش، صحابية، من الفضيلات. آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة، وهي أخت عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن =

وفي هذه السنة، بني مسجد قباء، قدّم جداره النبي إلى موضعه اليوم، ووضع أساسه بيده، ونقل الحجارة بيده. ويروى عنه ﷺ أنه قال: «من توضأ وصلى في مسجد قباء، كان له أجر عمره»، وكان عمر رضي الله عنه يأتيه يوم الاثنين، ويوم الخميس.

وفي هذه السنة، كانت غزوة بدر، في السابع عشر من شهر رمضان، يوم الجمعة، وبدر: اسم بئر لرجل كان يُدعى بدراً. وسبب هيجان تلك الوقعة، قتل عمرو بن الحضرمي[(١)]، وذلك أن رسول الله ﷺ، أرسل عبد الله بن جحش الأسدي[(٢)]، مع نفر من المهاجرين، قيل: ثمانية، وقيل: إثنا عشر، إلى بطن نخلة[(٣)]، مترصدين لعير قريش، مستخبرين أحوالهم، وكتب لعبد الله كتاباً، وذلك قبل قتال بدر بشهرين، فلما نزلوا بطن نخلة، مرّت بهم عير لقريش،

= الزبير، تزوجها الزبير بن العوام، فولدت له عدّة أبناء بينهم عبد الله. ثم طلقها الزبير، فعاشت بمكة مع ابنها عبد الله إلى أن قتل، فعميت بعد مقتله، وتوفيت بمكة. شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله وزوجها. وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر. وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله مشهور. عاشت مئة سنة، وهي محتفظة بعقلها. وسميت ذات النطاقين، لأنها صنعت للنبي ﷺ طعاماً حين هاجر إلى المدينة، فلم تجد ما تشدّه به، فشقت نطاقها، وشدّت به الطعام. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٧ ـ ٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٣٠٥.

(١) عمرو بن الحضرمي: هو عمرو بن عبد الله بن عماد بن أكبر، أحد الصّدف، واسم الصدف: عمرو بن مالك أحد السَّكون بن أشرس بن كندي. وابنته صفية بنت الحضرمي زوجة زيد بن عمرو بن نفيل. كان عمرو بن الحضرمي قائد قافلة قريش التي اعترضتها سرية عبد الله بن جحش، رماه واقد بن عبد الله التميمي بسهم فقتله. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٤٤ - ٢٥٣ - ٢٥٥.

(٢) عبد الله بن جحش الأسدي: عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي، صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة. وكان من أمراء السرايا. وهو صهر رسول الله ﷺ، أخو زينب أم المؤمنين قتل يوم أُحد شهيداً، فدفن هو والحمزة في قبر واحد. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٩٤ ـ ١٩٥. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٧٦.

(٣) بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة المنورة على طريق البصرة، بينهما الطرف على الطريق، وهو بعد أبرق العزّاف للقاصد إلى مكة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٤٤٩ - ٤٥٠.

تحمـل زبيبـاً وأدماً، وتجـارة من تجارة الطائـف، وفيها عمرو بـن الحضرمي، وعثمان بـن عبد الله بن المغيرة[١]، وأخوه نوفل[٢]، والحكم بن كيسـان[٣]، فلما رأوا أصحـاب رسـول الله ﷺ، هابوهـم، فأشـرف لهم عكاشـة بن محصن[٤]، حالقاً رأسه، فلما رآه المشركون آمنوا، وقالوا: قوم عمار، لا بأس عليكم منهم، وكان ذلـك أول رجـب، والمسـلمون يظنون أنـه من آخر جمـادى، فقتلوا من قـدروا عليه، وأخذوا ما معهـم، ورمى واقد بن عبد الله الحنظلـي[٥] (عمراً)[٦]،

(١) عثمان بـن عبد الله بـن المغيـرة: عثمان بـن عبد الله بـن المغيـرة المخزومـي أحـد وجـوه قريـش في القافلـة التـي كانـت تحمل زبيباً وأدمـاً وتجارة من تجارة قريش. أسـره واقد بن عبـد الله التميمي هو والحكم بن كيسـان، وأقبل عبد الله بن جحش بالعير والأسيرين إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فأفداهما رسـول الله ﷺ. ولحق عثمان بن عبد الله بمكة، فمات كافراً. انظر: ابن هشـام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٣ - ٢٥٥.

(٢) نوفل بـن عبد الله بـن المغيـرة: نوفل بن عبد الله بن المغيـرة المخزومي، أحد وجـوه قريش في القافلة التي كان قادمة من الشام تحمل تجارة من تجارة قريش، داهمتها سرية عبد الله بن جحش، وقد تمكن من الإفلات من القتل والأسر. في حين أُسر أخوه عثمان بن عبد الله. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣) الحكم بن كيسان: هو مولى هشام بن المغيرة، كان في قافلة قريش،ـ وأسره واقد بن عبد الله التميمي هو وعبد الله بن عثمان وأقبل بهما إلى المدينة، فأفداهما رسـول الله ﷺ. وبقي الحكم بن كيسـان في المدينة، فأسـلم وحسـن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ، حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٣ - ٢٥٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٥٤.

(٤) عكاشـة بن محصن: عكاشـة بن محصن بن حرثان الأسدي، من بني غنم، صحابي من أمراء السرايا، يعدّ من أهل المدينة. شـهد المشـاهد كلها مع النبي ﷺ، وقتل في حرب الردّة ببزاخة (بأرض نجد) قتله طليمة بن خويلد الأسدي. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ح٤، ص٦٤. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٤٤.

(٥) واقـد بـن عبد الله الحنظلي: وفي السـيرة النبويـة: واقد بن عبد لله التميمي، وهـو الذي رمى عمرو بن الحضرمي بسـهم فقتله، وكان واقد في سـرية عبد الله بن جحش، كما أسـر عثمان بن عبد المخزومي والحكم بـن كيسـان، وأخـذ عير قريش إلـى المدينة المنـورة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٦٤. وانظر: ابن هشـام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٦) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١١٢.

فقتله واستأثروا عثمان والحكم، وشدّ المسلمون عليهم، واستاقوا العير، فعيّر المشركون أصحاب (١١٤) رسول الله، وقالوا: استحلوا الشهر الحرام، ووقف (النبي)[١] عن العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ منهما شيئاً، وقال: «ما أمرتم بقتال في الشهر الحرام»، فعظم ذلك على أصحاب السرية، وظنوا أنهم هلكوا، وأدى رسول الله دية عمرو، لعهد بنيه وبين أهل مكة، أن لا يقاتلوا سنيناً، فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، الآية. ففرح المسلمون بنزولها، وأخذ رسول الله خمس العير، وقسّم الباقي بين السرية، فكانت أول غنيمة في الإسلام.

وكان قد تخلف عن السرية سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن أبي غزوان[٢]، أضلا بعيراً لهما. وأرسلت قريش بفدي الأسيرين إلى النبي ﷺ، فقال النبي: لئن رجع إلينا صاحبانا، فأدّيناكم، وإن قتلا، قتلناهما بهما. فرجع سعد وعتبة، ففاداهما رسول الله، فأما الحكم فأسلم، وأما عثمان رجع إلى مكة كافراً.

ثم أغار كرز بن جابر القرشي[٣]، على سرح أهل المدينة، فبلغ ذلك النبي، فركب في أثره، فسبقه كرز، فرجع النبي.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١١٢.

(٢) عتبة بن أبي غزوان: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله، باني مدينة البصرة. صحابي قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً. ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. ووجّهه عمر إلى أرض البصرة والياً عليها، وكانت تسمى «الأبلة» أو «أرض الهند» فاختطها عتبة ومصّرها. وسار إلى ميسان وأبرقباذ، فافتتحهما. وقدم المدينة لأمر خاطب به عمر، ثم عاد، فمات في الطريق. وكان طويلاً جميلاً من الرماة المعدودين، روى عن النبي ﷺ أربعة أحاديث. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٥٨ ـ ٥٥٩. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٠١.

(٣) كرز بن جابر القرشي: هو كرز بن جابر الفهري، أغار على سرح المدينة بعد قدوم الرسول ﷺ من غزوة العشيرة بليالٍ قليلة، فاستعمل الرسول ﷺ زيد بن حارثة على المدينة، وخرج في طلب كرز، حتى بلغ وادي سفوان، ولم يدركه، وتسمى هذه الغزوة غزوة سفوان أو غزوة بدر الأولى. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤٤٣ ـ ٤٤٤.

ثـم أقبل أبو سـفيان في عير لقريش، وفيها عمرو بـن العاص وجماعة من أربعين راكباً من كبار قريش، وفيها تجارة عظيمة، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، بلغ ذلك النبي عليه السلام، فندب أصحابه إليهم، وأخبرهم بكثرة المال، وقلة العدو، وقـال: «اخرجـوا إلى العيـر، لعل الله ينفلكموها»، وما ظن رسـول الله أن يلقى حرباً.

فخرج النبي ﷺ، يوم السـبت لاثنتي عشـرة ليلة خلت مـن رمضان، وقيل: لثلاث خلون منه على رأس تسـعة عشر (شـهراً)[١] من الهجرة، واستخلف على المدينة عمرو بن أم كلثوم[٢]، وخرج ومعه ثلاثمائة وثلاثة وعشرين رجلاً أصح مـا قيل على عدة أصحاب طالوت، مائتان وسـبعون من الأنصـار، والباقون من المهاجرين، وقيل سـبعة وسـبعون من المهاجرين والباقون من الأنصار، وكانت الإبل معهم سبعين جملاً، يتعاقبون عليها، وكانت معهم فرسان: فرس للمقداد[٣]، وفـرس لمرثد بـن أبي مرثـد[٤]، وقيـل: للزبير. وكانت الدروع سـتة، والسـيوف ثمانية. وكان رسول الله ﷺ قدّم جاسوسين، وهما بسبس بن عمرو[٥]، وعدي بن

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١١٢.

(٢) عمرو بن أم كلثوم: هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم (ابن أم كلثوم) صحابي، شجاع. كان ضرير البصـر، أسـلم بمكة، وهاجر إلـى المدينة بعد موقعة بدر. وكان يؤذن لرسـول الله ﷺ في المدينة مع بلال. وكان النبي ﷺ يسـتخلفه على المدينة، يصلي بالناس في عامة غزواته. وحضر حرب القادسـية ومعـه راية سـوداء وعليها درع سـابغة، فقاتل ـ وهو أعمـى ـ ورجع بعدها إلى المدينـة، فتوفي فيها، قبيـل وفـاة عمر بـن الخطاب. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣٥١ ـ ٣٥٢. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٨٣.

(٣) فرس المقداد: لا يمكن أن تكون الفرس للمقداد فهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، وكان من المهاجرين إلى المدينة، فكيف تكون له فرس مع قافلة المشركين وهو في المدينة؟

(٤) مرثد بن أبي مرثد: هو مرثد بن أبي مرثد كناز بن الحصين الغنوي، له ولأبيه صحبة، وشهد بدراً وكانا حليفي حمزة بن عبد المطلب، وقتل مرثد يوم الرجيع في حياة رسول الله ﷺ. روى حديثه عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدّه. قلت: كان قتله في صفر سنة أربع. وكان زميل النبي ﷺ. انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٨٢.

(٥) بسبس بن عمرو: هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خراشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان، والبعض ينسبه =

الرعناء[١]، فلما بلغا إلى الصفراء، موضع بينه وبين المدينة ثلاث مراحل، سمعا جاريتين من جهينة[٢]، (١١٥) تقولان: إنما تأتي العير غداً، أو بعد غد. فلما سمعا قولهما، رجعا، فأخبرا النبي ﷺ، بما قالت الجاريتان.

ثم إن أبا سفيان أعقبهما، فرأى مناخهما، وأخذ بعرة من أبعار بعيرهما، ففتّها، فإذا فيها النوى، فقال: والله هذه علائف يثرب، فضرب وجوه العير إلى الساحل، وترك بدراً، وأسرع في الذهاب.

وبلغه خروج النبي لأخذ ما معه، فاستأجر ضميم بن عمرو الغفاري[٣]، فبعثه إلى قريش، يستنفرهم لحفظ أموالهم.

ونزل جبريل عليه السلام، على النبي ﷺ، يخبره، أن الله وعدهم إحدى الطائفتين: إما العير، وإما قريش.

= إلى جهينة. كان حليف بني ساعدة، وقد شهد بدراً، وأرسله الرسول ﷺ مع عدي بن أبي الزّغباء إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٥ - ٢٦٦.

(١) عدي بن الرعناء: والصحيح عدي بن أبي الزّغباء الجهني، واسمه سنان بن سبيع بن ثعلبة النَّجاري، حليف بني النجار، أرسله رسول الله ﷺ مع بسبس بن عمرو إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب. ثم ارتحل رسول الله ﷺ قد قدّمهما، وأخبروه بمسير قريش إليه لتمنع عيرها. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص١١.

(٢) جهينة: جهينة بن زيد بن ليث، من قضاعة جدّ جاهلي، النسبة إليه «جهني» نزل كثيرون من بنيه بعد الإسلام بالكوفة والبصرة وصعيد مصر. وبعضهم في بلادي إخميم وحلب وغيرهما من البلاد الشامية. ولا يزال منهم كثيرون الآن على شاطئ البحر الأحمر، من جنوبي ديرة «بلى» إلى جنوبي ينبع. وفي جنوبي سنار بالسودان قبيلة تدعى جهينة، قد تكون من جهينة قضاعة، كان لها ذكر في حروب المهدي والتعايشي بالسودان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٤٢.

(٣) ضميم بن عمرو الغفاري: وفي السيرة الرواية مختلفة: «وقد كان خُفاف بن أيماء بن رحضة الغفاري، أو أبوه أيماء بن رحضة الغفاري بعث إلى قريش حين مرّوا به ابناً له بجزائر (أي ذبائح) أهداها لهم، وقال: إن أحببتم أن نمدّكم بسلاح ورجال فعلنا. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٧٣.

وكانـت عاتكـة بنت عبد المطلب[١]، قد رأت فـي المنام، قبل قدوم ضميم إلى مكة بثلاثة أيام رؤيا أفزعتها، رأت راكباً على بعير له، فوقف بالأبطح[٢]، ثم صرخ بأعلى صوته: يا آل غدر، انفروا لمصارعكم، ثم دخل المسـجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله، إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة، وصرخ بمثلها، ثم مثل به بعيره على ظهر أبي قبيس، فقال مثل ذلك، ثم أخذ صخرة، فأرسـلها، فأقبلـت تهوى، حتى إذا بلغت أسـفل الجبل، انقضـت، فلم يبق بيت بمكة إلّا ودخلته منها فلقة.

فذكرت للعباس، واستكتمته، فلقي الوليد بن عتبه، وكان صديقاً له، فأخبره بالرؤيا واسـتكتمه، فغشا الحديث بين قريش، فلقي أبو جهل العباس، فقال: يا أبا الفضل، متى حدثت فيكم هذه النبيّة؟ فقال العباس: وما ذلك؟ فقال الرؤيا التي رأتها عاتكة، وزعمت أنه قيل: انفروا في ثلاث، فنتربص بكم هذه الثلاث، فإن كان ما قالت حقاً، وإلّا كتبنا عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب. يـا بنـي عبد المطلب، أما رضيتـم أن تتنبأ رجالكم حتى تنبأت نسـاؤكم؟ فقال العباس: فجحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت.

فلما كان اليوم الثالث، غدوت إلى المسـجد، فرأيت أبا جهل يستند على بـاب المسـجد، وإذا هو قد سـمع صوت ضميـم، يصرخ ببطن الـوادي، وقد

(١) عاتكة بنت عبد المطلب: عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشـم: شـاعرة، لها في ديوان «الحماسة» أبيات مختـارة. هـي مـن عمّـات النبي ﷺ. اختلـف في إسـلامها، والثابت أنهـا كانت يوم وقعة بدر (سـنة ٢هـ/ ٦٢٤م) بمكـة مع مشـركي قريش. قال ابن سـعد: أسـلمت بمكة، وهاجرت إلـى المدينة. انظر: ابـن الأثير، علي بن محمد، أسـد الغابة في معرفة الصحابـة، ج٧، ص١٨٣ ـ ١٨٤. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٤٢.

(٢) الأبطح: الأبطح مكان يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسـافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان أقرب إلـى منـى، وهـو المحصّب، وهـو خيف بني كنانة، وقد قيـل: إنه ذو طوى، وليس بـه. قال ابن دريد: الأبطـح والبطحـاء الرمـل المنبسـط على وجـه الأرض. انظـر: الحمـوي، ياقوت بن عبـد الله: معجم البلدان، ج١، ص٧٤.

وقف على بعيره، وجدعه وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث.

فعند ذلك تجهز الناس، وكانوا بين خارج بنفسه، وباعث أحداً مكانه، فلم يتخلف من قريش أحد إلّا أبو لهب، فإنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة[1].

فلما أرادوا المسير، ذكروا ما بينهم (١١٦) وبين كنانة ومدلج، فقالوا: نخشى أن يأتونا[2] من خلفنا، فتصدى لهم إبليس، لعنه الله، في هيئة سراقة بن مالك بن جعشم، وكان من أشراف كنانة، وقال: إني جار لكم من كنانة ومدلج، فخرجوا سراعاً مع القيان والدفوف، وكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً، وخيلهم مائة فرس.

فبلغ الخبر إلى النبي ﷺ، أن قريشاً خرجوا ليمنعوا عيرهم، فاستشار أصحابه، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال فأحسن، وقام المقداد، فقال، فأحسن، وقال: امض لما أمرك ربك، ولسنا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. ولكنّا نقول: إذهب أنت وربك، فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك العماد، يعني مدينة (في)[3] الحبشة، لجاهدنا معك من دونه، حتى تبلغه، فقال ﷺ: خيراً، ودعا له بالخير.

(١) العاص بن هشام بن المغيرة: العاص (أو العاصي) بن هشام بن المغيرة المخزومي: أخو أبي جهل. كان ينادمه في الجاهلية العاص بن سعد بن العاص بن أمية، ويقال لهما: «أحمقا قريش» وقتلا يوم بدر على الشرك. قتل الأول عمر بن الخطاب، وقتل الثاني علي بن أبي طالب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٤٧.

(٢) في الأصل «يأتوننا»، والصواب ما أثبتناه في النص.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

ثم قال: «أيها الناس، أشيروا عليّ، وإنما يريد بذلك الأنصار، لأنهم قالوا يوم العقبة: إنّا براء من ذمامك، حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت دارنا، فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا. فكان يخاف ألّا ترى الأنصار نصرته، إلّا ممن دهمه المدينة، وأن لا يسير بهم إلى عدوّه، فقال سعد بن معاذ[1]: فكأنك يا رسول الله تريدنا؟ فقال: أجل، قال: قد آمنّا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به الحق، وأعطيناك عهودنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو خضت هذا البحر لخضناه معك ما يتخلف منّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً، إنّا لذوو صدق عند اللقاء، وذوو صبر عند الحرب، ولعلّ الله يريك ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى.

فسُرّ رسول الله بقول سعد، ثم قال ﷺ: «**سيروا على بركة الله، وابشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**».

ثم سار رسول الله، حتى بلغ قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه، حتى وقفا على شيخ من العرب، فسألاه عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تعرّفاني (١١٧) من أنتما، فقال النبي: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال الشيخ: إنه قد بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني، فإنهم اليوم في

(١) سعد بن معاذ: سعد بن معاذ النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأنصاري، صحابي من الأبطال. من أهل المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أُحداً، فكان ممن ثبت فيها. وكان من أطول الناس وأعظمهم جسماً، ورمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جراحه. ودفن بالقيع، عمره سبع وثلاثون سنة، وحزن عليه النبي ﷺ، وفي الحديث: «**اهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ**». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٦١ ـ ٤٦٤. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٨٨.

موضـع كـذا، ـ يعني الموضع الذي نزله النبي وأصحابه ـ وبلغني أن قريشـاً خرجـوا يوم كذا، فإن كان الـذي أخبرني صدقني فهم اليوم في موضع كذا، يعنـي الموضـع الذي نزلتـه قريش، ثم قال: من أنتما؟ فقـال النبي: نحن من مـاء، أراد أن يوهمـه أنهما من العراق، لأن العراق[1] تسـمى ماء، وإنما أراد أنه خُلقَ من ماء.

ثم رجع النبي إلى أصحابه، فلما أمسـى، بعث علياً، والزبير، وسـعد بن أبـي وقـاص، في نفر من أصحابه إلى بدر، يلتمسـون الخبـر، فأصابوا رواية لقريش، فيها أسـلم غلام ابن الحجاج، وعويض بن بشـار غلام أبي العاص، فأتـوا بهمـا إلى النبـي ﷺ، وهو قائم يصلي، فسـألوهما، فقالا: نحن سـقاة قريش، بعثونا نستقي لهم، فكرهوا ذكر قريش، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فقالوا: ما أنتما إلّا لأبي سفيان، فأنكرا، فضربوهما، فقالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما.

فلما قضى النبي صلاته، قال: صدقاكم فضربتوهما، وأكذباكم فتركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش.

ثـم قـال لهما: أخبراني، أين قريش؟ فقالا: هما وراء هذا الكثب الذي تراه بالعـدوة القصـوى من الوادي، قال: كـم القوم؟ قالا: كثير، قـال: كم عددهم؟ قـالا: لا نـدري، قال: كـم تنحرون؟ قالا: يوماً تسـعاً، ويوماً عشـراً، قال النبي:

---

(١) العـراق: العـراق بلاد سـميت بذلك لأنه سـفل عن نجد ودنـا من البحر، أخذ من عـراق القربة، وهو الحـرز الـذي في أسـفلها، وقيل: العراق ضرب من الطير. وقال قطرب: إنما سـمي عراقاً لأنه دنا من البحر، وفيه سباخ وشجر، وقال الخليل: العراق شاطئ البحر، ـ وسمي العراق عراقاً لأنه على شاطئ دجلـة والفرات مـدّاً حتى يتصل بالبحر على طوله، احتضنت أرضه حضارات السـومريين والأكاديين والبابليين والآشـوريين، ثم جاء الفرس، فسـيطروا على بابل، ودام حكمهم حتى سـنة ٦٣٦م، عندما انتصر المسـلمون عليهم في موقعة القادسـية. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٩٣ - ٩٤. وغربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص ١١٩٢ - ١١٩٧.

القوم ما بين التسعمائة إلى العشر مائة. ثم قال: من فيهم من أشراف قريش؟ قالا: العباس بن عبد المطلب[(١)]، وعتبة، وشيبة، وأبو البختري، وحكيم بن حزام[(٢)]، والحارث بن عامر، وطعمة بن عدي[(٣)]، والنضر بن الحارث[(٤)]،

(١) العباس بن عبد المطلب: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجدّ الخلفاء العباسيين. قال رسول الله ﷺ في وصفه: «**أجود قريش كفاً، وأوصلها، هذا بقية آبائي**» وهو عمه، وكان محسناً لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد. كارهاً للرق، اشترى سبعين عبداً وأعتقهم. وكانت له سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام (وهي أن لا يدع أحداً يسب أحداً في المسجد، ولا يقول فيه هجراً) أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى الرسول ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة حنين، فكان من ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكة. وعمي في آخر عمره. وكان إذ مرّ بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالاً له، كذلك عثمان، وأحصي ولده سنة ٢٠٠هـ، فبلغوا ٣٣ ألفاً. وكانت وفاته في المدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث، وله في كتب الحديث ٣٥ حديثاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٦٣ ـ ١٦٤. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٦٢.

(٢) حكيم بن حزام: حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو خالد، صحابي، قرشي، وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين. مولده بمكة (في الكعبة) شهد حرب الفجار. وكان صديقاً للنبي ﷺ قبل البعثة وبعدها، وعمّر طويلاً، قيل: ١٢٠ سنة. وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، عالماً بالنسب. أسلم يوم الفتح، وفيه الحديث يومئذٍ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن» توفي بالمدينة سنة ٥٤هـ. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ث٥٨ ـ ٥٩. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٦٢.

(٣) طعمة بن عدي: والصحيح طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: من رؤساء قريش في الجاهلية. كان ينادمه منبه بن الحجاج السهمي، قتل يوم بدر. قتله حمزة وعلي رضي الله عنهما. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٢٧.

(٤) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شياطينها، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في الحيرة، وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس. وهو ابن خالة النبي ﷺ، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وآذى رسول الله ﷺ، كثيراً. وكان إذا جلس النبي مجلساً للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده، فحدث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم واسفنديار: أنا أحسن منه حديثاً، إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. وشهد وقعة بدر مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) سنة ٢هـ انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٥٨ ـ ٥٩. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣٣.

وزمعة بـن الأسـود[١]، وأبـو جهل، وأمية بـن خلف[٢]، ونبيـه[٣]، ومنبـه[٤]، ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو بن عبد ود[٥]، فأقبل النبي إلى أصحابه، وقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها.

ولمّـا أقبلت قريش، وقد ولىّ أبو سـفيان بالعير، أرسـل إليهم أبو سـفيان: إنكم قد خرجتم لتمنعوا عيركم، وقد نجاها الله، فارجعوا.

قـال أبو جهـل: والله لا نرجع، حتى نرد بدراً، فنقيـم بها ثلاثة أيام، وننحر

(١) زمعة بـن الأسـود: زمعة بن الأسـود بن عبد المطلب بن أسـد، كان من سـادات قريـش، وممن حضر معهم غزوة بدر، هو وابنه الحارث بن زمعة بن الأسود، وقتل زمعة والحارث في بدر، وكان الحارث مـن الفتيـة الذيـن نـزل فيهـم القـرآن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾. انظـر: ابـن هشـام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٩٥ – ٢٩٧.

(٢) أمية بـن خلـف: أمية بـن خلف بـن وهـب، مـن بني لـؤي: أحـد جبابـرة قريش فـي الجاهليـة، ومن سـاداتهم. أدرك الإسـلام، ولم يسلم. وهو الذي عذّب بلالاً الحبشـي في بداية ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمٰن بن عوف يوم بدر. فرآه بلال، فصاح بالناس يحرضهم على قتله، فقتلوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٢.

(٣) نبيه بن الحجاج: نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السـعدي السـهمي القرشـي، أبو الرزّام: شـاعر، مـن ذوي الوجاهـة فـي قريش قبل الإسـلام. كان نديماً للنضر بـن الحارث. ثم كان هـو وأخوه منبه مـن «المقتسـمين». وهـم سـبعة عشـر رجـلاً مـن قريـش، اقتسـموا أعقاب مكـة يصـدون الناس عن رسول الله ﷺ، وفيهم نزلت الآية: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴾. قُتل مع أخيه مشركين في وقعة بدر سنة ٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٨ – ٩.

(٤) منبه بن الحجاج: منبه بن الحجاج السـهمي: نديم جاهلي، من أشـراف قريش في الجاهلية وزنادقتها. قـال ابـن حبيـب: تعلموا الزندقة من نصارى الحيـرة، وكان منبه نديماً لطعيمة بـن عدي (وحضر معه موقعـة بدر، ونحر منبه عشـراً من الإبل، وقتله أبو قيس الأنصاري فـي تلك الواقعة). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

(٥) سـهيل بن عمرو بن عبد: سهيل بن عمرو بن عبد شـمس القرشي العامري، من لؤي، خطيب قريش، وأحد سـاداتها في الجاهلية، أسـره المسـلمون يوم بدر، وافتدى فأقام على دينه إلى يوم الفتح بمكة، فأسلم، وسكنها، ثم سكن المدينة. وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية، وجاء في مقدمة كتاب الصلح: «باسمك اللهم. هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو» وكان عمر بن الخطاب يخشى مواقفه في الخطابة. مات بالطاعون في الشـام سـنة ١٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ١٤٤.

الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتضرب علينا الأقيان بالأدفاف، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابونا.

فقال الأخنس: قد نجىَّ الله أموالكم، فارجعوا،(١١٨) فرجع بنو زهرة[(١)].

ثم إن أبا سفيان، لما وصل مكة، لحق المشركين ببدر، ونزلت قريش خلف العنقنقل[(٢)]، وقد سبقوا المسلمين على الماء ومنعوه، ونزل المسلمون على شفير الوادي بالعدوة الدنيا من المدينة وكان كثيباً، تغوص فيه الأقدام، وليس عندهم ماء، وأصبحوا، منهم من أجنب، ومنهم محدث، وليس عندهم ماء، فوسوس لهم الشيطان، وقال: كيف ترجون الظفر، وقد غلبوكم على الماء، وأنتم تصلون مجنبين ومحدثين، وتزعمون أنكم أولياء الله، وفيكم رسوله. فانزل الله عليهم المطر، وسال الوادي، ولبد الرمل لتثبت به الأقدام، واغتسلوا، وشربوا، وصلّوا، وزالت عنهم الوسوسة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

فلما اطمأنت قريش، بعثوا عمير بن وهب الجمحي[(٣)]، يحرز لهم

(١) زهرة: زهرة بن كلاب بن مرّة، جدّ جاهلي من قريش، من العرب العدنانية، من ذريته بعض الصحابة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٥١.

(٢) العنقلنقل: والصحيح العناقة: وهو ماء لغني، قال أبو زياد: وإذا خرج عامل بني كلاب مصدّقاً من المدينة فإن أول منزل ينزله ويصدّق عليه أُريكة، ثم يرحل من أريكة إلى العناقة وهي لغني، فيصدّق غنيّاً كلها وبطونها من الضباب وبطوناً من بني جعفر بن كلاب. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص ١٦٠.

(٣) عمير بن وهب الجمحي: عمير بن وهب الجمحي، أبو أمية، صحابي، من الشجعان، أبطأ قبول الإسلام، وشهد وقعة بدر مع المشركين، فأسر المسلمون ابناً له، فرجع إلى مكة، فخلا به صفوان بن أمية بالحجر، وقال له: دينك عليَّ، وعيالك عليَّ، أموّنهم ما عشت، وأجعل لك كذا وكذا إن أنت خرجت إلى محمد فقتلته، فوافقه عمير، ورحل إلى المدينة، فدخل بسيفه على النبي ﷺ وهو بالمسجد فسأله: لمَ قدمت؟ قال: أريد فداء ابني. فقال: ما لك والسلاح؟ قال: نسيته عليّ لمّا دخلت. قال: فما جعل لك صفوان بن أمية في الحجر؟ فأنكر، فأخبره النبي بما كان، فدهش وأسلم، وعاد إلى مكة، فأشهر إسلامه. =

المسلمين، فجاء بفرسه نحو العسكر، ثم رجع، فقال: ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً، أو ينقصون قليلاً، لكني والله ما أرى رجلاً منهم يُقتل، حتى يقتل منكم، لحدّتهم وثباتهم.

فمشى حكيم بن حزام إلى عتبة بن ربيعة، فقال: أنت كبير قريش وسيدها، وأرى أن ترجع بالناس، وتحمل دم حليفك ابن الحضرمي، قال: نعم، فاذهب إلى أبي جهل، فمضى إليه ، فقال له: هل لك أن ترجع بالناس عن ابن عمك؟ فقال: ما قال عتبة؟ فقال: لا تنفخ منحرك، أي رئتك، فقال عتبة: إياي تعني يا مصفر استه. وكان أبو جهل به برص في إليته، يغيِّره بالزعفران، فسلّ أبو جهل سيفه، وضرب به متن فرس عتبة، فقال بعض من حضر: بئس الفال.

وروي أن أبا جهل، قال: اللهم من كان أقطع رحم مني (ومحمد)[1] فأخنه، فكانت الدائرة عليه.

وعقد رسول الله ﷺ، الألوية، وكان اللواء الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير[2]، ولواء الخزرج مع الحباب[3]، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، ولواء رسول الله أبيض مع علي بن أبي طالب.

= ثم هاجر إلى المدينة، وشهد مع المسلمين أحداً وما بعدها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٨٩ - ٩٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢٨٩.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١١٦.

(٢) مصعب بن عمير: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، من بني عبد الدار، صحابي شجاع، من السباقين إلى الإسلام، أسلم في مكة، وكتم إسلامه، فعلم به أهله، فأوثقوه وحبسوه، فهرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة، وهاجر إلى المدينة، فكان أول من جمع الجمعة فيها، وعرف فيها بالمقرئ، وأسلم على يده أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وشهد بدراً. وكان في الجاهلية فتى مكة، شباباً وجمالاً ونعمة، ولما أظهر الإسلام زهد بالنعيم. وكان يلقب «مصعب الخير». ويقال: فيه وفي أصحابه نزلت الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١٧٥ ـ ١٧٧. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٤٨.

(٣) الحباب بن المنذر: الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي، ثم السلمي، صحابي، من =

وكان مع المشـركين ثلاثة ألوية، وكان ذلك اليوم، ليلة الجمعة لستة عشر يوماً خلت، من شهر رمضان.

فخـرج الأسـود بن عبدالأسـدد المخزومي، وقـال: والله لأشـربنّ من حوضهـم، ولأُهدّمنّـهُ، أو لأموتـنّ دونه، فخرج له حمزة بـن عبدالمطلب، فضربه على ساقه، فوقع على ظهره، تشخب رجله دماً، (١١٩) ثم دنا من الحـوض ليقتحـم فيه، يريد أن يبـرّ بيمينه، فأتبعــه حمـزة بضربــة أخرى، قتلـه بها.

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصـل من الصف، دعوا خصومهم للمبارزة، فخرجت لهم فتيان من الأنصار: عـوف[١]، ومعـوذ، ابنا الحـارث، وعبدالله بن رواحة، فقالوا: مـن أنتم؟ ما لنا بكـم (من)[٢] حاجـة. ونادوا: يا محمـد، أخرج إليا أكفّاءنا مـن قومنا، فأخرج إليهـم: حمزة، (وعلياً، وعبيدة، فقالوا: أكفّاء كرام، فبارز عبيدةُ عتبةَ بن ربيعة، وبارز حمزةُ شـيبةَ)[٣] وبارز عليٌّ الوليدَ، فقتل علي وحمزة قرينيهما، واختلف

= الشجعان الشعراء، يقال له: «ذو الرأي» قال الثعالبي: «هو صاحب المشورة يوم بدر، أخـذ النبي ﷺ برأيه، ونزل جبريل فقال: «الرأي ما قال حباب». وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة. مات في خلافة عمر سنة ٢٠هـ، وقد زاد على الخمسين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٦٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٦٦٥.

(١) عوف بـن الحـارث، ومعوّذ بـن الحـارث: وهما ابنا عفـراء، قاتلا في بدر إلى جانب رسـول الله ﷺ، ويقـال: إن عوف بـن الحـارث قال للنبي ﷺ: يارسـول الله، ما يضحك الربّ من عبده؟ قال: غمسـة يده في العدو حاسـراً، فنزع عوف بن الحارث درعاً كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سـيفه، فقاتل القوم حتى قتل شهيداً. أما أخوه معوّذ بن عفراء فقد لقي أبا جهل وهو عقير، فضربه حتى أثبته، فتركه وبه رمق، وقاتل معوّذ حتى قتل شـهيداً، وبكتهما أمهما العفراء. انظر: ابن هشـام، عبدالملك بن هشـام: السـيرة النبوية، ج٢، ص ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠ ومعوذ في ج٥، ص٢٣١.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١١٧.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١١٧.

الطعن والضرب بين عبيدة وعتبة، كل واحد ثبت لصاحبه، ثم كرَّ علي وحمزة على عتبة، فقتلاه، وقيل: ضرب شيبةُ رجل (عبيدةَ)[١] فقطعها، فقام إليه حمزةُ فقتله.

واحتمل عليٌّ وحمزةُ عبيدةَ، وأتيا رسول الله ﷺ، فقال: ألسُت شهيداً يا رسول الله؟ قال: بلى. ومات، ودفنه رسول الله بالصفراء[٢]، وقيل عاش ثلاثة أيام، ومات بالروحاء، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله أن لا يحملوا، حتى يأمرهم، وقال: إن أكثبكم القوم، فانضحوهم بالنبل، ورسول الله وأبو بكر في العريش يناشد ربّهُ ما وعده من النصر، ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، إنك لا تخلف الميعاد، وإنها إن تهلك هذه العصابة، لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف ربه، مادّاً يديه، حتى سقط الرداء عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه، فسوّاه، ثم التزمه من ورائه، وقال: كفاك مناشدة ربك، فإنه سينجز ما وعدك. فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ [الأنفال: ٩].

ثم خفف الله عن رسوله، ثم انتبه، وقال: يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بفرسه، يقوده، علا ثناياه النقع، أي الغبار، ومعه خمسمائة فارس من الملائكة، وميكائيل ومعه خمسمائة فارس، على صورة الرجال، عليهم ثياب بيض، وعلى رؤوسهم عمائم بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم، على خيل بلق.

(١) الصحيح عبيدة وليس عتبة.
(٢) الصفراء: وادي الصفراء من ناحية المدينة المنورة، وهو وادٍ كثير النخل والزرع والخير، في طريق الحاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرّة، وبينه وبين بدر مرحلة. قال عرّام بن الأصبغ السلمي: الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، وماؤها يجري إلى ينبع. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٢.

ويروى عن أبي أُسيد مالك بن ربيعة[(١)]، أنه قال، بعدما ذهب بصره: لو كنت معكم اليوم ببدر، ومعي بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، وذلك قوله تعالى: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وقيل: أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة، وثلاثة أيضاً، ولم يقاتلوا، وكانوا بشرى لهم، فجاء جبريل بمن معه من الملائكة (١٢٠) على الميمنة، وميكائيل بمن معه على الميسرة، فكان الملك يسير أمام الصف على صورة رجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم، وإن المشركين خافوا منكم، فتزداد بذلك قوة المسلمين.

وقال ابن عباس: فبينما الرجل من المسلمين يعدو في أثر الرجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة سوط، وصوت فارس يقول: أقدم يا حيزوم، ونظر إلى المشرك خرّ مستلقياً، فنظره، فإذا هو قد شقَّ وجهه، وحطم أنفه، كضربة السوط، فيحدث الملك، فيقول: نعم ذلك من مدد السماء.

وقال ابن عباس: حدثني رجل من بني غفار[(٢)]، قال: قبلت أنا وابن عمي، حتى صعدنا جبلاً، أشرف بنا على بدر، ونحن يومئذ في الشرك، ننظر إلى أهل الوقعة، على من تكون الدائرة، فننهب مع من ينهب، فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا حمحمة الخيل، وسمعنا قائلاً يقول: أقدم يا حيزوم. فأما ابن عمي، فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا، فكدت أهلك، ثم أفقت، لمّا سكت.

(١) مالك بن ربيعة: مالك بن ربيعة بن عمرو «البدن» بن عوف الخزرجي الساعدي، أبو أسيد: صحابي، كانت معه راية بني ساعدة يوم الفتح. وروى أحاديث. وكفّ بصره، اختلفوا في تاريخ وفاته. وقيل: إنه آخر البدريين موتاً، له ٢٨ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٦١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٢١ ـ ٢٢.

(٢) غفار: غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة، من كنانة، جدّ جاهلي. من نسله أبو ذر (جندب بن جنادة) الغفاري، من الصحابة، وأبو رهم (كلثوم بن الحصين) الغفاري. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ١٢١.

وعن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ، أنه قال: كنت بمكة غلاماً، فلما جاء الخبر عن مصاب قريش، كان أبو لهب في مكة، فقال الناس: هذا أبو سفيان قدم، فقال أبو لهب: هلمّ يابن أخي، فعندك الخبر، فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال أبو سفيان، لا شيء والله إن كان، إلا أن لقيناهم، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما لمتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، بين السماء والأرض، لا يقوم لهم شيء. قال أبو رافع: فرفعت طرف الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك الملائكة. فرفع أبو لهب يده، فضرب وجهي ضربة شديدة، فثاورته، فضرب بي الأرض، وبرك عليّ، وكنت ضعيفاً، فقامت أم الفضل، إلى عمود من عمد الخيمة، فضربته به ضربة، فلقت (بها)[1] رأسه، وقالت: أتستضعفه إذ غاب سيّده عنه؟ فقام مولياً، فوالله ما عاش بعدها إلّا سبعة أيام، ورماه الله بالعدسة، فقتلته، وتركه ولداه، لم يدفناه، حتى أنتن في بيته. وكانت قريش تتقي العدسة، كما يتقي الناس الطاعون.

قيل: وكان الرجل المسلم يتتبع الرجل من المشركين ليضربه، فيقع رأس المشرك إلى الأرض، قبل أن يضربه الرجل المسلم، وإن أحد المسلمين يشير بسيفه إلى المشرك، فينخزل، قبل أن يصله السيف، وكان المسلمون(١٢١) يرون رؤوس المشركين تقع على الأرض، لا يدرون من قطعها. وكان النبي يحرّضهم، ويقول: لا يقاتلهم اليوم الرجل منكم صابراً محتسباً غير مدبر، إلّا وحاز الجنة.

وقيل: أخذ النبي قبضة من الرمل، وتفل عليها، وحصدهم بها، وقال: شاهت: الوجوه. فلم يبقَ أحد من المشركين، إلّا ودخل من تلك القبضة عينيه ومنخريه وأنفه، واتبعهم المسلمون، يقتلونهم، ويأسرونهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] الآية. وقلل الله المشركين

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١١٨.

فـي أعين المؤمنيـن، وأكثر المؤمنين في أعين المشـركين، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. وقتل يومئذ من المشركين سبعون رجلاً، منهم أبو جهل، لعنه الله.

رُوي أن معاذ بن عمرو[١]، قال: ضربت أبا جهل، فطارت رجله من ساقه، فضربني ابنه عكرمة[٢]، على عاتقي، فقطع يدي، وتعلقت بجلدة، فقاتلت عامة يومي وأنا أسـحبها خلفي، فلما أذتنـي، وطئت عليها برجلي، فقطعتها. وعاش معاذ إلى زمن عثمان.

ثم مر بأبي جهل مسـعود بن عفراء[٣]، فضربه حتى أثخنه، وتركه وبه رمق من الحياة، وقاتل حتى قتل.

قال عبد الله بن مسعود: أتيت إلى أبي جهل وهو صريع، يذب الناس بسيفه، فقلـت: الحمـد لله الذي أخـزاك يا عدو الله. قال: هل هـو إلا رجل قتله قومه، فجعلت أتناوله بسـيفي غير طائل، فأصبت يده، فطاح سـيفه، فأخذت السيف، فضربته، حتى قتلته.

(١) معاذ بـن عمـرو: معاذ بـن عمرو بن الجموح بـن زيد، من بني كعب بن سـلمة الأنصـاري الخزرجي السـلمي، شـجاع، صحابي. شـهد العقبة وبـدراً. وكان أول من تعاونوا على قتل أبـي جهل يوم بدر، ضربـه وهـو في جمع أصحابه، فقطع سـاقه، ووثب عكرمة بن أبي جهل، فضـرب معاذاً، فقطع يده، وبقيـت معلقـة بجلـدة من جسـمه فضايقته، فوضعهـا تحت قدمـه، وتمطى حتى فصلها عن جسـده، واسـتمر يقاتل حتى آخر النهر، وعاش بعد ذلك حتى وفاته سـنة ٢٥هـ. في خلافة عثمان. انظر: ابن الأثيـر، علي بـن محمد، أسـد الغابة في معرفة الصحابـة، ج٥، ص١٩٤ ـ ١٩٥. وانظـر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٥٨.

(٢) عكرمة بن أبي جهل: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي. كان من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. كان هو وأبوه أشد الناس عداوة للنبي ﷺ. أسلم عكرمة بعد فتح مكة وحسن إسـلامه، فشـهد الوقائع، وولي الأعمال لأبي بكر. واستشـهد في اليرموك، أو يوم مرج الصفر وعمره ٦٢ سـنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٦٧ ـ ٦٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٤٤.

(٣) مسعود بن عفراء: والصحيح معوّذ بن عفراء. وقد وردت ترجمته سابقاً. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٨٨.

وقتل من المشـركين أيضاً أمية بن خلف:، قال عبد الرحمٰن بن عوف: كان أمية بن خلف صديقاً لي بمكة، فلما كان يوم بدر، لقيته واقفاً، ومعه ابنه علي، آخـذاً بيـده، فأخذت بيدهما أقودهمـا، إذ رآهما بـلال، وكان أمية يعذب بلالاً بمكة ليترك الإسـلام، فيخرجه إلى رمضاء مكة، فيضجعه على ظهره، ويجعل علـى صدره صخـرة عظيمة. فقال بـلال، حين رآه ببـدر: رأس الكفرة أمية بن خلـف: لا نجـوت إذ نجا، فأحاط بنا المسـلمون، وأنا أذب عنه، فضرب رجل من المسـلمين ولده، فصاح صيحة ما سـمعت مثلها قط، فقلت: إنج بنفسـك، فوالله ما أغني عنك شيئاً، فضربوهما حتى قتلوهما.

واستشـهد من المسـلمين يوم بدر أربعة عشـر رجلاً، وأُسر من المشركين سبعون رجلاً.

وقفل النبي راجعاً إلى المدينة، فلما وصل إلى الصفراء، أمر علياً أن يقتل من الأسارى النضر بن الحارث، فقتله. ولمّا وصل عرق الظبية[(١)]، (١٢٢) أمر بقتـل عقبة بن أبي معيط[(٢)]، فأتاه عاصم[(٣)]، ليقتله، قال: فمن للصبية يا محمد؟ فقال: لها النار.

(١) عرق الظبية: مكان بين مكة والمدينة، قال الواقدي: هو من الروحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة، وبعرق الظبية مسـجد للنبي ﷺ. وقال ابن إسـحاق في غزوة بدر: مرّ عليه الصلاة والسلام على السـيّالة، ثم على فجّ الروحاء، ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبيّة. وقيل: إن الظبيّة هي الروحاء نفسها. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٥٨.

(٢) عقبة بـن أبي معيط: عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شـمس: مـن مقدمي قريش في الجاهلية. كنيتـه أبو الوليـد، وكنية أبيه أبو معيط. كان شـديد الأذى للمسـلمين عند ظهور الدعوة، فأسـروه يوم بـدر وقتلـوه ثـم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسـلام. انظـر: الزركلي، خير الديـن: الأعلام، ج٤، ص٢٤٠.

(٣) عاصم: عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح قيس بن عصمة الأنصاري الأوسـي، أبو سـليمان صحابي، من السـابقين الأوليـن من الأنصار، شـهد بدراً وأُحداً مع رسـول الله ﷺ، واستشـهد يـوم الرجيع، ورثاه حسـان بن ثابت. ينسـب إليه رجز في بعض حروبه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٠٧ ـ ١٠٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٤٨.

ولقيه الناس بالروحاء يهنئونه بما فتح الله عليه، ودخل المدينة قبل الأسارى بيوم، وقال: استوصوا بالأساري خيراً، فلما جاؤوا بهم إلى المدينة، قال النبي: ما تقولون في هؤلاء؟

قال أبو بكر: قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم، لعلّ الله يتوب عليهم، وخذ منهم فدية، تكون لنا قوة على الكفار.

وقال عمر: يا رسول الله، كذّبوك وأخرجوك، قدّمهم، ومكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكني من فلان، يعني شيبة، فأضرب عنقه، ومكن حمزة من العباس ليضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر.

وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، فقال لهم العباس: قطعت رحمك.

فسكت رسول الله، ولم يجبهم، ودخل، فاختلف الناس أنه بأي رأي يأخذ، ثم خرج، فقال: إن الله ليليّن قلوب أقوام، حتى تكون ألين من الزبد، وإنه ليشدد قلوب أقوام، حتى تكون أشدّ من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم، قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومثلك يا عمر، مثل نوح، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. أو كمثل موسى، قال: ﴿ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. ثم قال رسول الله ﷺ: «**أنتم اليوم عاله، فلا بدّ لأحدكم من الفداء، أو ضرب عنقه**».

ثم فاداهم رسول الله ﷺ، وكان فداء الرجل منهم أربعة آلاف درهم، وثلاثة آلاف، وألفين، وألف، ونودي عليهم على قدر أمولهم، ومن كان لا مال له، جعل عليه أن يعلم الكتابة عشرة من أهل المدينة، لأنهم كانوا لا يكتبون، وأهل مكة يكتبون، فإذا أحذقوا، كان ذلك فداؤهم، ومنّ رسول الله على قومٍ منهم، فسرّحهم.

وأما العباس، فإنه أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لأهل بدر، فبلغته النوبة يوم بدر، وكان خرج بعشرين أوقية ذهباً، فأراد أن يطعم الناس، فاقتتلوا قبل أن يطعم، فأُخِذَ أسيراً مع الذهب فسأل النبي أن يكون ذلك من فدائه، وكان الذي أسره (١٢٣) أبو اليسر كعب بن عمير[١]، قال له رسول الله: كيف أسرته؟ قال: أعانني عليه رجل لم أعرفه، ما رأيته من قبل ذلك ولا بعده. قال النبي: أعانك عليه ملك كريم. فأبى النبي أن يجعل ذلك من فدائه، وقال: أما شيء خرجت به لتستعين به علينا، فلا أتركه لك، وكلفه فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب[٢] ونوفل بن الحارث[٣]، فقال العباس: يا محمد، تركتني أتكفّف قريشاً، ما بقي لي شيء؟ فقال النبي: أين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل حين خروجك من مكة؟ وقُلتَ لها: إن حدث بك حدث، فهذا لك لعبد الله، ولعبيد الله، وللفضل، وقثم، يعني أولاده، فقال العباس: وما يدريك؟ قال:

---

(١) كعب بن عمير: كعب بن عمير الغفاري: من كبار الصحابة، بعثه النبي ﷺ أميراً على سرية نحو «ذات أطلاح» في البلقاء، فقتل فيها. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤٥٨. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٢٨.

(٢) عقيل بن أبي طالب: عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وكنيته أبو يزيد: أعلم قريش بأيامها ومثالبها وأنسابها. صحابي، فصيح اللسان، شديد الجواب، وهو أخو «علي» و«جعفر» لأبيهما. وكان أسن منهما. برز اسمه في الجاهلية. وكان في قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم المنافرات: عقيل، ومخرمة، وحويطب، وأبو جهم. وبقي عقيل على الشرك إلى أن كانت وقعة بدر. أسلم بعد الحديبية، وهاجر إلى المدينة سنة ٨هـ، وشهد غزوة مؤتة. توفي سنة ٦٠هـ في عهد معاوية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٦١ ـ ٦٣. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٤٢.

(٣) نوفل بن الحارث: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، صحابي، كان من أغنياء قريش وأجوادهم وشجعانهم. أخرج قومه يوم بدر لقتال المسلمين وهو كاره، فأسر، ثم أسلم، وكان أسنّ من أسلم من بني هاشم. ورجع إلى مكة، ثم هاجر إلى الرسول الله ﷺ أيام الخندق، وشهد فتح مكة، وحضر حنيناً والطائف، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فكان عن يمينه وتبرع في هذه الوقعة بثلاثة آلاف رمح. وعاش إلى خلافة عمر بن الخطاب، وكانت وفاته سنة ١٥هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٣٤٧. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٥٤.

أخبرني به ربي. قال العباس: أنا أشهد إنك لصادق، واشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنك عبده ورسوله، ولم يطلع على ما قلت لأم الفضل إلّا الله، وأمر العباس عقيلاً، فأسلم.

فلما كان من الغد، قال عمر: جئت إلى رسول الله ﷺ، فرأيته هو وأبو بكر يبكيان، فقلت: يا رسول الله، من أي شيء تبكيان؟ فإن رأيت بكاء وإلا تباكيت. فقال ﷺ: «**أبكي للذي على أصحابك من أخذ الفداء، لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة**». لشجرة كانت قريبة منه، وذلك أنه نزلت عليه هذه الآية: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] فقال ﷺ: «**لو نزل عذاب من السماء، ما نجا منه أحد غير عمر بن الخطاب، وسعد بن معاذ**». فأمسك النبي وأصحابه عن أكل ما أخذوا من الفداء. فأنزل الله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] الآية. وإنما أنكر الله على نبيه ذلك، لأن المسلمين كانوا قليلاً، فلما كثروا، أنزل الله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] الآية.

وقيل: لمّا رجع المشركون إلى مكة، بعد هزيمتهم من بدر، قال عمير لصفوان[1]: لولا دين عليّ قضاؤه، وليس عندي قضاءه، وعيال أخشى عليهم الضيعة من بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله.

فقال صفوان: عليّ دينك، أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، أواسيهم ما بقوا، فقال عمير: اكتم عليّ ذلك، فقال صفوان: نعم.

---

(١) صفوان: صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي، أبو وهب، كان من أشراف قريش في الجاهلية. قال أبو عبيدة: «إن صفوان قنطر في الجاهلية، قنطره أبوه، أي صار له قنطار ذهباً. أسلم بعد فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد اليرموك، ومات بمكة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٤ ـ ٢٦. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٠٥.

ثم إن عميراً أمر بسيفه، فشحذ له، وسقي سمّاً، وانطلق، حتى قدم المدينة، فرآه عمر بن الخطاب ﵁، قد أناخ عند باب المسجد متوشحاً السيف، فقال: هذا عدو الله عمير، ما جاء إلّا بشرّ.

ثم دخل عمر على رسول الله، فقال: يا نبي الله، هذا عمير قد جاء متوشحاً بسيفه (١٢٤) قال: أدخله عليّ، فأقبل عمر على عمير، فجعل خمائل سيفه على عنق عمير، وقال لرجال من الأنصار: أدخلوا على رسول الله ﷺ، واجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على النبي ﷺ، فلما رآه، وعمر أخذ عنقه على خمائل سيفه، قال: أرسله يا عمر، وقال: أدن منّي يا عمير، فدنا عمير من النبي، وقال: انعموا صباحاً، وكانت تلك تحية الجاهلية، فقال النبي: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنّة». ثم قال: يا عمير، ما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي بين أيديكم، فأحسنوا إليه، يعني ابن صفوان، لأنه كان أسيراً يوم بدر. قال النبي: فما بال السيف في عنقك؟ قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً؟ قال: ما الذي جئت له يا عمير؟ أصدقني. قال ما جئت إلا لذلك. قال: بلى، قعدت أنت وصفوان بن أمية بالحجر[١]، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ، وخوفي على عيالي لئلّا يضيعوا بعدي، لخرجت، حتى أقتل محمداً، فتحمل صفوان عنك دينك وعيالك، على أن تقتلني، والله حائل بيني وبينك. فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، وقد كنّا نكذّبك، وهذا أمر لم يحضره أحد غيري وصفوان، فإني والله لأعلم ما أنبأك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهد

(١) الحجر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم ﵇، وحجرت على الموضع ليُعلم أنه من الكعبة، فسمي حجراً لذلك. وقد كان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها، فلما هدم الحاج بناءه صرفه عما كان عليه في الجاهلية. في الحجر قبر هاجر أم إسماعيل ﵇. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٢١.

شـهادة الحق، فقال النبي ﷺ: «**فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا له أسيره**»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إني جهدت في الشرك، والله لقد كنت شديد الأذى لمـن كان علـى دين الله، وإني لا أحب أن تأذن لـي أن آتي مكة، فأدعوها إلى الله، وإلى الإسلام، وإلا آذيتهم على دينهم، كما كنت آذي على دين الله، فأذن له، ولحق بمكة.

وكان صفـوان يسـأل عنه الركبان، ويقول لقريش: أبشـروا بوقعة تنسـيكم بدراً.

ثـم قـدم ركب، فأخبـروه بإسـلام عمير، فحلف أنـه لا يكلمـه، ولا ينفعه بشـيء، فلما قـدم عمير إلى مكة، قام يدعو إلى الإسـلام، ويـؤذي من خالفه، فأسلم على يده خلق كثير.

وفـي هـذه السـنة، قتلت عصمـاء بنت مـروان اليهوديـة[١]، وكانـت تعيب المسلمين، وتؤذي رسول الله، وتقول فيه الشعر، قتلها عمرو بن عدي[٢]، وفيها قـال رسـول الله ﷺ، (١٢٥): **لا تنتطـح فيها عنزان**. فهذه أول ما سـمعت من غريب كلامه.

---

(١) عصمـاء بنـت مروان اليهودية: وهي عصماء بنت مروان، مـن بني عمرو بن عوف، كانت تحض على الفتك برسول الله ﷺ، فوجأها عمير بن عدي بسكين تحت ثديها، فقتلها، ثم أتى النبي ﷺ، فأخبره، وقال: إني لأتقي تبعة أخوتها. فقال النبي ﷺ: لا تخفهم. وردت ترجمتها في سياق ترجمة عمير بن عدي. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ١٢١٨.

(٢) عمرو بن عدي: والصحيح عمير. وهو عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة، إمام بني خطمة وقارئهم، كان ضعيف البصر، وقد حفظ طائفة من القرآن، فسمي القارئ، شهد أُحُداً وما بعدها مـن المشـاهد. أما الواقدي وأهل المغازي فيقولون لم يشـهد أُحداً ولا الخنـدق لضرر بصره، ولكنه قديم الإسـلام، صحيح النيّة، وكان هو وخزيمة بن ثابت يكسـران أصنام بني خطمة. وكان عمير أول من أسـلم من بني خطمة. وهو الذي قتل عصماء بنت مروان اليهودية لشـتمها رسـول الله ﷺ. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في المعرفة الأصحاب، ج٣، ص١٢١٧-١٢١٨.

وفـي هـذه السـنة، نقـض يهـود بنـي قينقـاع العهـد الـذي بينهـم وبيـن رسـول الله ﷺ، وأظهـروا لـه الحسـد والبغي، وهـم أول من نقـض العهد من اليهود، وكان النبي وادع اليهود، حين قدم المدينة، أن لا يعينوا عليه أحداً، وإن دهمه العدو بالمدينة، نصروه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**احذروا ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنني نبي من قبل**». فقالوا: يا محمد، إنك ترى، أننا كقومك، لا يغرنّك أنك لاقيت قوماً، أغمار لا علم لهم بالحرب.

فخـرج رسـول الله ﷺ، للنصـف من شـهر شـوال، وحمـل لـواءه حمزة، واسـتخلف على المدينة أبا لبانة[1]، فتحصنت اليهود في حصونها، فحاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة.

ثـم نزلوا على حكم رسـول الله ﷺ، فأراد قتلهـم، فكلمه فيهم عبدالله بن أُبي، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج، فأعرض عنه ﷺ، ثم أعاد السؤال ثانية، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ، فقال النبـي: ويحـك أرسـلني. فقال: لا والله لا أرسـلك، حتى تحسـن إلـى مواليّ، أربعمائة حاسـر، وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأسـود والأحمر، تحصدهم فـي غـداة واحدة؟ فقال: هم لك، وأمر ﷺ بإجلائهـم، وغنم النبي ما كان لهم من مال، فكان أول خمس في الإسلام بعد بدر، ثم انصرف إلى المدينة.

وفـي هذه السـنة، مات أمية بن أبـي الصلت[2]، وكان قـد رغب عن عبادة

(١) أبـو لبانة: بشـير بن عبدالمنذر. قال ابن إسـحاق: اسـمه رفاعة بن المنذر بن زبير بـن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، كان نقيباً، شـهد العقبة، وشـهد بدراً. قال ابن إسـحاق: وزعم قوم أن أبا لبانة بن عبدالمنذر والحارث بن حاطب خرجا مع رسـول الله ﷺ إلـى بـدر فرجعهمـا، أمر أبـا لبانة على المدينة. وضرب له بسـهمه مع أصحاب بدر. قال ابن هشـام: ردّهمـا مـن الروحاء. مات أبو لبانة في خلافة علي بن أبي طالب كـرّم الله وجهه. انظر: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٧٣٩ - ١٧٤١.

(٢) أمية بن أبي الصلت: أمية بن عبدالله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم، =

الأوثان، وقرأ الكتب المتقدمة، وأخبر أن نبياً يخرج، قد أظلّ زمانه. وكان يأمل أن يكون هو النبي الموصوف، فلما بلغه خروج النبي ﷺ، كفر به، حسداً له.

وفي هذه السنة خرج النبي ﷺ لصلاة عيد الأضحى إلى المصلى، وضحّى هو والأغنياء من أصحابه، وهو أول أضحى كان في المسلمين. وفي هذه السنة كانت غزوة السويق، وسبب ذلك أن أبا سفيان حرَّم على نفسه بعد بدر الدهن والنساء، حتى يأخذ الثأر من محمد. فخرج في مائتي راكب، إلى أن بقي بينه وبين المدينة ثلاثة أميال، فقتل رجلاً من الأنصار وأجيراً له، وحرق بيوتاً، (١٢٦) فرأى أن يمينه قد برَّت، ثم ولى هارباً.

فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخرج في أثره، في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار، يوم الأحد، لخمس ليالٍ خلون من ذي الحجة، واستخلف على المدينة أبا لبانة بن عبد المنذر، فجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب، فيرمون ما عندهم من الزاد، وكان عامة زادهم جرب السويق، فلم يلحقهم النبي، وأخذ المسلمون ما طرحوه من جرب السويق، فسميت غزوة السويق. فرجع النبي وأصحابه إلى المدينة، وكانت غيبتهم خمسة أيام.

= من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً، وهو ممن حرّموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. ورحل إلى البحرين، فأقام ثماني سنين، ظهر في أثنائها الإسلام، عاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ، فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة، وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع، وأقام بالطائف حتى وفاته سنة ٥هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٣.

الباب الثاني عشر

في ذكر الأمور الحادثة
في السنة الثالثة من الهجرة



ففي هذه السنة، تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت النبي ﷺ، في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة من هذه السنة. وكان بين البناء بها، وبين موت أُختها رقيّة تسعة أشهر.

وفي هذه السنة، غزا رسول الله ﷺ غزوة أنمار[١]، في ربيع الأول، فلما بلغ ذا مرّ[٢]، عسكر به، ونزل هو وأصحابه، ولا يرون من العدوّ أحداً، والسماء ترشّ، ووضع الناس أسلحتهم، وخرج رسول الله في حاجة، وقد وضع سلاحه، وجاء الوادي، فحال بينه وبين أصحابه، فجلس في ظل شجرة، فبصر به غويرث بن الحارث المحاربي[٣]. فقال له أصحابه: يا غويرث، هذا محمد، قد انقطع عن أصحابه، قال: قتلني الله إن لم أقتله. ثم انحدر من الجبل ومعه سيفه، قد سلّه من غمده، فلم يشعر به النبي، إلّا وهو واقف على رأسه، مخترط السيف، فقال: يا محمد، من يعصمك مني؟ قال: يعصمني الله، ثم قال: اللهم اكفني غويرثاً بما شئت. ثم أهوى غويرث بسيفه إلى النبي، فزلقت به رجله، فأكبَّ على وجهه، وخرج السيف من يده، فأخذه النبي، وقال: يا غويرث، من يمنعك الآن منّي؟ قال لا أحد يمنعني، فقال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وإني عبده ورسوله، فأُعطيك

(١) غزوة أنمار: انظر تفاصيل الغزوة في: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج٤، ص ٢ - ٣.

(٢) ذو مرّ: اسم مكان، وسمي مرّاً لأنه في عرق من الوادي، من غير لون الأرض. ويذكر عن كثير أنه قال: سميت مرّاً لمرارتها، وهو موضع على بعد مرحلة من مكة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص ١٠٤.

(٣) غويرث بن الحارث المحاربي: وفي البداية والنهاية: «غورث بن الحارث، أو دعثور بن الحارث، وفيه إشارة إلى أن غويرث لم يسلم، بل استمر على دينه، ولم يكن عاهد النبي أن لا يقاتله، والله أعلم. انظر: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج٤، ص ٢ - ١.

سيفك، قال: لا، ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً، ولا أعين عليك عدواً، فأعطاه سيفه، ثم قال غويرث للنبي: أنت خير مني، فقال النبي: أجل، أحق بذلك منك.

ورجع غويرث، فقال له أصحابه، ويلك لقد رأيناك هويت بالسيف إليه، فما منعك منه؟ فقصَّ عليهم الخبر، فلحقت بنو محارب[١] وبنو أنمار[٢] برؤوس الجبال، (١٢٧) ودخل قلوبهم الرعب.

ثم انقطع الوادي، وأتى النبي إلى أصحابه، وقصَّ عليهم الخبر، ورجع إلى المدينة.

وفي هذه السنة، كانت غزوة القرده، وذلك أن قريشاً قالت: إن محمداً قد عوّز علينا متجرنا، وهو على طريقنا، فإن أقمنا بمكة، أكلنا رؤوس أموالنا، فاستأجر صفوان بن أمية الفرات بن حيان العجلي[٣] دليلاً، وخرج بهم إلى الشام، وكان ذلك وقت الشتاء، فسلك بهم ذات عرق[٤]، فلما بلغ الخبر إلى النبي ﷺ، بعث زيد بن حارثة، في جمادى الأولى، فاعترض العير، وظفر بها، وأفلت أعيان القوم، وأسر من أتى، وكان معهم مال كثير، وأواني الفضة،

---

(١) بنو محارب: ينسبون إلى محارب بن فهر بن مالك بن النضر، من قريش، ومن نسله مشاهير كثيرون. انظر: الزركلي، خيرالدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٨١.

(٢) بنو أنمار: ينسبون إلى أنمار بن نزار بن معد، من عدنان، وكان بعض بنيه في تهامة الحجاز، ثم تحولوا إلى سراة عسير، بين اليمن والحجاز. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٨.

(٣) الفرات بن حيان العجلي: فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبدالعزى بن حبيب بن حيّة بن ربيعة بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب البكري ثم العجلي، حليف بني سهم، وهو أحد الأربعة الذين أسلموا من ربيعة، وحسن إسلامه، وفقه في الدين، وسيره النبي إلى ثمامة بن آثال في قتل مسيلمة وقتاله. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٣٥١ - ٣٥٢.

(٤) ذات عرق: مُهَلُّ أهل العراق، وهو الحدّ بين مجد وتهامة، وقيل: عرق جبل بطريق مكة، ومنه ذات عرق. وقال الأصمعي: ما ارتفع من بطن الرُّمّة فهو نجد على ثنايا ذات عرق، وعرق: هو الجبل المشرف على ذات عرق، وإياه عنى ساعدة بن جؤيّة بقوله يصف سحاباً:

لما رأى عرقاً ورجّع صوبه ... هدراً كما هدر الفنيق المصعب

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص١٠٧ - ١٠٨.

فاقتسم النبي ﷺ الغنائم بين أصحاب السريّة، وأخرج الخمس، قيل: بلغ الخمس عشرين ألفاً، وأطلق الفرات بن حيان، فرجع إلى مكة.

وفي هذه السنة، تزوج رسول الله ﷺ حفصة[1] بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في شهر شعبان، وكانت تحت حبيش بن حذافة السهمي، في الجاهلية، فتوفي عنها، قبل مبعث النبي، وقيل: أدرك النبي، وأسلم، وشهد بدراً، وتوفي بالمدينة.

وهي أخت عبدالله من أبيه وأمه، وأمهما أم زينب بنت مظعون، قيل: إن عمر عرض ابنته على عثمان أولاً، فقال له: سأنظر في ذلك، فمكث أياماً، ثم قال: بدا لي أن لا أتزوج اليوم.

ثم عرضها على أبي بكر، فسكت عنه، ولم يجبه، فوجد عمر على أبي بكر، فمكث ليالي، ثم خطبها منه رسول الله ﷺ، فزوجه بها، ثم لقيه أبو بكر، فقال له: لعلك وجدت عليَّ يا عمر؟ فقال نعم، قال أبو بكر: سكت عنك، لأني سمعت رسول الله ﷺ، يذكرها، فكرهت أن أفشي سره، ومنعني ذكره إياها أن أقبلها، ولو تركها النبي لقبلتها.

وقيل إن النبي همَّ بطلاقها، فوهبت يومها لعائشة، فقالت: ليس لي رغبة في الزواج، وإنما أريد أن أُحشر من جملة نسائك.

وقيل: إنه طلقها، فأتاه جبريل، وقال له: راجع حفصة، فإنها صوّامة قوّامة،

(١) حفصة: حفصة بنت عمر بن الخطاب: صحابية جليلة صالحة، من أزواج النبي ﷺ، ولدت بمكة، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلما، وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها، فزوجه إياها سنة اثنتين أو ثلاث للهجرة، واستمرت في المدينة بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن توفيت بها سنة ٤٥هـ. روى لها البخاري ومسلم ٦٠ حديثاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٦٧ ـ ٦٨. وانظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

وهي زوجتك في الجنّة، وقيل إنه راجعها رحمة لأبيها، وعاشت حفصة ستين سنة، وماتت بالمدينة، في خلافة عثمان.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة[١]، في شهر رمضان، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية، وكساء، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في ربيع الآخر، سنة أربع من الهجرة، ودفنت بالبقيع، وكانت تسمى أم المساكين، وكانت قبل النبي مع الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب[٢].

وقيل: تزوجها النبي، بعد وقعة أحد، وإنها كانت تحت عبد الله بن جحش، وكانت أخت ميمونة[٣] من الأم، فعلى هذا القول، مكثت مع النبي شهرين أو ثلاثة.

وفي هذه السنة كانت غزوة أحد، في يوم السبت، لسبع ليالٍ خلون من شوال، أو للنصف منه، وسبب تلك الغزوة أنه لما رجع المشركون من بدر، وجدوا العير التي رجع بها أبو سفيان موقوفة في دار الندوة، (١٢٨) فمشت

(١) زينب بنت خزيمة: زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية: من أزواج النبي ﷺ، كانت تدعى في الجاهلية «أم المساكين» تزوجها عبيدة بن الحارث، وقتل عنها ببدر، فتزوجها النبي ﷺ سنة ٣هـ، ولبثت عنده ثمانية أشهر أو أقل، وماتت بالمدينة، وعمرها نحو ثلاثين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١٣٠. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٦٦.

(٢) الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب: الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي، قرشي، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. وكان من ذوي الشجاعة والشرف. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٢٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٧٤.

(٣) ميمونة: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية: آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، وآخر من مات من زوجاته. كان اسمها «برّة» فسماها «ميمونة» بايعت بمكة قبل الهجرة. وكانت زوجة أبي رهم بن عبد العزى العامري. مات عنها، فتزوجها النبي ﷺ سنة ٧هـ. وروت عنه ٧٦ حديثاً. وعاشت ٨٠ سنة، وتوفيت في «سرف» وهو الموضع الذي كان فيه زواجها بالنبي قرب مكة، ودفنت به. وكانت صالحة فاضلة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج، ص٣٤٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣.

أشراف قريش إلى أبي سفيان، وقالوا: جهز بهذا الربح جيشاً إلى محمد، فقال: نعم، أنا أول من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد المطلب معي، وكان المال ألف بعير، وخمسين ألف دينار، فباعوها، وسلموا لأهلها رؤوس أموالهم، وعزلوا الأرباح، وبعثوا إلى الأعراب يستنصرونهم، فخرجوا من مكة، ومعهم نسوة تذكرهم قتلى بدر، ليجدّوا في الحرب.

وكتب العباس خبرهم إلى النبي ﷺ، وكان عددهم ثلاثة آلاف، ومعهم سبعمائة درع ومائتا فارس، وثلاثة آلاف بعير، فنزلوا بذي الحليفة(١)، وأقاموا الأربعاء والخميس والجمعة.

فاستشار النبي أصحابه للقتال، ودعا عبد الله بن أبي سلول، ولم يدعه قط قبلها، فاستشاره، فقال عبد الله وأكثر الأنصار: يا رسول الله، أقم بالمدينة، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط، إلّا وأصاب منّا، ولا دخل علينا إلّا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا، فأعجب النبي هذا الرأي.

وقال بعض الصحابة: إخرج بنا يا رسول الله، إلى هذه الأكلب، لا يرون أنا جبنا عنهم. وأتاه النعمان بن مالك الأنصاري(٢)، فقال: يا رسول الله، لا تحرمني الجنة، فو الذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة، فقال له: صدقت. ثم قال: إني

(١) ذو الحليفة: مكان من تهامة، ورد ذكره في حديث رافع بن خديج، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة من تهامة، فأصبنا نهب غنم، فهو موضع بين حاذة وذات عرق من أرض تهامة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٦.

(٢) النعمان بن مالك الأنصاري: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج، وثعلبة بن دعد هو الذي يقال له قوقل، وكان له عزّ، فكان يقول للخائف: قوقل حيث شئت، فأنت آمن، فقيل لبني غنم ولبني سالم لذلك القواقلة، وكذلك يدعون في الديوان النعمان بن قوقل. شهد النعمان بن مالك بدراً وأُحُداً، وقتل يوم أحد شهيداً، قتله صفوان بن أبي أمية في قول محمد بن عمر، وأما عبد الله بن محمد بن عمارة فإنه قال: الذي شهد بدراً وقتل يوم أحد النعمان الأعرج بن مالك بن ثعلبة. والذي يدعى قوقلاً هو النعمان بن مالك لم يشهد بدراً والله أعلم. نظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص٦٧.

أشـهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسـول الله، ولا أفرُّ من الزحف. قال: صدقت. فقيل يومئذ، قال رسول الله ﷺ: «رأيت في المنام بقراً فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، فأولته هزيمة، ورأيت (أني)[1] أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقفوا بالمدينة وتدعوهم، فإن أقاموا، أقاموا بشـرّ مقام، وإن دخلوا علينا المدينة، حاربناهم فيها».

وكان رسـول الله ﷺ يعجبـه أن يدخلـوا عليهـم المدينـة، فيقاتلوهـم فـي الأزقـة. وكان رجـال ممن فاتتهم بدر، أكرمهم الله بالشـهادة يـوم أحد، فقالوا: إخـرج بنـا إلى أعدائنا، فلم يزالوا به، حتـى دخل، فلبس لامة حربه، فلما رأوه لبس السـلاح، ندموا، وقالوا: بئس ما صنعنا، نشـير على رسـول الله، والوحي يأتيـه، فقامـوا واعتـذروا إليه، وقالـوا: إصنع ما رأيت. قـال: «لا ينبغي لنبي أن يلبس لامة حربه، ثم يضعها حتى يقاتل»، فسار النبي إليهم بعد صلاة الجمعة، وكان قـد مـات رجـل مـن الأنصار، فصلـى عليه، ثـم خرج فـي (١٢٩) ألف رجل، وقيل: تسـعمائة وخمسـين، وفيهم مائة دارع، وعقد ثلاثـة ألوية،: فدفع لـواء الأوس إلى أسـيد بن حضير[2]، ولـواء الخزرج إلى الحبـاب، وقيل: إلى سـعد بن عبـادة[3]، ولواء المهاجرين إلـى علي، وقيل: إلـى مصعب بن عمير،

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) أسـيد بن حضير: أسـيد بن حضير بن سـماك بن عتيك الأوسـي، أبو يحيى: صحابي، كان شـريفاً في الجاهليـة والإسـلام، مقدماً في قبيلته (الأوس) من أهل المدينة. يعـدّ من عقلاء العرب وذوي الرأي فيهم. وكان يسمى الكامل، شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار. وكان من النقباء الاثني عشر، وشـهد أُحُداً، فجرح سـبع جراحات، وثبت مع رسـول الله حين انكشـف الناس عنه، وشـهد الخندق والمشاهد كلها. وفي الحديث: «نعم الرجل أسيد بن الحضير» توفي في المدينة، له ١٨ حديثاً. انظر: الزركلـي، خيـر الديـن: الأعـلام، ج١، ص٣٣١. وانظر: ابن الأثيـر، علي بن محمد، أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٤٠ ـ ٢٤٢.

(٣) سـعد بن عبادة: سـعد بن عبادة بـن دليم بن حارثة الخزرجـي، أبو ثابت: صحابي، مـن أهل المدينة. كان سـيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشـراف في الجاهلية والإسلام. وكان يلقب في الجاهلية بالكامل (لمعرفتـه الكتابة والرمي والسـباحة) وشـهد العقبة مع السـبعين من الأنصار. وشـهد أُحـداً والخندق =

واستخلف على المدينة ابن أم كلثوم، وصلى المغرب من طرف المدينة، وبات في بيوت بني حارثة[1]، واستعمل تلك الليلة على الحرس محمد بن سلمة[2]، في خمسين رجلاً، يطوفون بالعسكر، وأدلج بسحر، وصلى الصبح بأصحابه، فلما بلغ الشوط[3]، انعزل عبد الله بن أُبي، في ثلاثمائة رجل ممن يتبعه، وكان رأيه أن لا يخرج من المدينة، وهو الذي أنزل فيه ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. وهمت بنو حارثة وبنو سلمة بالإنصراف مع عبد الله، فعصمهم الله، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢].

= وغيرهما. وكان أحد النقباء الاثني عشر. ولما توفي رسول الله ﷺ، طمع بالخلافة، لم يبايع أبا بكر. فلما صار إلى عمر عاتبه، فقال سعد: كان والله أصبحت كارهاً لجوارك. فقال عمر: من كره جوار جاره تحول عنه. فلم يلبث سعد صاحبك أحب إلينا منك، وقد والله أن خرج إلى الشام مهاجراً، فمات بحوران. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٨٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٤١ ـ ٤٤٣.

(١) حارثة: حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو الأوسي الأزدي القحطاني: جدّ جاهلي. من بنيه رافع بن خديج، والبراء بن عازب، وعبد الرحمٰن بن نجيد، الحارثيون الأنصاريون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٥٨.

(٢) محمد بن سلمة: محمد بن سلمة الأنصاري الحارثي، يكنى أبا عبد الرحمٰن، ويقال: بل يكنى أبا عبد الله، وهو محمد بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، حليف بني عبد الأشهل، شهد بدراً والمشاهد كلها، ومات بالمدينة، ولم يستوطن غيرها، وكانت وفاته بها في صغر سنه سنة ست وأربعين، وقيل سنة تسع وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذٍ أمير على المدينة. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٤٣٣.

(٣) الشوط: اسم حائط، يعني بستاناً بالمدينة. قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد، حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أُبي، ورجع إلى المدينة، وفيه يقول قيس بن الخطيم:

وقد علموا أنما فلّهم ... خدور البيوت وأعيانها
وبالشوط من يثرب أعبُدٌ ... ستهلك في الخمر أثمانها

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٢.

ومضى رسول الله في سبعمائة رجل، حتى بلغ الشعب من أُحُد، في عدوة الوادي، وجعل أُحُداً خلف ظهره، واستقبل المدينة، وجعل جبل عينين[١] عن يمينه، وجبل قباء من يساره، وجعل عليه خمسين رجلاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير[٢]، وقال: أقيموا بأصل الجبل، وانضحوا عنه بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، فإن كانت لنا أو علينا، لا تبرحوا مكانكم، فإنا لا نزال غالبين ما ثبتّم مكانكم، وأقبل يسوّي الصفوف، وجاء المشركون، وصَفّوا، وجعلوا خالد بن الوليد[٣]، على الميمنة، وعكرمة على الميسرة، وصفوان بن أمية على الجبل، أو عمرو بن العاص، وعلى الرماة عبد الله بن ربيعة، ولواؤهم بيد طلحة بن أبي طلحة، وكانوا مائة رامٍ، ومعهم النساء، يضربن بالدفوف، ويقلن الأشعار، فقالت هند[٤]:

---

(١) جبل عينين: وهو تثنية عين، ولكن بعضهم يتلفظ به على هذه الصيغة في جميع أحواله، فإن الأزهري ذكره فقال مبتدئاً: عينين جبل بأُحد، وقد بسطتُ القول فيه في عينان، قال أبو عبيدة في قول البعيث:

ونحن منعنا يوم عينين منقراً ... ولم ننب في يومي جدود عن الأسَلِ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ١٨٠.

(٢) عبد الله بن جبير: عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري: صحابي، شهد العقبة وبدراً، وكان أمير الرماة يوم أحد، فاستشهد فيها سنة ٣هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٩٤.

(٣) خالد بن الوليد: خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، صحابي، كان من أشراف قريش في الجاهلية، يلي أعنّة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ، فسرّ به رسول الله ﷺ، وولاه الخيل. ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة، ثم سيره إلى العراق سنة ١٢هـ، ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه. وحوله إلى الشام. ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام، وولى أبا عبيدة بن الجراح. مات بحمص سنة ٢١هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٣٠٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١٤٠ ـ ١٤٤.

(٤) هند: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، تزوجت أباه بعد مفارقتها لزوجها الأول الفاكه بن المغيرة المخزومي. كانت فصيحة تقول الشعر، وأكثر ما عرف عنها مراثيها لقتلى بدر من مشركي قريش قبل أن تسلم، ووقفت بعد وقعة بدر (في وقعة أحد ومعها بعض النسوة يمثلن بقتلى المسلمين، ويجدعن آذانهم وأنوفهم، وتجعلها هند قلائد، وخلال، وترجس في تحريض المشركين والنساء من حولها يضربن الدفوف: =

نــحـــن بـــنــــات طـــارق نـمـشـي عـلـى الـنـمــارق[١]

وكان أول مـن لقيهم بالحـرب أبو عامر الصيفي[٢] بمـن معه من الأحابيش، وعبيـد أهل مكـة، فقاتلهم قتالاً شـديداً، حتـى حميت الحرب، واشـتدّت، فقال رسـول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف، ويضرب به العدو حتى ينحني»؟. فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة[٣]، وكان رجلاً (شجاعاً)[٤] يختال عند الحرب، ويقول:

أنـا الـذي عاهدنـي خليلـي أن لا أقـوم الدهـر فـي الكبـول
ونحـن بالسـفح لـدى النخيـلِ أضرب بسـيف الله والرسـولِ[٥]

= نــحـــن بـــنــــات طـــارق نـمـشـي عـلـى الـنـمــارق
إن تــقــبـلــوا نــعــانــق أو تـــدبـــروا نــفـــارق
فـــراق غـيـر وامـق

وكانـت ممـن أهـدر النبي ﷺ دماءهم، يـوم فتح مكـة وأمر بقتلهم ولـو وجدوا تحت سـتار الكعبة، فجاءته مع بعض النسوة في الأبطح، فأعلنت إسلامها. توفيت سنة ١٤هـ. انظر: الزركلي، خيرالدين: الأعـلام، ج٤، ص٩٨. وانظـر: ابـن الأثيـر، علـي بن محمد، أسـد الغابـة في معرفـة الصحابة، ج٧، ص٢٨١ ـ ٢٨٢.

(١) انظر البيت في: ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٥٣.

(٢) أبـو عامـر الصيفي: هـو أبو عامر عبـد عمرو بن صيفي بن مالك بـن النعمان أحد بنـي ضبيعة، خرج إلى مكة مباعداً رسـول الله ﷺ في خمسـين غلاماً من الأوس، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبْدان أهل مكة، فنادى: يا معشـر الأوس، أنا أبو عامر، فقالوا: فلا أنعم الله بـك عيناً يا فاسـق. وكان يسـمى في الجاهلية: الراهب، فسـماه النبي ﷺ الفاسـق، وقاتـل قومه قتالاً شديداً. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧١.

(٣) أبو دجانة سـماك بن خرشـة: سـماك بن خرشـة الخزرجي البياضي الأنصاري، المعروف بأبي دجانة: صحابي، كان شجاعاً بطلاً. له آثار جميلة في الإسلام شهد بدراً، وثبت يوم أحد، وأصيب بجراحات كثيرة. واستشهد باليمامة، كانت له مشية عجيبة في الخيلاء، يضرب بها المثل. نظر إليه النبي ﷺ في معركة، وهو يتبختر بين الصفين، فقال: هذه مشـية يبغضها الله إلاّ في هذا المكان. وكان يقال له «ذو الشـهرة» وهي درع يلبسـها في الحرب. و«ذو السـيفين» لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله ﷺ، وقيل في نسبة: سماك بن أوس بن خرشة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٣٨ ـ ١٣٩. وانظر: ابن الأثير. علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٥٥٠ ـ ٥٥١.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ١٢٧.

(٥) انظر الأبيات في: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٣.

(١٣٠) فقال ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله، إلا في هذا الموضع». ثم صاح طلحة بن أبي طلحة: البراز، فبرز له علي بن أبي طالب، فضربه على رأسه، ففلق هامته، وكبّر المسلمون، وشدّوا على المشركين، وضرب حمزةُ عثمان بن أبي طلحة[١] حامل اللواء، فقطع يده، ثم حمله أبو سعيد بن طلحة[٢]، فوثب سعد بن أبي وقاص، فقتله، ثم حمله مسافع بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت[٣]، فقتله ثم حمله الحارث بن طلحة[٤]، فرماه عاصم أيضاً، فقتله، ثم حمله

---

(١) عثمان بن أبي طلحة: هو عثمان بن أبي طلحة عبدالله بن عبد لعزى بن عثمان بن عبدالدار، بعد مقتل أخيه كان صاحب لواء المشركين في معركة أُحد، وكان يقاتل ويردد هذا البيت:

إن على أهل اللواء حقاً   أن يخضبوا الصّعدة أو تندقّا

نازله حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وقتله. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٧٢.

(٢) أبو سعيد بن طلحة: والصحيح أبو سعد بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين في معركة أحد. بارزه الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وكان يحمل راية رسول الله ﷺ، فصرعه علي، ثم انصرف عنه، ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: استقبلني بعورته، فعطفتني الرّحم، وعرفت أن الله ﷻ قد قتله. وفعل علي هذه غير مرّة عندما حمل على بسر بن أرطأة في صفين، وعلى عمرو بن العاص في صفين أيضاً. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٨.

(٣) عاصم بن ثابت: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، صحابي، شهد غزوة أُحد، وأبلى فيها بلاءً حسناً. قتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة، كلاهما يشعره سهماً، فيأتي أمه سلافة (وكانت سلافة زوجة طلحة بن أبي طليحة من جملة نساء وجهاء قريش من المشركين اللواتي حضرن مع هند آكلة الأكباد) فيضع رأسه في حجرها، فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح. فنذرت إن أملكها الله رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر. وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً أبداً، ولا يمسه مشرك. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٠٧.

(٤) الحارث بن طلحة: الحارث بن طلحة بن أبي طليحة عبدالله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار، وهو ابن طلحة بن أبي طليحة صاحب راية المشركين في أحد، وقد قتل في تلك المعركة، ولم يذكر ابن هشام أن عاصم بن ثابت قتله، وعاصم هو قاتل أخويه: مسافع بن طلحة والجلاس بن طلحة. والذي قتله هو قُزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٩، ١٣٤.

كلاب بـن طلحة[١]، فقتلـه الزبير. ثم حمله حلاس بن طلحة[٢]، فقتله طلحة بن عبيـد الله. ثـم حملـه أرطأة بـن شـرحبيل[٣]، فقتلـه علـي. ثم حمله شـريح بن فـارض، فقتلـه بعض المسـلمين، ثم حملـه صـوار[٤]، فقتله بعض المسـلمين.

فلما قتل أصحاب اللواء، وهم عشـرة[٥]، انهزم المشركون، وجعلن النساء يدعيـن بالويـل والثبـور، فتبعهـم المسـلمون، وقتـل علي الحكم بـن الأخنس الثقفي[٦]، وأبا أمية بن حذيفة[٧]، وقتل حمزة سُباع بن عبد العزى[٨].

---

(١) كلاب بـن طلحـة: كلاب بـن طلحة بن أبـي طليحة عبد الله بـن عبد العزي بـن عثمان بـن عبد الدار. مـن المشـركين، قتـل يوم أُحد هـو وأبوه وأخوته. يقـال قُزمان، حليـف لبني ظفر. انظر: ابن هشـام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٦٦، ١٣٤.

(٢) حلاس بن طلحة: والصحيح الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. من المشركين، قتله ثابت بن أبي الأقلح بسهم أصابه في رأسه. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٩.

(٣) أرطأة بن شـرحبيل: والصحيح أرطأة بن عبد شرحبيل. وهو أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء. قتله حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ في معركة أُحد. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٤.

(٤) صـوار: والصحيـح صـؤاب، وهو غلام لبنـي أبي طليحة، حبشـي، وكان آخر من أخـذه منهم، فقاتل حتى قطعت يداه، ثم برك عليه، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قُتل عليه. وفيه قال حسـان بن ثابت الأنصاري:

فـخـرتـم بـالـلـواء وشـــرّ فخر ... لـــواء حـيـن رُدَّ إلـــى صــؤابِ
جـعـلـتـم فـخـركـم فـيـه بعبدٍ ... وألأم مـن يـطـا عـفـر الـتـرابِ

انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٨٣.

(٥) قتلهم علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٧.

(٦) الحكم بـن الأخنـس الثقفي: والصحيح أبو الحكم بن الأخنس بن شـريق بن عمرو بن وهب الثقفي. من مشركي قريش، وأحد الذين شاركوا في معركة أُحد. قتله علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص١٣٥.

(٧) أبـو أمية بـن حذيفـة: والصحيح أبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، من مشـركي قريـش، وأحد الذين شـاركوا فـي معركـة أُحد، قتلـه علي بن أبي طالـب كرّم الله وجهـه. انظر: ابن هشـام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٨.

(٨) سـباع بن عبد العزى: هو سـباع بن عبد العزى الغبشـاني، وكان يكنى بأبي نيار، من المشـركين، قاتل =

وقتل من المشركين طائفة أخرى، منهم الواسط بن شريح بن هاشم(١)، وهاشم بن أمية(٢)، والوليد بن العاص(٣)، وخالد بن الأعلم(٤)، وعبيدة بن جابر(٥)، وشيبة بن مالك(٦)، وأسيد بن أبي طلحة، قتله عبد الرحمٰن بن عوف.

فلما رأى المسلمون انهزام المشركين، أقبلوا ينهبون، ويأخذون الغنائم، ولمّا رأى الرماة ذلك، أقبلوا، يريدون النهب مثل أصحابهم، واختلفوا، فقال بعضهم: لا نترك أمر رسول الله. وقال بعضهم: ما بقي من الأمر شيء. فانطلق عامتهم، ولحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد بن الوليد قلّة الرماة، واشتغال

= المسلمين في معركة أُحد، مرّ بعمّ الرسول ﷺ حمزة بن عبد المطلب، فقال له حمزة: هلمَّ إليَّ يا ابن مقطعة البظور، وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، وكانت ختانة بمكة، فلما التقيا ظفر به حمزة، فقتله. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ١٧.

(١) الواسط بن شريح بن هاشم: والصحيح القاسط. وهو القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، أحد مشركي قريش الذين شاركوا في معركة أُحد، وقتل فيها، قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ١٣٤.

(٢) هشام بن أمية: وهو هشام بن أبي أمية بن المغيرة. من مشركي قريش، شارك في معركة أُحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ١٣٥.

(٣) الوليد بن العاص: هو الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة. من زعماء المشركين في قريش، شارك في معركة أُحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ١٣٥.

(٤) خالد بن الأعلم: خالد بن الأعلم، حليف لبني مخزوم بن يقظة، أحد المشركين القرشيين الذين في معركة أُحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ١٣٥.

(٥) عبيدة بن جابر: عبيدة بن جابر، من نبي عامر بني لؤي، أحد المشركين، من قريش، شارك في معركة أُحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. وقال ابن هشام: ويقال قُتل عبيدة بن أبي جابر بن عبد الله بن مسعود. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ١٣٥.

(٦) شيبة بن مالك: شيبة بن مالك بن المضرّب، من بني عامر بن لؤي، أحد مشركي قريش، شارك في معركة أُحد، وقتل فيها. قتله قزمان، حليف لبني ظفر. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ١٣٥.

المسلمين بالنهب، ورأى ظهورهم خالية، صاح في خيلة من المشركين، فحملوا على المسلمين، وقتلوا من بقي من الرماة، وقتلوا عبدالله بن جبير، وانفضت صفوف المسلمين، ورمى عبدالله بن قمئة الحارثي[(١)]، النبي ﷺ، فذبّ عنه مصعب، فقتل مصعب دون النبي، وظن عبدالله بن قمئة أنه قتل النبي، فقال: إني قتلت محمداً، ونادى إبليس، لعنه الله، إن محمداً قد قتل، فانكشف المسلمون، وثبت النبي ومعه ثلاثة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين: أبو بكر، وعثمان، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. وجعل رسول الله يدعو الناس، ويقول: إليَّ عباد الله، إلي عباد الله. فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً، فحموه، وكشفوا عنه المشركين، ورمى سعد بن أبي وقاص، حتى اندقت سنية قوسه، وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله، وقي بها النبي، وأصيبت عين قتادة (١٣١) بن النعمان[(٢)]، حتى وقعت على جبينه، فردّها رسول الله، فعادت كأحسن ما كانت.

فلما انصرف رسول الله، أدركه أُبي بن خلف الجمحي[(٣)]، وقال: لا نجوت

---

(١) عبدالله بن قمئة الحارثي: والصحيح هو أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذٍ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبدالله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن عبدالله بن قمئة الحارثي جرح وجنته. وكان ابن قمئة قتل مصعب بن عمير وهو يدافع عن النبي ﷺ. وظنّ ابن قمئة أنه رسول الله، فرجع إلى المشركين، وقال: قتلت محمداً. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٧، ٨٥.

(٢) قتادة بن النعمان: قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب، وكعب هو ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الظفري الأنصاري، يكنى أبا عمرو، وقيل: يكنى أبا عبدالله، عقبي، شهد بدراً والمشاهد كلها، وأصيبت عينه يوم بدر، وقيل يوم الخندق، وقيل: يوم أُحد، فسالت حدقته، فأرادوا قطعها، ثم أتوا النبي ﷺ، فدفع حدقته بيده، فردّها، فكانت أحسن عينه وأهداهما نظراً. وكانت وفاته في ثلاثة وعشرين، وقيل: سنة أربع وعشرين، ونزل في قبره أبو سعيد الخدري، وهو أخوه لأمه. انظر: عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٣٨٨ - ٣٨٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٣) أُبي بن خلف الجمحي: أُبي بن أبي خلف الجمحي، أحد سادات المشركين في قريش، كان يلتقي رسول الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد، إن عندي العوذ، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً (مكيال يسع =

إن نجوت، وكان قبل ذلك، يقول للنبي: أنا أقتلك، قال النبي: لا، بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلما دنا منه، تناول النبي الحربة من الحارث بن الصمة[١]، ثم استقبله بها، فطعنه في عنقه، وخدشه خدشة تدهده عن فرسه، وهو يخور كما يخور الثور، ويقول: قتلني محمد، فاحتمله أصحابه، وهم يقولون: لا بأس عليك، قال: بلى، لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم، أليس قال لي: أنا اقتلك، فلم يلبث إلّا يوماً، حتى مات بموضع يقال له سرف[٢]. وقال حسان بن ثابت:

لقد ورث الضلالة عن أبيه ... أبيٌّ حين بارزه الرسولُ
أتيتَ إليه تحمل ثَمَّ عظماً ... وتوعده وأنت به جهولُ
وقد قتلت بنو النجار منكم ... أُميَّة إذ تغوِّث يا عقيلُ[٣]

ثم فشا في الناس أن النبي قد قتل، فقال بعض المسلمين: ليت لنا

= اثني عشر رطلاً) من ذرة أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما كانت معركة أُحد، جاء أُبي بن خلف إلى النبي ﷺ وهو يقول: أي محمد، لا نجوتُ إن نجوت، فأخذ رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمّة وطعن بها أُبي في عنقه فخدشه خدشاً غير كبير، ففرّ أُبي إلى أصحابه من المشركين، واحتقن دمه، فقال: قتلني والله محمدا! فقالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس. فقال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني. فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون به إلى مكة. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٨٩.

(١) الحارث بن الصمة: صحابي، شارك في غزوة أُحد. أخذ منه الرسول ﷺ الحربة التي طعن بها أُبي بن خلف عندما حاول قتله. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٨٩.

(٢) سرف: هو موضع على بعد ستة أميال من مكة، تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث، وهناك بنى بها، وهناك توفيت، وفيه قال عبيد الله بن قيس الرقيان:

سرف منزله لسليمة فالظهـ ... ـران منا منازل فالقصيم

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٢.

(٣) وردت الأبيات في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبدالرحمٰن البرقوقي، ص٣٩٦ - ٣٩٧.

لقد ورث الضلالة عن أبيه ... أُبيٌّ حين فارقه الرسولُ
أجئت محمداً عَظْماً رميماً ... لِتُكذِبَهُ وأنت به جهولُ
وقد نالت بنو النجار منكم ... أُميَّة إذ يغوِّث يا عقيلُ

رسـولاً إلى عبد الله بن أُبي، فيأخذ لنا أماناً من أبي سـفيان، وبعض الصحابة جلسوا، وألقوا بأيديهم. وقال المنافقون: الحقوا بدينكم الأول، وقال أنس بن النضـر[(١)]، عـم أنس بن مالك[(٢)]: يا قـوم، إن كان محمد قد قتل، فرب محمد لـم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد نبيّكم؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا علـى مـا مات عليه نبيّكـم. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليـك عما يقول هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأُ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المنافقين، ثم سلَّ سيفه، وقاتل حتى قتل.

ثم إن رسـول الله انطلق إلى الصخرة، وهو يدعو الناس، فأول من عرفه كعب بن مالك، قال: رأيت عينيه تحت المغفر تزهران، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه النبي أن اسكت، فاجتمع إليـه أصحابـه، فقالوا: يا رسـول الله، فديناك بآبائنا وأُمهاتنـا، أتانا الخبر أنك قتلت، فرعبت قلوبنا، فأنزل الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمـران: ١٤٤]. الآيـة. ومحمـد

---

(١) أنس بن النضر: أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجـار الأنصـاري، المدنـي، صحابي، وهو عم أنس بن مالك. شـارك في معركة أُحـد، ويقال: إنه انتهـى إلـى عمر بـن الخطاب وطلحة بن عبيـد الله في رجال مـن المهاجرين والأنصـار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: وما يجلسـكم؟ قالوا: قتل رسـول الله ﷺ. قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده!؟ قوموا فموتـوا علـى ما مات عليه رسـول الله ﷺ، ثم اسـتقبل القوم، فقاتل حتى قتل شـهيداً، فوجدوا في جسـده يومئذٍ سـبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته ببنانه. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السـيرة النبويـة، ج٣، ص٨٨. وانظـر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة فـي معرفة الصحابة، ج١، ص٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) أنس بن مالك: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن عدي بن النجـار الأنصـاري، المدنـي، أبو حمـزة، أبو ثمامـة، صاحب الرسـول ﷺ وخادمـه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. مولده بالمدينة سنة ١٠ ق.هـ، وأسلم صغيراً، وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشـق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها، وهو آخر من مات من الصحابة في البصرة سـنة ٩٣هـ/ ٧١٢م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ٢٤ - ٢٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٩١ ـ ٢٩٧.

مستغرق جميع المحامد، لأن محمداً مستغرق التحميد فوق الحمد، فأكرم الله نبيّه وصفيّهُ باسمين مشتقين من اسمه أحمد ومحمد. وقال حسان بن ثابت:

ألم تَرَ أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلا وأمجدُ (١٣٢)
وشَقَّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمدُ
نبيّ أتانا بعد يأس وفترة من الدين والأوثان في الأرض تُعبَد
فأرسله ضوءًا منيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهنّدُ[(١)]

وقد كسرت رباعية رسول الله في ذلك، وشج في وجهه وأنفه، وطفق النبي يمسح وجهه، وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم بالدماء؟ قيل: إن الذين كسروا رباعيته، لم يولد لهم ولد.

وقتل يومئذ حمزة عم النبي، قتله وحشي[(٢)]، وذلك أن حمزة قتل طعيمة بن عدي، فقال جبير بن مطعم[(٣)]، لوحشي: إن قتلت حمزة بعمي، فأنت حرّ، فخرج من المشركين سباع، فنادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه حمزة، فقال: يا

(١) انظر القصيدة كاملة في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبدالرحمٰن البرقوتي، ص ١٣٤ - ١٣٥. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) وحشي: وحشي بن حرب الحبشي، أبو دسمة، مولى بني نوفل، من سودان مكة. كان من أبطال الموالي في الجاهلة. وهو قاتل الحمزة عم النبي ﷺ، قتله يوم أُحد، استخفى له خلف حجر، ثم رماه بحربة كان يرمي بها رمي الحبشة، فلا يكاد يخطئ. ثم وفد على النبي ﷺ مع وفد من أهل الطائف، بعد أخذها وأسلم، فقال له النبي ﷺ: «غيب عني وجهك يا وحشي، لا أراك» وشهد اليرموك، وشارك في قتل مسيلمة، وزعم أنه رماه بحربته التي قتل بها حمزة، وكان يقول: «قتلت بحربتي هذه خير الناس وشرّ الناس». وسكن حمص، فمات بها في خلافة عثمان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ١١١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤٠٩ـ٤١٠.

(٣) جبير بن مطعم: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو عدي، كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة، وعدّه الجاحظ من كبار النسابين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١١٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٥١٥ ٥١٧.

سباع، يا ابن أم أنمار، يا ابن مقطعة (البظور)[١] أتحارب الله ورسوله؟ ثم شدّ عليه، فكان كلمس الدابر، وكان وحشي قد كمن لحمزة تحت صخرة، فلما مرّ حمزة بتلك الصخرة، رماه بحربته، فدخلت بين وركيه، فوثب عليه، وبقر بطنه، وأخرج كبده. وقيل: وجد بحمزة تسعين ضربة سيف وطعنة رمح.

وقيل: أمر رسول الله أن يصلى على القتلى، فكان يقدّم حمزة، ويجعل عنده تسعة، فإذا فرغ، رفعوا التسعة، ثم (أوتي)[٢] بتسعة غيرهم وحمزة عاشرهم، حتى كمل القتلى، ودفن هو وعبدالله بن جحش[٣] في قبر واحد، وحمزة خال عبدالله، وأنزله في قبره أبو بكر وعمر، والزبير ﷺ، ورسول الله قاعد على شفير القبر.

وممن قتل يومئذ، ثابت بن الدحداح[٤]، قتله خالد بن الوليد، وقيل: إنه جرح وبرئ من جراحته، ومات على فراشه، بعدما رجع النبي من الحديبيّة[٥]،

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٠

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٠.

(٣) عبدالله بن جحش: عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي: صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة. وكان من أمراء السرايا. وهو صهر رسول الله ﷺ، أخو زينب أم المؤمنين، قتل يوم أُحد شهيداً، قتله خالد بن الوليد. فدفن هو وحمزة بن عبدالمطلب في قبر واحد. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(٤) ثابت بن الدحداح: ثابت بن الدحداح بن نعيم بن غنم بن إياس، ويكنى أبا الدحداح، وكان في بني أنيف أو في بني العجلان من بلي حلفاء بني زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف. قال محمد بن عمر الواقدي: «أقبل ثابت بن الدحداح يوم أُحد والمسلمون أوزاع، وقد سقط في أيديهم، فجعل يصيح يا معشر الأنصار إليّ أنا ثابت بن الداحداحة، إن كان محمد قد قتل فإن الله حيّ لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فإن الله مظهر لكم وناصركم، وحمل مع نفر من الأنصار، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح، فأنفذه، فوقع ميتاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٦٥.

(٥) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، وسُميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقال الخطابي في أماليه: سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع. وبين =

وأن النبي شهد جنازته، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «كم عذق رداح، ودار فيّاح في الجنة لأبي الدحداح»، وذلك لمّا نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] الآية.

قال أبو الدحداح: فداك أبي وأُمي يا رسول الله، إن ربنا يستقرضنا، وهو غني عنّا. قال: نعم، يريد أن يدخلكم الجنّة، قال: فإني إن قرضت ربي ﷻ، تضمن لي الجنة؟ قال: نعم، من تصدق بصدقة، فله أضعافها في الجنة. قال: وزوجتي أُم الدحداح معي؟ قال: نعم. قال: وصبّيتي الدحداحة معي؟ قال: نعم. قال: إن لي حديقتين: واحدة بالسافلة، وواحدة بالعالية، والله لا (١٣٣) أملك غيرهما، فجعلتهما قرضاً لله. قال النبي: إجعل واحدة منهما قرضاً، وأمسك الأخرى لك ولعيالك. فقال: أشهدك يا رسول الله، قد جعلت خيرهما لله، وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال النبي: إذاً يجزيك الله به الجنة. فانطلق أبو الدحداح، حتى أتى زوجته، وهي مع صبيّتها في الحديقة تدور بالنخل، فأنشأ يقول:

هداك ربي سبل الرشاد إلى سبيل الخير والسدادِ
يبني من الحائط لي بالوادي
فقد مضى قرضاً إلى التناد بالطوع لا منّ ولا ارتيادِ
إلا رجا التضعيف في المعاد
فارتحلي بالنفس والأولاد فالبرّ لا شك فخير زاد
قدّمه المرء إلى الميعاد

فقالت أم الدحداح: ربح بيعك، وبارك الله فيما اشتريت. ثم أقبلت على

= الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وفي الحديث: إنها بئر. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٩.

أولادها، تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم من التمر، حتى خرجت من الحائط.

وممن قتل يومئذ، حنظلة بن عامر الراهب[١]، استعلى أبا سفيان ليضربه، فأتى جعونة بن شعوب، فقتله. فقال ﷺ: إن صاحبكم غسلته الملائكة.

وجملة من قتل بأحد من المسلمين سبعون رجلاً، وجرح سبعون، وقال أنس: أُتي بعليٍّ وفيه نيّف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية، فجعل النبي يمسحها، وهي تلتئم بإذن الله تعالى، كأن لم تكن.

وعن ابن عباس أنه قال: صعد أبو سفيان الجبل، فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله، وهذا أبو بكر، وهذا أنا. قال أبو سفيان: يوم بيوم، والحرب سجال. قال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنّة، وقتلاكم في النار. قال: لأنتم تزعمون ذلك.

وقيل: لمّا انصرف المشركون من أحد، خاف المسلمون كرّة المشركين عليهم، فكانوا تحت الجحف متأهبين للقتال، فأمنهم الله، وأنزل عليهم النعاس، وكان ذلك خاصة للمؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية.

(١) حنظلة بن عامر الراهب: والصحيح حنظلة بن أبي عامر، وهو حنظلة بن أبي عامر، واسم أبي عامر عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة. ويقال: اسم أبي عامر الراهب عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة. وأبوه أبو عامر، كان يعرف بالراهب في الجاهلية، وكان هو وعبدالله بن أبي سلول قد نَفِسا (حسدا) على رسول الله ﷺ ما منّ الله به عليه. وأما حنظلة ابنه فهو المعروف بغسيل الملائكة، قتل يوم أُحد شهيداً. قتله أبو سفيان بن حرب، وقال: حنظلة بحنظلة، يعني بابنه المقتول ببدر. وقيل: بل قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي. انظر: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

ثم إن رسـول الله انصـرف إلى المدينة كئيباً حزينـاً، وجعلت المرأة تجيء وأبوهـا أو ابنهـا مقتولـون، وهـي تلتـذم، أي تضطـرب، فقال النبـي ﷺ: «**إن الله جعـل أرواح الشـهداء في أجـواف طير خضر، ترد أنهـار الجنة، وتأكل من أثمارها، وتسـرح في الجنة حيث شـاءت، وتأوي على قناديل من ذهب، معلقة تحت العرش**».

فلما رأوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشـربهم (١٣٤) ورأوا ما أعدَّ الله لهم مـن الكرامة، قالـوا: يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم، وما صنع الله بنا، كي يرغبوا في الجهاد، ولا ينكلوا عنه، قال الله: أنا مخبرهم عنكم، ففرحوا بذلـك واستبشـروا، فأنـزل الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. الآيـات. فهـم أحياء عنـد ربهم ببقاء الذكر كما قيل شعراً:

مـوت التقـي حيـاة لا فنـاء لهـا قد مات قوم وهم في الناس أحياء

وقيـل: سـمّاهم أحيـاء، لأنه يكتب لهم ثـواب كل غزوة، ويُشْـرَكون في فضل كل جهـاد يكـون في الدنيا إلى يـوم القيامة. وقيل: لأن الشـهيد لا يبلى، ولا تأكله الأرض، وقيل: أربعة لا تبلى أجسامهم: الأنبياء، والعلماء، والشهداء، وأئمة العدل.

وقيل: خرّب السيل قبر شهيدين من شهداء أُحُد، فوجدا لم يتغيرا، كأنهما ماتـا بالأمـس، وكان أحدهما قد جـرح، ووضع يده على جرحـه، فرفعت عن الجـرح، ثُـم أُرسـلت، فعادت كمـا كانت. وكان مـا بين دفنهما، إلـى أن حفر عنهما السيل ست وأربعون سنة.

وقيـل: إن أبـا سـفيان وأصحابـه لمّا انصرفوا مـن أُحُد، وبلغـوا الروحاء، ندمـوا عـن انصرافهم عـن المسـلمين، وتلاومـوا، وقالـوا: لا محمـداً قتلتم، ولا الكواعـب أردفتهـم، فهموا بالانصراف، فبلغ ذلـك النبي، فأراد أن يرهب

العدو، ويريهم قوّة من نفسه وأصحابه، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، فقال: ألا عصابة تشدد لأمرها، وتطلب عدوها، فانتدبت عصابة مع ما بها من الجرح والقرح، ونادى منادي رسول الله: ألا لا يخرج معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فخرج النبي وأصحابه العشرة، الذين بشروا بالجنّة في سبعين رجلاً، حتى بلغوا حمراء الأسد[١]، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عتبة[٢] رسول الله ﷺ بتهامة[٣]، صفقتهم معه، لا يخفون عليه شيئاً، وكان بها معبد[٤] يومئذ مشركاً، فقال: يا محمد، لقد عزَّ علينا ما أصابك.

ثم خرج من عنده، حتى لقي أبا سفيان، فقال له: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه، وقد خرج معه من تخلف عنه بالأمس.

ومرّ بأبي سفيان ركب من عبد قيس[٥]، فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا:

(١) حمراء الأسد: موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله ﷺ يوم أُحد في طلب المشركين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠١.

(٢) والصحيح (عَيْبَة نُصح لرسولِ الله) أي موضع سرّه. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص١٠٨.

(٣) تهامة: منطقة تهامة تساير البحر، والحجاز: ما حجز بينها وبين العروض، وسميت تهامة لشدّة حرها وركود ريحها، وهو من التّهم، وهو شدّة الحرّ وركود الريح. وعن الأصمعي: التّهمة الأرض المتصوبة إلى البحر. والنسبة إلى تهامة تهامي قال ابن أحمر:

وأكبادهم كابني سُباتٍ تفرّقوا ... سباً ثم كانوا منجداً وتهاميا

وألقى التهامي منهما بلطاته ... وأخلط هذا لا أريم مكانيا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٦٣ - ٦٤.

(٤) معبد: معبد بن أبي معبد الخزاعي، نزل عنده رسول الله ﷺ في غزوة حمراء الأسد، وكان معبد يومئذٍ مشركاً، فقال للرسول ﷺ: أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم. وهو الذي نهى أبا سفيان عن العودة لمحاربة المسلمين بعد أحد. انظر: تفاصيل الرواية في: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص١٠٨ - ١٠٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٥) عبد القيس بن أفضى بن دعمي، من أسد بن ربيعة، من عدنان، جدّ جاهلي، النسبة إليه عبدي، وقيسي، وعبد قيس. كانت ديار بنيه في تهامة، ثم خرجوا إلى البحرين واستقروا بها، وهم بطون كثيرة. وظهر =

المدينة. قال: أبلغوا عنّي محمداً أنّا قد أجمعنا على استئصال بقيتهم. وانصرف أبو سفيان إلى مكة. ومرّ الركب بالنبي، فأخبره بما قال أبو سفيان، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.(١٣٥)

قيل: أقام النبي بحمراء الأسد يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء. وكان المسلمون يوقدون في هذه الليالي خمسمائة نار، فذهب صوت معسكرهم وضوء نارهم في كل وجه. فكبت الله بذلك عدوهم.

ووجد النبي أبا عزة الشاعر[(١)]، فأسره، وكان قد أسره قبل ذلك مرّة، وسأل النبي أن يطلقه، وقال: يا محمد، إن لي بنات، فرحمهُ النبي، فأطلقه، وأخذ عليه العهد أن لا يعين عليه، فأعان عليه يوم أُحُد، فأسره بحمراء الأسد. وانصرف إلى المدينة، فدخلها يوم الجمعة، وكانت غيبته خمس ليال، فقال أبو عزة: اطلقني يا محمد، فإن لي بنات، فقال له النبي: لا تمسح على لحيتك، وتقول: خدعت محمداً مرتين، ثم قال: لا يلسع مؤمن من جحر مرتين، وأمر به فقتل، فسميت هذه الغزوة حمراء الأسد.

= فيهم مشاهير. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٤٩. وانظر: العوتبي، سلمة بن سلم: الأنساب، ج١، ص١٤٧.

(١) أبو عزّة الشاعر: عمرو بن عبدالله بن عثمان الجمحي، شاعر جاهلي، من أهل مكة، أدرك الإسلام، وأسر على الشرك يوم بدر، فأتي به إلى الرسول ﷺ، فقال: يا رسول الله، لقد علمت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وعيال، فامنن عليّ، ولك أن لا أظاهر عليك أحداً. فامتنّ عليه، فنظم قصيدة يمدحه بها، ومنها البيت المشهور:

فانك من حاربته لمحارب شقي ومن سالمته لسعيد

ثم لما كان يوم أُحد دعاه صفوان بن أمية، سيد بني جمح للخروج، فقال: إن محمداً قد منّ علي، وعاهدته أن لا أعين عليه، فلم يزل به يطعمه حتى خرج وسار في بني كنانة، واشترك مع عمرو بن العاص في استنفار القبائل، ونظم شعراً يحرض به على قتال المسلمين. فلما كانت الواقعة أسره المسلمون فقال: يا رسول الله منّ عليّ، فقال النبي ﷺ: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك وتقول: خدعت محمداً مرتين. وأمر به عاصم بن ثابت، فضرب عنقه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٨٠ - ٨١.

الباب الثالث عشر

في ذكر الأمور الحادثة
في السنة الرابعة من الهجرة



ففي هذه السنة، كانت غزوة بئر معونة[١]، في شهر صفر، على رأس أربعة أشهر من غزوة أُحُد، وسببها أن أبا براء عامر بن مالك[٢]، سيّد بني عامر بن صعصعة، وكان يسمى ملاعب الأسنّة، قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وأهدى إليه هدية، فأبى أن يقبلها وقال: لا أقبل هدية مشرك. ثم إن النبي عرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فلم يُسلم، قال: إن الذي تدعو إليه لحسن جميل، ولو بعثت معي رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، رجوت أن يجيبك قومي. قال النبي: إني لأخشى عليهم أهل نجد. فقال: أنا جار لهم، إن يعرض لهم أحد، فبعث معه تسعين رجلاً من الأنصار من خيّار المسلمين، يسمون القرّاء، وأمر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي[٣]، فساروا، حتى نزلوا

(١) بئر معونة: بين أرض عامر ومرّة بني مسلم. وقال حسان بن ثابت يرثي شهداءها:

على قتلى معونة فاستهلّي بدمع العين سحّاً غير نزرِ
على خيل الرسول غداة لاقوا ولاقتهم مناياهم بقدرِ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص١٥٩.

(٢) أبو براء عامر بن مالك: عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، أبو براء، فارس قيس، وأحد الأبطال العرب في الجاهلية. وهو خال عامر بن الطفيل. سمي «ملاعب الأسنة» بقول أوس بن حجر.

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح به حظ الكتيبة أجمع

أدرك الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ بتبوك، ولم يثبت إسلامه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٥٥.

(٣) المنذر بن عمرو الساعدي: المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبية بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الساعدي. شهد العقبة وبدراً وأُحداً، وكان نقيب بني ساعدة وهو سعد بن عبادة، وكان يكتب في الجاهلية بالعربية، وآخى رسول الله بينه وبين أبي ذر الغفاري. وكان على ميسرة النبي، وقتل بعد أُحد بأربعة أشهر يوم بئر معونة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة. ج٥، ص٢٦٩ - ٢٧٠.

بئر معونة، وهي لبني سليم[١]، ثم أرسلوا حزام بن ملحان[٢]، بكتاب النبي إلى عامر بن الطفيل[٣]، وهو على ذلك الماء، فلما وصل إليه، لم ينظر إلى كتاب رسول الله ﷺ، ثم قال حزام لأهل الماء: بعثني رسول الله إليكم، لتشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، فآمِنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من المشركين، فضربه برمح في جبينه، خرجت من الجنب الآخر. فقال حزام: الله أكبر، فُزت ورب الكعبة.

ثم استصرخ عامر بن الطفيل ببني عامر على المسلمين، فلم يجيبوه، وقالوا: لن نخفر بامرئ عقد لهم عقداً وجواراً، فاسترجع عليهم قبائل من سليم[٤]،

---

(١) بنو سُليم: بنو سُليم بن قطرة بن غنم: جدّ جاهلي، بنوه بطن من شنوءة، من القحطانية. النسبة إليه سُلميّ (بضم السين وفتح اللام). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١١٩.

(٢) حرام بن ملحان: واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، شهد بدراً مع أخيه سليم بن ملحان، وشهد أُحداً، وقتل يوم بئر معونة، وهو الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل. وهو خال أنس بن مالك. ويقال: إنه لمّا طعن برأسه يوم بئر معونة تلقى دمه بكفّه، فنضحه على رأسه ووجهه، وقال: فزتُ وربِّ الكعبة. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٣٣٦ - ٣٣٧.

(٣) عامر بن الطفيل: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد. وكان يأمر منادياً في «عكاظ» ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟ خاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله ﷺ وهو في المدينة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه. فدعاه إلى الإسلام، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر من بعده. فردّه، فعاد حنقاً، وسمعه أحدهم يقول: لأملأنها خيلاً جرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً، فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. وكان أعور، أصيبت عينه في إحدى وقائعه، عقيماً لا يولد له. وهو ابن عم لبيد الشاعر، له ديوان شعر مطبوع. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٥٢.

(٤) سُليم: سُليم بن منصور بن عكرمة، جدّ جاهلي، بنوه قبيلة عظيمة من قيس عيلان، من مضر، كانت منازلها في عالية نجد بالقرب من خيبر، وتفرقت في شرقي إفريقية والمغرب، واستقرّ بعضهم في البحرين وعُمان، فكانوا جنداً للقرامطة. بطون سُليم: بنو عصيّة، وبنو بهز، وبنو بهثة، وبنو زغب، وبنو زعل، وبنو مطرود، وبنو ذكوان، وبنو الشريد، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٢٠.

وعصيـة[(١)]، ورعـلاً[(٢)]، وذكـوان[(٣)]، فخرجـوا معـه، فاسـتبطأ المسـلمون حزاماً، فخرجوا إليه، فلقيهم القوم، فأحاطوا بهم، وقيل: غشيهم القوم في رحالهم، فلما رآهم (١٣٦) المسـلمون، أخذوا السـيوف، فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد[(٤)]، فإنهم تركوه وبه رمق من الحياة، فعاش حتى قُتل يوم الخندق.

وكان عمرو بـن أميـة الضمري[(٥)]، ورجـل من الأنصار، أضـلاّ بعيراً، فلما رجعـا إلى مصارع القوم، والخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو: ماذا ترى؟ قال: نرجع إلى رسـول الله، فنخبره، قال الأنصاري: ما كنت أرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، فقاتل القوم حتى قُتل، وأخذ عمرو ابـن أميّة أسـيراً، فلما أخبرهم أنه من مضـر، أطلقه عامر بن الطفيل، بعدما جزّ ناصيته، واعتقه عن رقبة يزعم أنها كانت على أمه.

---

(١) عصيـة: عصية بـن خفاف بن امـرئ القيس بن بهثة من بني سـليم بن منصور، جـدّ جاهلي، بنوه بطن من سـليم، من قيس عيلان، من العدنانية، وفي الحديث: «عصية عصت الله ورسـوله». لأنهم عاهدوه وغدروا، إذا قتلوا أصحاب بئر معونة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٣٤.

(٢) رعـل: رعل بـن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة، جدّ جاهلي، بنوه بطن من بهثة، من سُـليم، من العدنانية، وهم الذين مكث النبي ﷺ يقنت في الصلاة شهراً، ويدعوا عليهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٨.

(٣) ذكـوان: ذكوان بـن ثعلبة بن بهثة، جدّ جاهلي، بنوه بطن من سُـليم من العدنانية، ينسـب إليه كثيرون، منهم صفوان بن المعطل، وعمير بن الحباب، والحجاف بن حكيم السليميون (من سليم) الذكوانيون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٧.

(٤) كعب بن زيد: كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار الأنصاري، شهد بـدراً، وقتل يوم الخندق شـهيداً، قتله ضرار بن الخطاب، ويذكـرون أن الذي أصابه أمية بن ربيعة بن صخـر الدؤلـي، وكان قد نجا يـوم بئر معونة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤٧٧.

(٥) عمرو بن أمية الضمري: عمرو بن أمية الضمري بن خويلد بن عبدالله الضمري: شجاع، من الصحابة، اشـتهر في الجاهلية، وشـهد مع المشركين بدراً وأُحداً. ثم أسلم وحضر بئر معونة، فأسرته بنو عامر، وأطلقـه عامر بـن الطفيـل. وعاش أيام الخلفاء الراشـدين، وشـهد وقائع كثيرة، علت بها شـهرته في البسـالة. ومـات بالمدينـة في خلافة معاوية، له ٢٠ حديثاً. انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٧٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص١٨١ ـ ١٨٢.

فقدم عمرو على النبي، فأخبره الخبر، فقال: هذا عمل أبي براء، وقد كنت لهذا كارهاً متخوفاً، وبلغ أبا براء ما أصاب أصحاب النبي، فشقّ عليه إخفار عامر له، وما أصاب أصحاب الرسول بسببه وجواره. وكان في من أصيب عامر بن فهيرة.

ويروى أن عامر بن الطفيل لمّا قتله، رآه رفع بين السماء والأرض، ثم إن أبا براء علا عامر بن الطفيل بسيفه، فقتله، وأسلم بعد ذلك، وقاتل المشركين، حتى قتل.

وقنت رسول الله شهراً في صلاة الصبح، يدعو على (بني)[1] سليم، وبني رعل، وذكوان، وبني لحيان، ولم يقنت بعد ذلك، ولم يمت على القنوت. وروي عنه أنه قال: إن صلاتنا هذه، لا يصلح فيها كلام الآدميين، والقنوت إنما هو دعاء من كلام الآدميين.

وإن صحَّ أن النبي قنت في صلاة، فالسنة تنسخ بعضها بعضاً، كما أن الكتاب ينسخ بعضه بعضاً. وقد تنسخ السنّة الكتاب، وينسخ الكتاب السنة، وعند أصحابنا لا يجوز القنوت في الصلاة، ولا تجوز الصلاة خلف من يقنت، إذا علم منه ذلك.

وفي هذه السنة، كانت سرية الرجيع، في هذا الشهر، أعني صفراً، وسببها أن كفار قريش بعثوا للنبي: إنّا قد أسلمنا، فأبعث إلينا نفراً من أصحابك، يعلموننا أحكام الإسلام، وكان ذلك مكراً منهم. فبعث إليهم خُبيب بن عدي[2]، ومرثد

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٣٥.

(٢) خُبيب بن عدي: خُبيب بن عدي الأنصاري، من بني جحجبي بن عوف بن كُلفة بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري، شهد بدراً، وأسر يوم الرجيع في السرية التي خرج فيها مرثد بن أبي مرثد في سبعة نفر، فقتلوا، وذلك سنة ثلاث. وأسر خبيب وزيد بن الدثنة، وانطلق المشركون إلى مكة فباعوهما، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خُبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فخرجوا =

ابـن أبـي مرثد الغنـوي[(١)]، وخالد بن بكير[(٢)]، وعبد الله بن طارق بن شـهاب[(٣)]، وزيد بـن الدّثنـة[(٤)]، وأمّـرَ عليهم عاصم بن ثابت، فسـاروا يريـدون مكة، فنزلوا

= بـه إلـى الحـرم ليقتلوه فقال»: دعونـي أصلي ركعتين، فـكان أول من صلى ركعتين عنـد القتل. وبعد الصلاة قال:

فلسـت أبالـي حيـن أُقتـل مسـلماً ... على أي جنـبٍ كان في الله مصرعي

انظر: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٥، ص ٤٤٠ – ٤٤١.

(١) مرثد بـن أبـي مرثد الغنـوي: كناز بـن الحصين بن يربـوع الغنوي، أبو مرثـد: صحابي، من السـباقين إلـى الإسـلام. كان تربـاً لحمزة بن عبدالمطلب. وشـهد بـدراً والخنـدق وأُحداً والمشـاهد كلها مع رسـول الله ﷺ، وكان شـجاعاً بطلاً، طويل القامة، كثير شعر الرأس، توفي بالمدينة سنة ١٢هـ، وهو ابن ٦٦ سنة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٣٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١٣٢ ـ ١٣٤.

(٢) خالد بـن بكير: خالد بن البكير بن عبد ياليل بن غيّرة بن سـعد بن ليث بـن بكر بن عبد مناة بن كنانة الليثـي الكناني، شـهد بـدراً، وبعثه النبي ﷺ مع عبدالله بن جحش إلى عيـر قريش قبل بدر في رهط مـن المهاجريـن، فقتلوا عمرو بن الحضرمي، وقتل خالد يوم الرجيع في صفر سـنة أربع من الهجرة. وكان له من العمر أربعاً وثلاثين سنة. وقتل معه مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وآخرون. وفيهم يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

ألا ليتني شـهـدت ابــن طـارق ... وزيــداً ومـا تُغني الأماني مرثدا
فدافعت عن حيّي خبيب وعاصم ... وكـان شفاءً لو تـداركـت خالدا

انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٩١.

(٣) عبدالله بـن طـارق: عبدالله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي، حليف لبني ظفر من الأنصار، شـهد بدراً وأُحداً، وهو أحد النفر السـتة الذين بعثهم رسـول الله ﷺ إلى رهط من عضل والقارة ليفقهوهم في الدين ويعلموهم القرآن وشرائع الإسلام، فخرجوا معهم حتى إذا كانوا بالرجيع استصرخوا هذيلاً وغدروا بهم، وأسروا عبدالله، فلما كانوا بالظهران انتزع عبدالله بن طارق يده من القرآن وأخذ سيفه، واستأخر عن القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه. قبره بالظهران. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٤) زيد بـن الدثنة: زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيـد البياضي، من بني بياضة، من الخزرج، من الأنصار: مـن فقهاء الصحابة، شـهد بـدراً، وأُحداً. ووفد رجال مـن عضل والقارة (من بنـي الهون بن خزيمة) على النبي ﷺ، فقالوا: إن فينا إسلاماً، فابعث معنا من يفقهنا في الدين، فأرسل معهم عدداً من فقهاء الصحابـة فيهـم زيد بن الدثنة. فغـدروا بهم في الرجيع (وهو ماء لهذيل) على أميال من الهدة، وقتلوا أكثرهـم، وأبقـوا كل اثنيـن، أحدهما زيد، فباعوه بمكة، فقتله مشـركو قريش، وصلبـوه بالتنعيم، على أميال من مكة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٥٧ ـ ٣٥٨.

بطـن الرجيـع[١]، بيـن مكـة والمدينة، ومعهـم عجـوة يأكلوها، فمـرّت عجوز، وأبصـرت النـوى، فرجعت إلـى قومها بمكـة، فأخبرتهم، فركب منهم سـبعون رجلاً، فأحاطوا بالمسـلمين، وحاربوهم، (١٣٧) وقتلوا مرثداً وخالداً وعبد الله، ونثر عاصم كنانته وفيها سـبعة أسـهُم، فقتل بكل سـهم رجلاً، وقال: اللهم إني حميت دينك صدر أول النهار، فاحمِ لحمي آخر النهار، فأحاط به المشـركون، فقتلـوه، وأرادوا جزّ رأسـه، ليبيعوه من سـلافة بنت سـعد، وكانت نذرت حين أصاب ابنها يوم أُحد، لئن قدرت على رأس عاصم، لتشربَنَّ في قحفته الخمر، فأرسـل الله الزنابير، فحمت عاصماً، فقالوا: دعوه حتى يمسـي، فجاءت سحابة سوداء، فأمطرت، وسال الوادي، فاحتمل عاصماً، وذهب به إلى الجنة، وحمل خمسـين رجلاً من المشـركين إلى النار. وكان عاصم عهد أن لا يمس مشـركاً، ولا يمسـه مشـرك أبداً، فلما بلغ ذلك عمر، قال: منعه الله بعد وفاته، كما امتنع في حياته.

وأسـر المشـركون خُبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، فذهبوا بهما إلى مكة. فأما خبيب، فابتاعه بنو الحارث بن عامر، ليقتلوه بأبيهم، فخرجوا به من الحرم، ليقتلـوه ويصلبوه، فسـألهم أن يتركوه يصلي ركعتين، فتركـوه، فصلى ركعتين، فكانـت سـنة لمن يُقتـل، أن يصلي ركعتين، ثم إنهم صلبـوه، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس حولي من يبلغ رسولك سلامي (فبلغه سلامي)[٢]، ثم جاء رجل منهم ومعه رمح، فوضعه بين ثديي خبيب، فقال له: اتق الله، فما زاده إلّا عتوّاً.

---

(١) بطـن الرجيـع: هو الموضع الـذي غدرت فيه عَضَلٌ والقارة بالسـبعة نفر الذين بعثهم رسـول الله ﷺ معهـم، ومنهم عاصم بـن ثابت حميّ الدَّبر، وخبيب بن عدي، ومرثد بـن أبي مرثد الغنوي، وهو ماء لهذيـل، وقـال ابن إسـحاق والواقدي: الرجبع ماء لهذيـل قرب الهدأة بين مكـة والطائف. وقد ذكره أبو ذؤيب، فقال:

رأيــت أهــلـي بــوادي الـرّجيــ ـــع مـن أرض قيلـة برقـاً مليحـا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص٢٩.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٣٦.

وأما زيد بن الدثنة، فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، فلما قدم ليقتل، قال له أبو سفيان: إرجع عن دينك، قال: لا والله. قال: قل كلمة هي أهون عليك. قال: وما هي؟ قال: قل وددت لو كان محمد مكاني، فأنا أطلقك، قال: والله (إني)[١] لا أودّ أن تصيب محمداً شوكة في رجله، وأنا قاعد في بيتي، فقتل رضي الله عنه.

فلما بلغ الخبر إلى النبي ﷺ، قال: «أيكم يمضي إلى مكة فيطلق خبيباً من خشبته وله الجنّة، قال الزبير: أنا وصاحبي المقداد بن الأسود[٢]، فخرجا يمشيان بالليل، ويكمنان بالنهار، حتى دخلا مكة ليلاً، وإذا حول الخشبة أربعون من المشركين، نوام نشاوى من الخمر، فأنزلا خبيباً، فإذا هو رطب، لم يتغير منه شيء، وله أربعون يوماً، فحمله الزبير على فرس له، فانتبه الكفار، فركب منهم سبعون فارساً، فلما لحقوهما، قذف الزبير خبيباً، فابتعلته الأرض (فسمي بليع الأرض)[٣]، ثم رفع الزبير العمامة عن رأسه وقال: (١٣٨) أنا الزبير بن العوام، وصاحبي المقداد بن الأسود، أسدان رابضان يدفعان عن سبلهما، فإن شئتم ناصلتكم، وإن شئتم بارزتكم، وإن شئتم انصرفتم.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٣٦.

(٢) المقداد بن الأسود: المقداد بن عمرو، يُعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، أو أبو عمرو: صحابي من الأبطال. وهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وفي الحديث: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان». وكان في الجاهلية من سكان حضرموت. واسم أبيه عمرو بن ثعلبة البهراني الكندي. ووقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام، فضرب المقداد رجله بالسيف، وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن يغوث الزهري، فصار يقال له: «المقداد بن الأسود» إلى أن نزلت آية: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ فعاد يسمى المقداد بن عمرو. وشهد بدراً وغيرها. وسكن المدينة، وتوفي على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها. له ٤٨ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٨٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٣٦.

فانصرفوا. وقدما على النبي ﷺ، وجبريل عنده، فقال: إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك.

وطعن قوم من المنافقين بهؤلاء القتلى، وقالوا: لو قعدوا في بيوتهم، ما قُتلوا، فردّ الله عليهم، وأنزل في القتلى والطاغين قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. الآيات.

وفي هذه السنة، كانت غزوة بني النضير، في ربيع الأول، وذلك أن النبي لمّا قدم المدينة، وادَعَ بني النضير أن لا يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه أحداً، فلما غزا بدراً، وأظهره الله، قالت بنو النضير: هذا والله هو النبي الذي كنّا نسمع به، لاتردُّ له راية. ولمّا غزا أُحُداً، وهُزم المسلمون، ارتابوا، وأظهروا العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين. ثم ركب كعب بن الأشرف اليهودي في أربعين راكباً إلى مكة، وحالفوا أبا سفيان وأصحابه على عداوة رسول الله ﷺ، فتحالفوا تحت أستار الكعبة، وركب كعب وأصحابه إلى المدينة.

ونزل جبريل على النبي، وقال: إن الله يأمرك بقتل كعب بن الأشرف[1]، فأرسل رسول الله إلى رهط بني الأشهل فيهم عمرو بن معاذ[2]، وملكان بن

(١) كعب الأشراف: كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي. كانت أمه من «بني النضر» فدان باليهودية، وكان سيداً في أخواله. يقيم في حصن له قريب من المدينة، ومازالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الإسلام ولم يسلم. وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم. وخرج إلى مكة بعد موقعة بدر، فندب قتلى قريش فيها، وحضّ على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة، وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٢٥.

(٢) عمرو بن معاذ: عمرو بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي، من بني عبدالأشهل، شهد مع أخيه سعد بن معاذ الأشهلي بدراً، وقتل يوم أُحد شهيداً، لا عقب له قتله ضرار بن الخطاب، وكان له يوم قُتل اثنان وثلاثون سنة. انظر: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ١٢٠١.

بشـر[١]، فأمرهـم بقتـل كعـب، فقالوا: يـا رسـول الله، إخواننا من بنـي حارثة، نحـب أن ينطلـق معنـا أحد منهم، فـإن فيهم أخـا كعب من الرضاعـة وحليفه ومولاه محمد بن مسـلمة[٢]، وأبو عبس بن جبر[٣]، فقال محمد بن مسـلمة: يا رسول الله، أحب أن تأذن لي، فأنا لك عند الرجل، فأذن له.

فانطلـق، فنـاداه، فخرج إليه كعـب، فتعلقت به امرأتـه، وقالت: لا تخرج، فإنـيّ أرى حمـرة الدم تلوح من هذا الصوت، قبـل أن يكون. فقال لها: دعيني لا أبا لك، فإنه لو دعي ابن حرة في الليل لطعنة أجاب.

فأشـرف عليهم، فإذا هو محمد بن مسـلمة، وملكان بن بشـر، فقال كعب: مـا جـاء بك يا محمـد؟ قال: أخذنا هـذا الرجل بالصدقة، ومـا عندنا ما نأكل، فجئتك لتقرضني وسقاً من التمر. قال كعب: لا والله إلا برهن، (قال)[٤] محمد: الرهـن عندي. انـزل فخذه، فنزل، فأخذ محمد برأسـه، وكبّر، فخرج أصحابه، وكانوا من وراء الحائط، فضربوه، فصاح كعب عند أول ضربة، فسمعته امرأته، فصاحـت، وتصايحت اليهـود، وأحاطوا بأصحاب النبي، فعقـروا رجلاً منهم، فالقى بسيفه إلى أصحابه (١٣٩) وقال: لا أحبسكم أقرأوا على رسول الله مني السـلام،، قالـوا: والله لنقتلن جميعاً، أو لنرجعنّ جميعـاً، فانطلقوا به يحملونه،

(١) ملكان بن بشر: لم نعثر له على ترجمة في كتب أعلام الصحابة.

(٢) محمد بن مسلمة: محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري، شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله إلا تبوك، وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف، واستخلفه رسـول الله ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وكان صاحب العمال أيام عمر. توفي سـنة ٤٦هـ في المدينة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١١٢ - ١١٣.

(٣) أبو عبس بن جبر: أبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشـم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، شـهد بدراً والمشـاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو ممن قتل كعب بن الأشرف. مات أبو عبس سنة ٣٤هـ، وصلى عليه عثمان بن عفان. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٠٢ - ٢٠٣.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٣٧.

واجتمعت اليهود فطلبوهم، فأخذوا طريقاً غير طريقهم، ومضوا إلى النبي ﷺ، يحملون صاحبهم.

فلما أصبح النبي، أمر الناس بالمسير على بني النضير، فلمّا بلغهم ذلك، تحصنوا في الدور، وأرسل إليهم عبد الله بن أبي سلول: إن معي ألفين من أصحابي، فإن قاتلكم محمد، قاتلنا معكم، ولئن خرجتم، لنخرجنَّ معكم، وحلفاؤكم من غطفان وقريظة ستمدكم، فلما بلغهم كلام عبد الله طمعوا في قتال النبي، فأتاهم النبي، وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فكان كلما ظهر على دار من دورهم هدمه ليتسع لقومه المكان، وجعلت اليهود ينقبون دورهم من أدبارها، للدور التي تليها، فيتحصنون فيها، ويرمون أصحاب رسول الله، بنقضها، وجعل المسلمون يخربون البيوت، ويقطعون النخل، وذلك قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢].

فلما رأى اليهود خراب البيوت وقطع النخيل، قالوا لأصحاب النبي: إنكم تزعمون أنكم مؤمنون، وتنهون عن الفساد، وأنتم تخربون المنازل وتقطعون النخيل، دعوها لمن غلب، فأبى النبي أن يدعها، فنزلت الآية ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

ولمّا خذلهم المنافقون صالحوا النبي،، فصالحهم على الخروج من المدينة، وليحمل كل أهل ثلاثة بيوت على بعير ما شاؤوا من أمتعتهم، إلا الحلقة، أي السلاح، والباقي للنبي، فخرجوا من المدينة متوجهين إلى خيبر[1]

(١) خيبر: ناحية على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية، وتشمل على سبعة حصون ومزارع، ونخل كثير، أما لفظ خيبر، فهو بلسان اليهود الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون، سميت خيابر، غزاها النبي ﷺ سنة سبع، وفتحها عنوة، حيث نازلهم =

وأذريحا[1]، وأذرعات[2]، فقبص رسول الله ﷺ الأموال والحلقة، فوجد فيها خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً.

وفي هذه السنة، توفي عبد الله بن عثمان بن عفان، وأمه رقيّة بنت رسول الله ﷺ، ولد في الإسلام، وبلغ ست سنين، نقره ديك في عينه، فمرض، فمات في جمادى الأولى.

وفيها توفيت زينب بنت خزيمة، أم المؤمنين. وتوفي عبد الله بن عبد الأسد[3]،

= قريباً من شهر، ثم صالحوه على حقن دمائهم وترك الذرية، على أن يخلوا بين المسلمين، وبين الأرض الصفراء والبيضاء والبزّة، إلا ما كان منها على الأجساد، وأن لا يكتموه شيئاً. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٤٠٩ - ٤١٠.

(١) أذريحا: وهي هضاب تنبسط على الأرض حُمرٌ، وهي في قبلي فلسطين من ناحية الشراة. وفي كتاب مسلم بن الحجاج: بين أذرح والجرباء ثلاثة أيام. وبأذرح كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، وقيل بدومة الجندل والصحيح أذرح، ويشهد بذلك قول ذي الرمة يمدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ... تساءوا وبيت الدين منطقع الكسر

فشدّ إصار الدين أيام أذرح ... ردّ حروباً قد لقحن إلى عُقرِ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص١٢٩ - ١٣٠.

(٢) أذرعات: بلد في أطرف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمّان، ينسب إليه الخمر، وقد ذكرتها العرب في أشعارها، وقال امرؤ القيس:

ومثلكِ بيضاء العوارض طفلة ... لعوب تنسيني إذا قمت سِربالي

تنوّرتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظرٌ عالِ

وينسب إلى أذرعان أذرعي، وخرج منها طائفة من أهل العلم.

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص١٣٠ - ١٣١.

(٣) عبد الله بن عبد الأسد: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي، أبو سلمة زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ، وأمه بنت عبد المطلب بن هاشم، أسلم بعد عشرة أنفس، فكان الحادي عشر من المسلمين، هاجر مع زوجته إلى الحبشة، ثم شهد بدراً، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى غزوة العشيرة. توفي آخر جمادى الآخرة سنة ثلاث للهجرة. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٣٩ - ٩٤٠.

زوج أم سلمة، وتوفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[1]، أم علي بن أبي طالب، وقد أسلمت، وكانت صالحة، وكانت يزورها النبي، ولمّا توفيت، نزع النبي قميصه، فكفنت فيها.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ،(١٤٠) أم سلمة، في شوال، واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة، وكانت تحت أبي سلمة عبد الله، هاجر إلى الحبشة، وولدت سلمة، وعمرو، وزينب، ودرة. قيل: لمّا انقضت عدّتها، أرسل إليها أبو بكر يخطبها، فأبت، ثم أرسل إليها عمر يخطبها، فأبت، ثم أرسل إليها النبي ﷺ يخطبها، فقالت: مرحباً برسول الله، إن فيَّ ثلاث خلال: إنيّ شديدة الغيرة، وإني ذات أولاد، وليس هاهنا أحد من أوليائي، فيزوجني. ثم إنها قالت لابنها: زوّج رسول الله، فزوجه. قيل: مهرها جرّتين، ورحى، ووسادة من أدم، حشوها ليف. وقيل: تزوجها على صاع قيمته عشرة دراهم. وروي عن عائشة أنها قالت: لمّا تزوج رسول الله بأم سلمة، حزنت حزناً شديداً، لما ذكر لي من أمر جمالها، فتلطفتُ لها حتى رأيتها، فوجدتها أضعاف ما وُصفت لي من الحسن، فذكرت ذلك لحفصة، وكانت عائشة وحفصة على يد واحدة، فقالت: إنما هذه غيرة، ما هي كما تقولين. فتلطفت حفصة لأم سلمة حتى رأتها، فقالت: لا والله ما هي كما تقولين، ولا قريب من ذلك. قالت عائشة: فرأيتها بعد ذلك، فإذا هي كما قالت حفصة، وإنما كانت زينتها لي شدّة الغيرة.

(١) فاطمة بنت أسد بن هاشم: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، أول هاشمية ولدت خليفة. هي أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وإخوته، نشأت في الجاهلية بمكة، وتزوجت بأبي طالب (عبد مناف بن عبد المطلب) وأسلمت بعد وفاته، فكان النبي ﷺ يزورها، ويقيل في بيتها. ثم هاجرت مع أبنائها إلى المدينة، وماتت بها، فكفنها النبي ﷺ بقميصه، واضجع في قبرها، وقال: لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها. قبرها بالبقيع. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٣٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٢١٢-٢١٣.

قيـل: أول من هلك من نسـائه، زينب بنـت جحش، هلكت في زمن عمر، وآخر من هلك أم سـلمة، ماتت سـنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد، وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة.

وفي هذه السـنة كانت غزوة بدر الصغرى، وذلك أن أبا سـفيان، قال حين أنصرف من أُحُد: موعدكم بدر الصغرى رأس الحول، نلتقي بها، فنقتتل. فقال النبي لعمر: قل له، إن شـاء الله. فلما كان العام القابل، خرج أبو سـفيان، فلقي نعيم بن مسـعود الأشـجعي[1]، وقـد قدم معتمـراً، فقال له أبو سـفيان: إني قد واعدتُ محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد جاء الوقت، وهذه سـنة جدب، ولا يصلـح الخروج إلّا في عام خصب، ترعى الإبل الشـجر، ونشـرب اللبن، وأكـره أن يخـرج محمـد ولا نخـرج، فيجترئُ علينـا، فالحق بالمدينـة، وأخبر أصحاب محمد إنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا، وثبّطهم، وعندي لك عشر من الإبل يضمنها لك سهيل بن عمرو.

فقدم نعيم المدينة، فأخبرهم بما قال أبو سفيان، وخوّفهم، فكره أصحاب النبي الخروج، فقال ﷺ: لأخرجنَّ ولو بنفسي، فخرج ومعه ألف وخمسمائة، والخيـل عشـرة، واسـتخلف (١٤١) علـى المدينة عبد الله بـن رواحة، وحمل اللـواء علي بن أبـي طالب، فكانوا يلقون المشـركين، فيسـألونهم عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يريدون ترهيب المؤمنين، فيقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) نعيم بن مسـعود الأشـجعي: نعيم بن مسـعود الأشـجعي: صحابـي، من ذوي العقـل الراجح. قدم على رسول الله ﷺ سراً أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم، وكتم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسـلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وقريش، فتفرقوا، فكان نعيم بعد ذلك يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسـول الله ﷺ على سـرّه. وسكن المدينة. ومات في خلافة عثمان، وقيل: يوم الجمل قبل قدوم علي إلى البصرة. انظر: الزركلي، خير الدين،: الأعلام، ج٨، ص٤١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٣٢٨ - ٣٢٩.

وكان المسلمون خرجوا ببضائع وتجارات، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً تجتمع فيه العرب، وسوقاً يقوم لهلال ذي القعدة، فأقام السوق فيها صبيحة الهلال، وقعد المسلمون بها ثمانية أيام، وباعوا ما معهم من التجارة، فكانت العشرة عشرين، وقيل: ثلاثين.

وكان أبو سفيان بلغ مرّ الظهران[1]، ومعه ألفان وخمسون فرساً، فتخلف عن الموعد، ورجع إلى مكة. ورجع النبي وأصحابه إلى المدينة سالمين، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. إلى قوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وفي هذه السنة، قُصرت الصلاة، والله أعلم.

(١) مرّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة له ذكر في الحديث، وقال عرام: مرّ القرية، والظهران هو الوادي، وبمرّ عيون كثيرة، ونخل، وجميز، وهو لأسلم وهذيل وغاضرة. وقال الواقدي: بين مرّ وبين مكة خمسة أميال. ويقال: إنما سميت خزاعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن الغطريف من الأزد لأنهم تخزّعوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من مأرب يريدون الشام، فنزلوا بمرّ الظهران، وأقاموا بها، أي انقطعوا عنهم، قال عون بن أيوب الأنصاري الخزرجي في الإسلام:

فلما هبطنا بطن مرّ تخزعت خزاعة منا في حلول كراكر

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معدم البلدان، ج٥، ص ١٠٤ - ١٠٥.

الباب الرابع عشر

في ذكر الأمور الحادثة
في السنة الخامسة من الهجرة



ففي هذه السـنة، كانت غزوة ذات الرقاع[١]، وإنما سـميت بهذا الاسم، لأنهـا كانـت عند جبـل فيه سـواد وبياض وحمرة، وسـبب ذلـك أن قادماً قـدم المدينة جالبـاً، فأخبر أصحاب النبي أن أنمـار وثعلبة قد أجمعوا لهم الجموع، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخرج إليهم ليلة السـبت، لعشـر خلون من المحرم، في أربعمائة، وقيل: سـبعمائة، واسـتخلف على المدينة عثمان بن عفـان، فمضـى حتى أتي إلـى محالّهم بذات الرقاع، فلم يجدوا إلّا نسـوة، فأخذوهـن، وفيهـن امـرأة وضيئـة الجمال، فهربـت الأعراب إلـى رؤوس الجبـال، وخاف المسـلمون أن يعودوا عليهم، فصلى بهـم صلاة الخوف، وهـي أول صـلاة خوف صلّاها، وانصـرف راجعاً إلى المدينـة، وابتاع من جابر جملاً، وشـرط له ظهره إلى المدينة، واسـتغفر في هذه السـنة لجابر (خمسـاً و)[٢] عشـرين مرّة، وقيل: سـبعين مـرّة، وكانت غيبته عـن المدينة خمسة عشر يوماً.

وفي هذه السـنة، كسـف القمر في جمادى الآخر، فضرب اليهود الطاس، وصلى النبي صلاة الكسوف، وهي أول صلاة كسوف صلّاها.

---

(١) غزوة ذات الرقاع: اختلفت الروايات في سـبب تسـميتها. قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: إنما قيل لها ذات الرقـاع لأنهـم نزلوا بجبل يقال له ذات الرقاع. وقيل أيضاً: إنها أرض فيها بقع سـود وبقع بيض كلها مرقعـة برقـاع مختلفة، وقد سـميت ذات الرقاع بذلك. وقيل: إنما قيـل لها ذلك لأن الحجارة أوهنت أقدامهـم فشـدّوا رقاعاً. وهـي الرواية الأصح. وهي: (غـزوة محارب، وغزوة بني ثعلبـة، وغزوة بني أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها بها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من الأعاجيب). انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ٢١٤.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٤٠.

وفي هذه السنة، كانت غزوة المريسيع[١]، في شهر شعبان، وذلك أن بني المصطلق كانوا ينزلون بهذه البئر، وكان سيدهم الحارث بن أبي ضرار[٢]، فدعاهم إلى حرب رسول الله، فأجابوه، وتهّيأوا للمسير معه، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأرسل بريده بن الحصيب[٣]، ليعلم حقيقة ذلك، فأتاهم، ولقي الحارث بن أبي ضرار، وكلمه، ورجع إلى النبي، فأخبره (١٤٢) عن حالهم. فندب النبي أصحابه، فأجابوا إلى ذلك ومعهم ثلاثون فرساً، وخرج معهم أناس من المنافقين، واستخلف النبي على المدينة زيد بن حارثة، وخرج يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شعبان، وبلغ ذلك الحارث، فسيء بذلك، وخاف، وتفرّق من معه من العرب.

وانتهى النبي إلى بئر المريسيع، وضُربت له عليها قبّة، ومعه أم سلمة وعائشة، فصفّ أصحابه، وهيأهم للقتال، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر،

---

(١) المريسيع: اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل، سار النبي ﷺ، سنة خمس إلى بني المصطلق من خزاعة، فوجدهم على ماء يقال له المريسيع، فقاتلهم وسباهم، وفي السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي زوجة النبي ﷺ، وفي هذه الغزو كان حديث الإفك. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص١١٨.

(٢) الحرث بن ضرار: والصحيح الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق وقائدهم، وأبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ، وكانت من بين السبي في غزوة المصطلق. جاء والدها إلى المدينة ليفديها، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيّبهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: فأين البعيران اللذان غيّبتهما بالعقيق، في شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله، فوالله ما طلع على ذلك إلا الله: فأسلم الحارث وولداه وناس من قومه، وأسلمت ابنته جورية، فخطبها النبي، وكان مهرها أن أعتق مئة من أهل بيت المصطلق. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٣٠٢، ٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) بريدة بن الحصيب: بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي، من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وسكن المدينة، وانتقل إلى البصرة، ثم على مرو، فمات بها. له ١٦٧ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٥٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٣٦٧ ـ ٣٧٠.

وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمرهم، فحملوا عليهم حملة رجل واحد، فقتلوا من المشركين عشرة، وأسروا الباقين، وسبوا الرجال والنساء والذرية والنعم، والشاء، فكانت الإبل ألفي بعير، والغنم خمسة آلاف، والسبي مائتي أهل بيت إلاّ رجل واحد.

ولمّا رجع إلى المدينة، أتوا أهاليهم، ففدوهم. وكانت جويرية بنت الحارث[1] وقعت في القسم لثابت بن قيس[2]، وابن عمه، فكاتباها، فأتت تسأل رسول الله في كتابتها، وتزوجها، وسماها برة، وقيل: بريرة. وعتق عن صداقها أربعين من قومها. وكانت امرأة حلوة، لا تكاد يراها أحد، إلّا أخذ بنفسه.

قالت عائشة: كرهت دخول جويرية على النبي، حين دخلت تسأله الإعانة في فكاك رقبتها، وعرفت أنه سيرى من حسنها ما رأيت. قيل: عاشت خمساً وستين، وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين من الهجرة.

وفي هذه السنة، تنازع سنان بن وبر[3]، وجهجاه بن وبر[4]، وشهر بين

(١) جويرية بنت الحارث: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، من خزاعة، إحدى زوجات النبي ﷺ، تزوجها قبله مسافع بن صفوان، وقتل يوم المريسيع سنة ٦هـ. وكان أبوها سيد قومه في الجاهلية، فسبيت مع بني مصطلق فافتداها أبوها، ثم زوجها لرسول الله ﷺ، وكان اسمها «برّة» فغيره النبي ﷺ وسماها «جويرية» وكانت من فضليات النساء أدباً وفصاحة. توفيت بالمدينة سنة ٥٦هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٤٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٥٧ ـ ٥٩.

(٢) ثابت بن قيس: ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري، صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ ـ، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد. وفي الحديث: نعم الرجل ثابت. ودخل عليه النبي ﷺ وهو عليل، فقال: «اذهب الباس ربّ الناس عن ثابت بن قيس بن شماس». قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٩٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٣) سنان بن وبر: سنان بن وبر الجهني. ويقال: وبرة. روي عنه ما يأتي: كنّا مع رسول الله ﷺ في المريسيع ـ غزوة بني المصطلق ـ فكان شعارهم: يا منصور، أمت أمت. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٦٣.

(٤) جهجاه بن وبر: والصحيح جهجاه بن قيس، وقيل: ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري. =

الأوس والخزرج السلاح. وقال عبدالله بن أبي سلول، رأس المنافقين: ليخرجن من المدينة الأعز الأذل. وقال لقومه: هذا ما صنعتم بأنفسكم، وسمع ذلك زيد بن أرقم[(١)]، فأبلغه الرسول ﷺ، وقال: جعال لابن أبي سلول: لا أفارقك حتى تقرَّ أن محمداً الأعز وأنت الأذل، فمرّ بهما النبي ﷺ، وقال: «دعه، فلعمري لنحسنن بصحبته ما دام بين أظهرنا».

وفي هذه السنة، نزلت آية التيمم، قالت عائشة رضي الله عنها: كنّا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنّا في البيداء، وبات الجيش، انقطع عقد لي، فضلّ، فأخبرت رسول الله ﷺ، فأقام على التماسه، وليسوا على ماء، وليس عندهم ماء، وحضرت الصلاة، فأتى الناس أبا بكر، وقالوا: ألا ترى إلى عائشة، حبست الناس على غير ماء، فجاء أبو بكر، فعاتبني، وقال ما شاء الله، (١٤٣) فأنزل الله آية التيمم. قالت: فبعثنا البعير، فوجدنا العقد تحته، فقال أسيد بن حضير: ما هذا أول بركتكم يا آل أبي بكر، جزاكم الله خيراً، ما نزل بك أمر تكرهينه، إلّا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً.

وفي هذه السنة، كان حديث الإفك، عن عائشة رضي الله عنها. قالت: كان النبي إذا أراد سفراً، قرع بين نسائه، فأيهن خرج لها، خرج بها رسول الله ﷺ، فقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت معه، وذلك بعدما نزلت آية

= وهو من أهل المدينة، شهد مع النبي ﷺ بيعة الرضوان، وشهد غزوة المريسيع إلى بني المصطلق من خزاعة، وكان يومئذٍ أجيراً لعمر بن الخطاب، ووقع بينه وبين سنان بن فروة الجهني في تلك الغزوة شرّ، فنادى جهجاه يا للمهاجرين ونادى سنان يا للأنصار، وكان حليفاً لبني عوف من الخزرج، وكان ذلك سبب قول عبدالله بن أُبي رأس المنافقين: ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ». انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٣٦٦ - ٣٦٧.

(١) زيد بن أرقم: زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري: صحابي. غزا مع النبي ﷺ، سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، ومات بالكوفة. له في كتب الحديث ٧٠ حديثاً. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٤٢ - ٣٤٤.

الحجـاب، فسـرنا حتى رجع رسـول الله من سـفره، ودنونا مـن المدينة، أذنوا بالمبيـت، فنزلنـا، فخرجـت مـن هودجي لحاجـة أردتها، فانقطـع عقد لي من جـزع ظفار، فحبسـني ابتغاؤه، فـأرادوا الرحيل، فحملوا هودجـي، ولم يعرفوا أني لست فيه. وكانت النساء يومئذ جفافاً، لم يهلهن اللحم، إنما يأكلن اليسير مـن الطعام، ووجدت عقدي، وجئت منازلهم، فرأيتهم قد ارتحلوا، فظننت أن القوم سيفقدونني.

فبينمـا أنا جالسـة، إذ غلبنـي النوم، فنمـت، وكان صفوان بـن المعطل[١]، قد عرس من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رآني، وكان قد رآني قبل نزول الحجاب، فما استيقظت إلّا باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني بكلمة، ثم أناخ راحلته، فركبتها، فانطلـق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيـش، بعدما نزلوا في نحو الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، فكان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي سلول.

فقدمـت المدينـة، فاشـتكيت حيـن قدمتهـا شـهراً، والنـاس يخوضون في قول أهل الإفك، ولا أشـعر بشـيء من ذلك، وإنما يريبني في وجعي، أني لم أعـرف اللطف من رسـول الله، الـذي كنت أراه منه قبل هذا حين أشـتكي. ثم إنـي خرجـت بعدما نقهـت، وخرجت معي أم مسـطح، وهي عاتكـة بنت أبي إبراهيم بـن عبدالمطلـب[٢]، وأمهـا خالة أبي بكر رضي الله عنه، فعثرت أم مسـطح في

(١) صفوان بن المعطل بن رحضة السـلمي الذكواني، أبو عمرو: صحابي، شـهد الخندق والمشاهد كلها. وحضر فتح دمشق. واستشهد بأرمينيا، وقيل: في سميساط. وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا. روى عن النبي ﷺ حديثين. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٠٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٣١ - ٣٣.

(٢) عاتكـة بنـت أبـي إبراهيم بن عبدالمطلب: والصحيح أم مسـطح بنـت أبي رُهم بـن المطلب بن عبد منـاف، كانـت أمها بنـت صخر بن عامر بن كعب بن سـعد بن تيـم، خالة أبي بكـر الصديق، أخبرت عائشـة بحديث الإفك. انظر: ابن هشـام، عبدالملك بن هشـام: السـيرة النبوية، ج٣، ص٦٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٨٣.

مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت: أتسبين رجلاً شهد بدراً. قالت: أولم تسمعي ما قال أهل الإفك؟ فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما دخلت بيتي، دخل عليَّ رسول الله ﷺ، ثم قال لي: كيف أنتِ؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ وأنا أريد (أن)[1] أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي، فجئت أبويَّ، فقلت لأمي: يا أماه، ماذا يتحدث الناس؟ فقالت أي بنيّة، هوّني عليكِ، فوالله لقل ما كانت امرأة مرضيّة عند زوجها، ولها ضرائر إلّا (١٤٤) كثرن عليها. فقلت: سبحان الله، أَوَقَدْ تحدّث الناس بهذا؟ قالت: نعم، فمكثت تلك الليلة، حتى أصبحت، لا يرقى لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.

ودعا النبي علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد[2]، حين استبطأ الوحي، استشارهما في فراق أهله، فقال أُسامة: هم أهلك، ولا نعلم إلّا خيراً. وأما علي فقال: لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، فقال النبي لبريرة[3]: هل رابك شيء من عائشة؟ فقالت: والذي بعثك بالحق نبياً، ما رأيت عليها أمراً قط، إلّا أنها حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فيأتي الداجن فيأكله، فقام رسول الله، فاستعذر من عبدالله بن أُبي، وهو على المنبر

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) أسامة بن زيد: أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد: صحابي جليل. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام (لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً) وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً، وينظر إليه نظره إلى سبطية الحسن والحسين، هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، وأمّره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفراً موفقاً، ولما توفي رسول الله رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن المزّة، وعاد بعدها إلى المدينة، فأقام إلى أن مات بالجرف سنة ٥٤هـ. وله في الحديث ١٢٨حديثاً. وفي تاريخ ابن عساكر أن رسول الله ﷺ استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٢٩١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ١٩٤ ـ ١٩٧.

(٣) بريرة: بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، كان مولاة لبعض بني هلال. وقيل: كانت مولاة لأبي أحمد بن جحش. وقيل: كانت مولاة أناس من الأنصار، فكاتبوها ثم باعوها، فأعتقتها. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٩.

يقول: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني من أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلّا خيراً.

فقال سعد بن معاذ: أعذرك يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقال سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكنه احتملته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت، فقال: لعمري والله لنقتله، وإنك منافق، تجادل عن المنافقين. فثار الأوس والخزرج، وهمّوا أن يقتتلوا، ورسول الله على المنبر، فلم يزل يخفضهم، حتى سكنوا.

قالت عائشة: ومكثت يومي ذلك، لا يرقأ دمعي، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي. قالت: فبينما هما جالسان (عندي)[1]، وأنا أبكي، إذ دخل علينا رسول الله ﷺ، وجلس عندي، ولم يجلس عندي منذ قيل فيَّ ما قيل، ولقد لبث شهراً لا يوحى إليه أبداً في شأني. فتشهّدَ، ثم قال: أما بعد، يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب، فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا أذنب ذنباً، ثم تاب، تاب الله عليه، قالت: فلما قضى مقالته، فاض دمعي، ما قدرت أحبس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عنّي رسول الله. قال: والله ما أدري ما أقول له. فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله. فقالت: لا أدري ما أقول له. فقلت: أنا جارية حديثة السن، لا أقرأُ من القرآن كثيراً، فوالله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا الأمر، حتى استقر بأنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بالذنب، والله يعلم إني بريئة، لا تصدقوني، (١٤٥) والله ما أجد لي ولكم

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٤٣.

(مثلاً)[١] إلّا كما قال أبو يوسف، ولم أعرف اسمه: فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

قالت: ثم تحولت، واضطجعت على فراشي، وأنا والله أعلم حينئذٍ إني بريئة، والله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يُتلى، كنت أحقر في نفسي من ذلك، ولكن كنت أرجو أن يرى النبي براءتي في المنام، فوالله ما قام النبي من مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله عليه، فأخذه مما كان يأخذه من البُرحاء، حتى إنه لينحدر منه عرق كالجمان في اليوم الشاتي من ثقل الوحي، ثم سرى عنه ذلك، وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: ابشري يا عائشة، إن الله قد برأكِ مما يقولون.

فقلت: بحمد الله لا بحمدك. فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلّا الله، هو الذي أنزل براءتي، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ [النور: ١١]. عشر آيات.

فحلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح[٢] بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ ﴾ [النور: ٢٢]. الآية. فقال أبو بكر: إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجّع إلى مسطح ما كان ينفق عليه.

قالت: وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت، فضربه ضربة بالسيف، فصاح حسان واستغاث، وجاء إلى النبي مستعدياً على صفوان في ضربته. فسأله النبي أن يهب له ضربة صفوان، فوهبها له، فعوضه حائطاً من النخل عظيماً، وجارية روميّة.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٤٣.

(٢) مسطح: مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، من قريش، أبو عباد، صحابي، من الشجعان الأشراف. كان اسمه عوفاً، ولقب بمسطح، فغلب عليه، أمه بنت خالة أبي بكر، وكان أبو بكر يمونه لقرابته منه، وأطعمه رسول الله ﷺ بخيبر خمسين وسقاً، وهو ممن شهد بدراً وأُحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله، توفي سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢١٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١٥٠.

وقال حسان في براءة عائشة واعتذاره إليها، رضي الله تعالى عنها:

حصان رزان ما تزنُّ بريبةٍ ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ
حليلة خير الخلق ديناً ومنصباً ... نبيّ الهدى ذي المكرمات الفواضلِ
عقيلة حيّ من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائلِ
مهذبة قد طيّب الله جيبها ... وطهرها من كل شين وباطلِ
فإن كان ما قد جاء عنّيَ قلته ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي[1]
وإن الذي قد قيل ليس بلائقٍ[2] ... بك الدهر بل قول أمرئٍ غير ماحلِ
فكيف وودّي ما حييتُ ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافِلِ
له رتب عالٍ على الناس فضلها ... تقاصر عنها سَورة المتطاولِ

ثم أمر رسول الله ﷺ بالذين رموا عائشة جميعاً، فجلدوا الحدَّ (١٤٦) ثمانين جلدة.

وفي هذه السنة، تزوج رسول الله ﷺ، زينب بنت جحش بن رئاب[3]، وأمها أميمة بنت عبد المطلب[4]، وكانت امرأة جميلة، فيها حدّة، وكان قبل

---

(١) فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتُم ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
انظر شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبد الرحمٰن البرقوقي، ص ٣٨١.

(٢) انظر الأبيات في: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبدالرحمن البرقوقي ص٣٨٠ ـ ٣٨٢.

(٣) زينب بنت جحش: زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، من أسد خزيمة، أم المؤمنين، وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام، كانت زوجة زيد بن حارثة، واسمها «برّة» وطلقها زيد، فتزوج بها النبي ﷺ، وسماها «زينب» وكانت من أجمل النساء، وبسببها نزلت آية الحجاب. روت ١١ حديثاً. وهي أول من حمل بالنعش من موتى العرب. وكانت الحبشة تحمل به، فلما رآه عمر، قال: نعم خباء الظعينة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٦٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١٢٦ ـ ١٢٨.

(٤) أميّة بنت عبد المطلب: والصحيح أميمة، وهي أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وأم زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وأخت عبد الله بن جحش، انظر ترجمة زينب بنت جحش في: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ١٢٥.

ذلك، خطبها رسـول الله ﷺ، فظنت أنه يخطبها لنفسـه، فرضيت، فلما علمت أنـه يخطبهـا لزيد مولاه، قالت: لا أرضاه لنفسـي، وأنا بنـت عمتك، فقال: قد رضيته لك.

وكان النبي قد اشترى زيداً من عكاظ[1]، قبل مبعثه، فأعتقه وتبناه، وكان يقـال لـه: زيد بن محمـد، حتى أنـزل الله ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥]. الآية.

قيل: إنها أبت هي وأخوها نكاح زيد، فانزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. الآية. فرضيا به، فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً، وسـاق إليها رسـول الله عشـرة دنانير وسـتين درهمـاً، وخمـاراً، ودرعاً، وملحفة، وإزاراً، وخمسـين مدّاً من الطعـام، وثلاثين صاعاً من التمر، ومكثت عنده حيناً.

ثم إن رسـول الله ﷺ، أتى يوماً بيت زيد يطلبه، فلم يجده، فأبصر زينب، فوقعت في نفسـه فأعجبته، فقال: سـبحان الله مقلب القلـوب، وانصرف. فلما جـاء زيـد، ذكر له ذلـك، ففطن زيد، فألقي في نفس زيـد كراهيتها في الوقت. ويـروى عـن زينب أن زيداً لم يقدر عليها، فمنـع جماعها من غير امتناع منها، ثـم إن زيداً أتى النبي عليه السلام، فقال: أريـد أن أفارق صاحبتي، فقال: ما لك؟ هل رابـك منهـا شـيء؟ قال: لا والله مـا رأيت منهـا إلا خيراً، ولكنهـا تتعظم عليَّ لشرفها، فقال له: أمسك عليك زوجك، واتق الله في أمرها.

---

(١) عكاظ: سوق من أسواق العرب في الجاهلية، موضعه بين نخلة والطائف وذي المجاز، كانت تجتمع فيه القبائل مدّة عشـرين يوماً، من هلال ذي القعدة إلى العشـرين منه في كل سـنة، يتبايعون فيه. كما كان الشـعراء يحضرون إلى السوق لينشدوا ما أحدثوا من أشعار التفاخر والحماسة والمجادلة. انظر: غربـال، محمد شـفيق: الموسـوعة العربيـة الميسَّـرة، دار إحياء التـراث العربي، بيـروت، لبنان، ج١، ص١٠٣٥.

ثـم إن زيـداً طلقهـا، ثـم أنـزل الله ﷻ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. إلى قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فلـم يحتـج النبـي إلى عقد نـكاح على زينب، فقـال النبي: من يذهب ويبشـر زينب أن الله قد زوجنيها، فذهبت سـلمى[١] خادمته، فبشـرتها بذلك، فأغبطتها أوضاحاً.

قالـت عائشـة رضي الله عنها: أخذني مـا بعد وما قـرب حينئذ من الغيـرة، لما يبلغنا من جمالها، وأخرى أعظم الأمور وأشـرفها، إن الله زوجها بالنبي من السـماء، فهي تفتخر علينا بذلك. وكان تزويجه بها هلال ذي القعدة، وهي بنت خمس وثلاثين سنة، وهي أول من مات من نسائه.

قيـل: قـال النبي ﷺ لزوجاتـه: أطولكنَّ يداً، أقربكـنَّ لحوقاً بي، فجعلن يتطاولـن بأيديهـنَّ. وكان مـراده ﷺ بالطـول في اليد، بسـطها فـي طاعة الله تعالى.

وقالـت عائشـة لـم تكن امـرأة خيـراً منها فـي الدين، وأتقـــى منهـا (١٤٧) لله، وأصـدق حديثـاً، وأوصـل للرحم، وأعظم صدقة، وأشـدَّ بذلاً منهـا للنفـس في العمـل الذي يتصدق بـه، ويقترب إلـى الله تعالى. ماتت بالمدينـة سـنة عشـرين، وقيل: إحـدى وعشـرين. وهي يومئـذ بنت ثلاث وخمسـين سـنة، وصلـى عليها عمر بـن الخطاب، وهـي أول جنازة جعل عليها نعش.

(١) سـلمى: سـلمى بنت خادم رسـول الله ﷺ، وهي مولاة صفية بنت عبدالمطلب، عمة رسول الله ﷺ، وهـي امـرأة أبي رافـع. ويقال أيضاً: إنهـا مولاة النبي. وكانـت قابلة بني فاطمة بنت رسـول الله ﷺ. وقابلـة ابنـه إبراهيـم. وهـي التي غسـلت فاطمـة الزهراء مـع زوجها علي ومع أسـماء بنـت عميس، وشـهدت خيبر مع رسـول الله ﷺ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص ١٤٧ - ١٤٨.

وفي هذه السنة، كانت غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب في شوال، وقيل في ذي القعدة، وسببها أن بني النضير لمّا جلوا من المدينة، وساروا إلى خيبر، خرج معهم نفر من اليهود، ومنهم حيي بن أخطب النضيري[١]، وسلام بن أبي الحقيق[٢]، وهوذة بن قيس[٣]، وعمرو بن كنانة[٤]، ونفر من بني وائل. فساروا، حتى وصلوا مكة، وقدموا على قريش، ودعوهم إلى حرب النبي، وقالوا: إنّا معكم، حتى نستأصله وأصحابه. فقالوا لهم: إنكم أهل كتاب، تعلمون ما نختلف فيه نحن ومحمد، فدينه خير أم ديننا؟ فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

فلما قالوا لهم ذلك، نشطوا لحرب النبي، واستعدّوا له، (واجتمعوا)[٥] عليه.

---

(١) حيي بن أخطب النضيري: حيي بن أخطب النضري، جاهلي من الأشداء العتاة، كان ينعت بسيّد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام، وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٩٢.

(٢) سلام بن أبي الحقيق: من أشراف اليهود، من بني النضير، سار إلى خيبر بعد غزوة بني النضير ومعه كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها. وعندما خرجوا استقلّوا بالنساء والأموال والأبناء، ومعهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٢٠١.

(٣) هوذة بن قيس: هوذة بن قيس الوائلي، أحد أشراف يهود بني النضير، خرج في نفر من بني وائل منهم أبو عمار الوائلي، وفي نفر من بني النضير إلى خيبر، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٢٢٥.

(٤) عمرو بن كنانة: الصحيح كنانة بن الربيع بن الحقيق، من أشراف يهود بني النضير، سار إلى خيبر مع بقية الأشراف، ونزل فيها، ودان أهلها لهم. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٢٠١. الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٨

(٥) وفي النسخة الأصلية ب، ص١٤٦ «واجمعوا».

ثـم خرج أولئك النفر من اليهود إلـى غطفان(١)، ودعوهم إلى حرب النبي أيضاً، وأعلموهم أن قريشاً تابعتهم على ذلك، فخرجوا وقائد بني فزارة(٢) عيينة ابـن حصين(٣)، وقائد بني مـرّة الحارث بن عوف(٤)، وخرجـت قريش وقائدها أبو سفيان.

فلمـا سـمع النبي بذلك، ضـرب الخندق علـى باب المدينة، وأشـار عليه بذلك سـلمان الفارسـي. وكان أول مشـهد شـهده وهـو حرّ، فعمل فيـه النبي والمسلمون، حتى فرغوا منه.

قيـل: كان قسـمة النبي بينهم، وقيـل: إنه عرض في الخنـدق صخرة عظيمة، كسـرت حديـد القـوم، وكانت في سـهم عمرو بن عوف(٥)، وسـلمان الفارسـي،

---

(١) غطفان: غطفان بن سـعد بن قيس عيلان، من مضر من العدنانية: جدّ جاهلي قديم، بنوه بطون كثيرة، ترجع أنسـابها إلى ابنيه «أعصر» و«ريث» منها «باهلة» و«غني» من نسـل الأول، و«أشـجع» و«بغيض» و«عبس» و«ذبيان» من نسل الثاني. وكانت منازل غطفان فيما يلي وادي القرى وجبلي طيء. وصنمهم في الجاهلية «العزّى» وبه شجرة عندها وثن، قطعها خالد بن الوليد، وكسر الوثن. وفي عهد الفتوحات الإسلامية تفرقت غطفان في الأقطار. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ١٢٠.

(٢) فـزارة: فزارة بـن ذبيان بـن بغيض، من غطفان، من العدنانية: جدّ جاهلي، تفرع نسـله في خمسـة من أبنائـه: مـازن، وسـعد، وعدي، وظالم، وشـمخ. تفرقت بطونهم فـي نجد ووادي القرى، ثـم بإفريقيا والمغـرب الأقصـى. قـال المقريزي: منهـم جماعة بالصعيـد، وجماعة بضواحي القاهـرة، في قليوب ومـا حولهـا، وبهـم عرفت البلدة المسـماة بخراب فزارة. انظـر: الزركلي، خير الديـن: الأعلام، ج٥، ص ١٤٥.

(٣) عيينة بـن حصين: والصحيح عيينة بـن حِصْن بن حذيفة بن بدر، قائد بني غطفان في غزوة الأحزاب، هَـمّ رسـول الله ﷺ أن يعقد الصلـح معه ومع الحارث بن عوف المرّي على ثلـث ثمار المدينة، غير أن سعد بن معاذ تناول الصحيفة ومحا ما فيها. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ٢٤٣.

(٤) الحارث بن عوف: الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّي، من الفرسان في الجاهلية، له فيها أخبار، أدرك الإسـلام وأسـلم، وله خبر بعد إسـلامه. قال فيه حسان بن ثابت شعراً أورده ابن عبدالبر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٥٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٦٢٩.

(٥) عمرو بـن عوف: عمرو بن عوف بن زيد بن مليحة بن عمرو بن بكر بن أفرك بن عثمان بن عمرو بن =

وثمانيـة من الأنصار، فصعد سـلمان إلى النبي، وكانـت مضروبة له خيمة تركية، فأجبـره بذلـك، فأخذ النبي من سـلمان المعول، وضرب به علـى الصخرة ثلاثاً، فبـرق منهـا برق، أضاء مـا بين لابتي المدينـة، كأنه مصباح في ليـل مظلم، فكبّر النبي ﷺ تكبير فتح، وكبّر المسـلمون، فسـأله سـلمان وقال: لقد رأيت شـيئاً، يا رسـول الله، لـم أره قبل قـط، فالتفت النبي إلى القوم، وقال: هـل رأيتم ما أرى؟ قالوا: نعم. فقال: ذلك قصور الحيرة، ومدائن كسـرى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهـرة عليها، والبرق الثانـي أضاءت (١٤٨) لي قصور الـروم، وأخبرني جبريل أن أمتـي ظاهـرة عليهـا، والثالث قصور صنعاء، وأخبرني جبريـل أن أمتي ظاهرة عليها، فابشـروا. فاستبشـر المسـلمون، وقالوا: الحمد لله بوعد وعدنا بنصره بعد الحصر.

وقـال المنافقـون: ألا تتعجّبـون مـن محمـد، يعدكـم ويمنّيكـم بالباطـل، ويخبركم أنه يرى من المدينة قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنتم إنما تحفرون الخنـدق من الفرق، لا تسـتطيعون أن تبـرزوا، فنزل قولـه تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحـزاب: ١٢]. وأنـزل قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦]. إلى تمام الآية.

ثم إن قريشـاً أقبلوا بجمعهم حتى نزلوا مجتمع الأسـيال من الدومة، ومن الجرف والغابة في عشـرة آلاف، ممن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبل غطفان، ومن تابعهم من أهل نجد بذات نقمى من جانب أُحد.

= أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، أبو عبدالله المزني. كان قديم الإسـلام، يقال: إنه قدم مع النبي ﷺ إلـى المدينة. ويقال: إن أول مشـاهده الخندق، وكان أحـد البكائين في غزوة تبوك، له منزل بالمدينة، ولا يعلـم حـيّ العرب لهم مجلس بالمدينة غيـر مزينة. وهو جدّ كثير بـن عبدالله بن عمرو بن عوف الـذي روى أحاديثـه. مات بالمدينة آخر أيام معاوية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢٥٩.

وخرج النبي والمسلمون يوم الاثنين، لثماني ليال بقين من ذي القعدة، فجعلوا ظهورهم إلى سلع، وهم ثلاثة آلاف، فضرب هنالك المعسكر، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذراري، فرفعوا في الآطام.

وخرج عدو الله حيي بن أخطب، فأتى كعب بن أسد القرظي(١)، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان كعب قد وادع النبي، وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب بحيي، أغلق دونه باب الحصن، وأبى أن يأذن له، فناداه: يا كعب، افتح الباب، فقال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، قد عاهدت محمداً، فلا أنقض عهده، ولم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً. فقال: ويحك، افتح لي أكلمك. فقال: ما أنا بفاتح لك.

فلم يزل به حتى فتح له، وقال: جئتك بعزّ الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، وبغطفان، وقد عاهدوني أن لا يرجعوا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه.

فقال كعب: جئتني بذل الدهر، والله ما هذا إلّا جهام قد أُهرق ماؤه، وبرعد ليس فيه شيء، وبرق خلّب، دعني ومحمداً وما أنا عليه، فإني لم أرَ منه إلّا صدقاً ووفاءً.

فلم يزل به حتى أعطاه عهداً من الله وميثاقاً، لئن رجعت قريش وغطفان منهزمين، ولم يصيبوا محمداً، ليدخله في حصنه، فيصيب حييّاً ما يصيب كعباً، ونقض عهده.

فأرسل إليه رسول الله سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعبدالله بن رواحة،

---

(١) كعب بن أسد القريظي: كعب بن أسد بن سعيد القريظي، من بني قريظة، شاعر جاهلي، له مناقضات مع قيس بن الخطم في يوم بعاث. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٢٥.

ليختبروه، فمضوا إليه وسألوه، فقال: لا عهد بيني وبين محمد. فرجعوا إلى النبي، فأخبروه بما قال.

وأقام النبي بحذا المشركين أربعاً وعشرين ليلة، ولم يكن بينهم حرب، إلّا الرمي بالنبل، وبحصى. وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم (١٤٩) المشركون من فوقهم، ومن أسفل منهم، فقال المنافقون: يعدنا أن يفتح كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر (أن)[١] يذهب إلى الغائط من الخوف، ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً. وقال أوس بن قيظي بن حارثة[٢]، للنبي: إن بيوتنا خارجة من المدينة، وهي عورة، فأذن لنا أن نخرج إلى ديارنا.

وأراد النبي أن يبعث إلى عيينة بن حصن، وحارث بن عوف، وهما من غطفان، ليرجعا بمن معهما، ليعطيهما ثلث ثمار المدينة، فاستشار سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فقالا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به؟ فلا بد لنا من أن نفعله؟ أم أمر تحبه فتصنعه لنا؟ فقال: ما أصنع ذلك، إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم.

فقال سعد بن معاذ: قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة، إلّا قرىً أو بيعاً، فكيف حين أكرمنا الله بالإسلام وأعزّنا بك، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا في هذا والله من حاجة، والله ما نعطيهم إلّا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وهو خير الحاكمين.

ثم أقام رسول الله والمسلمون، والمشركون لهم محاصرون، ولم يكن

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) أوس بن قيظي: أوس بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الأنصاري الحارثي، شهد أُحداً هو وابناه كنانة وعبدالله، ولم يحضر عرابه بن أوس أُحداً مع أبيه وأخويه، استصغره رسول الله ﷺ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٧٩ - ١٨٠.

بينهم قتال، إلَّا أن فوارس قريش، وهم: عمرو بن عبد ود[١]، وعكرمة بن أبي جهل[٢]، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب[٣]، ومرداس، قد تلبسوا للقتال، وخرجوا إلى خيلهم، ومرّوا على بني كنانة، فقالوا: تهّيأوا للحرب، فستعلمون اليوم من الفرسان. ثم أقبلوا نحو الخندق، حتى أقبلوا عليه، فلما رأوه، قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت للعرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً، فضربوا خيولهم، فاقتحمت بهم، وجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب ونفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحمتها خيلهم، فأقبلت الفرسان تعنوا نحوهم.

وكان عمرو بن عبد ود قاتل في بدر، حتى أثخنته الجراح، ولم يشهد أُحُداً. فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فقال له علي: إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلّا أخذت منه أحدهما، قال: أجل، فقال له علي: إنّي أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام، فقال: لا حاجة لي إلى ذلك، فقال علي: فإني أدعوك إلى النزال. قال: ولِمَ يا ابن أخي، فإني

(١) عمرو بن عبد ودّ: عمرو بن عبد ود العامري، من بني لؤي، من قريش، فارس قريش وشجعانها في الجاهلية،. أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت موقعة الخندق، فحضرها وقد تجاوز الثمانين، فقتله علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٨١.

(٢) عكرمة بن أبي جهل: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي، من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. كان أبوه من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، أسلم عكرمة بعد فتح مكة سنة ٨هـ، وحسن إسلامه، فشهد الوقائع، وولّي الأعمال لأبي بكر، استشهد في اليرموك، أو يوم مرج الصفر، وعمره ٦٢ سنة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٤٤. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤. ص٦٧ ـ ٧٠.

(٣) ضرار بن الخطاب: ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري: فارس شاعر، صحابي، من القادة. من سكان الشراة، فوق الطائف، قاتل المسلمين يوم أُحد والخندق أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة. ولم يكن في قريش أشعر منه، وله أخبار في فتح الشام، واستشهد في وقعة أجنادين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢١٥. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٣ ـ ٥٥.

لا أحب أن أقتلك. فقال علي: والله إني أحب أن أقتلك. فحمّى عمرو عند ذلك فرسه، وضربه على وجهه، وأقبل على عليّ، (١٥٠) فتجاولا، فقتله علي، فخرجت خيله منهزمة، وأصاب منبه بن عثمان، سهم، فمات منه بمكة.

ونوفل بن عبد الله المخزومي، تورط عند اقتحامه الخندق، فرموه بالحجارة، فقال: يا معاشر العرب: قَتْلَةٌ خير من هذا، فقتله علي، فغلب المسلمون المشركين على جسده، فأخذوه، فأرسل المشركون إلى النبي أن يبايعهم جسده، فقال: لا حاجة لنا في جسده ولا في ثمنه، فشأنكم به، فأخذوه.

قيل: وكان حسان بن ثابت مع النساء والذراري في حصن، فمرَّ بهم يهودي، وجعل يطوف بالحصن، فقالت صفية بنت عبد المطلب[1]، لحسان: إن هذا اليهودي، كما ترى، يطوف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة النبي، والله لا نأمنه أن يدل على عورتنا، والنبي في نحور العدو، ولا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا، فانزل إليه، واقتله. فقال: يغفر الله لك، قد علمت ما أنا بصاحب هذا، فنزلت إليه صفيّة، وقد تخمرت، وأخذت عموداً، ونزلت من الحصن، فضربته بالعمود، حتى قتلته، ورجعت إلى الحصن، فقالت: يا حسان، انزل إليه، وخذ سلبه، فما منعني من سلبه إلّا إني امرأة وهو رجل، فقال: لا أستطيع، وما لي في سلبه من حاجة، وكان حسان رجلاً جباناً.

وأقام النبي وأصحابه في شدّة، كما قال الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(١) صفية بنت عبد المطلب: صفية بنت عبد المطلب بن هاشم، سيدة قرشية، شاعرة باسلة، وهي عمة النبي ﷺ، أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة، رأت المسلمين يتراجعون يوم أُحد، فتقدمت، وبيدها رمح تضرب به في وجوه الناس، وتقول: انهزمتم عن رسول الله! فأشار النبي إلى الزبير بن العوام أن يبعدها عن أخيها الحمزة، (وكان قد بُقر بطنه، فكره رسول الله أن تراه) فناداها الزبير أن تتنحّى، فزجرته، وأقبلت حتى رأت أخاها. لها مراث رقيقة. في شعرها جودة. ماتت في المدينة سنة ٢٠هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٠٦. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١٧١ ـ ١٧٢.

﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١]. وحبسوا عن الصلوات. ولم يقتل من المسلمين إلّا ستة نفر: كعب بن زيد الذبياني[(١)]، وعبد الله بن سعد[(٢)]، وأنيس ابن أوس[(٣)]، والطفيل بن النعمان[(٤)]، وثعلبة بن غنمة[(٥)]، ورمي سعد بن معاذ بسهم، فأصاب أكحلة ابن العرقة[(٦)]، وقال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال سعد: عرَّق الله وجهك بالنار، ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش، فابقني لها، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعله لي شهادة.

(١) كعب بن زيد الذبياني: كعب بن زيد الذبياني بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار الأنصاري النجاري. شهد بدراً والخندق، وقتل يوم الخندق شهيداً. قال الواقدي: قتله ضرار بن الخطاب يوم الخندق. وقال ابن إسحاق: أصابه سهم غَرْب (أي سهم لا يعرف راميه) يوم الخندق فقتله. ويذكرون أن الذي أصابه أمية بن ربيعة بن صخر الدؤلي، وكان قد نجا يوم بئر معونة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٤٧٧.

(٢) عبد الله بن سعد: والصحيح عبد الله بن سهل، وهو عبد الله بن سهل الأنصاري، ذكره ابن إسحاق، وابن عقبة فيمن شهد بدراً مع الأنصار، ثم من بني عبد الأشهل. قال ابن هشام: عبد الله بن سهل هذا هو أخو زعوراء بن عبد الأشهل. قال: ويقال إنه من غسان، حليف لبني عبد الأشهل، وقال ابن إسحاق: قتل ابن سهل هذا يوم الخندق شهيداً، ونسبه بعضهم فقال: عبد الله بن سهل بن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص ٩٢٤.

(٣) أنيس بن أوس: والصحيح أنس، وهو أنس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. شهد أُحداً وقتل يوم الخندق، قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: رماه خالد بن الوليد بسهم فقتله، ولم يشهد بدراً، وقال غيره: قتل يوم أُحد. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ١٥٢.

(٤) الطفيل بن النعمان: الطفيل بن النعمان بن مالك بن النعمان بن خنساء، وقيل: الطفيل بن النعمان بن خنساء الأنصاري السلمي، من بني سلمة، شهد العقبة، وشهد بدراً وأُحداً، جُرِحَ بأُحُد ثلاثة عشر جرحاً، وعاش حتى شهد الخندق، وقتل يوم الخندق شهيداً، قتله وحشي بن حرب. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص ٧٦٢ - ٧٦٧.

(٥) ثعلبة بن غنمة: ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي، شهد العقبة في البيعتين، وشهد بدراً وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة. قتل يوم الخندق شهيداً، قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٢٩٠.

(٦) ابن العرقة: هو حبّان بن قيس بن العرقة، أحد بني عامر بن لؤي، انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص ٢٧.

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي[1]، أتى النبي، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت. فقال له: فأنت واحد منّا، فاخدع عنّا إن استطعت، فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم، فأتى بني قريظة، وكان صديقاً لهم في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودّي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم. فقال: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه، وهم ليسوا كهيئتكم، فالبلد بلدكم، وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون تتحولون عنه إلى غيره، وهم إن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك، لحقوا ببلادهم (١٥١) وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به، وإن خلا بكم، فلا تقاتلوا معهم، حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم، يكون بأيديكم ثقة لكم، على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تناجزوه بجواره، فقالوا: لقد أشرت برأي ونصحت.

ثم خرج من عندهم، فأتى قريشاً، فقال لأبي سفيان ومن معه: يا معشر قريش، قد عرفتم ودّي إياكم، وعداوتي لمحمد، وقد بلغني أمر، رأيت أن أُبلغكم إياه نصحاً لكم، فاكتموه عليّ، قالوا: نعم، قال: اعلموا أن اليهود قد ندموا على ما صنعوه بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: أن قد ندمنا على فعلنا، هل يرضيك عنّا أن نأخذ من أشراف القبيلتين قريش وغطفان رجالاً، فندفعهم إليك، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم، فأرسل إليهم: نعم، نرضى منكم بذلك، فإن بعثت إليكم اليهود يلتمسون منكم رهناً،

(١) نعيم بن مسعود الأشجعي: صحابي من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله ﷺ سراً أيام الخندق، فأسلم وكتم إسلامه، ثم عاد وألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان وقريش، فتفرقوا. فكان نعيم يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سرّه، وسكن المدينة. مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل يوم «الجمل» قبل قدوم علي إلى البصرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٤١. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٣٣٨ ـ ٣٣٩.

فـلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً. ثم أتـى غطفان، فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذّرهم.

فلما كان ليلة السـبت، أرسـل أبو سـفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة: إنا ليس لنا هنا دار مقام، قد هلك الخف والحافر، فأعدوا للقتال، حتى نناجز محمداً، ويفرغ فيما بيننا، وبينه. فأرسلوا إليهم: إنه اليوم السبت، ولا نفعل فيه شيئاً، ولسنا نقاتل معكم، حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكون بأيدينا ثقة لنا، حتـى نناجـز محمداً، وإنا نخشـى إذا اشـتدَّ عليكم القتال، سـرتم إلى بلادكم، وتركتمونا ومحمداً في بلادنا، ولا طاقة لنا به.

فلمـا رجع إليهم الرسـول، قالت قريش وغطفـان: والله إن الذي ذكر نعيم لحـق، فأبـوا أن يعطوهـم رهناً، وخذلهـم الله، وفرّق شـملهم، وكان ذلك مما صنع الله لرسـوله، وأرسـل الله عليهم الريح والملائكة في ليال شـاتية شـديدة البرد، طرحت سـتورهم وبنيانهم، وتكفأت قدورهم، فانصرفوا خائبين. ودخل حيي بن أخطب مع بني قريظة حصنهم، ووفّى له كعب بما عاهده.

وفي هذه السـنة، كانت غزوة بني قريظة، وسـببها أن النبي ﷺ، لمّا أصبح مـن الليلـة التي انصرفت قريش فيهـا، ورجع هو والمؤمنون عـن الخندق إلى المدينة، وضعوا السلاح، فلما كان الصبح، أتاه جبريل عليه السلام، معتماً بعمامة من اسـتبرق[(١)]، على بغلة عليها رِحالة وقطيفة من ديباج. وكان النبي عند زينب أو عائشة رضي الله عنهما، وقد غسلت شق رأسه، فقال له جبريل: قد وضعت السلاح؟ قال: نعم، وقال: عفا الله عنك، فما وضعت الملائكة السـلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلّا من طلب القوم، والله يأمرك (١٥٢) بالمسـير إلى بني قريظة، فسر إليهم، وقد زلزلت أوتادهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبلبال.

(١) الاستبرق: ضرب من الديباج غليظ.

فنادى منادي النبي: إن من كان سامعاً ومطيعاً، فليصلّي في بني قريظة، فسار الناس إليهم، ونزل عليٌّ بئراً من آبارهم[١] في ناحية من أموالهم، وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلما أيقنوا أن رسول الله غير منصرف عنهم، حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد[٢]: يا معشر اليهود، إنه قد نزل بكم من الأمر، ما ترون؟ إني عارض عليكم ثلاث خلال، فاختاروا أيها شئتم. فقالوا: ما هنّ؟ قال: نبايع هذا الرجل، ونصدقه إلى الله، فوالله لقد تبيّن لكم أنه نبي مرسل، وإنه الذي تجدونه في كتبكم، فتأمنوا على دياركم وأبنائكم وأموالكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق ديننا، ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم هذه، فهلمّوا نقتل أبناءنا ونساءنا، ونخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف، فإن نهلك نهلك، ولا نترك شيئاً نخشى عليه، وإن نظهر، اتخذنا النساء والأبناء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فلا خير في العيش بعدهم.

قال: فإن أبيتم هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه آمنين فيها، فانزلوا، فلعلّنا نصيبهم على غفلة. فقالوا: أنفسد سبتنا، ونحدث فيه، وقد علمت ما أصاب من أحدث في السبت من المسخ، قال: ما بات رجل منكم حازماً منذ ولدته أمه ليلة واحدة.

ثم إنهم أرسلوا إلى النبي ﷺ، أن ابعث إلينا أبا لبانة نستشيره، فأرسله إليهم، فلما رأوه، قام إليه الرجال والنساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقَّ لهم، وخالف أمر النبي، فلم يأتِ النبي، وربط نفسه في سارية، وقال: لا أبرح

---

(١) هو بئر أُنى بالمدينة من آبار بني قريظة، نزله النبي ﷺ لمّا فرغ من غزوة الخندق، وقصد بني النضر، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٢٥٧

(٢) كعب بن أسد: هو كعب بن أسد بن سعيد القرظي، من بني قريظة، شاعر جاهلي، له مناقضات مع قيس بن الخطيم يوم بعاث. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٢٥.

مكانـي، حتـى يتوب الله عليَّ، فبلغ ذلك النبي، فقال: لو أنه أتاني لاسـتغفرت له، فلم يزل كذلك، حتى أنزل الله توبته، وأطلقه النبي ﷺ.

ثم أسلم ثعلبة[١]، وأُسيد بن عبيد[٢]، ونزلت بنو قريظة إلى النبي ﷺ، فقال الأوس: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمـس مـا فعلت. فقال: ألا ترضون أن أحكّـم فيهم رجلاً منكم؟ قالوا: بلى. قال: فذاك سعد بن معاذ.

وكان سعد بن معاذ أصابه منهم سهم في أكحلة يوم الخندق، فقال: اللهم لا تمتنـي، حتى تشـفيني من بني قريظـة، فرقأ دمه، فلما حكـم في بني قريظة، انفجر أكحلة، فمات، فجاء جبريل عليه السلام، إلى النبي، (١٥٣) ﷺ، فقال له: اهتزَّ العرش لموت رجل من أصحابك، وما اهتزّ لموت أحد قبله.

فقام النبي ﷺ، مسرعاً إلى سعد، فإذا سعد قد قضى نحبه، والأنصار حوله، فلما خرجوا من بيته، لم يبقَ فيه إلّا سـعد وحده، فجعل النبي ﷺ، يتخلل في مشـيه في البيت، مرّة يميناً، ومرّة شـمالاً، حتى جلس إلى جنب سـعد، وحزن عليـه حزناً شـديداً، حتى رُؤي ذلك في وجهه، وأمـر بجهازه، فجُهّز، ثم خرج

---

(١) ثعلبة: ثعلبة بن سعية. وقيل: ابن يامين. روى سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس، قال: لمّا أسلم عبدالله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدقـوا ورغبـوا في الإسـلام، قالت أحبار اليهـود، وأهل الكفر منهم: والله مـا آمن بمحمد ولا تبعه إلّا أشـرارنا، ولـو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آباءهم، وذهبـوا إلى غيره، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ ﴾ وقـال البخـاري: توفـي ثعلبة بـن سـعية في حيـاة النبي ﷺ. وذكر الطبري أن ابن إسحاق قال في ثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد: هم من بني هدل، ليسوا من بني قريظة ولا النضيـر، نسـبهم فـوق ذلك، وهم بنو عمّ القوم، أسـلموا تلـك الليلة التي نزلـت فيها قريظة على حكم سعد بن معاذ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٨٦.

(٢) أسـيد بن عبيد: أُسـيد بن عبيد، أسلم هو وثعلبة بن سـعية وأحرز ماله، وحسن إسلامه. وذكر الطبري عن ابن حميد، عن سـلمة، عن أبي إسـحاق، قال: ثم إن ثعلبة بن سـعية وأُسـيد بن سعية، وأسيد بن عبيد، وهم من بني هدل، أسـلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم سـعد بن معاذ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١١٦.

معه، وتحمّله، وصلى عليه ﷺ، وكبّر سبعاً. ووقف على قبره طويلاً. فَسُئِلَ النبي ﷺ، عن مشيه متخللاً في بيت سعد والبيت فارغ، فقال: ما وجدت إليه مخلصاً من الملائكة، حتى قبض ملك منهم جناحه، وهذا جبريل يخبرني أن العرش قد اهتزّ لموت سعد بن معاذ.

فقال أبو المنذر بن هشام بن محمد، حدثنا عبدالحميد الأنصاري: بينما قريش في المسجد الحرام، إذ سمعت قائلاً يقول على جبل أبي قبيس:

إن يسلم السعدان يضحى محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالفِ

فلما أصبحت قريش، اجتمعت، وقال بعضهم لبعض: من السعود؟ قالوا سعد بكر[1]، أو سعد بن تميم أو سعد هذيل[2]. فلما كانت الليلة القابلة، سمعوا الصوت في ذلك المكان، وهو يقول:

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصري ويا سعد سعد الخزرجين الغطارفِ
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منية عارفِ

فقال بعضهم لبعض: هذان والله سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة.

ثم قال الأوس: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإنك قد حكَّمك رسول الله فيهم، وأكثروا عليه، قال: إني سعد، لا تأخذني في الله لومة لائم، وقال: أترضون أن أحكم فيهم؟ قالوا: نعم، قال: إنّي حكمت فيهم أن تقتل

(١) سعد بكر: سعد بن بكر بن هوازن، من عدنان، جدّ جاهلي، امتاز بنوه بالفصاحة وفيهم نشأ النبي ﷺ في طفولته، إذ تسلمته حليمة السعدية من أمه، وحملته إلى المدينة، وأحسنت تربيته. ولّما ردته إلى مكة نظر إليه عبدالمطلب فامتلأ سروراً، وقال: جمال قريش وفصاحة سعد وحلاوة يثربّ. وكانت منازل بني سعد بن بكر في الحديبية وأطرافها. وهم الآن بطون، يسكنون بالقرب من الطائف. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣٥، ص ٨٤.

(٢) سعد هذيل: سعد بن زيد بن ليث بن سود، من قضاعة: جدّ جاهلي. حضنه حبشي اسمه «هذيم» فأضيف إليه. والنسبة إلى سعد هذيم «هُذَمي» بضم الهاء وفتح الذال. بنوه عدّة بطون ذكرها ابن حزم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٨٥.

رجالهم، وتغنم أموالهم، وتُسبى ذراريهم. فقال النبي ﷺ: حكمت فيهم بحكم الله. فأمر النبي بضرب أعناقهم، وكانوا سبعمائة إلى تسعمائة، وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة، والنبي جالس عندهم، وكان فيهم شيخ يكنى أبا عبدالرحمٰن، وكان قد مرَّ على ثابت بن قيس بن شماس، في الجاهلية، يريدون قتله، فأخذه وجرّه بيده، وخلّى سبيله، فقال ثابت: يا أبا عبدالرحمٰن هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني أريد (أن)[1] أجزيك بيدك عندي. قال: إن الكريم يجزي الكريم، فأتى ثابت النبي، وقال: يا رسول الله، إن لأبي عبدالرحمٰن عندي يد، قد أحببت أن أُجزيه بها، فهب لي دمه، (١٥٤) فوهبه له، فأتاه، وقال له: إن النبي، قد وهب لي دمك، فقال: شيخ كبير لا أهل به ولا ولد. فأتى ثابت النبي، وسأله أن يهب به أهله وولده، فوهبهم له، فأتاه، وقال: قد وهب لي أهلك وولدك، فهم لك. فقال: أهلي عيال، ولا مال لي، فما بقاؤهم على ذلك، فسأل ثابت النبي أن يهب له ماله، فوهبه له، فأتاه، فقال له: قد وهب لي النبي مالك، فهو لك، فقال: أي ثابت، ما فعل كعب بن الأسد؟ قال: قتل، قال: أسالك بيدي عندك، إلّا ما ألحقتني بالقوم، فما أنا صابر حتى ألقى الأحبة. فقدّمه ثابت، وضرب عنقه، فبلغ أبا بكر ذلك، فقال: يلقاهم الله في جهنم خالداً مخلداً.

وقسّم النبي نساءهم وأبناءهم وأموالهم على المسلمين، بعدما أخرج منها الخمس، فأعطى الراجل سهماً والفارس سهمين. وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً، واصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة[2]، فكانت عنده إلى أن مات، وكان

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) ريحانة: ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة، من بني النضر، إحدى أزواج النبي ﷺ، كانت يهودية وسُبيت، وأسلمت سنة ٦هـ، فأعتقها النبي ﷺ، وتزوجها. كان معجباً بأدبها وبيانها، ولا تسأله حاجة إلّا قضاها. ولم تزل عنده حتى ماتت، وهو عائد من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع سنة١٠هـ/ ٦٣٢م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣٨. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١٢١ ـ ١٢٢.

يحرص عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: بل تتركني يا رسول الله في ملكك، فهو أخف عليَّ، فتركها.

وفي هذه السنة، حُرّمت الخمر. قيل: أنزل الله في الخمر أربع آيات، نزلت في مكة: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]. الآية. فكان المسلمون يشربونها، وهي حلال يومئذ.

ثم نزلت في مسألة عمر، ومعاذ رضي الله عنهما، حين قالا: يا رسول الله، أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مذهبة للمال. فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]. الآية.

فكانوا يستمتعون بمنافعها، ويجتنبون مآثمها، إلى أن صنع عبد الرحمٰن بن عوف طعاماً، فدعا أُناساً من الصحابة، وأتاهم بخمر، فأكلوا، وشربوا من الخمر حتى سكروا، وحضرت صلاة المغرب، فقدموا رجلاً منهم يصلي بهم، فقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] بغير لا. فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

فكانوا يشربونها في غير أوقات الصلاة، إلى أن شربها رجل من المسلمين، فجعل ينوح على قتلى بدر، ويقول شعراً:

تحيا بالسلامة أم بكر ... وهل لك بعد رهطك من سلام

ذريني أصطبح يا أُم بكر ... رأيت الموت نقّب عن هشامِ

(١٥٥) فبلغ ذلك النبي، فجاء يجرُّ رداءه، حتى انتهى إليه، ورفع شيئاً كان بيده، ليضربه، فلما عاينه الرجل، قال: أعوذ بالله من غضب الله ورسوله، والله لا أطعمها أبداً.

وروي عـن علـي أنه قال: كان لي شـارف من الغنم، ودفع لي رسـول الله شارفاً من الخمس، فواعدت صواغاً يخرج معنا بالأذخر، لأبيعه من الصواغين، أستعين بثمنه على الدخول بفاطمة. قال: فعقلتُ شـارفي عند حائط رجل من الأنصـار، ومضيـت لأجمع الحبـال والغرائر، فجئت، فوجدت شـارفي قد نُقر بطنه، فلم أملك عيني أن بكيت، وقلت: من فعل هذا؟ فقيل لي: عمك حمزة، وها هو ذا في البيت مع شرب، غنتهم جارية، فقالت:

ألا يـا حمـز بالشـرف البـواء ... وهـن معقَّـلات بالغنـاءِ
ضع السـكين فـي اللبـات منها ... فضرِّجهـنَّ حمـزة بالدمـاءِ
وعجـل فـي سـرائحها كتابـاً ... مُهَلْوَجَـةً علـى وجـه الصـلاءِ
وأصلـح مـن أطايبهـا طبيخـاً ... لشـربك مـن قديـر أو شـواءِ
فأنـت أبو العمـارة والمرجّـا ... لكشـف الضـرّ عنـا والبـلاءِ

قال: فجئت إلى النبي ﷺ، وقلت: إن عمك فعل بشـارفي كذا وكذا، فقام النبـي، ولبـس رداءه ونعليه، وصحبته أنا وزيد مولاه، فاسـتأذن، ودخل البيت، وقـال: يا حمزة، مـا حملك على ما فعلت؟ فجعل ينظر إلى صدر النبي، وإلى سـاقيه، ثم قال: ألسـتم عبيداً لأبي؟ فرجع النبي القهقرى، وقال: إن عمك قد ثمـل، وهما لك يـا علي، فعرّفهما لي، فلما أصبح، غدا حمزة إلى رسـول الله يعتذر إليه، فقال: مه يا عم. فعفا عنه.

قيل: واتخذ غسان بن مالك، دعوة، ودعا رجالاً فيهم سعد بن أبي وقاص، وكان قـد شـوى لهـم رأس بعيـر، فأكلوا، وشـربوا الخمر، فتفاخـروا، وأخذوا ينشـدون الأشـعار، فأنشد سـعد قصيدة فيها هجاء الأنصار، وفخر لقومه، فقام رجل من الأنصار، وأخذ لخمي البعير، وضرب به وجه سعد، فشجه موضحه، فانطلق سـعد إلى النبي، وشـكا إليه الأنصاري. فقال عمـر ﵁: اللهم بيّن لنا فـي الخمـر بياناً، فأنـزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ

رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]. إلى قوله: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]. فقال عمر: انتهينا يا رب.

والخمر ما خامر العقل، وهو كل مسكر. وقال النبي ﷺ: «**لا يجمع الله الخمر والإيمان في جوف مسلم أبداً، ومدمن الخمر كعابد وثن**».

وقال: «**من شرب الخمر، ولم يتب، حرمها في الآخرة، ومن حرم خمرة الآخرة، قد حُرم الجنّة، ومن حُرم الجنة، فمأواه النار**».

ولعن النبي شارب الخمر، وساقيها، وبائعها، ومشتريها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها.

وفي هذه السنة، ركب النبي ﷺ فرساً إلى الغابة في ذي الحجة، فسقط، فخدش خدّه الأيمن، وأقام بالبيت خمسة أيام يصلي قاعداً.

وفيها نزلت فريضة الحج، وحجّ النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة، حجّ الفريضة، والله أعلم.

الباب الخامس عشر

في ذكر الأمور الحادثة
في السنة السادسة من الهجرة



ففـي هذه السـنة، كانت غزوة بنـي لحيان[١]، في ربيـع الأول، وبنو لحيان كانوا بناحية عُسـفان، فخرج النبي ﷺ حتى بلـغ ثج، (فحذروا)[٢] وتمعنوا في رؤوس الجبال.

وفـي هذه السـنة كانـت غزوة الغابـة، وهي فـي طريق الشـام، وكانت في ربيع الأول، وذلك أنه غار عيينة بن حصن في خيل من بني غطفان على لقاح رسـول الله، ﷺ، وفيها رجل من غفّار وامرأة، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة، وسـاقوا اللقاح، فخرج النبي ﷺ، في أثرهم، وكان رجلاً من الصحابة يقال له سلمة بن الأكوع[٣]، خرج في طلب القوم أمام النبي، فأدركهم يسقون من الماء، وكان رجلاً رامياً، فجعل يرميهم بالنبل، حتى اسـتنقذ اللقاح والمرأة، واستلب منهم ثلاثين بردة، وجاء النبيَّ وأصحابه، وقال: يا رسـول الله قد حميت القوم

(١) لحيـان: لحيان بـن هذيل بن مدركـة، من عدنان، جدّ جاهلي، أظهرت الآثار أنـه كانت لبنيه إمارة في شـمالي شـبه الجزيرة العربية قبل الميلاد وبعده. ووجد في جهات «العُلا» من منازل الحج بين الشام والمدينـة بضـع مئات مـن الكتابـات «اللحيانية» وفي مؤرخي العـرب من يجعل «لحيـان» هذا يماني الأصـل مـن جرهـم من قحطـان، دخل بنوه فـي هذيل. انظـر: الزركلي، خيـر الدين: الأعـلام، ج٥، ص٢٤١.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٥٥.

(٣) سـلمة بن الأكـوع: سـلمة بن الأكـوع، وقيـل سـلمة بن عمرو بـن الأكـوع، واسـم الأكوع سـنان بن عبدالله بن قشـير بن خزيمة بن سـلامان بن أسـلم الأسلمي، يكنى أبا مسـلم، وقيل: أبو إياس، وقيل: أبو عامر، والأكثر أبو إياس، بابنه إياس، وكان سلمة ممن بايع تحت الشجرة مرتين، وسكن المدينة، ثم انتقل إلى الربوة، وكان شجاعاً رامياً محسناً خيّراً فاضلاً. قال رسول الله ﷺ: «**خير رجالنا سلمة بن الأكوع**». وروى عنه أنه قال: بايعتُ رسول الله يوم الحديبية على الموت. غزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات. توفي بالمدينة سـنة ٦٤هـ وهو ابن ثمانين سـنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٢٣ - ٤٢٤.

من الماء، وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة. فقال: يا ابن الأكوع، (إذا ملكت فاسجح، أي)[١] إذا ملكت فاعف، ورجع النبي ﷺ إلى المدينة.

وفي هذه السنة قتل أبو رافع اليهودي، وكان يؤذي رسول الله، ويعين عليه، وكان له حصن بأرض الحجاز، فبعث إليه النبي رجالاً من الأنصار، وأمر عليهم عبد الله، فساروا إليه، حتى دنوا منه، وقد غربت الشمس، قال عبد الله[٢] لأصحابه: اجلسوا مكانكم، (١٥٧) ومضى حتى دنا من الباب متقنعاً بثوب كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس الحصن، فهتف به البواب: يا هذا، إن كنت تريد (أن)[٣] تدخل، فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب.

قال: فدخلت، وأغلق الباب، فعلق المفاتيح، وأنا كامن: فلما مضى، ذهبت إلى المفاتيح، ففتحت الأبواب الداخلة، ودخلت، وكان أبو رافع يخرج إلى أصحابه، يسمر عندهم، فلمّا ذهب عنه الناس، دخل إلى أعالي الحصن، فدخلت، وصعدت إليه، وكلما دخلت باباً أغلقته، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، فلم أدر أين هو من عياله، فناديته، فقال: من هذا، فأهويت بسيفي نحو الصوت، وأنا دهش، فلم أصبه، فصاح، فخرجت من البيت، ومكثت قليلاً، ودخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ قال: لأمك الويل، إن رجلاً ضربني بسيف، فأهويت بسيفي إليه، فضربته، فأثخنته، وأدخلت في بطنه ظبوة السيف، حتى بدرت من ظهره، وعرفت أني قتلته، فهبطت، وجعلت أفتح الأبواب باباً باباً، فظننت أني انتهيت، فوضعت رجلي، فسقطت على الأرض، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامتي، وجلست على الباب، حتى استيقنَ أني

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٥٦.

(٢) عبد الله: هو عبد الله بن عتيك الأنصاري، أخو جابر بن عتيك الأوسي من بني مالك بن معاوية، وهو أحد قتلة رافع بن أبي الحقيق اليهودي، شهد بدراً وأُحداً، وقتل يوم اليمامة شهيداً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣٢، ص٢٠٢ - ٢٠٣.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

قتلته، فلما صاح الديك، صاح الناعي على السور، وقال: أنعي أبا رافع، فانطلقت إلـى أصحابـي، فقلت النجاة النجاة، قد قتل الله أبا رافع، فسـرنا حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ فحدثته، ومسح على ساقي، فلم أشكه قط.

وفـي هـذه السـنة أسـر ثمامة بـن أثـال الحنفـي[1] سـيد اليمامة، فأتـوا به رسـول الله ﷺ، فأمر به، فرُبط في سـارية من سواري المسجد، فقال له النبي: مـا عنـدك يا ثمامة؟ قـال عندي خبر: إن تقتل تُقتـل ذا ذم، وإن تعفو تعفو عن شـاكر، فـإن ترد المال تُعـط حاجتك، فلم يزل النبي يسـأله، ويـردّ عليه، فقال النبي: أطلقوا ثماماً، فأطلقوه، فانطلق إلى حائط، فاغتسل، ثم أتى النبي، فبايعه على الإسلام. ثم قال: يا رسول الله، إني أريد العمرة، فعلّمه كيف يعتمر، فلما قدم مكة، رآه أهل مكة يطوف بالبيت، فقالوا: صبوت يا ثمام، قال: ما صبوت، ولكنـي دخلـت في دين محمـد، وهو أفضل الأديـان، والله لا تصل إليكم حبة من طعام، ما دمتم حرباً لرسول الله.

وكتـب النبـي إلى المنذر بن سـاوى[2]، وهو بهجـران[3]، أن لا يحمل إلى مكـة طعامـاً، وقطـع عليهم الطريق مـن العراق أيضـاً، فجهد أهـل مكة جهداً شديداً، فأبوا إلّا الكفر.

(١) ثمامة بـن آثـال: ثمامة بن آثال بن النعمان اليمامي، من بني حنيفة، أبو إمامة، صحابي، كان سـيد أهل اليمامة، ولما ارتدّ أهل اليمامة في فتنة «مسـيلمة ثبت هو على إسـلامه، ولحق بالعلاء الحضرمي في جميع ممن ثبت معه، فقتل المرتدين من أهل البحرين، وقتل بعيد ذلك سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٠٠. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(٢) المنذر بن ساوى: المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدي من عبدالقيس أو من بني عبدالله بن دارم، من تميم، أمير في الجاهلية والإسـلام، كان صاحب البحرين، وكتب إليه النبي ﷺ رسـالة، قبل فتح مكة مع العلاء بن الحضرمي، يدعوه إلى الإسـلام، فأسـلم، واستمر في عمله. ولم يصح خبر وفوده على النبي ﷺ. ومات قبل ردّة أهل البحرين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٩٣ - ٢٩٤.

(٣) هجـران: والصحيـح هجر: مدينة تعـدُّ قاعدة البحرين، وقيل: هجر ناحية البحريـن كلها، والهجر بلغة حمير والعرب العاربة تعني القرية. فتحت هجر في أيام النبي ﷺ. قيل: في سنة ثمان، وقيل: في سنة عشر، على يد العلاء الحضرمي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٣.

وكان النبي ﷺ، دعا عليهم حين آذوه (١٥٨) وآذوا أصحابه، فقال: اللهم سلط عليهم سنين كسنين يوسف، وكتب إلى أهل اليمامة أن لا يحملوا إليهم طعاماً. وابتلاهم الله بالجوع، حتى أكلوا فيها الجيف ولحوم الكلاب والعظام المحرقة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وكانوا يرون على أبصارهم مثل الدخان من شدَّة الجهد. فأتى أبو سفيان إلى النبي وقال: يا محمد، قد هلك قومك من شدّة الجهد، وهذا على الرجال، فما ذنب النساء والصبيان. فرَّق لهم، رسول الله ﷺ، فكتب إلى ثمام والمنذر أن احملوا إلى مكة الطعام، فحملوا إليهم، وودعا الله فأمطرهم وخصبوا، فعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر. قال الله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥].

وفي هذه السنة، كُسفت الشمس، فصلى النبي صلاة الكسوف. وفيها أجدب الناس، فخرج النبي، فصلى صلاة الاستسقاء، فجاءهم الغيث سبعة أيام بلياليهن، فأتاه المسلمون، فقالوا: يا رسول الله، قد غرقت الأرض، وتهدمت البيوت، وانقطعت السبل، فادعوا الله أن يصرفها عنّا، فضحك النبي ﷺ متعجباً من بني آدم وملالتهم، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم في رؤوس الجبال، ومنابت الشجر، وبطون الأدوية، فانجاب السحاب عن المدينة كالحلقة، وأمطرت مراعيها، ولا يمطر عليها قطرة واحدة.

وفي هذه السنة، قدم نفر من عرنيين[١]، وعكل[٢]، وبايعوا النبي نفاقاً، ثم

(١) عرنيين: والصحيح عرينة بن بذير بن قسر بن عقر بن أنمار، من بجيلة، من كهلان، من القحطانية، جدّ جاهلي. النسبة إليه عريني. من نسله جماعة قدموا المدينة في عصر النبوة، ولم تطب لهم الإقامة بها، وآخرون ارتدوا في عصر النبي ﷺ، فاستاقوا إبلاً له، وأسملوا أعين الرعاة، فسمل النبي ﷺ أعينهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٢٨.

(٢) عكل: امرأة جاهلية، يقال إنها من الإماء، ينسب إليها «الحارث» و«جشم» و«سعد» و«عدي» أبناء =

قالـوا: إنّا نجتوي المدينة، فقال لهم: اخرجوا إلى لقاحنا، واشـربوا من ألبانها، فذهبـوا، فقتلـوا الرعـاة، وأسـاقوا الإبـل، وارتدوا عن الإسـلام، فبعـث إليهم النبي عشـرين راكباً، واسـتعمل عليهـم كرز بن جابر[١] وكان ذلك في شـوال، فأدركوهم، فأمر النبي بقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وتركهم بالحرّة. وكانت اللقاح خمس عشرة، فعقروا واحدة منها.

وفي هذه السـنة ظاهر أوس بن صامت[٢]، مـن زوجته خولة بنت ثعلبة[٣]، وهو أول ظهار في الإسلام، وكان طلاقاً في الجاهلية.

= عوف بـن وائل بـن قيس بـن عوف بن عبد مناف بن أدّ، مـن مضر. وكانت حاضنة لهـم، فعرفوا بها، وسُموا هم وذرياتهم «بني عكل». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٤٥.

(١) كرز بـن جابـر: كرز بـن جابر بن حسـيل، ويقـال جسـل بن الأحبّ بن حبيـب بن عمرو بن شـيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري. أسلم بعد الهجرة. قال ابن إسحاق: أغار كرز بن جابر على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، حتى بلغ وادياً يقال له «سفوان» ففاته كرز. ثم أسلم كرز، وحسـن إسـلامه، وولاه رسـول الله ﷺ الجيشـين الذين بعثهم في أثر العرنيين الذين قتلوا راعيه. وقتل كرز يوم الفتح سنة ثمان من الهجرة. وقتل معه حبيش، كانا في خيل خالد بن الوليد، فشذّا عنه، وسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا، فلما قتل حبيش، جعله كرز بين رجليه، ثم قاتل حتى قتل، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت صفراء من بني فهر نـقـيّـة الـوجـه نـقـيّـة الـصـدر
لأضـربـنّ الـيـوم عـن أبـي صخر

وكان حبيش يكنى أبا صخر. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ح٤، ص٤٦٨.

(٢) أوس بـن الصامـت: أوس بـن الصامت بـن قيس بـن أصرم بـن فهر بـن ثعلبـة بن غنم بـن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أخو عباد بن الصامت. شـهد بدراً والمشـاهد كلها مـع رسـول الله ﷺ، وهو الـذي ظاهر من امرأته ووطئها قبل أن يُكفِّر، فأمره رسـول الله ﷺ أن يكفّر بخمسة عشر صاعاً من شعير على ستين مسكيناً. وسكن هو وشداد بن أوس الأنصاري بيت المقدس. وتوفي بالرملة من أرض فلسـطين سـنة سـبع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٧٧ - ١٧٨.

(٣) خولـة بنـت ثعلبـة: خولة بنـت ثعلبة، وقيـل: خويلـة. والأول أكثر. وقيـل: خولة بنت حكيـم. وقيل: خولـة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بـن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف. ظاهر عليها زوجها أوس بن الصامـت، وفيهـا نزلت الآية الكريمة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ الآيـات، إلـى قولـه: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. انظر: تفاصيـل الرواية في: ابـن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٦١ - ٦٢.

وفي هذه السنة، ماتت أم رومان، وهي أم عائشة رضي الله عنها، وهي بنت عامر بن عويمر، وأنزلها (١٥٩) في قبرها النبي ﷺ، وقال: من أراد أن ينظر إلى زوجة من الحور العين، فلينظر إليها.

وفي هذه السنة، كانت غزوة الحديبية، وهي بتخفيف الياء، وقيل بتشديدها، اسم قرية صغيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة، وبينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وكانت تلك الغزوة (في ذي الحجة)[1]، وذلك أن النبي خرج يريد العمرة، لا يريد قتالاً، ومعه تسعمائة رجل، وقيل: ألف، وقيل: ثمانمائة، ومعه سبعون بدنة، فلما أتى الخليفة، قلَّد الهدي وأشعره، وأحرم منها بعمرة، وبعث نفراً من خزاعة، يأتونه بخبر قريش، وسار حتى بلغ غدير الأشطاط[2]، قريباً من عسفان[3]، أتاه عيينه الخزاعي، وقال: إن قريشاً قد جمعوا لك الجموع، فهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، فقال لأصحابه: أشيروا عليَّ، أنميل على ذراري هؤلاء الذين عانوهم، فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا محزونين، وإن نجوا يكونوا عنقاً قطعها الله؟ أم تريدون أن نؤمَّ البيت؟ فمن صدّنا عنه قتلناه؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً إلى البيت، لا تريد قتال أحد، ولا حرباً، فتوجّه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، وقال المسلمون: امضِ على بركة الله تعالى.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٥٨.

(٢) غدير الأشطاط: غدير الأشطاط قريب من عُسفان، وأشطاط جمع شط، وهو البعد، أو جمع الشطط وهو الجزر. قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

فغدير الأشطاط منها محل … فبعُسفان منزل معلومُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص١٩٨.

(٣) عُسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، سميت عُسفان لتعسّف السيل فيها. وقيل: عُسفان بين المسجدين، وهي من مكة على مرحلتين. وقيل: عُسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة، وهي حدّ تهامة. قال أعرابي:

لقد ذكّرتني عن حُباب حمامةٌ … بعسفان أهلي فالفؤاد حزينُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ١٢١ - ١٢٢.

فأحـب النبـي أن يأخذ طريق السـيف، فقال لأصحابـه: أي رجل يأخذ بنا نحو الساحل، حتى لا يعلم بنا أحد من المشركين، لعلّنا نطوي مسلحة القوم. وكان خالد بن الوليد بكراع النعيم[١]، قاطعاً للنبي، فقال رجلٌ: أنا يا رسول الله. قال: امضِ على بركة الله (تعالى)[٢]، فمضى على راحلته، فطووا مسلحة القوم، وأخذوا على الحمص، فلم يشعر بهم خالد وأصحابه، حتى نزلوا مياه الحديبية.

ورجع خالد بمن معه إلى مكة، فأعلم قريشاً أن النبي بالحديبيّة، فخرجت قريش بمن معها، فنزلوا قريباً من الحديبية، واسـتعدّوا ليصدوا النبي وأصحابه عن البيت.

فبعـث إليهـم النبي عثمان بن عفان، فسـار إليهم، فتلقاه أبان بن سـعيد بن العاص[٣] بن أميّة فأجاره، وحمله بين يديه على فرسه، فلم ينله أحد بأذى.

وبعثـت قريـش عروة بـن مسـعود الثقفي[٤]، إلـى رسـول الله ﷺ، ليأتيهم

(١) كراع النعيم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة، وهو وادٍ أمام عُسفان بثمانية أميال، وهذا الكراع جبل أسود في طرف الحرّة يمتد إليه. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٣.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٥٩.

(٣) أبان بن سعيد بن العاص: أبان بن سعيد بن العاص الأموي، أبو الوليد: صحابي من ذوي الشرف. كان في عصر النبوة شديد الخصومة للإسلام والمسلمين، ثم أسلم سنة ٧هـ، وبعثه رسول الله ﷺ عاملاً على البحرين، فخرج بلواء معقود أبيض وراية سوداء. وأقام في البحرين إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فسـافر أبـان إلـى المدينة، ولقيه أبو بكر فلامه علـى قدومه، فقال: آليت أن لا أكـون عاملاً لأحد بعد رسـول الله. وأقـام إلـى أن كانت موقعة أجناديـن في خلافة أبي بكر، فحضرها أبـان، مات في خلافة عثمـان. انظـر: الزركلـي، خير الدين: الأعـلام، ج١، ص٢٧. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج١. ص١٤٨ ـ ١٥٠.

(٤) عروة بـن مسـعود الثقفـي: عروة بن مسـعود بن متعب الثقفـي، صحابي مشـهور. كان كبيـراً في قومه بالطائف، قيل: إنه المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ولما أسـلم اسـتأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فقال: أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظونيّ فأذن له، فرجع، فدعاهم إلى الإسلام، فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٢٧. وانظر ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤. ص٣١.

بالخبر، فرجع إليهم عروة، وقال: أقوام عُمّار، لم يأتوا للقتال. فأبوا عليه، فقال: لم أرَ قوماً صدوا مثل هؤلاء عن بيت الله، واتهموه.

وبعثوا بديل بـن ورقاء الخزاعي[١]، ورباب بن الحليس[٢]، فرجعا، (١٦٠) وقالا لهم، مثل ما قال عروة، فاتهموهما.

ثم بعثوا سـهيل بن عمرو، ومعه بكر بن حفـص، من بني عامر بن لؤي، فلما أتى سـهيل، تذاكروا الهدي والموادعة، فاطمأن النبي إلى ذلك، وانطلق ناس من المسـلمين إلى عشـائرهم من المشـركين، فحبسـوهم عندهم. وأمر النبي بالرحيل، فسـاروا، حتى دخلـوا أول مكة، فلما كان نصف النهار، وأمر النبـي بالبيعـة، فنـادى منـاد: ألا إن روح القـدس جبريل نزل علـى (النبي)[٣] وأمره بالبيعة، فأقبلوا سـراعاً، فبايعوه تحت الشـجرة. قيل: إنها كانت سمره، فبايعوه على أنهم يقاتلون العدو، ولا يفرّون من الزحف، ولا يخافون في الله لومة لائم.

وأخذ المسلمون رجالاً من المشركين، فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم النبي: أَلكُم عليَّ عهد؟ قالوا: لا. فأعتقهم، وخلا سبيلهم، ورُمي رجل من

(١) بديل بن ورقاء: بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن الخزاعي، أسـلم يوم فتح مكة، وقال ابن إسـحاق: إن قريشـاً يوم الفتح لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي، ودار مولاه رافع، وشـهد بديل وابنه عبد الله حنيناً والطائف وتبوك، وكان من كبار مسـلمة الفتح،. توفي بديل بن ورقاء في حياة الرسـول ﷺ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٠٥.

(٢) زبان بـن الحليـس: والصحيـح: الحليس بـن زبـان، أو الحليس بـن علقمـة من بنـي الحارث بن عبد مناة بن كنانة سـيد «الأحابيش» ورئيسهم يوم أُحد، وكان من مشركي قريش. قال الزبيدي: الأحابيش: بنو المصطلق من خزاعة، وبنو الهون بن خزيمة، اجتمعوا عند «جبل حُبشـيّ» بأسـفل مكة، وحالفوا قريشـاً، فسـموا أحابيـش قريش. وهـو الذي قال فيه النبـي ﷺ يوم الحديبية سـنة ٦هـ: «هذا من قوم يعظمـون البُـدن». وليس فيما وقفت عليه ما يدل على إسـلامه. انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٧٠.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٥٩.

المسلمين، فقتل، فرماهم المسلمون بالحجارة، حتى أدخلوهم البيوت، فأقبل أشرافهم إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد، ما كان هذا عن رضى منّا، وإنما فعله سفهاؤنا، وعرضوا الصلح، فقبله منهم، وأرسل كل منهم من كان عنده من الأسارى، وكان أمير المشركين سهيل بن عمرو على الصلح، فصالحهم النبي على ترك الحرب سنتين، يأمن بعضهم بعضاً، ومن لحق بالنبي من أهل مكة ردّه عليهم، ومن لحق بمكة من عند النبي لم يردوه عليه. وأن ينحروا الهدي (مكانهم)[1]، وليس لهم أن يجاوزوا ذلك.

وعلى أن لا يدخلوا مكة بسلاح، سوى السيف والقوس، فصالحهم النبي على ذلك، فوجد أصحاب النبي من هذا الشرط وجداً شديداً، وقالوا: يا رسول الله، كيف نردُّ عليهم من جاء مسلماً، ولا يردون علينا منافقاً لهم؟ فقال: من لحق بهم منا فأبعده الله، فهو أولى بمن كفر، ومن أراد أن يلحق بنا منهم، فسيعجل الله له مخرجاً.

فلما أرادوا أن يكتبوا العهد بينهم، قال النبي ﷺ، لعلي بن أبي طالب: اكتب، بسم الله الرحمٰن الرحيم. فكره المشركون ذلك، وقالوا: اكتب كما كنت تكتب من قبل اليوم، باسمك اللهم. قال النبي: اكتب، باسمك اللهم. ثم قال له اكتب: «هذا ما قاضى عليه النبي ﷺ أهل مكّة» فقال المشركون: لا والله، ما نقرُّ بهذا، ولا نعرف أنك رسول الله، وإذا أقررنا أنك رسول الله، ومنعناك أن تطوف بالبيت، فقد ظلمناك، بل أنت محمد بن عبدالله. قال: أنا رسول الله وإن كذبتموني. فكتبوا القصة: هذا ما قاضى عليه محمد بن (١٦١) عبدالله أهلَ مكة.

فلما فرغوا من كتابهم، أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو[2] يرسف في

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٦٠.

(٢) أبو جندل بن سهيل بن عمرو: أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن =

قيوده، حتى دخل عسكر المسلمين، وكان قد أسلم، وعذبوه على إسلامه، فلما خاف أبوه أن يأتي النبي أوثقه بالحديد، فلما دخل عسكر المسلمين قال: إني مسلم، وأعوذ بالله أن تردوني على المشركين، فأُفتن وأُعذّب، وتبعتهُ رجال من المسلمين، وأرادوا أن يمنعوه، فناشدهم أبوه سهيل: العهد والميثاق. فقال النبي: خلّوا بينه وبينه، فإن علم الله الصدق من أبي جندل نجاه، ودفعه لأبيه، فقال عمر لأبي جندل: إن الرجل يقتل أخاه وأباه في الله، وإنما هو رجل معك فاقتله، فلم يفعل أبو جندل. فانطلق به أبوه، وقد عُذب، فنادى: يا معشر المسلمين، أرَدُّ إلى المشركين وأنا مسلم؟

قال عمر: فما دخلني شيء من أمر الإسلام إلّا يومئذ، فأتيت رسول ﷺ، وقلت له: ألست رسول الله؟ قال: بلى، قلتُ: أفلسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فعلى ما نعطي الدنية في ديننا؟ قال: إني رسول الله، ولن أعصي ربي، وهو ناصري. قلت: أليس وعدتنا أن نطوف بالبيت؟ قال: بلى، وعدتك أن نطوف به هذه السنة، قلت: لا، قال: فإنا سنطوف به.

قال عمر: ثم أتيت أبا بكر، وقلت له ما قلت للنبي ﷺ، فقال لي: إنه رسول الله، يفعل ما يؤمر، والله ناصره، فاستمسك يا عمر بعروة الله حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق المبين.

ثم أمر النبي أصحابه أن ينحروا هديهم، فلم ينحروا. فدخل على أم سلمة، وكانت يومئذ معه، فقال: ألا أعجبك من المسلمين، ناديت فيهم ثلاثاً أن ينحروا هديهم، فلم يفعلوا. قالت: أيعجبك أن ينحروا؟ قال: نعم، قالت: فابدأ

= مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي العامري. والده سهيل بن عمرو أحد أشراف قريش وخطبائهم وسادتهم، وهو صاحب قضية يوم الحديبية. واسم أبي جندل «العاصي»، أسلم بمكة، فسجنه أبوه وقيده، فلما كان يوم الحديبية هرب أبو الجندل إلى النبي ﷺ. انظر تفاصيل قصته في: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٦، ص٥٤ - ٥٥ - ٥٦.

أنـت، فانحر، فـإذا رأوك نحرت نحروا. فدعا بالهدي فنحـره، فلما رأوه نَحَرَ، نحـروا وأقبلـوا يحلق بعضهم بعضاً، ويقصر بعضهم لبعض. فقال النبي: يرحم الله المحلقين ثلاثاً. قالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: والمقصرين.

ورجـع النبـي بمن معه إلى المدينة، ومكث في هذه الغزوة شـهراً ونصف شـهر، فـكان أول مـن أتى إلى المدينة، مـن أهل مكة، أم كلثـوم بنت عتبة بن أبي معيـط[1]، جـاءت مسـلمة مهاجـرة، فقبلهـا النبي، ولـم يردهـا. فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الممتحنـة: ١٠]، إلـى قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الممتحنة: ١٢].

فاستحلفها النبي هذه اليمين: والله الذي لا إله إلا هو ما أخرجك من قومك حدث أحدثتيه، ولا بغضاً من زوجك، وما أخرجك إلّا حب الإسلام، فحلفت، فبايعها النبي بلسـانه، ولم يبايعها بيده، وزوّجها (١٦٢) بعض المسـلمين على مثل صداقها من زوجها المشـرك، ودفع صداقها من المسـلم للزوج المشرك، وأرسـل أهل مكة إلى النبي ليرجعها، وذكروا له العهد، فقال: لم نعنِ النسـاء، وإنما عنينا الرجال، ألا ترون الكتاب؟ ألا رددته؟ فلم يجدوا له جواباً، فتركوها.

ثـم أتى بعدهـا أبو نظير الثقفي[2]، وهو ابن أخ سـهيل، وكان أحب الناس

---

(١) أم كلثـوم بنـت عتبـة بـن أبي معيـط: صحابية. هي أول مـن هاجر إلـى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ، وأسلمت قديماً، ولما علمت بهجرة الرسول، خرجت ماشية من مكة إلى المدينة تتبعه، ولحقها أخوان لها لإعادتها، فلم ترجع. وكانت عذراء، فتزوجها في المدينة زيد بن حارثة، واستشـهد في غزوة مؤتة سنة ٨هـ. فتزوجها الزبير بن العوام، فولدت له زينب، وفارقها. فتزوجها عبدالرحمٰن بن عوف، فولدت لـه إبراهيـم وحميداً، ومات عنهـا، فتزوجها عمرو بن العاص، فمكثت عنده شـهراً فـي المدينة، وهي أخـت عثمان بن عفان، لأمه توفيت سـنة ٣٣هـ. انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٣١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٧٦ ـ ٣٧٧.

(٢) أبـو النظيـر الثقفي: والصحيح أبو بصير الثقفي: وهو عتبة بن أسـيد بن جارية بن أسـيد بن عبدالله بن سـلمة بن عبدالله بـن غيرة بـن عوف بن ثقيف الثقفـي، وأمه سـالمة بنت عبد بن يزيد بن هاشـم بن المطلـب، وهو الذي جاء إلى رسـول الله ﷺ بعـد صلح الحديبية. انظر: ابـن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٦، ص ٣٥ - ٣٦.

إليه، مهاجراً مسلماً، فبعث سهيل إليه رجلين ليأتيانه بأبي نظير، وجعل لهما جعلاً، أحدهما من بني عامر، والآخر مولّى لهم، (أي عبد لهم)[١] فقدما على النبي، وذكرا له العهد، وأن يدفع إليهما أبا نظير، فقال أبو نظير: أتدفعني يا رسول الله ليعذبوني ويفتنوني؟

فقال النبي: عاهدتهم على ذلك، فأخذاه، وربطاه بحبل، وتزوّدا تمر عجوة، فلما أتيا ذي الحليفة، نزلا وربطاه على شجرة، ووضعا سفرتيهما ليأكلا من العجوة، فقال لهما أبو نظير: ويحكما خلياني آكل معكما، فأخذهما ذمام، فأطلقاه يأكل معهما.

ثم إن أبا نظير رأى سيف العامري معلقاً بغصن من أغصان الشجرة، فقال: يا أخا بني عامر، أرى سيفك هذاريّاً، فقال العامري: والله إنه مع ذلك لصارم. قال أبو نظير: أرينيه أنظر إليه. فأخذه العامري، واخترطه وهزّه ثم ناوله أبا نظير، فلما أخذه أبو نظير علاه به فقتله، فهرب المولى يعدو إلى المدينة، وأبو نظير في أثره، حتى دخل المسجد، وللحصى طنين من شدة ركضه، فأخذ برجل رسول الله، وتعوذ به من أبي نظير، ووقف أبو نظير على باب المسجد وبيده السيف مخضباً بالدم، وقال: يا رسول الله، قد وفت ذمتك، ولم يكن بيني وبينهم عهد، وخفت أن يعرضوا عليّ الفتنة، ففعلت ما فعلت، فقال النبي: ويل أمه مسعر حرب لو أن رجالاً، ففهمها أبو نظير، وعرف مراد النبي.

وكان رجلاً عاقلاً، فانطلق حتى أتى شعباً قرب مكة، وكتب إلى أبي جندل ومن معه من المسلمين من أهل مكة ليلحقوا به، فلحقوا، وجعلوا يقطعون الطريق على قريش، فإذا مرّت عير المشركين نهبوها، وقتلوا من فيها، وإذا مرّت عير المسلمين تركوها، فأرسل المشركون إلى النبي يناشدونه أن يضمهم

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٦١.

إليـه، وإنـك يا محمد فـي حل أن تضم من جاء إليك منّـا واختارك علينا، فهو لـك، فاقبضه إليـك، فإنهم إن كانوا معـك، فهم أهون علينا، فقـد قطعوا علينا السبل، فما ينفعنا ما بيننا وبينك من الأمان.

فكتـب النبي إلـى أبـي نظيـر وأصحابـه أن يقدمـوا (١٦٣) إلـى المدينة، فجاءهـم الكتـاب وأبو نظير مريض، فقال لأصحابه: احملوني إلى رسـول الله، فقالوا: إنك مريض، فقال: ولو متُّ فاحملوني على بعير، فحملوه، فما سـاروا إلّا قليلاً حتى مات، ودفنوه بشِعبِ[1] وقبره بها مُعلم.

وقدم أصحابه على رسـول الله، فكان من أسـلم وهاجر بسـبب أبي نظير، أكثـر ممـن أسـلم وهاجر قبله. وفي هذه السـنة، بعث النبي ﷺ، سـتة نفر في ذي الحجـة أرسـل حاطب بـن أبي بلتعة[2]، إلـى المقوقس، وأرسـل دحيّة بن خليفـة الكلبـي[3]، إلى قيصر، وعبـد الله بن حذافة[4]، إلى كسـرى، وعمرو بن

(١) شـعب: الشـعب ماء بيـن العقبة والقاع في طريق مكـة، على ثلاثة أميال من العقبـة، حبسٌ للماء عند قبـاب خراب. والشـعب هو ما انفرج بين جبلين. انظر: الحمـوي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٧.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة: حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي، شـهد الوقائع كلها مع رسـول الله ﷺ، وكان مـن أشـد الرمـاة فـي الصحابـة. وكانت له تجارة واسـعة، بعثـه النبي ﷺ بكتابه إلـى المقوقس صاحـب الاسـكندرية. ومـات في المدينـة. وكان أحد فرسـان قريش وشـعرائها في الجاهليـة. انظر: الزركلـي، خيـر الديـن: الأعـلام، ج٢، ص١٥٩. وانظـر: ابن الأثيـر، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٦٥٩ ـ ٦٦١.

(٣) دحية بـن خليفة الكلبـي: دحيّة بن خليفة بن فروة بـن فضالة بن زيد بن امـرئ القيس بن الخزرج بن عامر بـن بكر بـن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي. صاحب رسـول الله، شـهد أُحُداً وما بعدها، وبعثه رسـول الله ﷺ رسـولاً على قيصر سنة ست في الهدنة، فآمن به قيصر، وامتنع بطارقته، فأخبر دحية الرسول ﷺ بذلك، فقال: ثبّت الله ملكه. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١٥٨.

(٤) عبدالله بن حذافة: عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سـعد بن سـهم القرشـي السهمي، يكنى أبا حذافة، أسـلم قديماً، وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشـة الهجرة الثانية مع أخيه قيس. ويقال إنه شـهد بدراً، وكان الرسـول رسـول الله ﷺ، أرسـله إلى كسـرى بكتاب يدعوه إلى الإسلام، =

أمية الضمري[(١)]، إلى النجاشي، وشجاع بن وهب[(٢)]، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني[(٣)]، صاحب دمشق، وسليط بن عمرو العامري[(٤)]، إلى هوذة الحنفي[(٥)]، واتخذ النبي خاتماً من فضة، فنقش عليه محمد رسول الله، ليختم به الكتب.

= فمزق كسرى الكتاب، فقال رسول الله ﷺ: اللهم مزّق ملكه. وقال إذا مات كسرى فلا كسرى بعده. مات عبدالله بن حذافة في خلافة عثمان بن عفان. انظر: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج، ص ٧٧٧ - ٨٨٩ - ٨٩٠.

(١) عمرو بن أمية الضمري: عمرو بن أمية بن خويلد بن عبدالله بن إياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الضمري، يكنى أبا أمية. بعثه النبي ﷺ وحده عيناً إلى قريش، فحمل خُبيب بن عدي عن الخشبة التي صُلب عليها، وأرسله إلى النجاشي وكيلاً، فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان. وأسلم قديماً، وهو من المهاجرة إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وأول مشاهده بئر معونة. وكان من أنجاد العرب، ورجالها نجدة وجرأة. توفي في أواخر أيام معاوية قبل الستين هجرية. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) شجاع بن أبي وهب: شجاع بن أبي وهب بن ربيعة الأسدي، من بني غنم، صحابي، شجاع من أمراء السرايا. قديم الإسلام. شهد المشاهد كلها، بعثه النبي ﷺ رسولاً إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بغوطة دمشق، فلم يسلم الحارث. وقتل شجاع يوم اليمامة سنة ١٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٥٨. وانظر: ابن الأثقير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٦١١.

(٣) الحارث بن أبي شمر الغساني: الحارث بن أبي شمر الغساني، من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق. وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النبي ﷺ كتاباً مع شجاع بن أبي وهب. مات الحارث في عام فتح مكة سنة ٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٥٥.

(٤) سليط بن عمرو العامري: وهو سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب العامري، أخو سهيل والسكران ابني عمرو، وكان من الذين هاجروا إلى الحبشة ومعه زوجته، فولدت له سليطاً بن سليط. وذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً. وهو الذي أرسله النبي ﷺ إلى هوذة بن علي الحنفي، وإلى ثمامة بن أُثال الحنفي، وهما رئيسا اليمامة، وذلك سنة ست أو سبع من الهجرة، وقتل باليمامة سنة اثنتي عشرة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٤٤٠.

(٥) هوذة الحنفي: هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل: صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبل الإسلام، وفي العهد النبوي. وهو من أهل «قُرَّان» من قرى اليمامة، وكان ممن يزور كسرى في المهمات. ويقال له «ذو التاج». وكانت بين هوذة «وبني تميم» غارات، أسروه في إحداها، ففدى نفسه بثلاثمائة بعير. ولما ظهر الإسلام كتب إليه النبي ﷺ: «أسلم تسلم، واجعل لك ما تحت يديك». فأجاب مشترطاً أن يكون له مع النبي بعض الأمر؛ فلم يجبه، وقال: «باد، وباد ما في يديه». ولم يعش بعد ذلك غير قليل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ١٠٢.

فأمّا المقوقس، كان ملك مصر والإسكندرية، فلما وصل إليه حاطب، أكرمه وأخذ كتاب النبي، وكتب له جواباً: قد علمت أن نبياً قد بقي، وقد أكرمت رسولك، وأهديت لك أربع جواري منهن، مارية[١] وسيرين[٢]، وحماراً يقال له عفير، وقيل يعفور، وبغلة يقال لها الدلول، ولم يسلم، فقبل النبي هديته، وظن الخبيث بقاء ملكه، ولا بقاء له، واصطفى النبي مارية لنفسه، وكانت بيضاء جميلة، وكان يطاها بملك اليمن، وضرب عليها الحجاب. وأما سيرين، فوهبها لحسان بن ثابت.

وأما قيصر ملك الروم حين قدم عليه دحية، دعا أبا سفيان، وكان قد خرج في ركب من قريش تجاراً إلى الشام، فدخل أبو سفيان وأصحابه على قيصر، وهو هرقل في مجلسه، وحوله عظماء الروم، فقال الترجمان: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً إليه، فقال هرقل: أدنوه مني، وقال لترجمانه: قل له إني سائله عن هذا الرجل، فإن كذبني قتلته، قال هرقل: ما نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: هل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا، قال: هل كان أحد من آبائه ملك؟ قلت: لا، قال فأشراف الناس اتبعه أم ضعفاؤهم؟ قلت: ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: هل يرتده أحد منهم سخطه

(١) مارية: مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم، من سراري النبي ﷺ، مصرية الأصل، بيضاء، ولدت في قرية «حفن» من كورة «أنصنا» بمصر، وأهداها المقوقس القبطي (صاحب الاسكندرية)، سنة ٧هـ إلى النبي ﷺ، هي وأخت لها تدعى «سيرين» فولدت له إبراهيم، فقال: اعتقها ولدها. توفيت بالمدينة سنة ١٦هـ. ودفنت بالبقيع. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٥٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٥٣.

(٢) سيرين: سيرين أخت مارية القبطية. أهداهما المقوقس صاحب الاسكندرية إلى النبي ﷺ، فتسرّى النبي مارية، وهي أم ابنه إبراهيم عليه السلام. ووهب سيرين لحسان بن ثابت الأنصاري، فهي أم ابنه عبدالرحمٰن بن حسان. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١٦٠.

لدينه؟ قلت: لا، قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب؟ قلت: لا. قال: هل كان يغدر؟ قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ (١٦٤) قلت: نعم، قال: فكيف قتالكم إيّاه؟ قلت: الحرب بيننا سجال، ينال منّا وننالُ منه. قال: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة.

قال هرقل: هكذا صفات الأنبياء، وإن كان ما يقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لجشمت نفسي، حتى ألقاه، ولو كنت عنده، لغسلت قدميه. ثم دعانا بالكتاب الذي جاء به دحيّة، فإذا هو مكتوب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد بن عبدالله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك، وإن توليت، فإنما عليك إثم المتولين، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، ثم خرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أُمّر أمر ابن أبي كبيشة، أنه يخاف منه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر.

ثم إن هرقل دعا بدحية، وقال إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وإنه الذي نجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، ولكن سر إلى ضغاطر الأسقف، واذكر له أمر صاحبك، فانظر ماذا يقول. فأتاه دحية، وأخبره بما جاء به عن النبي ﷺ، فقال ضغاطر: صاحبك نبي مرسل، نعرفه بصفته، ونجدهُ بكتابنا باسمه، ثم دخل، فألقى ثياباً كانت عليه سوداً،

ولبس ثياباً بيضاً، وأخذ عصى، وخرج إلى الروم، وهم في كنيسة، فقال: يا معشر الروم، إنه قد أتانا كتاب من أحمد، يدعو فيه إلى الله، وإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فقام إليه الروم، وضربوه حتى قتلوه، ورجع دحية إلى هرقل، فأخبره الخبر، قال: قد قلت لك، إني أخاف (الروم)[1] على نفسي، فضغاطر والله عندهم أعظم قدراً، وأصدق قولاً منّي. (١٦٥)

وأما كسرى، فهو أبرويز بن هرمز أنو شروان، فلما بلغه كتاب رسول الله، مزقه، وقال: يكتب إليَّ هذا الكتاب، وهو عبدي. فقيل: إن النبي دعا عليه، وقال: مزّق الله ملكه.

ثم كتب كسرى إلى باذان، وهو على اليمن: إنه قد بلغني أن في أرضك رجلاً تنبّأ، فاربطه، وابعث به إليَّ، فبعث إليه باذان قهرمانه ورجلاً من الفرس يقال له خرخره، فسارا، حتى وصلا إلى المدينة،، ودخلا على النبي ﷺ، وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، وقال: ويلكما من أمركما هذا، فقالا: أمرنا به ربنا، يعنون كسرى، فقال النبي: ولكني أمرني ربي بقص شاربي وإعفاء لحيتي. ثم قال القهرمان: يا محمد، ملك الملوك كسرى، بعث إلى باذان أن يبعث بك إليه، وقد بعثنا باذان إليك، لتنطلق معي إلى كسرى، فإن فعلت، كتبت لك أقيالاً إلى ملك الملوك، فينفعك، ولا يصيبك منه شيء، ويكفّ عنك أذاه، وإن أبيت، فأنت تعلم صولته، وهو مهلكك، ومهلك قومك، ومخرّب بلادك. فقال النبي: أرجعا حتى تأتياني غداً، فرجعا.

ثم نزل جبريل عليه السلام، على النبي ﷺ: إن الله قد سلَّط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا، ليلة كذا، بعدما مضى من الليل كذا. فلما كان

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٦٤.

الغد، أتاه القهرمان وصاحبه، فكلماه، فقال لهما: إن الذي تزعمون أنه ربكما، قتله ابنه وقت كذا وكذا. فقالا: سنخبر عنك الملك. فقال أخبراه عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما يبلغ ملك كسرى، وقولا له: إن أسلم ملكته على (قومه)[1]، وأعطيته ماتحت يديه، ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة، فخرجا من عنده إلى باذان، وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإنّي لأرى الرجل نبياً، وإنّا لننظر، فإن كان ما قال حقاً، فهو لا شك نبي مرسل، وإن لم يكن كذلك، فسنرى فيه رأياً.

فلم يلبث باذان حتى قدم عليه كتاب شيرويه: إنّي قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس، لما استحل من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب لك بإتيانه إليه، فلا تهجه حتى يأتيك أمري.

فلما قرأ باذان الكتاب، قال: إن هذا الرجل لرسول الله حقاً، فأسلم وأسلم من كان (١٦٦) باليمن من الفرس، وكان قتل كسرى ليلة الثلاثاء لعشرٍ مضين من جمادى الآخر، سنة سبع من الهجرة، لست ساعات مضين من الليل. وقتل شيرويه سبعة عشر من إخوته، كلهم ذوو أدب وشجاعة، فابتلي بالإسقام، وبقي بعدهم ستة أشهر، أو ثمانية، ومات.

أما النجاشي، فإنه لمّا قدم إليه عمرو بن أمية بكتاب رسول الله ﷺ، أخذه، وهبط عن سريره إجلالاً له، وقبّله، ووضعه على عينيه، وفتحه، فإذا هو فيه مكتوب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، إني أحمد إليك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٦٥.

مريـم روح الله وكلمتـه، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة، فحملت بعيسـى، وإني أدعـوك إلـى الله وحده لا شـريك له، وإلـى أن تتبعني، وتؤمن بالـذي جاءني، فإنـي رسـول الله، وقد بعثت إليك ابـن عمي جعفر، ومعه نفر من المسـلمين، والسلام على من اتبع الهدى.

ثـم إنـه كتـب جوابـاً لكتاب رسـول الله ﷺ: من النجاشـي، سـلام عليك يـا رسـول الله ورحمة الله وبركاته، وإنـي أحمد الله الذي لا إلـه إلّا هو، الذي هداني للإسـلام، أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسـول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماوات والأرض إن عيسى صلوات الله عليه ما يزيد على ما تقول تغروقاً، فهو كما قلت وعرفت، ما بعثت به إلينا، وقد كان قدم ابن عمك جعفر وأصحابه، وقد أسلمت على يديه، والحمد لله رب العالمين، وقد بعثت إليك ولدي، وإن شـئت أن آتيك فعلت يا رسـول الله، والسـلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قيل: أرسـل النجاشـي ولده في ستين من الحبشـة إلى النبي ﷺ، حتى إذا توسطوا البحر، غرقت سفينتهم، والله أعلم.

وأمـا الحارث بن شـمّر الغسـاني، قال شـجاع بن وهب: لمّـا وصلت إليه بكتـاب رسـول الله ﷺ، وقفت علـى بابه يوميـن، وقلت لحاجبه: إني رسـولُ رسولِ الله. فقال: لا تصل إليه، حتى يخرج يوم كذا وكذا، وكان حاجبه روميّاً، فجعل يسـألني عن رسـول الله، فكنـت أحدثه عن صفته، وما يدعـو إليه، فرقَّ حتى غلبه البكاء، وقال: قرأت الإنجيل، ووجدت صفة هذا النبي، وأنا أول من آمـن به وصدّقه، ولكني أخاف من الحارث (أن)[1] يقتلني، وهو الآن يكرمني، ويحسن ضيافتي.

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

ثم إن الحارث خرج، وجلس في مجلسه، ووضع التاج على رأسه، فدفعت إليه الكتاب، فقرأه، ورمى به، وقال: من ينتزع منّي ملكي، أنا سائر إليه، ولو كان باليمن. ثم أمر الناس، وجاءت الخيول، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره بذلك. فكتب إليه قيصر أن لا تسر إليه والهُ عنه، ووافيني بإيليا[١].

وقال: متى تريد (أن)[٢] تخرج إلى صاحبك؟ قلت غداً، فأمر لي بمائة مثقال ذهباً، ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة، وقال: أقرِ رسول الله ﷺ مني السلام، فلما قدمت على النبي أخبرته بما كان من الحارث، فقال: أباد الله ملكه، فمات الحارث عام الفتح.

وأما هودة الحنفي، لمّا قدم عليه سليط بن عمرو العامري، أنزله وحياهُ، وقرأ كتاب رسول الله ﷺ، ورد الجواب للنبي ﷺ: إنه حسن ما تدعو إليه، وجميل، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليط الجائزة الحسنة، وكساه ثياباً من نسج هجر، فقدم سليط إلى النبي بالكتاب، فقرأه النبي، وقال: لو سألني شيئاً من الأرض، مثل هذا العود أخذه ما فعلت، ثم قال: باد وباد ما في يده، فمات بعد انصراف النبي من فتح مكة.

وفي هذه السنة، أسلم أبو هريرة رضي الله عنه، قدم مهاجراً، والنبي بخيبر، فشهد

(١) إيليا: إيليا اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله، وقد سمي البيات المقدّس، يقول الفرزدق:

وبيتان بيت الله نحن ولاته ... وقصر بأعلى إيليا مُشرّفُ

وقيل: إنما سميت إيلياء باسم بانيها، وهو إيلياء بن إرم بن نوح عليه السلام، وهو أخو دمشق وحمص وأردن وفلسطين، قال أعرابي:

فلو أن طيراً كُلّفت مثل سيره ... إلى واسط من إيلياء لكلّت

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج١، ص٢٩٣.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

خيبر، ولم يُسهم له، وكان اسمه عبد شمس، وقيل: عبد بهم، وقيل: عمرو بن عبد غنم، وكنيته في الجاهلية أبو الأسود، فسماه النبي عبد الله، وكناه بأبي هريرة، وكان أحفظ الصحابة لأخبار النبي وآثاره، ولم يشتغل بالصفق في الأسواق، ولا بغرس الوادي، وقطع الأعذاق، لزم النبي ثلاث سنين مختاراً للعدم والإملاق، ودعا له النبي ﷺ فقال: «**اللهم حبب عبدك هذا إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليه**».

وكان من أقرباء عائشة ﵂، وروي أن النبي ﷺ قال له: «**زر غبّاً تزد حُبّاً**». فقالت عائشة ﵂: أكثرت زوره فملك، ودمت على ذلك فاستثقلك، لو كنت ممن يزور غبّا لأبرّ في قلبه محلك، فقال النبي ﷺ: «**ما مللناه وما قليناه، ولكن علمناه وأدبناه**».

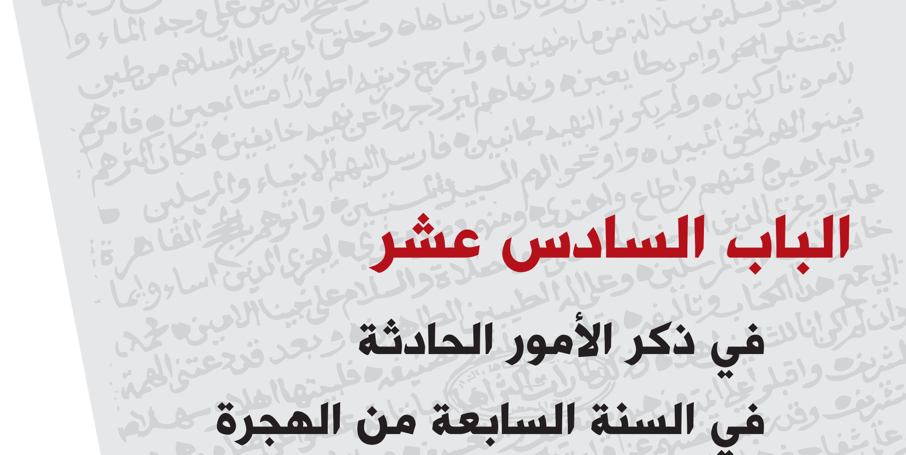
وعاش أبو هريرة ثماني وسبعين سنة، وتوفي بالمدينة، وقيل: قُبر بالعقيق[1]، سنة سبع أو ثمانٍ أو تسع وخمسين من الهجرة في آخر خلافة معاوية.

---

(١) العقيق: تقول العرب لكل ماء مسيل ماء شقّه السيل من الأرض فأنهزه ووسعه عقيق. ومنها عقيق بناحية المدينة، وفيه عيون ونخل. وفيه يقول الشاعر:

إني مررت على العقيق وأهلُهُ ... يشكون من مطر الربيع نُزُورا
ما ضرّكم إن كان جعفر جاركم ... أن لا يكون عقيقكم ممطورا

والعقيق واد عليه أموال أهل المدينة، وهو على ثلاثة أميال أو ميلين، وقيل: ستة، وقيل: سبعة. وفي العقيق قصور ودور ومنازل وقرى. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٩.



الباب السادس عشر

في ذكر الأمور الحادثة
في السنة السابعة من الهجرة



(١٦٨) ففي هذه السنة، كانت غزوة خيبر في جمادى الأولى، وذلك أن رسول الله ﷺ، لما رجع من الحديبية، أمر أن لا يخرج معه إلى خيبر، إلّا من خرج معه إلى الحديبية، فأتاه المنافقون، فقالوا: نخرج معك، وذلك أنهم لمّا سمعوا بذكر الغنيمة. فقال لهم النبي: «إن أردتم أن تخرجوا معي، فليس لكم في الغنيمة من نصيب». وذلك أنهم لم يخرجوا معه إلى الحديبية، وقالوا: لن يرجع محمد من هذه، فلم يأذن لهم في الخروج إلّا متطوعين.

ثم خرج النبي في بقية المحرّم، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري[١]، فقدَّم عُييناً ليجيئه بالخبر. وأخذ معه أم سلمة، ومضى إلى خيبر، وهي مسير ثلاثة أيام من المدينة، وسكانها اليهود، فلما سمعوا بمسيره إليهم، أرسلوا إلى حلفائهم من أسد وغطفان يستمدونهم، فأمدوهم، وأدخلوهم حصناً لهم منيعاً، يسمى القموص[٢].

فلما قدم النبي خيبر، ونصب الرايات عليها، أرسل إلى أسد وغطفان: «إن ربي وعدني أن يفتح لي خيبر، فخلّوا بيني وبين أهلها، فإذا فتحها فهي لكم»، فأبوا، فصرف النبي الرايات إلى الحصن الذي هم فيه، فهربوا في الليل، ولم يكن بينهم وبين المسلمين قتال.

(١) سباع بن عرطفة الغفاري: سباع بن عرطفة الغفاري، استعمله النبي ﷺ لمّا خرج إلى خيبر وإلى دومة الجندل، وهو من مشاهير الصحابة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٢٣.

(٢) القموص: القُماص: الوثب: وأن لا يستقر في موضع، والقموص الذي يفعل ذلك. والقموص هو جبل بخيبر عليه حصن أبي الحقيق اليهودي. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص٣٨٩.

وأقبل النبي يقاتل أهل خيبر، فحاصرهم وقاتلهم، وكان يخرج من اليهود عادية عليها مرحب[١]، فيخرج لها النبي عادية من أصحابه، يقاتلوهم حتى يهزموهم، ويدخلونهم الحصن، فإذا دخلوا، أغلقوا الأبواب.

ثم إن مرحباً خرج بمن معه من عادية اليهود، فبرز وهو يرتجز، ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرّبُ
إذا الحروب أقبلتَ تلتهبُ[٣]

فبرز إليه عامر[٤]، وهو يقول شعراً:

قد علمت خيبر أني عامرُ شاكي السلاح بطل يغامر[٥]

فاختلف بينهما الضرب، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر

---

(١) مرحب: مرحب الحميري، أحد فرسان اليهود. خرج من حصنه يوم خيبر وقد جمع سلاحه وهو يرتجز الشعر وهو يقول هل من مبارز؟ فخرج إليه صاحب راية رسول الله ﷺ الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، فاختلف مرحب وعلي بضربتين، فضربه علي بسيفه على هامته حتى عضّ السيف منها أضراسه، وخرّ صريعاً، وسمع الناس الضربة فهاجموا الحصن خلف علي حتى فتح الله لهم. انظر الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرّبُ
أطعن أحياناً وحينا أضربُ إذا الليوث أقبلت تلهّبُ
كأن حماي كالحمى لا يقربُ

انظر الأبيات في: ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢١٨.

(٤) عامر: هو عامر بن سنان الأكوع. وترجمته: عامر بن سنان الأكوع بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلمان بن أسلم الأسلمي. كان شاعراً، وسار مع رسول الله ﷺ ، فقتل بها شيهداً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٢١ ـ ١٢٣.

(٥) فبرز إليه «ياسر: وهو يقول:

قد علمت خيبر أنيّ ياسر شاكي السلاح بطلٌ مغاورُ

انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢١٩.

ليستلَّه من الترس، فوقع على أكحله، فقطعه، فمات، فخرج إليه علي بن أبي طالب، وهو يرتجز شعراً:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... ضرغام آجام وليث قسوره
عبل الذراعين صبيح المنظره ... أكيلهم بالسيف كيل السَّندره
أضرب بالسيف وجوه الكفره[١]

فلما سمع مرحب كلام علي، هَمَّ بالرجوع، فأنف من ذلك، فتجاولا، فضربه علي بسيفه، فسقط (١٦٩) قتيلًا، فلما قتل مرحب تضعضع ركن اليهود، وأخذ أبو بكر رضي الله عنه الراية، وقاتل قتالاً شديداً، ثم أخذها عمر رضي الله عنه، فقاتل قتالاً شديداً، ثم أخذها علي، فقاتل، وضربه رجل من اليهود، فطاحت ترسه من يده، فاقتلع باباً قرب الحصن، فتترس به، فلم يزل في يده، وهو يقاتل، حتى فتح الله خيبر.

وحمل المسلمون على اليهود، حتى ألحقوهم بحصنهم، وقال النبي: الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا أنزلنا بقوم فساء صباح المنذرين، وفتح الله خيبر للمسلمين، ووجد النبي آل أبي الحقيق وآل حُيّي بن أخطب، وهم من بني النضير، فدخلوا خيبر بعد غزوة بني النضير، وحملوا معهم آنية من فضة وأمتعة، فسألهم النبي عن مالهم، فقالوا: أنفقناه يوم خيبر على أنفسنا وعيالنا، فقال لهم: فإن كتمتموني مالاً فذمّة الله ورسوله، وذمّة المؤمنين منكم بريئة، ودماؤكم وذراريكم لي. قالوا: نعم، فأتاه جبريل، فأخبره بموضع المال، فأخرجه، فإذا هو في نخلة جوفاء، فأمر بهم النبي، فضربت أعناقهم.

ثم إن اليهود قالوا للنبي: تعطينا خيبر نعملها، ولنا نصف الثمرة، فأعطاهم إياها، واصطفى لنفسه من السبايا صفية بنت حُيّي[٢]، وأمر بها إلى منزله،

(١) انظر الأبيات في: ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٠.
(٢) صفية بنت حيّي: صفية بنت حيي بن أخطب، من الخزرج: من أزواج النبي ﷺ، كانت في الجاهلية =

وعـرض عليها الإسـلام، فأسـلمت، ورأى في وجههـا أثراً، فقال لهـا: ما هذا الأثـر؟ قالـت: يـا نبي الله، كنـت رأيت في المنـام كأن قمراً أقبل مـن المدينة، حتى وقع في حجري، وكأن كبشاً ذبح على بابي، فذكرت ذلك لكنانة[1]، وهو زوجهـا، فلطمني، وقال: كأنك تتمنين أن تكوني تحت الملك الذي يجيء من المدينة.

وأهـدت زينـب بنـت الحـارث[2]، زوجة سـلام بن مشـكم[3]، للنبي شـاة مسمومة، فتناول النبي منها الذراع، وكان أحب الأعضاء إليه، فلاك منه مضغة، قال الذراع: إني مسموم، أنطقه الله بذلك، فلفظها.

وروي أنه قال في مرضه الذي مات فيه: هذا أوان، قطعت أبهري المضغة

= مـن ذوات الشـرف. تديـن باليهودية، من أهل المدينة. تزوجها سـلام بن مشـكم القرظـي، ثم فارقها فتزوجهـا كنانة بن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر، وأسـلمت، فتزوجها رسـول الله ﷺ، توفيت بالمدينة سـنة ٥٠هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٠٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(١) كنانة: كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، زوج صفية بنت حيّي قبل غزوة خيبر، حيث اصطفاها الرسـول ﷺ لنفسـه، وأتى رسـول الله ﷺ بكنانة، وكان عند كنز بني النضير، فسـأله، فجحد أن يكون يعلـم مكانـه، فقال له: «أرأيـت إن وجدناه عندك أقتلك»، فقال: نعم، فأمر رسـول الله ﷺ بحفر خربة قرب دار كنانة، فأُخرج منها بعض كنزهم، فأمَّرَ به الزبير بن العوام، فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشـرف على نفسـه، ثم دفعه إلى محمد بن مسـلمة، فضرب عنقه بأخيه محمد بن مسلمة. انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، المجلد الثاني، ص٩٥.

(٢) زينب بنت الحارث: زينب بن الحارث اليهودية، زوجة سلام بن مشكم اليهودي. أهدت الرسول ﷺ شـاة مصليّة (مشـويّة) وقد سـألت أي عضو من الشـاة أحب إليه؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السّـم، ثم سـمّت الشـاة كلها، وجاءت بها، فتناول الرسول ﷺ الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، فلفظهـا، وقـال: إن هـذا العظـم ليخبرنـي أنه مسـموم، ثم دعـا بها، فاعترفـت، فقال مـا حملك على ذلـك؟ فقالـت: بلغت من قومي ما لم يخفَ عليك، وقلت: إن كان مَلِكاً اسـترحت منه، وإن كان نبياً فسـيُخبره. فتجاوز عنها رسـول الله ﷺ. انظر: ابن هشـام، عبدالملك بن هشام: السـيرة النبوية، ج٣، ص٦٥٢ – ٦٥٣.

(٣) سلام بن مشكم: سلام بن مشكم القريظي اليهودي، زوج زينب بنت الحارث التي أهدت للرسول ﷺ شاة مسمومة. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٣٥٢.

المسمومة. فأرسل إليها، فقال لها: ما حملك على هذا؟ فقالت: أردت (أن)[١] أعلم صدقك من كذبك، فإن كنت صادقاً، أُخبرت بذلك، وإن كنت كاذباً أرحت الناس منك، فقيل: إنه عفا عنها، وقيل: قتلها.

ولمّا سمع أهل فدك[٢] ما صنع النبي بخيبر، أتوه، فسألوه أن يعاملهم بما عامل به أهل خيبر، فعاملهم بذلك، وكانت خيبر للمسلمين، وفدك له خاصة، لأنه لم يوجف عليها خيلاً ولا ركاباً.

وأقام النبي في غزوة خيبر أربعين يوماً، ورجع إلى المدينة، وقدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، فقال النبي: لست أدري أنا أشدّ (١٧٠) فرحاً بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟

وفي هذه السنة، تزوج النبي ﷺ أم حبيبة[٣]. واسمها رملة، وأمها بنت أبي العاص، عمّة عثمان بن عفان، وسلَّم النجاشي صداقها من ماله أربعمائة دينار. وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين، أو اثنتين وأربعين.

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً. وفيها عين فوّارة ونخيل كثيرة. قال الزجاجي: سميت بفدك بن حام، وكان أول من نزلها. وقال زهير:

لئن حللت بجوّ في بني أسد ... في دين عمرو وحالت بيننا فدكُ
ليأتينّك منّي منطق قذع ... باق كما دنّس القبطية الودكُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٣) أم حبيبة (٢٥ ق.هـ ـ ٤٤هـ/ ٥٩٦ - ٦٦٤م): هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، صحابية، من أزواج النبي ﷺ. كانت من فصيحات قريش ومن ذوات الرأي والحصافة. تزوجها أولاً عبيد الله بن جحش، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة (في الهجرة الثانية) ثم ارتّد عبيد الله عن الإسلام، فأعرضت عنه إلى أن مات. فأرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها، وعهد للنجاشي (ملك الحبشة) بعقد نكاحه عليها، ووكلت هي خالد بن سعيد بن العاص، فأصدقها النجاشي أربعمائة دينار سنة ٧هـ، ولها من العمر بضع وثلاثون سنة، وأبوها لا يزال على دين الجاهلية. توفيت بالمدينة. ولها في كتب الحديث ٦٥ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤.

وفـي هذه السـنة، كانت غزوة عمرة القضـاء[١]، قيل: أمر النبي أصحابه حين رأى هلال ذي القعدة أن يعتمروا قضاءً لعمرتهم التي صدّهم المشركون عن قضائها، وأمر أن لا يتخلّف أحد ممن شهد الحديبيّة، فلم يتخلف أحد منهم، إلا من استشهد بخيبر، وخرج معه أيضاً قوم عمّاراً، فكانوا في عمرة القضـاء ألفيـن، وقيل: ألفين وسـبعمائة. واسـتخلف على المدينـة أبا رُهُم الغفاري[٢] وساق النبي ستين بدنة، وقيل: سبعين هدياً، وجعل عليها ناجية ابـن جندب الأسـلمي[٣]، وحمل الـدروع والسـلاح والرمـاح، وقـاد مائة فرس، وخرجت قريش إلى رؤوس الجبال. فدخل النبي مكة، وعبد الله بن رواحـة آخـذ بزمام مطيته، وقالت قريش: إن محمـداً وأصحابه لفـي جهد وحاجـة، فبلغ ذلك النبي، فهـرول بين العلمين، وأمـر بذلك أصحابـه، ليري قريشاً من نفسه وأصحابه قوّة، وطاف، وسعى، وحلق، وأقـام بمكة ثلاثـة أيـام، فلمـا كان عند الظهر مـن اليوم الثالث، ناداه سـهيل بن عمرو.

---

(١) عمرة القضاء: ويقال لها عمرة القصاص، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة من الشهر الحرام من سـنة سـت للهجرة، فاقتص منهم، فدخل مكة في ذي القعدة، في الشـهر الحرام الذي صدوه فيه سنة سبع للهجرة. وفيها أنزل الله تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص١٢.

(٢) أبـو رُهـم الغفـاري: اسـمه كلثوم بـن الحصيـن، وقيـل: ابن حصن بـن عبيـد، وقيل: ابـن عتبة بن خلف بن بدر بن أحميس بن غفّار. أسـلم بعد قدوم النبي إلى المدينة، وشـهد أُحُداً، فرمي بسـهم فـي نحره، فسـمي المنحور، فجاء النبي فبصق عليه، فبرأ، واسـتخلفه علـى المدينة مرتين: مرّة في عمرة القضاء، ومرّة عام الفتح، فلم يزل عليها حتى انصرف رسول الله ﷺ من الطائف. وشهد بيعة الرضوان، وبايع تحت الشجرة، وروى عنه مولاه أبو حازم أنه قال: حضرت خيبراً أنا وأخي ومعنا فرسـان، فأسـهم لنا النبي. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٦، ص١١٧.

(٣) ناجية بـن جنـدب الأسـلمي: ناجية بـن جندب بـن كعب، وقيـل: ناجية بـن كعب بن كعـب، وقيل: ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن نائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم الأسـلمي. صاحب بُدْن رسـول الله ﷺ، معدود من أهل المعرفة. وقيل: كان اسـمه ذكوان، فسـماه رسـول الله ﷺ ناجيـة، إذ نجـا مـن قريش. انظر: ابـن الأثير، على بن محمد: أسـد الغابـة في معرفة الصحابة، ج٥، ٢٩٤.



وحويطب بـن عبد العـزى. وقـالا: قـد انقضـى أجلـك، فاخرج عنّـا، فأمر أصحابه بالخروج، وركب ﷺ، حتى نزل بسـرف، وهي على عشـرة أميال من مكة.

وفـي هذه السـنة، تزوج رسـول الله ﷺ، ميمونة بنت الحـارث[1]، تزوجها بسـرف، وبناهـا هناك، وهي آخـر امرأة تزوجها، وقيل: هي التي وهبت نفسـها له، ماتت بمكة، ودفنت بقبتها، سنة ثلاث وستين.

---

(١) ميمونة بنت الحارث: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية: آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، وآخر من مات من زوجاته، كان اسمها «برّة» فسماها «ميمونة» بايعت بمكة قبل الهجرة. وكانت زوجة أبي رهم بن عبد العزى العامري. ومات عنها، فتزوجها النبي ﷺ سـنة ٧هـ. عاشـت ثمانين سنة. وتوفيت في «سـرف» الموضع الذي كان فيه زواجها بالنبي ﷺ قرب مكة، ودفنت به، وكانت صالحة فاضلة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٣٤٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ٢٦٢ ـ ٢٦٤.

الباب السابع عشر

في ذكر الأمور الحادثة

في السنة الثامنة من الهجرة



ففي هذه السـنة، كان غلاء السعر على المسلمين، فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: سـعّر لنا، فقال: «**إن الله هو القابض والباسـط السعر والأرزاق، وإني لأرجو أن ألقى الله، وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في نفس ولا مال**».

وفـي هذه السـنة، طلّق النبي سـودة بنـت زمعة، فقعدت علـى طريقه، بين المغـرب والعشـاء، وقالت: يا رسـول الله، راجعني فوالله ما بـي حب الرجال، وإني أحب أن أحشر في أزواجك، ويومي لعائشة، فردّها ﷺ.

وفيها توفيت زينب (١٧١) بنت رسول الله ﷺ.

وفيها أسـلم عمرو بن العاص، قال عمرو: أسـلمت أنا بالحبشة، فخرجت أريـد رسـول الله ﷺ، فلقيـت خالد بن الوليد مقبـلاً من مكة، وذلـك في عام الفتـح، وقلـت: أيـن تريد يـا أبا سـليمان؟ قال: والله قد اسـتقام الميسـم، وإن الرجل لنبي، أذهب أسلم، فحتى متى، فقلت: والله ما جئت إلا لأسلم، فقدمنا على رسول الله، فتقدم خالد، فأسلم وبايع، وأسلمت وبايعت.

وفي هذه السـنة، اتخذ رسول الله ﷺ المنبر، وكان يخطب على جذع من النخل، فقالت امرأة من الأنصار، كان لها ابن نجار، واسـمها عائشـة، واسـم ابنهـا باقـوم الرومي: يا رسـول الله، إن لي ولداً نجـاراً، أفلا آمره أن يتخذ لك منبراً؟ فقال: نعم، إن شئت. فأمرت ولدها، فاتخذ النبي منبراً، صُنع له ثلاث درجـات، فلمـا كان يوم الجمعة، خطـب النبي عليه، فحنّ الجـذع الذي كان يخطـب عليـه، حتـى تصدّع وانشـق، وأقبل يسـعى نحـو النبي، فوضـع النبي يـده عليـه، فسـكت، وقال له: إن شـئت أذنت للحائط الذي كنـت فيه، فانبت

عروقك، ويكمل خلقك، ويجدد لك خوصك، فتكون لك سعف وثمرة، وإن شئت أغرسك في الجنّة، فيأكل أولياء الله من ثمرك، فقال: بل تغرسني في الجنة، فيأكل أولياء الله من ثمري، وأن أكون في مكان لا أبلى فيه، فأختار الجذع دار البقاء على دار الفناء، وأمر به النبي، فدفن تحت المنبر، فلما هُدم المسجد وغُيّر، أخذه أُبي بن كعب[١]، فكان عنده حتى بلي، وأكلته الأرض، وعاد رفاتاً.

وفي هذه السنة، بعث النبي ﷺ، عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعُمان، وكانا على دين النصارى، فأمنا بالنبي وصدّقا بما جاء به، وأخذا على المجوس الجزية، فلا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم.

وبعث النبي كعب بن عمرو الغفاري[٢]، في خمسة عشر رجلاً إلى ذات أطلاق[٣]، من ناحية الشام، فوجد بها جمعاً كثيراً، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، وقتلوا أصحابه جميعاً، ونجا هو بنفسه، وقدم المدينة.

(١) أُبي بن كعب: أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر، صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ على قلّة العارفين بالقراءة والكتابة في عصره، ولمّا أسلم كان من كتاب الوحي، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يفتي في عهده، وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس، وأمره عثمان بجمع القرآن. كان نحيفاً قصيراً أبيض الرأس واللحية، مات بالمدينة سنة٢١هـ/ ٦٤٤م. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٨٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٦٨ ـ ١٧١.

(٢) كعب بن عمرو الغافري: والصحيح كعب بن عمير الغفاري: من كبار الصحابة، بعثه النبي ﷺ أميراً على سرية، نحو «ذات البلقاء»، فقتل فيها. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٢٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤٥٨.

(٣) ذات أطلاق: هي موضع وراء ذات القرى إلى المدينة، غزاه الرسول ﷺ، بسريّة قادها كعب بن عمير الغفاري، فأصيب بها هو وأصحابه: انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٢١٨.

ثم بعث النبي ﷺ، شجاع بن وهب[١] في سرية إلى بني عامر بناحية نجد، فأصابوا نعماً وشاءً.

وفي هذه السنة، كانت سرية مؤتة، وهي بأدنى البلقاء، دون دمشق، في جمادى الأولى، فلما نزلها، عرض عليه شرحبيل مائة ألف، (١٧٢) فقتله، فبلغ ذلك النبي، فشقّ عليه، فندب الناس، فأجابوه، وهم ثلاثة آلاف، فقال النبي ﷺ: أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قتل، فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل، فعبد الله بن رواحة، فإن قتل، فيختار الناس أميراً لهم، وعقد لهم لواءً أبيض، وخرج مشيّعاً لهم، حتى بلغ ثنية الوداع[٢]، ووقف، وودّعهم، وأمرهم أن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلّا قاتلوهم.

وساروا حتى نزلوا معان[٣]، من أرض الشام، بلغهم أن هرقل نزل في

(١) شجاع بن وهب: شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كثير بن غنم بن دودن بن أسد بن خزيمة الأسدي. حليف لبني عبد شمس، يكنّى أبا وهب. أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وعاد إلى مكة لما بلغه أن أهلها أسلموا. ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، هو وأخوه عقبة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله بينه وبين ابن خولى، وأرسله إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وإلى جبلة بن الأيهم الغساني، واستشهد شجاع يوم اليمامة، وهو ابن بضع وأربعين سنة، وكان أجنى (مائل الظهر) نحيفاً. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٥٠٥.

(٢) ثنية الوداع: وهي ثنية مشرفة على المدينة يطأها من يريد مكة، واختُلف في تسميتها بذلك، فقيل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة. وقيل: لأن النبي ﷺ ودّع بها بعض من خلفه، بالمدينة في آخر خرجاته، وقيل: في بعض سراياه المبعوثة عنه. وقيل: الوداع اسم وادٍ بالمدينة. والصحيح أنه اسم جاهلي قديم، سُمي لتوديع المسافرين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٨٦.

(٣) معان: مدينة في طرف بادية الشام من نواحي البلقاء، وكان النبي ﷺ بعث جيشاً إلى مؤتة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، فساروا حتى بلغوا معان، فأقاموا وأرادوا أن يكتبوا إلى النبي ﷺ عمّن تجمع من الجيوش، وقيل: قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي ألف، فنهاهم عبد الله بن رواحة وقال: إنما هي الشهادة أو الطعن، ثم قال:

جلبنا الخيل من جاءٍ وفرع ... تُغَرّ من الحشيش لها العكومُ
حذوناهم من الصوان سبتاً ... أزلَّ كأنّ صفحته أديمُ =

أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، فأقاموا بها ليلتين ينظرون في أمرهم، فتشجّع عبدالله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن الذي تكرهون، التي خرجتم لأجلها الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة، وإنما نقاتل بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنين: إما ظهور، وإما شهادة.

فقال الناس: صدق ابن رواحة، ثم رحلوا، فلما كانوا قريباً من البلقاء، لقيهم هرقل، فلما دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، فالتقوا واقتتلوا(بها)[1] قتالاً شديداً، وأخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل حتى قتل، ثم أخذه جعفر بن أبي طالب، وقاتل، فطعنه رجل من الروم برمح، وضربه بسيفه، فقسمه نصفين، فوجد في أحد نصفيه نيّف وثلاثين ضربة. ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة، وقاتل حتى قتل، ثم أخذه خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فقاتل حتى انكشفت الروم، وانهزموا، وكسر في يده تسعة أسياف، كلما كسر سيفاً أخذ آخر، ورجع المسلمون إلى المدينة سالمين غانمين.

وفي هذه السنة، بعث رسول الله عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل[2]، وهم قضاعة، فخرج في نفر من الأنصار، فلما وصل، استمدَّ النبي، فأمدّهم بأبي عبيدة عامر بن الجرّاح، في نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر

= أقامت ليلتين من معانٍ فأعقب بعد فترتها جمومُ
فرُحنا والجياد مسوّماتٌ تنفّسُ في مناخرها السُّمومُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص١٥٣ - ١٥٤.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٧٢.

(٢) ذات السلاسل: ماء بأرض جُذام، وبذلك سميت غزوة ذات السلاسل، وقال ابن إسحاق: اسم الماء سلسل، وبه سميت ذات السلاسل. وقال جردان العود:

بوعساء من ذات السلاسل يلتقي عليها من العلقى نبات مؤنّفُ

وقال الراعي:

ولما علت ذات السلاسل وانتحى لها مصغيات للفجاء عواسرُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٣.

وعمـر رضي الله عنهما، فاختلـف أبو عبيـدة وعمرو بـن العـاص، كل يقـول هـو الأميـر لأصحابه، فأبى عمرو، وقال: أنتم لي مدد، فأطاعه أبو عبيدة.

وفي هذه السنة كانت سرية الخبط[١]، بعث رسول الله ﷺ، (١٧٣) أبا عبيدة عامر بـن الجراح فـي ثلاثمائة راكب من المهاجريـن والأنصار، في طلب عير قريش، وزوّدهم جراب تمر، فسـاروا وأقاموا على السـاحل، حتى فني زادهم، فأصابهم جوع شديد، فكان أبو عبيدة يعطيهم لكل رجل حفنة، ثم أعطاهم تمرة لكل رجل، ثم كانوا يأكلون الخبط، أي أوراق الشـجر، حتى صارت أشداقهم كأشداق الإبل. ثم أرسل إليهم دابّة يقال لها العنبر[٢]، فأكلوا منها نصف شهر، وقيل: أكلوا منها شهراً. ونصب أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعها، يمرُّ تحته راكب البعير من طوله، فلما قدموا المدينة، أخبروا النبي بذلك، فقال ﷺ: «**ذلك رزق ساقه الله إليكم**».

وفي هذه السـنة، كان فتح مكة، حرسـها الله تعالى، وسـبب ذلك أن النبي وادع قريشـاً علـى تـرك الحرب بينهم سـنتين، وكانت خزاعـة دخلت في عهد رسـول الله، لهـم ما له من العهد، وعليهم ما عليـه. وبنو بكر مع قريش، وكان بين خزاعة، وبين بني بكر شـرّ قديم، فاقتتل خزاعة وبنو بكر، وطلب بنو بكر الإعانـة مـن قريش على خزاعـة، فأعانوهم بالرجال، وقاتلـت معهم طائفة من قريش مسـتخفين مسـتنكرين، فيهم: صفوان بـن أمية، وعكرمة بـن أبي جهل، وسهل[٣] بن عمرو، وعبيدهم، فبيّتوا خزاعة ليلاً، فهاجموهم، وقتلوا منهم.

ثـم ندمـت قريش على ما صنعت، وعلموا أن هـذا نقضاً للعهد الذي كان

---

(١) الخبـط: اسـم موضع في ارض جهينـة بالقبلية، وبينها وبين المدينة خمسـة أيام، وهي بناحية سـاحل البحر. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٤٤.

(٢) العنبر: هو الحوت.

(٣) والصحيح سهيل بن عمرو، وقد مرّت ترجمته سابقاً.

بينهم وبين رسول الله ﷺ، لأن خزاعة كانت في عهده، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي[(١)]، في أربعين راكباً من خزاعة، فقدموا على النبي يخبرونه بما أصابهم، ويستنصرونه، فقام النبي ﷺ يجرُّ رِداءهُ، ويقول: «**لا نُصرتُ إن لم أنصر بني خزاعة**».

وقدم أبو سفيان على النبي ﷺ، يسأله تجديد العهد، وأن يزيدوا في المدّة. فلما دخل المدينة، دخل على أم حبيبة، فأراد أن يقعد على فراش رسول الله ﷺ، فطوته عنه، فقال: ولِمَ ذلك؟ قالت: فكيف تقعد على فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس؟ فلم أحب أن تجلس عليه.

فخرج من عندها، وأتى النبي ﷺ، فكلمه في ذلك، فلم يجبه، غير أنه قال: نقض أهل مكة العهد. فذهب إلى أبي بكر، فكلمه ليكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، فخرج من عنده إلى عمر بن الخطاب، فقال له عمر: أأشفع لك عند رسول الله؟ (١٧٤) هل لا كان. فخرج من عنده، وأتى علي بن أبي طالب، وقال: يا علي، إنك أمس القوم رحماً، وأقربهم إليَّ، وقد جئتك في حاجة، ولا أرجو أن أرجع خائباً، فاشفع لي إلى ابن عمك محمد، فقال له علي: ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله ﷺ، على أمر لا أستطيع أن أُكلمه فيه. فخرج أبو سفيان، وركب بعيره، وأتى قريشاً، وأخبرهم بذلك.

---

(١) عمرو بن سالم الخزاعي: سيد بني خزاعة، خرج مع النبي ﷺ، في المدينة بعدما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق. بما استحلوا من خزاعة، وكان في عقده وعهده. وكان ذلك مما أحاج فتح مكة. فوقف عمرو بن سالم عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال:

يارب إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم وُلداً وكنّا والداً ... ثُمّت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصُر هداك الله نصراً أعتدا ... وادعُ عباد الله يأتوا مددا

فقال له رسول الله ﷺ: نُصرت يا عمرو بن سالم. انظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٦-٣٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢١٢ ـ ٢١٣.

وأما رسول الله ﷺ، فإنه أمر بالجهاز إلى مكة، وأخفى أمره، وقال: «**اللهم خذ على أبصارهم، فلا يروني إلّا بغتة**». ولم يعلم به أحد إلّا الله تعالى.

وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بما أجمع عليه رسول الله ﷺ، وأعطاه امرأة يقال لها ضغينة، ودفع لها عشرة دنانير وعشرة دراهم، وأمرها بالمسير إلى أهل مكة، وأن تدفع إليهم الكتاب، فنزل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فأخبره بما فعل حاطب، فبعث النبي إليها علياً، والزبير، وطلحة، والمقداد، وجماعة من المسلمين، كلهم فرسان، فانطلقوا في طلبها، حتى وجدوها عند الحليفة، وقالوا لها: أين الكتاب الذي أرسله معك حاطب إلى مكة؟ فقالت: ما عندي كتاب، ولا أرسل حاطب معي كتاباً، فحلفت لهم بالله، ففتشوا متاعها، فلم يجدوا معها كتاباً، فهمّوا بالرجوع. قال علي: ما كذب رسول الله، وسل سيفه، وقال لها: إما اخرجي الكتاب، وإما قطعت عنقك بهذا السيف، فلما رأت الجهد، قالت: اعرض عنّي، فأعرض عنها، وحلت رأسها، وأخرجت الكتاب من ذؤابتها، فدفعته إليه، فخلّوا سبيلها، فأتوا النبي ﷺ، فدفع علي إليه الكتاب، فأرسل النبي إلى حاطب، قال: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ولكن ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، ولي بين أظهرهم أهل، فأردت أن أتخذ بذلك عندهم يداً، وقد علمت أن الله منزل بأسه عليهم، وأن لا يغني ذلك عنهم، فصدقه رسول الله ﷺ. فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنقه، فقد نافق، فقال رسول الله: وما يدريك يا عمر؟ فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ [الممتحنة: ١].

(١٧٥) ثم إن رسول الله ﷺ، بعث إلى من حوله من القبائل، بني سليم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وبني أشجع، وبني سليم، ليأتوه، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق، واستخلف على المدينة كلثوم بن

حصين بـن عتبة بـن خلف الغفـاري[١]، وقيل: عبد الله بن أم مكتـوم[٢]، وخرج يـوم الأربعاء لعشـر ليال خلون من شـهر رمضـان، بعد العصـر، فصام الناس، وصام النبي، وكانوا عشرة آلاف، فسار حتى بلغ الكديد[٣]، وكان ذلك المكان بين عسفان، وأمج[٤]، فأفطر، وأفطر المسلمون.

وقدم الزبير في مائتين، وعقد الرايات بقديد، ونزل مرّ الظهران عشاءً، ولم يتخلـف أحد مـن المهاجرين والأنصار، وأمر أصحابه أن يوقدوا عشـرة آلاف نـار، ولـم تعلم قريش مسـيرهم، وهم مغتمـون، وخرج أبو سـفيان، وبديل بن ورقاء يتحسسـون الأخبار، فقال أبو سـفيان: ما رأيت كالليلة نيراناً، فقال بديل: هذه نيران خزاعة، فقال أبو سفيان: خزاعة أذلُّ من هذا.

---

(١) كلثوم بـن حصيـن الغفـاري: كلثوم بن الحصين بـن عبيد بن خلف بـن بدر بن أحميس بـن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، أبو رهم الغفاري. وهو مشـهور بكنيته. أسـلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة، ولم يشهد بدراً، وشهد أُحُداً، وكان ممن بايع تحت الشجرة، وكان قد رُمي بسهم في نحره، فجاء النبي، فبصق فيه، فبرأ، وكان أبو رهم يسمى المنحور. استخلفه النبي ﷺ على المدينة مرتين: مرّة في حميرة القضاء، ومرّة عام فتح مكة، لمّا سـار إلى مكة والطائف وحنين. وكان يسـكن المدينة. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤٩٣.

(٢) عبد الله بـن أم مكتوم: عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشـي العامـري، وهو عبد الله بن زائدة الأصم. وقـال آخرون: هـو عبد الله بن قيس بن مالك بـن رواحة بن صخر بن عبد الله بـن معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري. كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى المدينة. كان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة أكثر غزواته. وشـهد القادسـية فيما يقولون. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٩٧ – ٩٩٨.

(٣) الكديد: وهو موضع بالحجاز، ويوم الكديد: من أيام العرب، وهو موضع على بعد اثنين وأربعين ميلًا من مكة، وقال ابن إسـحاق: سـار النبي ﷺ إلى مكة في رمضان، فصام وصام أصحابه، حتى إذا كان بالكديد بين عُسفان وأمج أفطر. والكديد هو التراب الدقاق المركّل بالقوائم، وقيل: الكديد: ما غلظ من الأرض: انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٢.

(٤) أمـج: الأمـج في اللغة: العطش، وهو بلد مـن أعراض المدينة. وقال أبو منذر هشـام بن محمد: أمج وغران واديان يأخذان من مرّة بني سليم، ويفرقان في البحر. قال الوليد بن العباس القرشي:

يـا من على الأرض من غـادٍ ومدّلج ... أقري السـلام علـى الأبيان مـن أمجِ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٢٥٠.

وكان قد خرج العباس يطوف، لعلّه يرى أحداً من قريش، يخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه يستأمنوه، فعرف صوت أبي سفيان، فقال: يا أبا حنظلة، فعرف أبو سفيان صوته، فقال: العباس؟ قال: نعم، فقال: فداك أبي وأمي، ومالك؟ فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ، أتاكم بما لا قبل لكم به. قال: فما الحيلة؟ فقال العباس: لَئِن ظفر بك، ليضربنَّ عنقك، فاركب معي على هذه البغلة، حتى آتي بك رسول الله، فأستأمنه لك. فركب معه، فسارا، فكانا كلما مرَّا على نار نادوهم من هذا؟ فإذا رأوا البغلة، قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ، وهذا النبي وعمر، حتى مرَّا على نار بمحرس عمر، فقال من هؤلاء؟ فسكتا عنه، فقام عمر إليهما، فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة، قال: هذا عدو الله أبو سفيان، الحمد لله الذي مكن منك بغير عهد ولا عقد.

ثم خرج عمر يركض نحو النبي، فركَّض العباس البغلة، فسبقه إلى النبي، فدخل العباس قبله، ثم دخل عمر، فقال: يا رسول الله، هذا عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، دعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله، إنيّ أجرته، ثم جلس عمر إلى رسول الله، فأخذ العباس برأس النبي، وقال: (١٧٦) والله لا يناجيه الليلة أحد دوني، وأكثر عمر في قتل أبي سفيان، فقال العباس: مهلاً يا عمر، فلو كان من بني عدي[١] بن كعب ما قلت هذا، ولكنه من بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، لأني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم، ثم قال رسول الله: «**إذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت، فآتني به**»، فذهب وبات عنده.

(١) عدي بن كعب: عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، من قريش، من عدنان، جدّ جاهلي من نسله عمر بن الخطاب وكثيرون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٢١.

فلما أصبح، أتى به عند النبي، فلما رآه النبي، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله، فقال: بأبي وأمي أنت، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عنيّ. فقال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يان لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال بأبي وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه في النفس منها شيء حتى الآن، فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان، أسلم قبل أن تضرب عنقك، فتشهد شهادة الحق، وأسلم، فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، فقال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.

فلما أراد أبو سفيان ليدخل مكة، قال النبي للعباس: إجلس به في مضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى ينظر أبو سفيان إلى جنود الله فيراها، فخرج العباس ومعه أبو سفيان، وحبسه هناك، فجعلت تمرُّ عليه القبائل على راياتها، كلما مرّت عليه قبيلة، قال: من هؤلاء يا عباس؟ فيقول: هؤلاء بنو فلان، فيقول: ما لي ولهؤلاء. حتى مرّ عليه رسول الله ﷺ، وعنده المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلّا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله، يا عباس، من هؤلاء؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ، في المهاجرين والأنصار، فقال: لا طاقة لنا بهم، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال العباس: يا أبا سفيان، إنها النبّوة، قال: نعم.

ثم قال العباس: إلحق إذاً بقومك، فحذّرهم، فخرج سريعاً، فأتى مكة، وصرخ في المسجد بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، وقد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن. فقال الناس: وما يغني عنّا (١٧٧) دارك؟ فتفرق الناس إلى دورهم، وأغلقوا أبوابهم، ومنهم من دخل المسجد الحرام. وقال أبو سفيان: إذاً، أسلموا تسلموا، فقامت إليه زوجته هند بنت

عتبة، وأخذت بشعره، وقالت: لا تغرّنكم أنفسكم، فقد جاءكم بما لا قبل لكم به.

ثم إن النبي بعث الزبير، وأعطاه راية، وأمره أن يركز الراية بأعلى مكة، بالحجون[١]، وقال له: «لا تبرح حيث أمرتك أن تركز الراية حتى آتيك».

فلما بلغ النبي ﷺ بذي طوى، فرّق جنوده، فبعث علياً من ثنية المدنيين[٢]، وبعث خالد بن الوليد من الليط[٣]، وأخذ النبي طريقاً آخر، وأمرهم أن لا يقاتلوا أحداً، إلّا من يقاتلهم. فكل الجنود لم يقاتلوا أحداً، غير خالد، فإنه لقيه صفوان بن أميه، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل في جمع من قريش وأحابيشهم، فمنعوه الدخول، وشهروا السلاح، ورموا بالنبل، فصاح خالد بأصحابه، وقاتلهم، فقتل منهم أربعة وعشرين رجلًا، وأربعة من بني هذيل، وقُتل من المسلمين رجلان: كرز بن جابر، وخالد الأشعري[٤]. وجُرِح

(١) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن من أهلها، وقال السكري: وكان من البيت على بعد ميل ونصف، وقال السهلي: على فرسخ وثلاثة، وعليه سقيفة آل زياد بن عبيد الله الحارثي عامل مكة أيام السفاح. وقال الأصمعي: الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين. وقال مضاض بن عمرو الجرهمي يتشوق إلى مكة لمّا أجلتهم عنها خزاعة:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ
بلى نحن كنا أهلها فأبانا ... صروف الليالي والجدود العواثرُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٥.

(٢) ثنية المدنيين: أو الثنية البيضاء وهي عقبة قرب مكة تهبطك إلى فخ وأنت قادم من المدينة وتريد مكة، أسفل مكة من قبل ذي طوى. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٨٥.

(٣) الليط: اسم مكان أسفل مكة. قال ابن إسحاق: لما ورد النبي ﷺ عام الفتح مكة، أمر خالد بن الوليد، فدخل من الليط أسفل في بعض الناس، وكان خالد في المجنبة اليسرى، وفيها أسْلَمُ وغفار ومزينة وجهينة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص٢٨.

(٤) خالد الأشعري: والصحيح خالد بن الأشعر الخزاعي الكعبي: اختلف في اسم أبيه. قال الواقدي: قتل خالد بن الأشعر مع كرز بن جابر بطريق مكة، عام الفتح. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٩٠.

عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف[1]، فكتم جراحه، فكانت تصافحه الملائكة، وتسلم عليه طرفي النهار، ويسمع تسبيحها، ولا يدري من هم.

ثم إنه اشتكى جراحه إلى أحد، فانقطعت عنه الملائكة، وما كان يسمع منها. فشكا ذلك إلى النبي، فقال له: كيف جرحك الذي أصابك يوم كذا وكذا؟ قال: لا يوجعني، فقال له: أشكوت وجعه إلى أحد؟ قال: نعم، قال: تلك الملائكة، كانت تحف بك لصبرك، فلما شكوته، انقطعت عنك، والذي بعثني نبياً، لو صبرت إلى أن تموت، لسلّمت عليك الملائكة إلى أن تموت. فكان عمران يتلهب على ما صنع، إلى أن مات.

ثم هزم الله تعالى قريشاً، ولم يكن بمكة قتال غير هذا، فلما ظهر النبي ﷺ قال: «**ألم أنه عن القتال؟**» فقيل له: خالد بن الوليد قُوتل فقاتل. وأمر النبي سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس، فقال سعد حين توجّه: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فسمعه رجل من المهاجرين، فقال: يا رسول الله، اسمع ما يقول سعد، وما نأمن أن يكون له صولة في قريش. فقال النبي لعلي: أدركه، وخذ الراية منه، (١٧٨) وكن أنت الذي تدخل بها.

وضُربت لرسول الله قبّة بالحجون، ودخل مكة وعلى رأسه عمامة سوداء، فلما دخل مكة، ووقف على باب الكعبة، قال: «لا إله إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال يدّعى فهو تحت قدمي، إلّا سدانة البيت وسقايته للعباس.

(١) عمران بن الحصين: عمران بن الحصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي: من علماء الصحابة. أسلم عام خيبر سنة ٧هـ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. وولّاه زياد قضاءها. وتوفي بها. وهو ممن اعتزل حرب صفين. له في كتب الحديث ١٣٠ حديثاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٧٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص١٣٥.

يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها، ألا إن أبا الناس آدم، وآدم من تراب، ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]. يا أهل مكة، ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخٍ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فأعتقهم، وقد أمكنه الله من رقابهم عنوة، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء.

وأقبل ﷺ إلى الحجر، فاستلمه، وطاف بالبيت، وكان في الكعبة يومئذٍ ثلاثمائة صنم وستون صنماً، فجعل يشير إلى كل صنم مرّ عليه بقضيب كان في يده، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، فيخرّ الصنم ساقطاً على وجهه، وكان أعظمها هبل، وهو على باب الكعبة، فأمر به النبي، فقطع رأسه، وجعله عتبة لباب السلام، يطأه الداخل والخارج برجليه، وهو صنم من حجر.

وأرسل النبي إلى عثمان بن طلحة[1] ليعطيه مفتاح الكعبة، فأتاه علي، فمنعه إياه، وقال: لو علمت أنه نبي لدفعته إليه، فلوى علي يده عليه، وأخذ منه مفتاح الكعبة قهراً، وأتى به إلى الرسول، وفتح باب الكعبة، (ودخل النبي الكعبة)[2] وصلى فيها ركعتين، فقال له العباس: اجمع لي يا رسول الله السدانة مع السقاية، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾

(١) عثمان بن طلحة: عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله القرشي العبدلي، من بني عبد الدار، صحابي، كان حاجب البيت الحرام، أسلم مع خالد بن الوليد في هدنة الحديبيّة، وشهد فتح مكة، فدفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إليه وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة. ثم سكن المدينة ومات بها، وقيل بمكة، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٠٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٧٢.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٧٨.

[النساء: ٥٨]. فردّه النبي إلى عثمان بن طلحة، فهو في يد أولاده إلى يومنا هذا. ثم قال عثمان: أخذته منّي قهراً، ورددته عليَّ باللطف، فقال: «إن الله أمرني بردّه إليك، فقرأ عليه الآية، فأسلم عند ذلك عثمان، ودفع النبي السقاية إلى العباس رضي الله عنه.

ثم أمر النبي ﷺ: «ألا من كان في بيته صنم (١٧٩) فليكسره. فكسروا الأصنام كلها. ثم أتى النبي ﷺ إلى الصفا، وجلس عليه، وجعل يبايع الناس على الإسلام، وعمر بن الخطاب أسفل منه يبايع له الناس على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من مبايعة الرجال، أقبل يبايع النساء، يبايعهن باللسان دون اليد، وهند بنت عتبة متنقبة، وهي زوجة أبي سفيان، فقال عليه السلام: «أبايعكنَّ على أن لا تشركن بالله شيئاً»، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، فقال النبي: «وعلى أن لا تسرقن» فقالت هند: إن أبا سفيان شحيح، وقد أصبت منه هنات، فلا أدري أتحل أم لا؟ فقال أبو سفيان: هو لك حلال فيما مضى. فضحك رسول الله وعرفها، وقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة» قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله، فقال النبي: «وعلى أن لا تزنينَّ»، فقالت هند: أوتزني الحرّة؟ فقال: «ولا تقتلن أولادكن»، فقالت هند: ربيناهم صغاراً، فقتلوهم كباراً، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها قتل يوم بدر، فضحك عمر بن الخطاب، وتبسّم النبي، ثم قال: «ولا تأتين ببهتان تفترينه بأيديكنّ وأرجلكنّ»، ومعناه أن تأتي بولد من غير زوجها فتنسبه إليه، فذلك البهتان، فقالت: إن البهتان والله لقبيح، وما تأمرنا إلّا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «ولا تعصينني في معروف، فقالت: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك بشيء، ثم إنها جعلت تكسر صنمها وتقول: كنّا منك في غرور.

ثم قال النبي ﷺ: «إن الله حرّم مكة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحلّ لأحد

بعـدي، وإنمـا حلّـت لي سـاعة من النهـار، ألا وإنها من سـاعتي هـذه حرام، لا يختلـى هلالهـا، ولا ينفر صيدها، ولا يعضد شـجرها، ولا تحل لقيطتها إلّا لمنشـدها». فقام العباس، وقال: يا رسـول الله إلّا الإذخر فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال النبي: «إلّا الإذخر».

وهرب من أهل مكة عبد الله بن الزبير، ثم جاء فأسلم، وصفوان بن أمية خـرج يريد جدّة، ليركـب (البحر)[1] فطلب له الأمان ابن وهب الجمحي[2] مـن النبـي، فأعطاه له الأمان، فركب عمير، فأدركـه بجدّة، فقال له: أخذت لـك الأمان، فارجع، فرجع، وقـال: زعم عمير أنك أمنتني يا محمد؟ فقال النبي: «نعم»، قال: فاجعلني بالخيار شهرين، قال: «أنت فيه (١٨٠) بالخيار أربعـة أشـهر». وعكرمة بن أبـي جهل هرب إلى اليمـن، فأخذت له الأمان زوجتـه أم حكيـم[3] وكانت ذات عقل، وقد أسـلمت يوم الفتـح، فأعطاها لـه الأمان، فأدركته بسـاحل من سـواحل تهامة، فقالت أخـذت لك الأمان من رسـول الله، فارجع، ولا تهلك نفسـك، فرجع، وأسلم، فقال النبي: «لا تعيّـروا عكرمـة بكفر أبيه، فإن سـبّ الميّت يؤذي الحـيّ»، ثم قال عكرمة: أما والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدّ عن سـبيل الله إلّا أنفقت أضعافها

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٧٩.

(٢) ابن وهب الجمحي: وهو عمير بن وهب الجمحي، وردت ترجمته سابقاً.

(٣) أم حكيم بنت الحارث بن هشـام بن المغيرة المخزومية، صحابية، حضرت يوم أحد مع المشـركين، ثم أسلمت يوم فتح مكة، وكان زوجها عكرمة بن أبي جهل قد فرّ إلى اليمن، فتوجهت إليه بإذن من النبي ﷺ، فحضر معها، وأسلم. وخرجت معه إلى غزو الروم فقتل، فتزوجها خالد بن سعيد العاص قبيـل معركـة مـرج الصفر جنوبـي دمشـق، وأراد الدخول بها، فقالـت لو تأخرت حتى يهـزم الله هذه الجموع، فقال: إن نفسي تحدثني أني أُقتل، قالت: فدونك، فأعرس بها عند «القنطرة» فعرفت بها بعد ذلـك «قنطـرة أم حكيـم» ثم أصبح، فأولم، فلمـا فرغوا من الطعام وافاهم الـروم، ووقع القتال، فقتل خالـد، فشـدّت أم حكيـم ثيابها، وقتلت بعمود الفسـطاط الذي أعرس بها فيه خالد سـبعة من الروم، وقُتلت. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٦٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص٣٠٩.

فـي سـبيل الله، ولا قتـالاً كنـت أقاتل في صدّ عـن سـبيـــل الله، إلّا بذلت ضعفه في سبيل الله. وعكرمة هذا ليس هو المذكور في كتـــاب الأشراف، ثـم إنه اجتهـــد في القتال حتى قتـــل شـهيداً يـوم أجنادين، في زمـــن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثـم بعـث رسـول الله ﷺ خالد بن الوليـد إلى العـزة، وهو صنـم لقريش، وكانت تجلّه، وهو أعظم أصنامه وسيدها، لخمس ليال بقين من شهر رمضان، فخرج، وكسره، وهدم بيته، ورجع إلى النبي.

وبعث عمرو بن العاص إلى سواع، وهو صنم لهذيل، فمضى إليه وكسره، وهدم بيته، وأسلم على يديه سدنته، ورجع إلى النبي.

وبعث سـعد بن زيد الأشـهل إلى حنيـن، لقتال هـوازن[١]، وهي وادٍ قرب وادي الحجاز، فبينها وبين مكة ثلاث ليال، وذلك أن هوازن لمّا سمعت النبي دخـل مكـة، وافتتحهـا، اجتمعت إلى بني ثقيف وبني جُشـم وبني سـعد، وفي جُشـم دريد بن الصمة[٢] وهو شـيخ كبير، وعالم بالحـروب، فخرج إليهم ﷺ

(١) هوازن: هو هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان، من عدنان، جدّ جاهلي، بنـوه بطون كثيرة، كانت منازلهم ما بين غور تهامة إلى ما والى «بيشـة» وناحيـــة السـراة والطائف، كان لهم صنم في الجاهلية اسمه «جهار» أقيم بعكاظ. من بطون قبائلهم: بنو سعد، الذين منهم حليمة السعدية، وثقيف وفروعهـا، وعامـر، وكلاب، وعقيل، وخفاجة، وهلال بن عامر، وغزية، وجُشـم ابن بكر، وأخبارهم كثيرة في الجاهلية والإسلام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ١٠١.

(٢) دريد بـن الصمّـة: دريد بـن الصمّة الجشـمي البكري من هوازن، شـجاع من الأبطال، الشـعراء، المعمّرين في الجاهلية. كان سيّد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غـزوة، لم يهـزم في واحدة منها. وعاش حتى سـقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإســلام، ولم يسـلم، فقتل على ديـــن الجاهلية يوم حنين، وكانت هوازن خرجت لقتـال المسـلمين، فاسـتصحبته معهـا تيمناً بـــه، وهـو أعمـى، فلما انهزمت جموعهـا، أدركـه ربيعة بن رفيع السـلمـي فقتلـه. له أخبـار كثيـرة. والصمّـــة لقـب أبيـه معاوية بـن الحارث. انظـر: الزركلي، خيـر الدين: الأعـلام، ج٢، ص ٣٣٩.

فـي اثني عشـر ألفاً من المهاجرين والأنصار، ألفيـن من أهل مكة من الطلقاء، وكان المشـركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف، وعلى هوازن مالك بن عوف النضري[١] وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل[٢].

فلمـا التقـى الجمعان قال رجل مـن الأنصار يقال له سـلامة بن قيس: لن نغلب اليوم عن قلة، فساء ذلك النبي، ووكل المسلمون إلى كلامه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم المسلمون، وخلّوا الذراري، قيل: بلغت خيلهم عند الهزيمة إلى عسفان وإلى جدّة، وانكشف المسلمون، ولم يبقَ مع النبي يومئذٍ غير العباس، (١٨١) وأبي سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وعمر بن الخطاب، وأبي بكـر، وعلـي، والفضل[٣]، وطفق النبـي ﷺ يركض بغلته، وكانت بغلته شـهباء لا تألو ولا تقصّر، وهو يقول: «أنا النبي لا أكذب، أنا ابن عبد المطلب».

(١) مالك بـن عوف النضري: مالك بن عوف بن سـعد بن يربـوع النضري، من هوازن، صحابي، من أهل الطائف، كان رئيس المشـركين يوم حنين، قاد «هوازن» لحرب رسـول الله ﷺ، وكان من الجرارين» قال ابن حبيب: «ولم يكن الرجل يسـمى جراراً حتى يرأس ألفاً». ثم أسـلم مالك، وكان من المؤلفة قلوبهم، وشـهد القادسية وفتح دمشـق، وكان شاعراً، رفيع القدر في قومه، استعمله النبي ﷺ عليهم، فـكان يقاتـل ثقيفاً قبل أن يسـلموا، فلا يخرج لهم سـرح إلّا أغار عليه حتى يصيبـه. وكانت داره في دمشق تعرف بدار بني نضر نزلها مالك أول ما فتحت دمشق، فعرفت به. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعـلام، ج٥، ص٢٦٤. وانظـر: ابـن الأثيـر، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفـة الصحابة، ج٥، ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢) كنانة بـن عبـد ياليـل: كنانة بن عبد ياليل الثقفي، شـاعر جاهلـي، من أهل الطائـف، كان رئيس ثقيف في زمانه. مدح النعمان بن المنذر، وأدرك الإسـلام، وقدم على النبي ﷺ في وفد ثقيف بعد حصار الطائف، فأسلم الوفد، إلا كنانة، فتوجه إلى بلاد الروم، فمات فيها سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٣٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٤٧٣.

(٣) الفضل: هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشـمي القرشـي، من شجعان الصحابة ووجوههم. كان أسـنّ ولد العباس، ثبت يوم حنين. وأردفه رسـول الله ﷺ وراءه في صحبة الوداع، فلقب «ردف رسـول الله». وخرج بعد وفاة النبي مجاهداً إلى الشـام، فاستشهد في وقعة أجنادين (بفلسطين) وقيل: مات بناحية الأردن في طاعون عمواس، له ٢٤ حديثاً. وفي مدينة الرملة بفلسطين قبر قديم يقال: إنه مدفـون فيـه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعـلام، ج٥، ص١٤٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠.

ثم أمر النبي ﷺ أن ينادى يا معشر الأنصار، يا معشر المهاجرين، وكان العباس رجلاً صيّتاً، فنادى ونادوا: يا حماة السوء، اذكروا الفضائح، فتراجعوا، وعطف المسلمون حين سمعوا صوت العباس عطفة البقر على أولادها، والتفت النبي إلى عصابة من الأنصار، فقال: هل معكم غيركم؟ فقالوا: يا رسول الله، لو عمدت إلى برك العماد من اليمن لكنّا معك.

ثم التقوا بالمشركين، واقتتلوا قتالاً شديداً، ورشقهم الكفار بالنبل، وكانوا رماة حاذقين، فأخذ رسول الله بيده كفّاً من الحصى، فرماهم وقال: «شاهت الوجوه، شاهت الوجوه، انهزموا وربّ الكعبة» (انهزموا وربّ الكعبة)[1] فوالله ما زال أمرهم مدبراً، وحدّهم كليلاً، حتى هزمهم الله تعالى، وأمدّ الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.

وروي أن شيبة بن عثمان[2] قال: استدبرت النبي يوم حنين أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان، فأطلعه الله على ما في نفسي، فالتفت إليّ، وضرب صدري، فأرعدت فرائصي، فنظرت إليه وهو أحب إليّ من سمعي وبصري، فقلت أشهد أنك رسول الله، فإن الله أطلعك على ما في نفسي.

فلما هزم الله المشركين، وولوا مدبرين، انطلق النبي والمسلمون حتى أتوا أوطاس وبها عيال المشركين وأموالهم، فبعث النبي رجلاً من الأشعريين يقال له عامر[3]، وأمره على الناس، فقاتله من كان بها من المشركين عند الذراري، فقتل أبو عامر، وغنم المسلمون جميع ما في أوطاس.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٨٠.

(٢) شيبة بن عثمان: شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي، من بني عبدالدار، صحابي، من أهل مكة، أسلم يوم الفتح، وكان حاجب الكعبة في الجاهلية، ورث حجابتها عن آبائه، وأقرّه النبي ﷺ على ذلك، ولا يزال بنوه حجابها إلى اليوم. توفي شيبة سنة ٥٩هـ/ ٦٧٩م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ١٨١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٦٤٥.

(٣) عامر: والصحيح أبو عامر الأشعري.

وهـرب أميـر المشـركين مالك بن عـوف النضري، وأخـذ ماله وعيالـه، فأتى الطائف، فتحصّن بها، فسار إليه النبي من فوره، وحاصرهم بقية الشهر، فلما دخل ذو القعدة، وهو شهر الحرام، لا يحلّ فيه القتال، رجع عنهم، وأتى الجعرانة، وقسّم بها الغنائم والسبي والأموال، وقال: «لا تطأوا الحوائل حتى يحضن، ولا الحوامل حتى يضعن»، وكانت السبايا ستة آلاف، والإبل أربعة وعشرين ألفاً، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، والفضة أربعة آلاف أوقية، وتألف النبي أناساً فيهم أبو سفيان بن حـرب، والحارث بـن هشـام، وسـهيل بن عمـرو (١٨٢) والأقرع بـن حابـس،(١) وأعطـى كل واحـد الخمسـين والمائة من الإبـل، فقالت الأنصار: آثـر قومه، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فجمعهم، وقال: «يا معشـر الأنصار، ما هذا الذي بلغني عنكم؟»، قالوا: هو الذي بلغك، وكانوا لا يكذبون، فقال: «ألم تكونوا ضُلّالاً فهداكم الله بي، وكنتـم أذلة فأعزّكم الله بي؟»، فقال سـعد بن عبادة: آذن لي فأتكلم؟ قال: «تكلم»، قـال لـه عمر: هـل تدري من تكلم يا سـعد؟ فقال: يا عمر، أكلم رسـول الله وخير خلقه، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو سلكت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصـار، ولولا الهجرة لـكان الأمراء أمراء الأنصار، الأنصار كرشـي وعيبتي، أي موضع سرّي، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم».

ثـم قـال: «يا معشـر الأنصار، أما رضيتـم أن ينقلب الناس بالشـاء والإبل، وتنقلبون برسـول الله؟»، فقالت الأنصار: رضينا من الله ورسوله، وما قلنا ذلك إلّا ظنّنا بالله ورسوله، فقال: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

(١) الأقرع بن حابس: الأقرع بن حابس بن عقال المجاشـعي الدارمي التميمي، صحابي، كان من سادات العرب في الجاهلية، قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني دارم (من تميم) فأسلموا. وشهد حنيناً وفتح مكـة والطائف، وسـكن المدينة. وكان مـن المؤلفة قلوبهم، ورحل إلى دومـة الجندل في خلافة أبي بكر، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة، واستشهد بالجوزخان سنة ٣١هـ/ ٦٥١م. وفـي المؤرخيـن مـن يرى أن اسـمه «فـراس» وأن الأقرع لقب له لقـرع كان برأسـه». كان حكيماً في الجاهلية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٨٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٦٤ ـ ٢٦٧.

ثم جاء ناس من هوازن مسلمين، فسألوا النبي أن يردّ إليهم سباياهم وأموالهم، فأعطاهم ما سألوا، وسألهم عن مالك بن عوف، فقالوا: هو بالطائف، قال: «لو أتاني مسلماً لرددت إليه ماله وأهله، وأعطيته مائة من الإبل». فبلغ ذلك مالك بن عوف، فأتى النبي مسلماً، فأسلم، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وولّاه على قومه، وعلى من أسلم من أهل الطائف ومن حولها.

واستعمل النبي على مكة عتاب بن أسيد[١] وجعل معاذ بن جبل يفقه الناس ويعلمهم القرآن، وقفل راجعاً إلى المدينة يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقين من ذي القعدة.

وفي هذه السنة تزوج النبي مليكة الكندية، وكان أبوها قتل يوم الفتح، فقال لها بعض نساء النبي: لا تستحين، تتزوجين رجلاً قتل أباكِ، فقيل: إنها استعاذت منه، وقالت: أعوذ بالله منك،، فقال: «عذت بكريم» فطلقها، وقيل: إنه لمّا أراد الدخول بها امتنعت ومانعته نفسها، ثم إنه قعد عنها، وقال لها: «تهيئي لي كما تتهيأ المرأة لزوجها». فقالت: أتتهيأ الملكة للسوقة؟ فقال لها: اذهبي فأنتِ طالق.

وفي هذه السنة (١٨٣) ولد إبراهيم ابن النبي ﷺ، وأمه مارية القبطية، في ذي الحجة.

---

(١) عتاب بن أسيد: عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبدالرحمٰن، والٍ أموي قرشي مكي، من الصحابة، كان شجاعاً عاقلاً، من أشراف العرب في صدر الإسلام، وأسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي ﷺ عليها عند مخرجه إلى حنين سنة ٨هـ، وكان عمره ٢١ سنة وأقرّه أبو بكر، واستمر فيها إلى أن مات يوم مات أبو بكر الصديق سنة ١١هـ. وفي المؤرخين من ذكر أنه عاش والياً على مكة إلى أواخر أيام عمر، فتكون وفاته في أوائل سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٩٩ - ٢٠٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٤٩.

فهرس الجزء الأول

الباب الأول

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

الباب العاشر

الباب الحادي عشر

الباب الثاني عشر

الباب الثالث عشر

الباب الرابع عشر

الباب الخامس عشر

الباب السادس عشر

الباب السابع عشر